

رؤية إسلامية

في

الصراع العربي الإسرائيلي

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

حقوق الطبع محفوظة للكاتب

رؤية إسلامية

في

الصراع العربي الإسرائيلي

الجزء الأول

مؤامرة الدويلات الطائفية

المؤلف

محمد سرور زين العابدين

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضللّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿٦١﴾﴾
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾.

أما بعد: فقد رافق صدور هذا الكتاب أحداث جسام، هزّت العالم الإسلامي من أذناه إلى أقصاه، وأدمت قلوب المؤمنين، وتركت الحليم حيراناً... وما زالت الأيام حبلى وتحمل في طياتها مفاجآت كثيرة وأخبار عصبية. ومن هذه الأحداث:

١ - مذبحه حماة:

في الشهر الرابع من عام ١٤٠٢ هـ انقضت قوات النظام النصيري الكافر على مدينة حماة المسلمة، واستخدمت في هجومها أحدث أنواع الأسلحة الفتّاقة من صواريخ وقنابل ومدافع، ولعبت الطائرات الحربية دوراً مهماً في تدمير المدينة.

وأُسفر الهجوم الوحشي الغادر عن تدمير عدد كبير من مساجد المدينة وأحيائها القديمة، وأقدم الأوغاد على هتك أعراض المؤمنات المسلمات. ومن نجا من الموت خرج هائماً على وجهه لا يدري أين يذهب. وذكر شهود عيان أنهم رأوا أطفالاً من أبناء المدينة المنكوبة في مسجد خالد بن الوليد في حمص وفي بعض مساجد حلب محتضنهم أهل الخير لأنهم فقدوا آباءهم وأمهاتهم وسائر أقربائهم، وكان ضحايا المجزرة أكثر من ثلاثين ألف قتيل، وعاشت المدينة أكثر من شهرين لا يُسمع فيها أذان، وتعطلت الصلوات في المساجد التي سلمت من الهدم.

وأيقنتُ خلال متابعتي للأحداث بالنتيجتين التاليتين:

النتيجة الأولى: إن النظام النصيري المجرم الذي أراد محو المدينة من الوجود يهدف من وراء هذه المؤامرة إلى الاستقلال بدولة طائفية في الجزء الشمالي الغربي من سورية، ومدينة حماة من أكبر المنغصات التي تحول بينهم وبين تحقيق هدفهم المنشود.

النتيجة الثانية: أن الأمة التي التزمت الصمت أمام هذه الجريمة النكراء لن تسلم من عقوبة الله سبحانه وتعالى وغضبه، وهذه سنة من سنن الله جلا وعلا في كل أمة يعمّ فيها الفساد والانحراف، ويسود فيها دعاة الكفر والإلحاد، ويسكت جمهور الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد الظالم المتجبر.

٢- الحرب العراقية الإيرانية:

قامت الثورة "الخمينية" في إيران في وقت كثر الحديث فيه عن الصحوة الإسلامية، ووجوب تحكيم الشريعة الإسلامية، وإقامة الخلافة الإسلامية.

وأول موقف لهذه الثورة التي أسمت نفسها إسلامية، اضطهاد المسلمين السنة في إيران، وحرمانهم من أبسط الحقوق التي يتمتع بها المواطن في أي دولة من دول العالم، واستخدمت الرافضة في كل بلد من بلدان العالم الإسلامي محاولة عن طريقهم إثارة القلاقل والفتن بين السنة والشيعة، وتمزيق وحدة المسلمين، وشل قدرتهم على مواجهة المعتدين.

وما زالت الثورة "الخمينية" تستفز العراق وتحرض الشيعة، وتعتدي على مخافر الأمن العراقية حتى نشبت الحرب بين البلدين، وزعم حكام طهران أنهم سيحررون القدس، وأن الطريق إليها يمر من مكة وبغداد وعمّان، فلا بد من تحرير هذه المدن -على حدّ زعمهم-، لكن طريقهم لا يمر من دمشق الأسد ولهذا عقدوا معه حلفاً مشبوهاً لأنه نصيري رافضي مع أن نظام أسد قومي علماني إلحادي، ونظام طهران إسلامي ولا مكان فيه للكفر والإلحاد -كما يدّعون-.

وجاءت أخبار الحرب لتؤكد أن إسرائيل قدّمت الأسلحة وقطع الغيار والخبراء لإيران، وقال وزير دفاع إسرائيل إن أمريكا كانت على علم بهذه المساعدات وقد تمّت بعد استشارتها وموافقتها.

لقد تدفقت الأسلحة الأمريكية على إيران عن طريق إسرائيل، والأسلحة السوفيتية عن طريق كوريا وسوريا وليبيا.

وبعد سنتين من القتال الضاري ما زال بعض الناس ينتظرون أن تستجيب إيران للوساطة الجزائرية أو غيرها، فلهؤلاء نقول:

لقد وجدت الثورة الخمينية لتمزق العالم الإسلامي، ولتعيد إلى الأذهان المؤامرات التي كان يحكيها ابن سبأ، والطوسي، وابن العلقمي، وميمون القداح، ولن تألو جهداً في محاولة احتلال العراق ومن بعده دول الخليج وشبه الجزيرة العربية، ولن تدخر وسعاً في تجنيد الشيعة في كل مكان من أجل تحقيق أهدافها الإجرامية التوسعية، ولسوف تمضي في تعاونها مع كل عدو للإسلام.

وليس من المستغرب أن تشن إسرائيل حرباً عشواء على المسلمين في لبنان في الوقت الذي تشن فيه إيران حرباً على العراق والخليج، وتخذل المسلمين في أفغانستان، وتعاون مع أعدائهم الشيوعيين السوفيات.

إن حكام طهران يعلنون عن أهدافهم بكل وضوح ودون تقيّة، ومن هذه الأهداف تصدير الثورة، وبشكل أوضح اجتياح العالم الإسلامي، ونصيحتي إلى الذين يتوقّعون أن عدوانهم لن يتجاوز العراق أن يعيدوا النظر في حساباتهم ويقرأوا سيرة أجدادهم، ويستعدّوا للدفاع عن أنفسهم وأموالهم.

٣- اجتياح لبنان:

شنّ اليهود هجوماً وحشياً على لبنان في وقت كنتُ قد أنجزت فيه معظم فصول هذا الكتاب، وبعد معارك جوية وبحرية وبرية كثيفة تمكّنوا من احتلال صور وصيدا، وأحاطوا ببيروت الغربية إحاطة السوار بالمعصم، وفرضوا عليها حصاراً من كافة جهاتها، ومنعوا عن سكانها الطعام والشراب والوقود والإمدادات الصحية وقطعوا الماء والكهرباء عن المدينة.

ولا تسل عما ارتكبه اليهود من مجازر كان منها:

إزالة كثير من أحياء صور وصيدا وبيروت الغربية، وقصف المستشفيات والأحياء السكنية ودور الرعاية الاجتماعية، واستخدامهم القنابل العنقودية المحرّمة دولياً، لا تسل عن هذا كلّهُ، فليس فيه غرابة لأن أخلاق اليهود معروفة في القديم والحديث.

أما الأسد -صاحب مجازر حماة وتدمر وحلب وجسر الشغور والرقّة وإدلب وأريحا- فتحوّل إلى فأر، وأمر قواته بالانسحاب من ضواحي بيروت وطريق بيروت دمشق، وسارع إلى عقد معاهدة وقف إطلاق نار مع القوات اليهودية الغازية عن طريق الوسيط الأمريكي فيليب حبيب، وهو الذي كان يصرّح قبل الغزو بأنه سيلقّن إسرائيل درساً لن تنساه في لبنان، ورغم موقف الأسد الاستسلامي الذليل قامت القوات الإسرائيلية بضرب صواريخه المزعومة في البقاع وألحقت بألياته ضربةً فاصلةً، ومرّغت كرامته في أوحال البقاع.

ومن الجدير بالذكر أن الاجتياح الإسرائيلي استهدف المسلمين سواء كانوا فلسطينيين أو لبنانيين، أما غير المسلمين فكان لليهود معهم شأن آخر.

- فالدروز لم يحرّكوا ساكنًا، واحتلت مناطقهم كتيبة درزية من الجيش الإسرائيلي، وكثر حديث إسرائيل عن إقامة دولة درزية بقيادة مجيد أرسلان، أما وليد جنبلاط، فهو حر طليق يتنقل بين المختارة وبيروت وقصر بعدا رغم أنه رئيس الجبهة الوطنية التي تضمّ الفلسطينيين واللبنانيين الذين يقاومون الغزو الإسرائيلي، وفي بيته في المختارة اتخذ الدروز قرار عدم الاشتراك في قتال اليهود.

- أما الموارنة فبعض قواتهم شاركت في الحرب إلى جانب اليهود -قوات سعد حداد-، وبعضها الآخر -الكتائب- تتعاون مع القوات الإسرائيلية في إحكام الحصار على بيروت الغربية، وينادي بشير الجميل بالمطالب نفسها التي تنادي بها الحكومة الإسرائيلية.

- الشيعة: عادوا إلى مدنها وقراهم في جنوب لبنان، وحقّقوا حلمهم في طرد الفلسطينيين من الجنوب، وتصريحات قادتهم التي تنقلها إذاعة إسرائيل لا تنقصها الصراحة، أما القوات الإيرانية التي أرسلها خميني لتحارب اليهود في لبنان، فهي ترابط على حدود سورية مع العراق، وتتأهب لشنّ هجوم شامل بغية إسقاط نظام صدام وإقامة دولة شيعية في العراق.

وفي بيروت يعاني المسلمون الويلات من تأمر منظمة أمل المستمر، وافتعالها معارك لا تخدم إلا أطماع إسرائيل التوسعية^(١).

٤ - دروز الجولان:

كنت مع صديق لي نستمتع إلى نشرة أخبار دولة عربية من دول المواجهة، وكان معظم النشرة عن انتفاضة المواطنين الدروز في هضبة الجولان، مما جعل الصديق يتوجّه إليّ بالسؤال التالي:

إن أجهزة الإعلام المحلية والعالمية تتحدّث منذ بضعة شهور عن بطولة الدروز، وتصديهم للاحتلال، ورفضهم الهوية اليهودية، وأنت تقول الدروز عملاء لإسرائيل، فكيف نجتمع بين قولك وقول أجهزة الإعلام؟!؟

قلت: قبل أن أجيبك عن سؤالك أودّ أن تحييني عن السؤال التالي:

ماذا فهمت من أجهزة الإعلام عن عدد الدروز في الجولان، وما هي نسبتهم؟!؟
قال: هم أكثرية السكان من غير شك.

(١) هذه كلمات عاجلة عن الاجتياح الإسرائيلي للبنان، وسنعود إلى هذا الموضوع في ملحق لهذا الكتاب إن شاء الله، ونكشف فيه أطراف المؤامرة: نظام حافظ أسد، شيعة لبنان، الموارنة وفي طليعتهم الكتائب، الدروز، الولايات المتحدة الأمريكية، وجهات أخرى، وسيكون حديثنا من خلال الأرقام الدقيقة والأدلة المفحمة.

قلت: إن نسبتهم لا تتجاوز ٨٪، وعدددهم ١٠ آلاف من عدد سكان الجولان البالغ ١٢٠ ألف.

أما المصادر الأجنبية فيكفي أن أسوق لك من عجائبها الخبر التالي:

بناءً على تكليف من إدارة البيت الأبيض قام "ميكيل رايسمان" الأستاذ بكلية الحقوق جامعة "يال" الأمريكية بدراسة لمشكلة الشرق الأوسط، وكان من النتائج التي انتهى إليها قوله:

"وبالنسبة للجولان: إن منطقة الجولان تقطنها أغلبية من الدروز، وهؤلاء الدروز لا يمتّون إلى العرب بصلة". ويقترح "رايسمان" إنشاء دولة درزية في هذه المنطقة تحت وصاية الأمم المتحدة، ويشرف اليهود على هذه الوصاية^(١).

انظر إلى قوله "تقطنها أغلبية من الدروز" فكيف نحترم منهجهم في البحث!

وكيف تريد منا أن نعتمد على المصادر التي اعتمدوا عليها؟!

وهكذا يا أخي تتناقل أجهزة الإعلام مثل هذه الدراسات لأنها صادرة عن شخصية علمية مرموقة يدعمها البيت الأبيض الأمريكي.

قال صديقي: دع عنك نسبة السكان، ماذا تقول عن وطنية الدروز، وكيف

تريد منا أن نكذب كل ما تتناقله وكالات الأنباء عن معارضتهم للاحتلال؟!

(١) فن الممكن، كتاب لمؤلفه ميكيل رايسمان، عن مجلة المجتمع ٢٥-٨-١٣٩٥ هـ.

قلت: أريد أن تسأل نفسك أولاً: لماذا أبقت إسرائيل الدروز وحدهم في الجولان؟!

ومن ثم فالجواب على سؤالك كشفه "كمال كنج"، من زعماء دروز هضبة الجولان منذ عام ١٩٦٧، ويبيّن أن اتفاقاً سرّياً جرى بين إسرائيل ودروز الجولان يقضي بإقامة دولة درزية، أما طريقة تنفيذ الاتفاقية فهي على الشكل التالي:

١- تحت ستار مقاتلة الفدائيين الفلسطينيين، تقوم القوات الإسرائيلية باقتحام واحتلال المناطق التي يتواجد فيها الفدائيون، ثم تقوم قوات أخرى باحتلال جنوب لبنان حتى صيدا، وتتوجّه في الوقت نفسه قوات مدرّعة إسرائيلية خارقة الجبهة السورية على محور درعا-ازرع-السويداء، وعلى محور القرى المتاخمة للحدود السورية الأردنية.

٢- تقوم حركات "سلبية" ضد الجيش الإسرائيلي المحتل، فيشجعها اليهود سرّاً ولا يقيمونها بعنف، إلى أن تبلغ من القوة ما يكفي ظاهرياً إلى نشوب معارك بين الفريقين، يكون النصر فيها للدروز المحتلة مناطقهم.

٣- في تلك الأثناء، يكون الاتفاق قد تمّ مع عدد من زعماء الدروز على الصمود في مناطقهم والمحافظة عليها، كي لا تُعاد إلى سورية ولبنان، تمهيداً لإنشاء كيان سياسي مؤلّف من هذه المناطق "المحررة" يتمّع باستقلال تام.

٤- تتكفّل أمريكا بحماية هذا الكيان عن طريق إسرائيل، كما تتكفّل أمريكا بالاعتراف فوراً بهذا الكيان السياسي، وبأن تدفع الأمم المتحدة والدول الغربية

السائرة في فلکها، للاعتراف به، وتكون إسرائيل بذلك قد كسبت " حزامًا واقياً لها " - حسب تعبير يعقوب - يقيها شرّ الاعتداءات العربية، إن كانت من الجيوش النظامية أو الفدائيين^(١).

قال صديقي: إذن نستطيع أن نقول: إن أخبار وكالات الأنباء عن دروز الجولان ليست صحيحةً؟!!

قلت: وكالات الأنباء تنقل أخبارها عن إسرائيل والدروز، فهي صادقة في قولها صرح مسؤول إسرائيلي كذا وكذا ولكن إسرائيل تريد أن تصنع من الدروز أبطالاً حسب خطة متفق عليها بعد شهرين من حرب حزيران عام ١٩٦٧، ولذلك فهي تنسب إليهم المقاومة ومعارضة الاحتلال^(٢).

قال: ولماذا لم تتحدّث وكالات الأنباء عن مثل ما تحدّثت عنه؟!!

قلت: لا تنس يا أخي سيطرة اليهود على معظم الصحف ووكالات الأنباء العالمية، ولن تنقل هذه الأجهزة أخباراً تغضب اليهود، وفي أحسن الاحتمالات فمثل هذه الأخبار لا تعني وكالات الأنباء أما أنا فتعني، وقد أثبتُّ الخبر ومصدره.

(١) الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي ص ٢٥٢، ويعقوب هو ضابط المخابرات الإسرائيلي

الذي رافق الدرزي كمال كنج إلى أوروبا.

(٢) في القسم الأول من هذا الكتاب حديث واسع عن تعاون الدروز مع اليهود.

متى بدأت اهتماماتي في الموضوع:

بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان كثر الحديث عن الدويلات الطائفية في بلاد الشام، وقلما يخلو مجلس أو ندوة أو صحيفة أو نشرة أخبار من ذكر أخبار هذه المؤامرة الخطيرة التي يريد لها أعداء الإسلام، ومنذ أكثر من عام صرّح ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بأن خريطة المنطقة ستتغير خلال عام، وكان عرفات في تصريحه يشير إلى مؤامرة الدويلات الطائفية، كما أدلى الملك حسين ملك الأردن بتصريح مشابه لتصريح عرفات، ولعل أهم الأسباب التي دعت الملك حسين إلى الإدلاء بمثل هذا التصريح شعوره بأن النظامين الإسرائيلي والأمريكي يدبران شيئاً ما ضدّ الأردن وضدّ عرشه بالذات.

ولكن هل بدأت المشكلة منذ بضعة أشهر فقط؟!

وإذا كانت مشكلة غير المسلمين في بلاد الشام موغلةً في القَدَم فأين منها الكتاب وأجهزة الإعلام ودعاة الإسلام الأعلام؟!

قال "جورج كليمنصو" رئيس وزراء فرنسا السابق في مذكراته:

"لقد كان أصدقاءنا الإنجليز أسبق منا في التنبيه إلى موضوع الأقليات المذهبية والعرقية في بلاد المشرق العربي (!!). وقد اتفقت وجهتا نظرنا كلياً حول هذا الموضوع".

وفعالاً كان الإنجليز أسبق وأخبت من الفرنسيين في هذا الشأن -ولست أقلل في هذا من دور الفرنسيين وجرائمهم في بلادنا-.

لقد طبّق الإنجليز خلال احتلالهم لمعظم بلدان العالم الإسلامي سياسة "فرّق تُسدّ" وصنعوا تناقضات لا حصر لها.

- فهم الذين دعموا اليهود، وقدموا لهم يد العون والمساعدة في فلسطين.

- وهم الذين كانوا وراء إنشاء القاديانية في الهند وباكستان.

- وهم الذين كانوا عوناً للدروز في حربهم مع النصارى أو المسلمين.

- وهم الذين فتّوا العالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة، ثم رسموا الحدود معوّجةً بين هذه الدويلات كانت ومازالت سبباً في معظم المعارك والحروب التي وقعت بين البلدان المجاورة التي تدين بالإسلام، وبعد أكثر من ثلاثين سنة من جلاء بريطانيا لم تستطع بلدان العالم الإسلامي حلّ المشكلات التي خلّفها مع حليفها فرنسا.

وإذن فقضية غير المسلمين في بلاد الشام قديمة تعود جذورها في العصر الحديث لأكثر من مائة عام، ولن تتوقف إذا رحل الفلسطينيون من لبنان.

ومن هذا المنطلق جاءت اهتماماتي بالقضية مبكرةً، وقد كتبت بعض فصول هذا الكتاب سنة ١٣٩٥ هـ وأنجزت آخر فصوله في شهر رمضان من عام ١٣٩٨ هـ، وكنت أنوي نشره في رسالة صغيرة يسهل تداولها والاستفادة منها.

وقبل دفع الرسالة إلى المطبعة أرسلتها إلى أحد الأصدقاء -الذين يهتمون بمثل هذه القضايا- ليطلع عليها، ويكتب لي ملاحظاته، وبعد طول انتظار علمت من الصديق أنه فقد الرسالة، وقد بحث عنها بين أوراقه فلم يعثر لها على أثر، وحزنت على ضياعها حزناً شديداً حيث لا أملك صورةً عنها، وليس باستطاعتي العودة إلى المراجع التي عدتُ إليها، وأتعبت صديقي بالرسائل والمكالمات الهاتفية التي أطلب فيها مزيداً من البحث.

وبعد سنتين أخبرني الصديق أنه عثر على الرسالة، وأرسل لي صورةً عنها دون أن يتحفني بملاحظاته التي كنت قد بعثت بالرسالة من أجلها، ولم أعد مهتماً بملاحظاته فحسبي أن الرسالة قد عادت إليّ والحمد لله.

ولعلها المرة الأولى والأخيرة إن شاء الله التي أرسل فيها بحثاً دون أن أحفظ لنفسي بصورة منه وشكراً لصديقي الذي علّمني درساً لن أنساه، وليس من يكتب الشيء كمن يقرؤه.

لقد عدت إلى الرسالة بشوق بعد أن طالت غيبتها عني، وقرأتها قراءة المتفحص الناقد فارتاحت نفسي إلى النتائج التي وردت فيها، إلا أنني رأيت أن أضيف إليها دراسةً تاريخيةً أوضح فيها بالأدلة جذور الطائفية التي أشرت إليها في هذه المقدمة، كما أضفت إليها بحثاً عن دور الزعيم النصيري حافظ الأسد في المؤامرة، ولا شك فإن الفترة الزمنية التي جاءت بعد صياغة الرسالة سنة ١٣٩٨ هـ زادت من قناعتي بضرورة نشرها، ولم أجد في كل ما حدث ما يخالف النتائج التي انتهيت إليها قبل

أربع سنين.

موضوعات الكتاب ومنهجي في البحث

يتألف الكتاب من مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة.

القسم الأول: وثائق من التاريخ المعاصر ويشمل الفصول التالية:

الفصل الأول: وثائق من تاريخ الدروز المعاصر، تحدّثت فيه عن الدروز في ظل الاحتلال الفرنسي، وفي عهد الاستقلال، كما تحدّثت عن الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين وهضبة الجولان.

الفصل الثاني: وثائق من تاريخ نصارى بلاد الشام المعاصر. تحدّثت فيه عن تاريخهم في العهود التالية:

- في عهد الدولة العثمانية.

- في عهد الاحتلال الفرنسي.

- في عهد الاستقلال.

الفصل الثالث: وثائق من تاريخ النصيريين المعاصر. تحدّثت فيه عن النصيريين في عهد الاحتلال الفرنسي، وفي عهد الاستقلال.

الفصل الرابع: وللأكراد دور في المؤامرة. تحدّثت فيه عن ارتباط البرزاني بإسرائيل والولايات المتحدة.

القسم الثاني: عرضتُ فيه سعي إسرائيل الدائم من أجل إقامة دويلات طائفية تكون بمثابة حزام أمني لها، وبيّنت نماذج من الوثائق التي كُشفت، ثم ناقشتُ تعارض هذه الوثائق وأسباب هذا التعارض.

القسم الثالث: دور حافظ الأسد في المؤامرة، وهذا القسم متمم للفصل الثاني من القسم الأول.

وتحدّثت عن دور حافظ الأسد في هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧م وتسليم الجولان، وعن مباحثات كيسنجر وسياسة "الخطوة خطوة"، وتحدّثت أيضاً عن دوره في حرب لبنان سنة ١٩٧٥، وعن الاتصالات التي تمت بين نظامه والكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة.

الخاتمة: عرضت فيها دور الشباب المسلم والجماعات الإسلامية، وما الذي يجب أن يفعلوه، وكيف يواجهون المؤامرة والمتآمرين.

منهج البحث:

التزمتُ في بحثي المنهج الإسلامي الذي ينطلق من قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا. اعدلوا هو أقرب للتقوى...).

فكرهنا وعداوتنا للدروز والنصيريين المرتدّين واليهود والنصارى الكافرين المشركين لا يعني أن نقول عنهم بالحق وبالباطل، وإنما نقول الحق ونتحرّى الدليل، ولهذا اعتمدت في كل ما ورد في هذا الكتاب على المصادر التالية:

١- الكتب والرسائل والتصريحات الصادرة عنهم -أي إذا ما كتب النصارى عن تاريخ النصارى وهكذا-، ومعظم مصادر الكتاب من هذا القبيل.

٢- وثائق مهمّة صادرة عن وزارة الخارجية الفرنسية، أو عن شخصيات مهمّة، أو عن الصحف الصادرة في تلك الفترة.

٣- نحن المسلمين شهود على أحداث التاريخ المعاصر، فبعض الأحداث شاهدناها بأعيننا، وبعضها الآخر سمعناه من آبائنا وأجدادنا، وهذا المصدر يجب أن لا نقلل من شأنه، فالمصادر الغربية عندما تغطي أخبار حدث من الأحداث تعتمد في تغطيتها على أقوال مراسليها التي تعتمد على ما رأوه وما سمعوه من أهل المنطقة والجهات المسؤولة فيها، ونحن أصدق في عرض تاريخنا المعاصر من المراسلين الغربيين، وقيدت هذا المصدر بالقيدين التاليين:

الأول: أن يكون الخبر الذي أنقله وأستشهد به مشهوراً عند أهل المنطقة، فلا ينفرد به واحد من الناس.

الثاني: لم أتوسّع في الاعتماد على هذا المصدر، وكنت أجمع في معظم الحالات بين أقوال المؤرخين وأقوال من شهد الأحداث من أهل المنطقة، وإذا كان هناك تعارض أحاول الترجيح معتمداً على الدليل.

ولابد من الاعتراف أن المسلمين لم يساهموا في كتابة التاريخ المعاصر، مما دعا أعداء الإسلام إلى وضع السمّ في الدسم، وتزوير الحقائق، وتلفيق الروايات التي يقصدون من ورائها النيل من دعاة الإسلام، وتعظيم دور أسلافهم المشركين.

سأتهم بالتعصب:

أظن أن هذا أول كتاب إسلامي يعالج قضية غير المسلمين - في جزء مهم من العالم الإسلامي - بشكل صريح وشامل، وكان بعض الكتاب الإسلاميين يطرقون هذه القضية بشيء من التعميم والتلميح اللذين لا يثيران حفيظة أحد.

ولابد أن يثير نشر هذا الكتاب ضجةً عند فئتين من الناس:

١- غير الإسلاميين وهم أقسام:

- فاليساريون: لا تتحمل عقولهم الجامدة أن يُقال لهم هناك صراع بين المسلمين والنصارى في لبنان أو في مصر، لأنهم تعلموا من أستاذهم "ماركس" أن الصراع لا يكون إلا طبقياً ومن أجل المادّة.

ومن يتتبع صحفهم يجد مقالات وتحليلات كثيرة عن حرب لبنان كلّها تدور حول نظريتهم القائلة بأن الصراع طبقي بين "البروليتاريا" و"البورجوازية"، ولو استخدموا عقولهم لوجدوا أن في كلّ طرف من الأطراف المتقاتلة في لبنان أغنياء وفقراء، وإن كانت نسبة الأغنياء في الجانب النصراني أكثر.

- دعاة الطائفية: النصارى والنصيريون والدروز، وهؤلاء اعتادوا أن ينشروا ويتكلموا ما يريدون بحريّة كاملة، ولم يحدث أن وقف أحد في وجههم واتهمهم بالخيانة والانحراف ثم سلّم من عقوبة رادعة.

- السياسيون: سواء كانوا أفرادًا أو زعماء لأحزاب جاهلية علمانية، وديدن هؤلاء النفاق لقادة غير المسلمين لأنهم أول من يعلم بأن زعماء الطوائف لهم أخطر الأدوار في صنع الزعامات في بلادنا، ولهذا فهم يحرصون على كسب ودّهم، ويستخدمون في ذلك كلّ وسيلة.

ويعتبر هؤلاء السياسيون الدفاع عن الإسلام نوعًا من أنواع الطائفية الذميمة، أما ما يفعله غير المسلمين فهو حق شرعي لهم، ولا يجوز أن يُحال بينهم وبينه.

ونجح غير المسلمين في استخدام هؤلاء السياسيين من أجل تحقيق مصالحهم الطائفية، عندما أوعزوا إلى بعض أبنائهم بالانضمام للأحزاب الجاهلية العلمانية التي يتزعمها هؤلاء السياسيون، فصارت أحزابًا يقودها في الظاهر مسلمون، لكنها في الحقيقة أحزاب طائفية خطيرة.

وسيقابل اليساريون ودعاة الطائفية ضد الإسلام والسياسيون كتابي هذا بحملة عنيفة من الاستنكار، لكنني لم أكتبه لهم، وإن كنت أرجو لهم الهداية.

٢- يرى معظم الإسلاميين عدم الخوض في قضايا غير المسلمين، وقد يقول أحد الدعاة في جلسة مغلقة كلامًا خطيرًا عن الدروز مثلاً، لكنه يأبى أن يعيد كلامه إذا كان يكتب في صحيفة أو كتاب أو يتحدث في محاضرة عامة.

وتجاوز بعض الدعاة هذا الحدّ فأقاموا علاقات صداقة مع غير المسلمين، وكتب بعضهم مشيدًا بثورة صالح العلي في جبال النصيرية، وسلطان الأطرش في جبل الدروز، وإن نسيّت لا أنسى صحيفةً إسلاميةً، كانت تصدر قبل استقلال

سورية - كتبتُ كثيرًا من المقالات عن بطولة سلطان الأطرش ووطنيته، ولم يكن سلطان وطنيًا، وإنما عميلًا حرّكه أسياده الإنجليز عندما ساءت علاقاتهم مع حلفائهم الفرنسيين.

قد نفهم عدم خوض بعض الدعاة في قضايا غير المسلمين، ولكننا لا نجد لهم عذرًا في إقامة علاقات معهم والإشادة بهم، لأن الداعية إن عجز عن قول الحق كلّه فلا يصح له أن يقول الباطل إلا إن كان مُكرهًا إكراهًا شرعيًا على ذلك.

وكم نتمنى أن يبصر إخواننا حقيقة المؤامرة التي يخطّط لها غير المسلمين في بلادنا مع اليهود والأمريكان وغيرهم من أعداء الإسلام، وكيف يأخذون علينا هذه الصرخة التي أعلنها في هذا الكتاب، وغير المسلمين أَلّفوا الكتب التي يهاجمون فيها الإسلام والمسلمين، وقالوا عن الحركات والجماعات الإسلامية كلّ زور وخطل وبهتان؟!!

كيف يريد بعض الدعاة أن يحافظوا على علاقات مع من قطعوا كلّ علاقة تربطهم بالله جلا وعلا، وقطعوا معنا خيط معاوية؟!!

كيف يقول بعض الدعاة يجب أن لا نكتب كلّ أو بعض ما عندنا عن غير المسلمين حتى لا نستعديهم على أنفسنا، وهم الذين بالغوا في عداوتنا وإيذائنا ولم يرقبوا فينا إلا ولا ذمّة؟!!

ألم ير إخواننا الدعاة ماذا فعل غير المسلمين بتاريخنا القديم والحديث، كيف يقولون الباطل ويلفّقون الأكاذيب، ونسكت عن قول الحق وتوضيح ما حاولوا طمسه؟!

وإذا كان هناك أكثر من وجهة نظر فقدوتنا وأسوتنا رسول الله ﷺ الذي كان -بأمر من ربه- يهتك أسرار الشرك، ويفضح مؤامرات المشركين وأساليبهم المعوجة. فليعد من شاء إلى قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦ ﴾
الكافرون: ١-٦.

وإلى قوله:

﴿ وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَاكِ مَهِينٍ ١٠ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ١١ مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُنُقٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ١٣ ﴾ القلم: ١٠-١٣.

وإلى قوله:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ٥ ﴾ المسد: ١-٥.

وكان ﷺ يأمر بتلاوة هذه الآيات على المشركين المعنيين بها، وكان أصحابه يتسابقون لنيل الأجر والثواب رغم ما كان عليه المسلمون من ضعف ومطاردة،

فأين من هذا الهدي النبوي الذين يرون أننا يجب أن نصمت مهما فعل المشركون حتى لا نُتهم بإثارة النعرات الطائفية؟!!

وعندما التحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى وارتدت قبائل الجزيرة عن الإسلام ولم يبق إلا قلة قليلة من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، هل قال خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إننا في حالة ضعف، وما علينا إلا أن نقبل سياسة الأمر الواقع وبشكل أخص مع الذين لم يرفضوا من الإسلام إلا الزكاة؟!!

أبدًا! لقد رفض الصديق كلَّ ضعف، وقال قولته المشهورة: "والله لو منعوني عقال بغير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لحاربتهم عليه".

فكيف يريد منا ناس من الناس أن نسكت حتى عن قول كلمة الحق إرضاءً للشوفي أو خشية غضب حنّا وميشيل؟!!

لقد بلغ السيل الزبى ولم يبق في قوس التصبر مفرع، وعالمنا الإسلامي يشهد مؤامرةً رهيبَةً والساكت عن الحقّ شيطانٌ أخرس.

وأقل ما أطلبه من إخواني أن لا يكونوا عونًا لأهل الباطل ضدي إن لم يدافعوا عني وحسبي أني لهم منذر وعليهم أغار وعن حقوقهم أذافع.

استدراكات:

أولاً- عندما تحدّثت عن الطوائف ومؤامرة الدويلات الطائفية، لم أذكر الرافضة وإمبراطورية الخميني في إيران، وقد يظنّ ظانّ أنني تجاوزت ذكر ثوار الخميني لأنهم ليسوا طرفاً في المؤامرة.

والذي أدين الله به أنهم أخطر الذين يتآمرون على الإسلام والمسلمين، وتاريخنا زاخر بالشواهد على غدرهم وحقدهم الدفين.

ولم أكتب عنهم لأنه قد سبقني من أجداد وأفاد في هذا الميدان. سبقني محبّ الدين الخطيب رحمه الله في خطوطه وقواصمه وتعليقاته على المتتقى.

وسبقني عبد الله محمد الغريب^(١) في كتابه "وجاء دور المجوس" أو الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية، ولقد وُفق المؤلف -جزاه الله خيراً- في كشف ارتباط الثورة الإيرانية بالمخابرات الأمريكية، وتوقّع منذ أيامها الأول أن تكون لها صلات مع الكيان الصهيوني ومع جميع أعداء الإسلام من شيوعيين وقوميين باطنيين أمثال حافظ الأسد ومعمّر القذافي، كما توقّع أن تسخر الرافضة في كلّ بلد إسلامي من أجل زعزعة استقراره، وإشاعة روح الشقاق بين المسلمين. وأثبتت الأيام صحة توقّعات المؤلف وبعد نظره، ولم يترك لنا شيئاً حول

(١) عبد الله محمد الغريب هو نفسه الشيخ محمد سرور زين العابدين رحمه الله مؤلف هذا

الكتاب، والذي اضطر إلى التورية باسمه في تلك الفترة الزمنية لظروف خاصة. [الناشر].

هذه الطائفة إلا وذكره، فمن أراد مزيداً من المعلومات في هذا الشأن فعليه أن يعود إلى هذا الكتاب.

ثانياً- في القسم الأول من هذا الكتاب "وثائق من التاريخ المعاصر" تحدّث عن تاريخ الطوائف من الوجهة السياسية، وتجنّبت الخوض في أمرين:

١- الدراسة التاريخية التقليدية: لم أتحّدث عن الأصول التي ينحدرون منها، ولا عن لون بشرتهم ومواردهم الاقتصادية، وجغرافية أرضهم.

٢- عقائدهم: لم أتعرض في هذه الدراسة لعقائد النصارى والنصيريين والدروز لأنها معروفة في كتب الملل والنحل، وقد كتب علماءنا ما فيه الكفاية عنهم، وليس هناك من خلاف حول عقائدهم بين الدعاة من المسلمين، وحتى عوام الناس في بلاد الشام يعرفون كفرهم وشركهم وبعدهم عن الإسلام.

وإذن: فالذي كان يعينني في هذا الكتاب جمع الأدلة والوثائق التي تثبت ارتباطهم بأعداء الإسلام منذ قرن من الزمن أي منذ بداية الامتيازات الانجلوفرنسية وحتى قيام الدولة الصهيونية. ومن يطالع الكتاب وفي نيته الحصول على معلومات تاريخية متسلسلة فلن يجد حاجته.

ثالثاً- عند الحديث عن دور غير المسلمين في الثورة العربية كثر ذكر العبارة التالية "فساهموا في هدم الخلافة الإسلامية"، وهذا لا يعني أن الوضع في تركيا خلال الحرب العالمية الأولى كان إسلامياً، أو أن الحكومة التي انتصر عليها الحلفاء كانت إسلامية، وإنما الذي أقصده أن هناك جماعتين اشتركتا في هدم الخلافة

الإسلامية: دعاة القومية الطورانية-تركياء الفتاة- وفي طليعتهم مصطفى كمال، ومعظمهم من يهود الدونمة الذين قدموا من سالونيك.

ودعاة القومية العربية من النصارى والدروز والنصيريين ومن على شاكلتهم من أصدقاء لورنس ومكماهون ووايزمن.

والخلافة الإسلامية انتهت بسقوط السلطان عبد الحميد رحمه الله سنة ١٩٠٨، وإن كان سقوطها رسمياً جاء سنة ١٩٢٤، بل ولقد كان هناك تعاون وثيق بين دعاة القوميتين: الطورانية والعربية، وكانوا جميعاً يبارسون أنشطتهم في باريس، وعندما وصل الطورانيون إلى الحكم، وأطاحوا بالسلطان عبد الحميد فرح دعاة القومية العربية، ولكن الأمور سارت على غير ما يريدون، وقلب الطورانيون ظهر المجنّ لأصدقائهم وحلفائهم دعاة القومية العربية، كما فعل نصارى بلاد الشام مع زعماء الثورة العربية بعد احتلال فرنسا لبيروت ودمشق، وكما فعل النصيريون مع شركائهم في حزب البعث سنة ١٩٦٦.

رابعاً- اقتصر الحديث في هذا الكتاب عن غير المسلمين- الطوائف- في بلاد الشام وحدها ولا يعني هذا أنه ليس في العالم الإسلامي مؤامرات يدبرها غير المسلمين بالتعاون مع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية تارةً، ومع الاتحاد السوفييتي تارةً أخرى:

ففي مصر مؤامرة قبطية، وفي السودان وأثيوبيا وتشاد مؤامرة صليبية، وفي المغرب العربي مؤامرة بربرية، وفي تركيا مؤامرة أرمنية، وفي معظم بلدان العالم

الإسلامي مؤامرة شيعية يحرّكها الخميني وأعوانه في طهران وقم، وأخرى شيوعية تتخذ من اليمن الجنوبي وكرًا لها.

وأسأل الله أن أستدرك ما فاتني في طبعة أخرى من هذا الكتاب، كما أناشد أصحاب الأقلام من الدعوة أن يندروا قومهم، ويكشفوا لهم كلّ تآمر ومتآمر.

اللهم عليك بأعداء الإسلام فإنهم لا يعجزونك، وهيبىء اللهم لهذه الأمة من يوحد شملها، ويحكّم فيها شريعتك، ويرفع راية الجهاد خفاقةً.

وأختتم هذه المقدمة بدعوة العبد الصالح:

اللهم لا تعذب لسانًا يخبر عنك، ولا عينًا تنظر إلى علوم تدلّ عليك، ولا قدمًا تمشي إلى خدمتك، ولا يداً تكتب في سبيلك، فبعزتك لا تدخلني النار، اللهم آمين.
وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

محمد سرور زين العابدين

الإثنين ٢٠ شوال ١٤٠٢ هـ

القسم الأول
وثائق من التاريخ المعاصر

الفصل الأول

وثائق من تاريخ الدروز المعاصر

- ١- مدخل إلى البحث
- ٢- الدروز في عهد الاحتلال الفرنسي
- ٣- الدروز في عهد الاستقلال
- ٤- دروز فلسطين والجولان في ظل الاحتلال اليهودي

مدخل إلى البحث

١- أكلّ هذا من أجل سلطان؟!

٢- جبل حوران والدرّوز.

٣- اعدّوا هو أقرب للتقوى.

مدخل إلى البحث

قبل عرض الوثائق التي تدمغ تاريخ الدروز المعاصر، أودّ تسجيل الملاحظات الثلاثة التالية:

١- أكلّ هذا من أجل سلطان؟!!

٢- جبل حوران والدروز.

٣- اعدلوا هو أقرب للتقوى.

١ - أكلّ هذا من أجل سلطان?!:

مات الزعيم الدرزي سلطان الأطرش قبل أيام من كتابة هذا البحث، وكان له ماتم لم تشهده سورية من قبل، نوجز فيما يلي:

- ألقى رئيس النظام النصيري نظرة الوداع على جثة فقيدهم، كما شارك رئيس الوزراء السوري في تشييع الجنازة.

- وفد إلى الجبل دروز لبنان وعلى رأسهم شيخ عقلهم، ودروز الجولان، ودروز القرى القريبة من دمشق، ومعظم السياسيين وزعماء الأحزاب من سورية ولبنان.

- نقلت إذاعة دمشق حفل تشييع الجنازة من السويداء، وحُمل النعش على عجلة مدفوع، ونقلت بعض الإذاعات المحلية والعالمية نبأ وفاة الزعيم الدرزي مع نبذة عن حياته وثورته ضدّ فرنسا.

- أبرق رئيس وزراء الكيان الصهيوني -المجرم مناحيم بيغن- إلى دروز الجولان وفلسطين معزياً.

قالوا عن سبب هذا الاهتمام بسُلطان الأطرش:

إنه زعيم وطني قاد ثورةً ضدّ فرنسا عند احتلالها لسورية.

وكذلك الشيخ الدكتور مصطفى السباعي جاهد ضدّ فرنسا، وكان في حمص يقود مجموعات من الشباب ويقابل المدافع الفرنسية [بمسدس صغير]، وفي حرب فلسطين عام ١٩٤٨ جاب المدن السورية داعياً إلى الجهاد، وقاد كتيبةً من المجاهدين المسلمين استماتت في الدفاع عن المسجد الأقصى، وقدمت عددًا من الضحايا، وخاضت أنبل المعارك وأشرفها، وشهدت موت السباعي رحمه الله سنة ١٩٦٤، فلم تذكر إذاعة العفالقة نبأ وفاته وأكثر من ذلك بلغت بهم الحسنة مبلغها عندما أقدموا على اعتقال بعض الشباب الذين شيعوا جثمانه، ومنعوا عددًا كبيرًا من القادمين من الأقطار العربية المجاورة وأعادوهم من الحدود.

وربما قال قائل: إن نظام البعث [عفلقياً كان أو أسدياً]، يتحسّس من الإسلاميين، ولن ينسب لأحدهم فضلاً أو مكرمةً، ولكن هل عندك مثال من غير العلماء الدعاة؟!

والجواب: نعم مات شكري القوتلي^(١) الذي اعتقلته القوات الفرنسية ونفته، وكان يقود الحركة الوطنية وزعماءها ومنهم سلطان الأطرش، وحكم سورية بعد الاستقلال، وتعاون حزب البعث معه طويلاً، وشهد له بالوطنية، ومع ذلك مات في لبنان، ولم تذكر إذاعة البعث نبأ وفاته، وحذت الإذاعات العربية والعالمية حذو الإذاعة الدمشقية فتنكّرت لرئيس الجمهورية السورية وتاريخه عندما تجاهلت خبر موته.

وإذن لماذا الاهتمام بالزعيم الدرزي وحده؟!

هل المقصود من إفراده بهذه الضجة الإعلامية صنع تاريخ مزيف، وحجب أنظار الناس عن العلماء المجاهدين الذين قادوا معركة الجهاد ضدّ فرنسا، وكانت بيوت الله - المساجد - مراكز التعبئة وموئل الأبطال؟!

(١) عندنا تحفظ على رجال الكتلة الوطنية لا مجال لذكره في هذا الموضع، وأردنا من ذكر اسم شكري القوتلي إفحامهم بأن المنتسبين لأهل السُّنة لا يُذكرون ولو كانوا أطول باعاً وأكثر شهرةً من غيرهم.

شيخ درزي مسنّ تقوم الدنيا ولا تقعد لهلاكه، ومجازر تُرتكب، وأعراض تُنتهك في بلاد الشام ولا تأبه أجهزة الإعلام لها، ففي تدمر وحدها وفي يوم واحد أباد الطغاة بضع مئات من الشباب المجاهدين الأبطال الذين لا ذنب لهم إلا أن قالوا ربنا الله، وما تجرّأت إذاعة عربية على نشر خبر إبادتهم بله التعليق على الخبر.

وأكثر من ذلك أُقيمت حفلات تأيين لسلطان الأطرش في عدد من الأقطار العربية بعد مرور أربعين يوماً على وفاته، وتحدّث بعض رجالات منظمة التحرير الفلسطينية عن وطنية الدروز، ومقاومتهم للاستعمار الفرنسي في سورية ولبنان، والاستعمار الإنجليزي في فلسطين، والاحتلال اليهودي الذي يجثم على ربي الكرم والجليل والقدس وغزة والجولان.

فهل ما قالوه عن الدروز صحيح، وهل يستحقّون العبارات التي يصفهم بها أصدقاؤهم ومحبوهم، هذا الذي سنتولى الإجابة عليه في هذا البحث، وستحدّث عن الدروز في المراحل الثلاث التالية:

١- الدروز في عهد الاحتلال الفرنسي.

٢- الدروز في عهد الاستقلال.

٣- دروز فلسطين والجولان في ظل الاحتلال اليهودي.

٢- جبل حوران والدروز:

كتب المستشرقون والدروز عددًا كبيرًا من الكتب عن الدروز وتاريخهم وعاداتهم، وفي هذه الكتابات برز ما يُسمى جبل الدروز في جنوب سورية، وإذا ذُكر الجبل يُذكر اسم حوران أحيانًا وقد لا يُذكر أحيانًا أخرى.

وأخيرًا درج المؤلفون الذين يكتبون في التاريخ والجغرافيا إذا ذكروا خريطة سورية على إبراز اسم مدينة السويداء عاصمة الجبل، وقد يذكرون بالقرب منها اسم مدينة درعا بشكل صغير، وأحيانًا يتجاهلون ذكرها مع أنها أكثر سكانًا، وأقدم حضارةً.

وإظهارًا للحقيقة نقل فيما يلي ما قاله المؤرخ محمد كرد علي في خطته عن تاريخ الدروز في جبل حوران:

"فلما وقع ما وقع في حوادث لبنان عام ١٨٦٠ قضت الطبيعة على بعض رجال طائفة الدروز أن يهاجروا إلى جبل حوران، فرحلوا إليه في فريق من إخوانهم أهل وادي التيم والجبل الأعلى وصفد وعكل وغوطة دمشق وإقليم البلان، وكان منهم طائفة فرّوا من وجه القضاء في الأصقاع الأخرى، وآخرون أتوا حوران بدافع الحاجة، فكثروا سواد من حلّوا في هذه الربوع أيضًا من أبناء مذهبهم، وأول نزول الدروز في حوران بعد وقعة عين دارة المشهورة في لبنان سنة [١٧١٠م ١١٢٢هـ] فتألّفت كتلة منهم هناك وقويت عقيب حوادث الشام.

ومنذ نزول الدروز في حوران ما برحوا يناوشون النصارى والسُّنَّين من أهل القرى والبادية القتال، حتى استقلّوا به استقلالاً تاماً".

وذكر المؤرخ من جرائم الدروز في الجبل هجومهم على أهل بُسر الحرير سنة ١٢٩٦ هـ وقتلوا من أهلها ثمانية أو عشرة أشخاص.

وفي سنة ١٢٩٨ هـ هجموا على قريتي الكرك وأم ولد وذبحوا سكانها عن بكرة أبيهم ولم يُبقوا حتى على الأطفال الرّضع.

وحاولت الدولة العثمانية تأديبهم أكثر من مرّة لكنها فشلت وتراجعت أمام ضغوط الإنجليز.

قال مدحت باشا في مفكراته سنة ١٢٩٧ هـ:

"والذي زاد في الطين بلة أن فرنسا تحمي الموارد الكاثوليك وإنجلترا تشيّع للدروز، وكلّ هذا من السياسات التي تريد بها هاتان الدولتان توسيع نفوذهما في سورية أو ضرب إحداهما بالأخرى، فلما أخذت الدولة أهبتها لتأديب الدروز قام سفير إنجلترا في الأستانة يشكو من ذلك، ويكرّر التردّد على المايين^(١) والباب

(١) المايين: اسم كان يطلق اصطلاحاً بمعنى السلطنة العثمانية. والمايين الصغير هو القصر الخاص الذي كان يسكنه السلطان عبد الحميد. أما المايين الكبير فهو قصر أكبر يشتمل على قاعات لعقد الاجتماعات والمؤتمرات السياسية وقد أصبح هذا المكان عنواناً على السياسة العثمانية: اهـ (ملخصاً من قاموس السياسي).

العالي فأصبحت الأوامر ترد تترى بحلّ هذه العقدة حلاً سلمياً^(١).
وإذن قبل عام ١١٢٢ هـ لم يكن في جبل حوران دروز البتة، وبدأوا يتسلّلون إلى
الجبل بعد عام [١٧١٠ م ١١٢٢ هـ]، وما زالوا يعتدون على أهل حوران حتى
استقلّوا بالجبل، ومن القبائل التي اضطرت إلى مغادرة الجبل [آل السويديان] نسبة
إلى السويداء، و[الصلاخدة] نسبةً إلى صلخد، [والكفري] نسبةً إلى الكفر، وجميع
هؤلاء يسكنون في قرى حوران القريبة من الجبل.

ويزعم الدروز أنهم سكنوا جبل حوران هرباً من الاضطهاد الذي كانوا
يتعرّضون له في لبنان وغيرها، ولا ننكر أنهم تعرّضوا لشيء من الاضطهاد، لكن
هجرتهم إلى الجبل كان تخطيطاً من أجل إقامة دولة خاصة بهم.

يقول محمد كرد علي:

"ثم انسالوا على جبل حوران يحاولون الاستقلال بربوعه، والابتعاد عن
سيطرة عمّال العثمانيين في هذا الجبل الذي ينتهي العمران به وتبدأ البادية المترامية
الأطراف؟

إن ظواهر الحال تدل على أن الدروز في جبل حوران حاولوا منذ عهد إبراهيم
باشا المصري أن ينزعوا أيديهم من أيدي حكام القطر ويستمتعوا بامتياز لهم
خاص، لأنهم يثقل عليهم حكم غيرهم في الحملة، وبين عامتهم وعامة غيرهم
فروق في الآداب العمومية والأخلاق والعادات".

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٣/١٠١، ١٠٢ دار العلم للملايين.

ويعود مرة أخرى إلى الحديث عن عطف بريطانيا عليهم:
 "ولعلمهم أو بعض مشايخهم كانوا يدلون على الدولة بما لهم من عطف
 بريطانيا عليهم فيتوهمون أن ينشئوا لهم في صميم الشام دولةً صغرى ناسين جميع
 الاعتبارات التي كانت تحول دون أمانهم، وتهيب بالدولة إلى مناجزتهم القتال كلما
 حاولوا أن يرفعوا رؤوسهم"^(١).

والأسباب التي من أجلها سكنوا الجبل ما زالت موجودة، فالجبل في حد ذاته
 موقع حربي حصين، وقربه من البادية يمكّنهم من الخروج على أي نظام،
 وارتباطهم الطائفي يضمن لهم تنظيمًا عسكريًا دقيقًا على شكل هرمي، فشيوخ
 العقل يلقّنون الأجاويد، وأجاويدهم يلقّنون عقاهم، وعقاهم يلقّنون عامتهم كلّ
 ما ينفعهم ويخدم مصالحهم.

ترى هل يعرف المسلمون أن الدرّوز دخلاء على حوران وأن نسبتهم لا تعادل
 ١٢٪ من سكانها وأنهم وفدوا إليها ليقيموا فيها دولتهم وما زالوا يعملون لهذا
 الهدف!؟

(١) المصدر السابق ٣/ ١١٢. قال أمين طليح في كتابه أصل الموحّدين الدرّوز أن عدد سكان

الجبل لا يقلّ عن ثمانين ألفاً ص ٢٧.

٣- اعدلوا هو أقرب للتقوى:

من خلال عرض الوثائق التي تفضح مخططات الدروز في الصفحات القادمة سيثير بعض الناس السؤال التالي:

أهذا حال جميع الدروز؟!

وجوابنا: هذا حال القيادة الدرزية ومن نحا نحوها، وجمهور الدروز ملتزمون بأوامر قيادتهم، وينفذون ما يصدر إليهم من تعليمات دون تردد أو تدمر.

والقيادة الدرزية تتألف من رؤسائهم الروحيين [شيوخ العقل، والأجاويد، والعقال]، وزعماء عائلاتهم المشهورة، وأبرز أسماء هذه العائلات: آل جنبلاط وآل يزبك في لبنان، وآل الأطرش في الجبل، وآل كنج في الجولان.

وليس لكل درزي بالتأكيد صلات مع الإنجليز والفرنسيين واليهود، وليس كل درزي يعمل ضد مصلحة وطنه^(١)، وهناك عدد كبير من الدروز ماتوا في ساحات القتال، وهم يقاومون الفرنسيين واليهود.

والدروز أهل شجاعة في الحروب، كما أن النصيريين أهل جبن وخوف، ومن طبائع الدروز التمرد على كل من يحكمهم إذا وجدوا فرصة مناسبة، بينما يستمرىء النصيريون الخنوع ويعضون عليه بنواجذهم.

(١) عند حديثنا عن الدروز والنصيريين والنصارى نستعمل لفظ الوطن والأرض لأنهم ليسوا مسلمين، ونحن نقرر واقعاً، ولا يعني هذا أننا نؤمن بهذه الألفاظ الجاهلية التي يرفضها المنهج الإسلامي.

وإذن هناك دروز يدافعون عن وطنهم ويرفضون الخيانة، ولا يغدرون بزملائهم، ويموت بعضهم وهو مقبل غير مدبر، وموته ليس شهادةً، وكلّ من لا يقتل لتكون كلمة الله هي العليا ليس شهيداً ويُحشر على نيته، فإن كان مشرّكاً أو مرتدّاً فلا ينفعه عمل صالح: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء: ٤٨.

ولو كان الحكم في الأرض لشرع الله لما جاز تجنيد هؤلاء في جيش المسلمين، ولما ائتمناهم على أسرار المسلمين، ولكن المسلمين غرباء في أوطانهم، أمرهم في أيدي أعدائهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الدروز في عهد الاحتلال الفرنسي

نابليون والدروز:

حرص الدروز على استغلال كل فرصة مناسبة من أجل إقامة دولة درزيّة. وقد نقلنا قبل قليل أن هجرتهم إلى جبل حوران كانت لهذا القصد. وقبل الحديث عن وضعهم في عهد الاحتلال الفرنسي نشير إلى محاولة جرت بينهم وبين نابليون بونابرت وهذه رسالته إليهم:

"خيم عكا ٢٠ آذار ١٧٩٨ إلى الأمير بشير.

بعد السيطرة على مصر دخلت صحراء سيناء في سوريا، فأتيت إلى قلعة العريش ثم إلى غزة، ثم إلى يافا بعد أن التقيت جيوش الجزائر وسحقتها ومنذ يومين وصلت إلى عكا، وأنا أحاصره هناك.

وأسرع إلى إعلامك بكل ذلك، لأنني لا أشك أنك تفرح لهزائم هذا الطاغية الذي سبب الكثير من الذعر إلى الإنسانية عامّةً والدروز الأباة بشكل خاص. ورجبتي المخلصة هي أن أقيم للدروز استقلالهم وأعطيتهم مدينة بيروت ذات المرفأ كمركز تجاري لهم.

لذلك فإني أرغب في أن تأتي شخصياً لمقابلتي، أو ترسل حالاً من يمثلك لرسم خطة للتغلب على عدونا المشترك، ويمكنك أن تضيع في جميع القرى الدرزية، أن كل من يأتي لنا بالمؤن، وخاصة الخمر، سيكافأ بسخاء^(١)."

(الامضاء) نابليون

ويقول الكابتن [بورون] إن الأمير بشير لم يجب على رسالة نابليون. ولكن قوة من الدروز والموارنة انضمتا إلى جيش نابليون الذي كان يحاصر عكا. وفي آذار ١٧٩٩م أتت قوة من الخيالة الدروز لنجدة نابليون بينما كان يحاول إخضاع عكا. وبينما كان قائد هذه القوة يتقدم إلى نابليون، أصابته قذيفة مدفع، ومزقت حصانه.

وإن الدوك^(٢) [دوفيكو] قال إنه عندما ذكر الدروز أمام نابليون، قال نابليون: "بينما كنت أحاصر عكا أتت إليّ مفرزة من الخيالة الدروز، تحت إمرة الشيخ عمر الظاهر، ودُهشت وأُسرت لمنظرهم^(٣) وشعرت بدافع قوي يشدني إلى كل منهم. كنت أتخيل أن الدروز يحملون طابعاً تركياً قوياً، ولكنني رأيت أنهم لا يحملون أي طابع تركي. وأكثر من ذلك شعرت بأواصر قويّة تشدنا نحن الفرنسيين إليهم"^(٤).

(١) عن كتاب الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي لمؤلفه غالب أبو مصلح ص ٢٢٢.

(٢) في الأصل: الدوك، والصحيح: الدوق.

(٣) في الأصل: أُسرت لمنظرهم، والصحيح: أسرني منظرهم.

(٤) عن كتاب الدروز في ظلال الاحتلال الإسرائيلي ص ٢٢٣.

ثم يقول [بورون] أن الدروز والموارنة أزروا نابليون، وأن الأمير بشير أمده بالقادة والمستشارين، وأن فارس بك الأطرش قال له أن جده إسماعيل كان يملك عدّة رسائل بإمضاء نابليون وموجهة إلى والد إسماعيل ولكن هذه الأوراق أتت عليها حريق شبّ في المنزل^(١).

ويقول الكاتب الدرزي فريد أبو مصلح في صدد دفاعه عن الدروز: "لاشك أن الأمير بشير كان مشدودًا إلى نابليون، لولا شكّه بفرص انتصاره، لأعطى الإمبراطور الفرنسي، من كلّ قلبه دعمه النشط...". ويعترف فريد أبو مصلح أن [سيدني سميث] القائد البحري البريطاني وجّه نداءً إلى الشعب في لبنان يدعو للقيام بواجبه تجاه السلطان، وأن يمنع وصول المؤن والمساعدات إلى المحتل الفرنسي.. ونتيجةً لذلك سلّم الدروز القائد البريطاني ثمانين أسيرًا فرنسيًا ألقوا القبض عليهم من الذين كانوا يجرسون قوافل المؤن إلى معسكر نابليون.

ومع أن الكاتب الدرزي يعترف بحماسة بني طائفته لأوامر القائد البريطاني، غير أنه يزعم بأن الدروز لا يمكن أن يكونوا إلى جانب السلطان العثماني. ولكن ليسمح لنا أبو مصلح أن نقول: هذه المرّة كان الدروز مع السلطان لاجبًا به وإنما التزامًا منهم بالأوامر الصادرة إليهم من سيّدتهم بريطانيا.

(١) عن كتاب الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي ٢٢٣.

وبعد أن فكّر [فريد أبو مصلح] وقدّر وهو يبحث عن ردّ يواجهه به كلام [بورون] قال: "فالدروز الذين ذهبوا إلى نابليون والذين يقيم حولهم السيّد بورون كلّ هذه الضجة -لعلهم كانوا من النوع الحشري. وربما أرادوا رؤية الرعب الأوروبي الذي سمعوا كثيرًا عنه، لمقارنته بنسختهم المحلية- نابليون مقابل بشير"^(١).

للكتاب أن يستخفّ بعقول عامة الدروز، أما الذين يقرأون التاريخ، ويفكّرون بعقول سليمة فلا تنظلي عليهم هذه التعليقات التي هي أوهى من بيت العنكبوت [لعلهم كانوا من النوع الحشري] ما هذه [الحشرية] التي تقود إلى الحرب والدمار. ومعركة بونابرت في عكا كانت معركةً رهيبَةً استخدم الفرنسيون فيها أحدث ما عندهم من أسلحة فكيف يريدنا أن نتصور أن الدروز قد ذهبوا من لبنان إلى عكا في رحلة للترفيه والاستمتاع. انظر إلى قوله: [وربما أرادوا رؤية الرعب الأوروبي الذي سمعوا كثيرًا عنه]، وربما الوهمية تخالف التصريح الآتي: يقول القائد الفرنسي [بورون]: ولكنّ قوةً من الدروز والموارنة انضمتا إلى جيش نابليون. ويقول أيضًا: إن الدروز والموارنة أزروا نابليون.

فإذن كان الدروز والموارنة يحاربون مع الفرنسيين لأن ملة الكفر واحدة، وكانوا يوجّهون رصاصاتهم إلى قلوب المسلمين من أبناء فلسطين، أما الجزّار فكان

(١) الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي ص ٢٢٤.

ظالمًا جبارًا، وهو الذي منّ على بشير الشهابي الدرزي وعيّنهُ أميرًا على جبل لبنان في الوقت الذي تجرّع المسلمون كؤوس الذّل والهوان على يديه.

وتوزيع الأدوار بين الدروز [أقصد وقوف بعضهم إلى جانب بونابرت، وبعضهم الآخر إلى جانب الإنجليز] غير خافٍ على من يعرف أحوالهم عن كثب.

ولاء سلطان للإنجليز:

بدأت شهرة سلطان الأطرش تنتشر منذ بداية الحرب العالمية الأولى، وكان قد أعلن تأييده للإنجليز ضدّ الدولة العثمانية، وكان في طليعة الذين استقبلوا جيش [لورنس] عند دخوله إلى سورية.

وكان ابن عمه سليم الأطرش قائدًا للجيش التركي في الجبل، وكتب إلى سلطان يحذّره من مغبة السير في اتجاه معارض للدولة العلية، وردّ سلطان على ابن عمه برسالة كانت بمثابة بيان سياسي شرح فيها موقفه من بريطانيا بشكل صريح واضح.

ونقل فيما يلي نصّ الرسالة لأهميته، ثم نسجّل بعض ملاحظتنا عليها: ولن نتعرّض لرسالة الأمير سليم لأننا لسنا في صدد مناقشة موقفه من الدولة العثمانية، وهل كان مؤيدًا لها فعلاً أو لا.

رسالة سلطان:

لجناب معالي قائد الجيش التركي سليم باشا الأطرش الأفخم، بعد السلام عليكم أبدي، أنني اطلعت اليوم على رسالتكم الوهمية التي لُقنت عليكم من صناع الترك وكنت أريد أن أجيبكم على كل حرف منها غير أن وقتنا الثمين لا يسمح لنا

وخاصة على ذكركم الدولة التركية البائدة ووصفكم إياها بأسماء وصفات هي لا تقبلها على نفسها، لأنها تقرّ بقصر باعها وعجزها، وكفاها ذلك باستنادها عليكم. فيا حضرة ابن العم المحترم لسنا المغشوشين. لأننا لم نطعم من مأكّل [دامسكوس بالاس] ولا دخلنا جنينة البلدية بالشام، ولا قابلنا تركيا قاتل^(١) آباءنا وهاتك^(٢) عرض بلادنا.

إقرأ شعاع جدك شبلي رجل الدروز هو اليوم يناديك من أعماق قبره وينهيك^(٣) عن عدم إطاعتك تعليماته التي يتسلّح بها العدو قبل الصديق ليأخذ احتياطه من خيانة الترك الظالمين.

ونحن أعلننا الحرب المقدسة على بواقي جيوش الترك الجائعة ونصحك أن تعود إلى جادة الصواب لثلا بعد قليل تندم^(٤) حيث لا ينفع الندم. وإن الأخبار التي سمعناها عن سقوط بلاد نابلس والناصره وطبريا بيد دولة العالم وسيدة البحار بريطانيا العظمى صديقتنا القديمة وخاصة دمار طائفة الدروز هي حقيقة وليست أخباراً مصنوعة في ألمانيا أو آتية بطريقة الأجانس العثماني .. أما أتراك^(٥) اللثام فهم قوم جالطة يوك أي كل شيء عندهم مفقود حتى الجند.

(١) في الأصل قاتل، والصحيح: قاتلة.

(٢) في الأصل: هاتك، والصحيح: هاتكة.

(٣) في الأصل: وينهيك لعدم إطاعتك أو امره، والصحيح: ويهيب بك أن تطيع أو امره.

(٤) في الأصل: لثلا بعد قليل تندم، والصحيح: لثلا بعد قليل تندم.

(٥) في الأصل: أتراك، والصحيح: الأتراك.

وعليه باسم عائلتنا الكريمة التي أريد أن أخرج من صف رجالها كما تريد أنت^(١) أنصحك أن ترعوي وتعود إلى صوابك لئلا تصبح محروماً من أن تكون طرشانياً بطبيعة الحال، أما جيش علبة العطاراة فهو جيشك الفارّ، ونحن الآن بصف الدول العظمى... ونحن إن شاء الله سنكون خير سلف وسنحافظ على شرف الدروز ومستقبلهم ولا نجعلهم يُداسوا كما تريد أن تضعهم أنت تحت أقدام أسقط وأوحش دويلة في العالم ودمتم."

في ١٩ ذي الحجة ١٣٢٦ هـ ابن عمكم سلطان الأطرش

قال الدكتور ذوقان قرقوط:

"وقد عرضت الرسالتين التاليتين المتبادلتين بين زعيميّ هذين الاتجاهين، على سلطان باشا الأطرش، فتذكّرهما وصادق على صحتها^(٢)".

(١) في الأصل: التي أريد أن أخرج من صف رجالها كما تريد أنت، والصحيح: التي تريد مني الخروج من صف رجالها.

(٢) انظر كتاب "تطور الحركة الوطنية في سورية. ١٩٢٠ - ١٩٣٩" للدكتور ذوقان قرقوط، ص: ٢٦٤-٢٦٥.

من فمه ندينه:

١- يعرب سلطان في رسالته عن فرحه وسروره لأن نابلس والناصرة وطبريا سقطت بيد بريطانيا العظمى!!، والسؤال الذي يفرض نفسه: من هي الدولة التي سحقتها بريطانيا وانتصرت عليها؟!

الجواب: انتصرت على تركيا المسلمة، ومهما قلنا عن ظلم حكامها، وانتشار الفساد بين جندها وسيطرة روح التعصب القومي على عقول وتصرفات قادتها، مهما قلنا ومهما قال القوميون العرب عن تركيا لا يستطيع أحد أن ينكر أن الجند الذين يذبهم الإنجليز مسلمون يصلون كما نصلي، ويؤمنون بالعقيدة نفسها التي نؤمن بها.

وكان اليهود وراء تمزيق الخلافة الإسلامية عقوبةً للسلطان عبد الحميد الذي رفض إعطائهم وعداً بجزء من أرض [الحولة] رغم العروض السخية التي بذلوها، ورغم حاجته إلى المال الذي يتقذ به التدهور الاقتصادي الذي تعانیه خزينة الدولة.

وسلطان الأطرش يعلم جيداً أهداف اليهود والإنجليز، ومحادثات وايزمن مع بعض الشخصيات العربية غير خافية عليه، وعلى كل من كان يتابع الأحداث، وفوق ذلك فسلطان من أكثر الناس التصاقاً بهذه الشخصيات التي فاوضت وايزمن.

ويعلم سلطان الأطرش أن المعركة التي تخوضها إنجلترا وفرنسا صليبية سافرة، فالقائد [النبوي] -الذي يعتزّ سلطان بانتصاراته- قال عندما سقطت القدس ودخلها فاتحاً: "الآن انتهت الحروب الصليبية".

وعندما دخل القائد الفرنسي دمشق وقف على قبر صلاح الدين الأيوبي وقال: "ها نحن صلاح الدين".

وأشار المسيو [بيو] آخر مندوب سام لسورية في كتابه [ستتان في الشرق ص: ٢٨، ٢٩] باللغة الفرنسية إلى كلام غورو عند قبر صلاح الدين، وذكر كيف أن انتصار الصليب على الهلال لم يكن إلا ثأراً جزئياً قصير الأجل قبل سنة ١٩١٨، فالممالك اللاتينية لم تتجاوز حدودها سلسلة جبال لبنان، ودمشق لم تنتهك لها حرمة، ولكن دخول البريطانيين عاصمة بني أمية، تؤازرهم سرية فرنسية كان أول عودة لسيادة النصرانية إلى مدينة القديس بطرس^(١).

وإذا جاز لسلطان أن يزعم عدم علمه بما قاله اللبني، وغورو، فماذا يقول عن الجرائم التي ارتكبتها لورنس ضد الأتراك المسلمين في بعض قرى حوران، وكان الدروز من الجند الذين ينفذون أوامر قائدهم لورنس.

٢- نقلنا فيما مضى ما ذكره مدحت باشا في مذكراته عن مساعدة الإنجليز

(١) سورية من الاحتلال حتى الجلاء، الدكتور نجيب الأرمنازي، ص: ١٩-٢٠. وأقوال

زعماء بريطانيا وفرنسا الذي يؤكّد صليبية معركتهم في بلاد الشام ثابتة في مراجع كثيرة.

للدروز، والحق يُقال إنه ما من مؤرّخ كتب عن الدروز إلا وأكد صلاتهم بالإنجليز، ويدافع الكتاب الدروز عن أنفسهم، ويزعمون أنهم مظلومون من القريب والبعيد، ويدبّجون المقالات ويؤلّفون الكتب التي يتبرّأون فيها من تهمة العمالة للإنجليز أو الارتباط بأي مستعمر حكم بلاد المسلمين.

ترى ماذا يقولون عن شهادة الدكتور الدرزي ذوقان قرقوط:

" عند بداية الحرب ضدّ الأتراك أرسل سلطان الأطرش رسالة إلى المعتمد الإنجليزي في القدس، إلا أن الجواب جاءه من المعتمد الفرنسي حدّاد باشا، وكرّر الكتابة إلى المعتمد البريطاني فأجابه حدّاد باشا مرة أخرى.

ويقول ذوقان: لقد أكّد لي سلطان الأطرش هذه المعلومات، وعندما وردّه جواب حدّاد باشا مرّة أخرى قال لزملائه: إن الدولتين متفقتان على اقتسام النفوذ، وأن سورية من نصيب الفرنسيين (١) ".

قال سلطان هذا الكلام لزملائه قبل دخول لورنس إلى سورية، ورغم ذلك كلّه سار تحت لواء سيّده الضابط الإنجليزي المجرم، فهو إذن لم يكن جاهلاً بما يخطط له الإنجليز والفرنسيون.

(١) تطور الحركة الوطنية في سورية. الدكتور ذوقان قرقوط، ص: ٦٢، وص: ٢١٥ عن كتاب

جيل الدروز، حتّى أبو راشد، المطبعة التجارية.

وها هو يقول من غير إكراه ولا ضغط: "وإن الأخبار التي سمعناها عن سقوط نابلس والناصره وطبريا بيد دولة العالم وسيّدة البحار بريطانيا العظمى صديقتنا القديمة، هي حقيقة وليست أخباراً مصنوعة في ألمانيا أو آتيةً بطريقة الأجانس العثماني".

ويؤكّد لابن عمّه أنه سيمضي في التعاون مع الدولة الصديقة بريطانيا، ولن يخرج عن الخط الذي رسمه آباؤه وأجداده.

يصرّ سلطان في رسالته على اقتفاء خطى إسماعيل وفارس الأطرش والمعنيين والشهابيين من قبل حيث يقول: "ونحن الآن بصف الدول العظمى.. ونحن إن شاء الله سنكون خير سلف وسنحافظ على شرف الدروز ومستقبلهم".

وفي الوقت الذي يمجد فيه بريطانيا الصليبية المجرمة، ويقول عنها تارةً سيّدة البحار والدولة العظمى، وتارةً صديقتنا القديمة، انظر إلى رسالته حيث يصف الأتراك المسلمين بما يلي:

أسقط وأوحش دويلة في العالم!!

أتراك اللئام!!

الدولة التركية البائدة!!

ويختم أوصافه بقوله: "ونحن أعلننا الحرب المقدّسة على بواقي الترك الجائعة".

وإن كانت حربته التي أعلنها مع لورنس قد قدّسها له بابا روما ووايزمن فصحيح قوله وهو بهذا منطقي مع نفسه ونفوس دروزه.

وقد نفهم أن يعلن سلطان الأطرش الحرب على الأتراك لرأي رآه، أما أن يستأذن المعتمد الإنجليزي في القدس، ويعلم بما تبثته بريطانيا وفرنسا ثم يمضي في أمره حماساً وتأبيداً فهذا الذي يوجب وضع كثير من إشارات الاستفهام أمام سلطان وثورته.

وهو بعد ذلك يتحرّك من منطلق طائفي درزي محض عندما يقول:

"اقرأ شعار جدك شبلي الدروز"، "ولا قابلنا تركيا قاتل آبائنا"، "وسنحافظ على شرف الدروز ومستقبلهم ولا نجعلهم أن يداسوا".

٣- إذا كانت بريطانيا هي التي حمت اليهود ومكّنتهم من الهجرة إلى فلسطين والتوسّع فيها سنة بعد أخرى.

وإذا كانت بريطانيا -صديقة سلطان الأطرش وآبائه- هي التي كانت تضغط على المسلمين في فلسطين، وتقهر كلّ حركة جهادية، وهي صاحبة وعد بلفور المشهور. وإذا كان اليهود وراء التخطيط لهدم الخلافة الإسلامية وتمزيق وحدة العالم الإسلامي، وإذا كان سلطان ودروزه من الجهات الفعّالة التي عملت على تحقيق ما رسمه اليهود والإنجليز. إذا كان ثبت هذا وذاك إذن لماذا لا نأخذ الخبرين التاليين مأخذ الجد:

الأول: في سنة ١٩٥٠ نشرت جريدة التلغراف اللبنانية خبراً مفاده أن رئيس بلدية حيفا الإسرائيلي أرسل سيفاً كهديّة رمزية للزعيم الدرزي سلطان الأطرش.

الثاني: في سنة ١٩٥٣ أرسل حاكم سوريا العسكري أديب الشيشكلي قوات عسكرية لتأديب الدروز الذين تمردوا عليه في جبل حوران، وأدّت هذه القوات مهمّتها، ووضعت يدها على كميات كبيرة من الأسلحة التي استخدمها الدروز في ثورتهم، وكانت هذه الأسلحة قد دخلت الجبل عن طريق إسرائيل، وقامت السلطة بعرض هذه الأسلحة في معرض بجامعة دمشق، ونشرت الصحف السورية تفاصيل المؤامرة، وكيفية دخول الأسلحة إلى الجبل.

ومما يجدر ذكره أن سلطان الأطرش كان زعيم هذه الثورة، وعندما فشلت التجأ إلى دولة عربية مجاورة. فأين العروبة والقومية في ثورة سلطان الأطرش!؟

دولة جبل الدروز:

دخل الفرنسيون دمشق في ٢٥ / ٧ / ١٩٢٠ بعد معركة ميسلون التي خاضها الجيش وكان من نتائجها سقوط وزير الدفاع يوسف العظمة في ساحة القتال.

ومنذ تاريخ ٢٥ / ٧ / ١٩٢٠ وحتى ١٧ / ٤ / ١٩٤٦ والمسلمون يقاومون الاستعمار الفرنسي بكلّ ما يملكون من قوة مادّية كانت أو معنوية، غير أن الدروز كان لهم موقف آخر في جبلهم. لقد رحّبوا بالغزاة المحتلين، وقدّموا لهم كلّ ما يقدرّون عليه من دعم ومساعدة، واطمأنّ الفرنسيون إليهم وأمنوا مكرهم، ولندع الحديث عن هذا الجانب إلى الدكتور الدرزي ذوقان قرقوط:

"وعندما عُيِّن الجنرال [غورو] مفوضًا سياسيًا وقائدًا عامًا لجيوش فرنسا في الشرق، اختار حرسه الخاص من الدروز بمعرفة متعب الأطرش، وخصَّ الجبل بأكثر من ثلاثة آلاف صورةً من صورهِ وهو في زيِّه العسكري ويحيط به حرسه الدروز بثيابهم العربية المزركشة وسيوفهم المتوهَّجة" (١).

ترى هل كان غورو غيبياً عندما اختار حرسه الخاص من الدروز؟! لم يكن غورو غيبياً واختياره دليل على ثقة غير محدودة بهم، ومتعب الأطرش كان من المقرّبين إلى سلطان، فكيف نجمع بين ثقة غورو بهم وبين قولهم: كان الجبل مؤئل الثوّار ومنطلق الثورة؟!!

كتاب شيوخ الجبل إلى المبعوث الفرنسي:

قويت علاقات الدروز مع الفرنسيين المحتلين، وجرت اتصالات بين الطرفين من أجل استقلال الجبل عن سورية. وعقد الرؤساء الروحيون ومشايخ الجبل [مشايخ الجبل أي زعماءه كآل الأطرش مثلاً]، اجتماعات في [لاهثة والكفر وصلخد وقنوات والسويداء]، ووضعوا برنامجاً لاستقلال الجبل، وبنقل فيما يلي نصّ كتابهم إلى المبعوث الفرنسي:

لحضرة رئيس البعثة الافرنسي في دمشق الأفخم.

بناءً على بلاغاتكم المتكرّرة للرؤساء الروحيين، لنا الشرف، أن نقدّم لسيادتكم

(١) المصدر السابق ص ٦٤ بتصرف يسير.

بالياباة عن الشعب الدرزي في جبل حوران، برنامج الاستقلال المُدرَج أعلاه الذي يطلبه الشعب لكي تتكرّموا بتقديمه لحضرة صاحب الفخامة المندوب السامي راجين أن يتوسّل بالتصديق عليه، من قبل حكومة الجمهورية الإفريقية المعظمة.

واقبلوا فائق احترامنا^(١)

الإمضاءات

الرؤساء الروحيون ومشايخ الجبل

البرنامج المقترح:

- ١- حكومة جبل الدروز هي حكومة شورية ومستقلة استقلالاً داخلياً تاماً.
- ٢- تقبل حكومة الجبل الانتداب الفرنسي بشكل لا يمس استقلالها.
- ٣- تُسمّى هذه الحكومة، مشيخة جبل حوران، ويدخل ضمنها كامل وعرتي واللجاة والصفاء وتمتدّ إلى حدود دير علي من الجبهة الشمالية وإلى حدود الأزرق من الجبهة الجنوبية.
- ٤- يرأس هذه الحكومة، حاكم أهلي تنتخبه الأهالي وفقاً لقانون مخصوص مرّة

(١) المصدر السابق ص ٦٦، ملحق رقم [٦]. يلاحظ القارئ أسلوب التعظيم والتبجيل الذي يخاطب به الدروز المسؤولين الفرنسيين. ولم يذكر المؤلفون -وفي طليعتهم الدروز- أنه كان في الجبل طائفة تعارض استقلال الجبل عن سورية، فأين سلطانهم الذي جعلوا منه رمزاً للشوّار والثائرين!؟

كلّ ثلاث سنوات. ويكون لها مجلس استشاري كبير، يُنتخب أعضاؤه وفقاً لقانون مخصوص مرّة كلّ ثلاث سنوات أيضاً.

٥- يقوم هذا المجلس، مقام المجلس المليّ، ولا يقلّ أعضاؤه عن الثلاثين عضواً.

٦- تُعيّن وتُحدّد صلاحية ووظيفة كلّ من الرئيس والمجلس بقانون خاص يوافق عليه عموم أهل البلاد بجمعية عامّة.

٧- تستمدّ حكومة الجبل ما تحتاج إليه من المساعدة المادّية والفنيّة والاقتصادية من الحكومة المتدبّة.

٨- لا يحقّ للحكومة المتدبّة المداخلّة بأمر الجبل الداخليّة ولا تجنيد أهالي جبل حوران، ولا تنزع الأسلحة منهم ضمن المنطقة الفرنسيّة.

٩- يُعهد بأمر الجبل السياسيّة والخارجيّة للمأموري الحكومة المتدبّة السياسيّين ولا يكون للحكومة الوطنيّة مأمورون سياسيون لا في الشام أو في فلسطين أو جبل لبنان.

١٠- واردات الحكومة تكون:

أولاً: ما يصيبها من حصّة الجمارك السوريّة الفلسطينيّة.

ثانياً: ما يصيبها من واردات ممالح اثري وكاف.

ثالثاً: واردات قرى أملاك الدولة، التي ستدخل ضمن حدود حكومة الجبل.

رابعاً: ما يطرحه المجلس المِلِّي، من الضرائب عند الاحتياج المبرم، على أنه لا يحق لهذا المجلس، أن يقرّر استيفاء ضريبة الأعشار، من حاصلات الأراضي، إنما الأموال التي يجوز أن يقرّر استيفاءها من الأراضي، يجب أن تكون مقطوعةً، ومصداقاً عليها، من عموم أهل البلاد بجمعية عامة.

١١- إذا خالف رئيس الحكومة، منافع الجبل العمومية ومصالحه الحيوية، وأخلّ بالقوانين الموضوعة الأساسية وأعطى قراراً من المجلس بتنحيته واستحصل على فتوى من مشايخ العقل بذلك، فحينئذ يتنحى ويُنْتخب خلفه.

١٢- مشايخ العقل، يكونون منصوبين لقيّد الحياة، ولا يُعزلون، ولا يحق للحكومتين الوطنية والمنتدبة الداخلة بوظائفهم الدينية^(١).

وفي مطلع آذار من عام ١٩٢١ وقّع المندوب الفرنسي في دمشق اتفاقيةً مستمدّةً من "برنامج الاستقلال" أُعْتُبرت كنظام أساسي لدولة الجبل، ثم أنعم المندوب السامي على "سليم باشا الأطرش" خليفةً يجي بلقب أمير وعيّن حاكماً على الجبل. وفي ٢٤ تشرين الأول عام ١٩٢٢ أصدر الجنرال غورو قراره رقم ١٦٤١ بإعطاء جبل الجولان استقلاله باسم "دولة جبل الدروز المستقلة".

يقول د. ذوقان قرقوط:

"وهكذا خلقت دولة لم يكن عدد سكانها يتجاوز الخمسين ألفاً ووُجد لها علم

(١) تطور الحركة الوطنية في سورية ص ٢٦٦.

مستمداً من رموز طائفية، ومجلس تمثيلي يكاد أعضاؤه جميعهم أن يكونوا أميين. وتكريساً لهذا الكيان الطائفي وتعميقاً له صارت تُقام منذ ذلك الحين احتفالات تبدأ في ٥ نيسان من كل عام وتمتد خمسة عشر يوماً، باسم أعياد الاستقلال، تشترك فيها جميع القرى بإقامة نُزل خاص لكل منها تشارك فيه عائلات القرية كلها، فتتبارى القرى في الكرم وتقديم ألوان الفولكلور الشعبي وإظهار الابتهاج، يحضرها المندوب السامي أحياناً بنفسه".

سليم الأطرش أمير دولة الجبل:

إن سليم بن يحيى الأطرش الذي حاز على ثقة المندوب السامي الفرنسي فأُنعِمَ عليه بلقب أمير وعيَّنه حاكماً على الجبل، كان قبل سنوات قائداً للجيش التركي ومسؤولاً عن الجبل، وفي رسالته التي بعث بها إلى ابن عمه سلطان في ١٧/١٢/١٣٣٦ هـ حذّره من التعاون مع الحلفاء -أي إنجلترا وفرنسا- وأكد ولاءه للدولة العثمانية، وزعم أنه بتأييده للدولة العثمانية ينهج خطى سلفه من الدروز الذين كان لهم الفضل في تثبيت عرشها في حرب السلطان سليم مع الملك الغوري، وفي حربها أيضاً مع إبراهيم باشا المصري^(١).

بقي الأمير سليم مع الدولة العثمانية حتى سقطت، وبعد سقوطها أعلن تأييده لفرنسا -عدوتها- وسار في صفّها ودعا إلى التعاون معها، ووثق المندوب السامي

(١) نص رسالة الأمير سليم الأطرش وردت في كتاب تطور الحركة الوطنية في سورية ص:

به فعينه حاكمًا على الجبل.

ومن أجل أن نفهم سرّ تقلّب الأمير سليم نعود إلى سيرة أبيه يحيى الأطرش شيخ قرية [عري] التي يعترف دروز جبل حوران لكبير آل الأطرش فيها بالزعامة. ففي آيار من عام ١٩١٣، بينما كان منفياً في [رودس] تدخل قنصل فرنسا فيها لدى الجنرال [اميجليو] لإطلاق سراحه وعدم سوقه مع سائر المنفيين إلى إيطاليا مقابل وعد بالعمل على مساندة السياسة الفرنسية مستقبلاً بكلّ قواه.

وفيما يلي نصّ رسالته إلى القنصل الفرنسي:

"رودس في ٢٥ / ٥ / ١٩١٣:

سيدي القنصل.

أتشرف بأن أعرض لكم ما يلي:

كانت حكومة تركيا الفتاة قد نفتني لمعارضتي لها في بلادي، داخل سوريا [حوران بلاد الدروز]. فقد كنت دائماً صديقاً لفرنسا التي تتمتع في بلادي بأعظم نفوذ، وإنني إذ أنعم الله عليّ بالرجوع إليها، سأعمل كذلك على نشر المزيد من هذا النفوذ.

إن الجنرال [امغليو] يريد أن يسوقني من منفاي هنا، إلى إيطاليا مع سائر المنفيين. وبودي أن لا أحشر مع الآخرين وإكراماً لاسمي أن يُطلق سراحي وأن أعاد رُدوس وحدي.

ولما كنت أعرف مدى اقتدارك جئت أرجوك أن تقول للجنرال بأن لا يسوقني مع المنفيين الآخرين، وإنني إذا حظيت بهذا المعروف لن أنساه أبداً، وسوف تكون بقية حياتي وقفاً على إجلالكم وعلى تقدير فرنسا" (١).

الختم

يحيى الأطرش

وقد تمّ إطلاق سراح زعيم الدروز يحيى الأطرش من منفاه رودس بعد تقديم تعهد بالتعاون مع فرنسا ضدّ تركيا. وتمويهاً لذلك أرسل البرقية التالية لدى وصوله إلى مصر في طريق عودته:

"حضرة مولاي ناظم باشا صاحب الدولة: المعروف إذا اتصل بمسامع دولتكم خبر وصولي إلى مصر فصدّقوه ولكن أسترحم عدم تصديق كل ما يتناقله البعض وتشره الجرائد قبل استجلاء الحقيقة من عبدكم الأمين والوقوف على الأسباب والأحوال التي قضت عليّ أن أبارح رودس مُكرهاً وأختار القطر المصري دون سواه.

إني عبد الدولة خاضع لأوامرها وقوانينها الدستورية العادلة أستحقّ العفو وأستميحه بواسطة دولتكم ومستعدّ لخدمة دولتي العليّة وبلادتي ونوايا فخامتكم الصادقة ولا ملجأ لي إلا عدل مولانا السلطان وحكم جلالته الواسع".

(١) وثائق وزارة الخارجية الفرنسية. عن [تطور الحركة الوطنية ص: ٢١٦-٢١٧].

"وبعد عودته إلى سورية جدّد عهده لفرنسا في الاجتماع السريّ بالقنصل الفرنسي في منزل الأمير الجزائري بدمر، وعلى إثر ذلك قدّمت له وزارة الحربية الفرنسية هديّة مسدسين رمزاً لولائه" (١).

وقفات:

١- مجريات الأحداث تؤكّد أن يحيى ومن بعده ابنه سليم كانا مع الفرنسيين وليس مع الأتراك، ورسالة يحيى إلى الأتراك كانت تمويهاً وتضليلاً لهم، كما أن موقف سليم لا يختلف عن موقف أبيه.

وما كان الفرنسيون أغبياء حتى يعهدوا إليه برئاسة دولة الجبل وهو عدو لهم، وكان واضحاً أن ثقّتهم به ليست بنت المصادفة، بل ورث التعامل معهم عن أبيه [يحيى].

وقد حسم الدكتور ذوقان قرقوط الموقف بقوله:

".. فكان -أي يحيى الأطرش- حقاً وفيّاً -أي للفرنسيين- مقيماً على العهد، وورث خلفاؤه -أي سليم ومن جاء بعده- هذا الوفاء بعهده" (٢).

(١) صحيفة البيرق البيروتية عدد ١٨٢ تاريخ السبت ٢٩/٦/١٩١٢. وثائق وزارة الخارجية الفرنسية، وبرقية الشيفرة الصادرة عن سفارة فرنسا في اسطنبول بتوقيع رقم ٩١ تاريخ ٨/٢/١٩١٤ حول الأمير سعيد الجزائري عن كتاب [تطور الحركة الوطنية ص: ١٩٣-١٩٤].

(٢) تطوّر الحركة الوطنية في سورية ص: ٦٣.

والدكتور ذوقان يعرفهم عن كثب ويعرف طبائعهم وأحوالهم ولا يبتك مثل خبير.

ومن خلال تاريخ الدروز نستطيع أن نجزم بأنهم يقفون دومًا مع الشيطان وأنصاره ضدّ الإسلام والمسلمين، وياليت الذين يبنون قصورًا في الهواء يعودون إلى رشدهم فلا يتورّطون مع الدروز بمعاهدة أو حلف لئلا يكون مصيرهم كمصير الأتراك المسلمين الذين صدّقوا وعود الدروز لهم.

٢- يزعم يحيى الأطرش في رسالته إلى قنصل فرنسا في رودس أن حوران بلاد الدروز، وتناسى أنه قبل سنة ١٧١٠م لم يكن في حوران درزي واحد، ورغم الخدمات التي قدّمها لهم الإنجليز والفرنسيون، ورغم جهل أهل حوران للأهداف التي من أجلها استوطن الدروز جبل حوران، رغم هذا وذاك فإن مساحة الجبل لاتساوي خمس مساحة حوران ونسبة الدروز لا تتجاوز ١٢٪ من سكان حوران والجبل. ولكن أين القيادة الحكيمة الرشيدة التي تبصّر المسلمين في حوران بما يُحطّط لهم.

٣- استفاضت الأدلة على تورّط القيادة الدرزية مع الحلفاء منذ سنة ١٩١٣، ومن هذه الأدلة الدامغة اتفاق الأمير يحيى مع الفرنسيين، وعقد لقاءات سرّية مع القنصل الفرنسي في منزل الأمير عمر الجزائري في دمر قرب دمشق، واتفاق الأمير سليم معهم فور دخول غورو إلى سورية، مما يؤكّد أنه كان يجادع الأتراك، ومن ثم اتفاق القيادة الدرزية على مطالبة فرنسا بالاستقلال بالجبل عن سورية.

أما "سلطانهم" فذكرنا قبل صفحات أنه كتب إلى المعتمد الإنجليزي مرتين يستأذن في إعلان الثورة على الأتراك وكان الجواب يأتيه من المعتمد الفرنسي، ومن وقتها أعلن أن إنجلترا وفرنسا متفقتان على اقتسام بلاد الشام، ثم استمر في تعاونه مع الإنجليز وثنائه عليهم.

ومن هذا الحدث التاريخي وغيره نعلم أن الدروز يتعاونون مع نظام أو حزب أو أهل منطقة ويبرمون معهم معاهدات، ثم يفاوضون خصوم من اتفقوا معهم ويبرمون معهم اتفاقاً مغايراً لاتفاقهم الأول:

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾. (١)

أضواء على ثورة سلطان الأطرش:

بدأ الاحتلال الفرنسي سنة ١٩٢٠، وأعلن سلطان الأطرش الثورة سنة ١٩٢٥، فأين كان الزعيم الدرزي خلال خمس سنين وما هو موقفه، وكم استمرت ثورة الدروز على الفرنسيين؟!

مرّ معنا فيما مضى أن الدروز رحّبوا بالاحتلال الفرنسي، وجرت مفاوضات بينها بقيام دولة جبل الدروز، وإعلان استقلال الجبل عن سورية، وشارك في هذه المفاوضات قيادة الدروز الدينية والسياسية، ولم يقف زعيم واحد في وجه هذه

(١) سورة البقرة الآية ١٤.

القيادة معترضًا مندّدًا بالاحتلال الفرنسي. وكان سلطان الأطرش صامتًا وصمته إقرار، بينما كانت المعارك محتدمةً مع الفرنسيين في كلّ مدينة وقرية من بلاد المسلمين في سورية، وعلى بُعد بضعة كيلو مترات من [القريا] بلغ القتال مع الفرنسيين أوجهه، وذاق أهل حوران الأمرين من جيش الاحتلال في وقت كان الدروز يجرسون غورو وغيره من القادة الفرنسيين، ولترك الحديث للجنرال الفرنسي [ساراي]:

"إن سورية، شهدت سنة ١٩٢٢ وحدها خمسًا وثلاثين ثورةً دُفِن فيها من الجيش الفرنسي خمسة آلاف جندي قد جعلت من الانتداب حملًا من الأشواك على عاتق فرنسا.

فبعد مغادرة فيصل للبلاد وعدم استجابته لفكرة استمرار المقاومة وانفضاض الجموع من إربد ونكوص بيارق قرى الجبل على أعقابها، لم يُطق أهالي حوران رؤية وزراء متعاونين مع المحتل الفرنسي يمرّون من قراهم، فهبّوا في -خربة غزالة-، بصورة تلقائية، متوافدين من الجوار، بدون تدبير سابق أو تهيئة ففتكوا بعدد من الوزراء وبضابط فرنسي" (١).

أجل لم يساهم الدروز في هذا الشرف العظيم الذي عمّ سورية، ولم يقتلوا فرنسيًا واحدًا، ولم يصدر عن أطرشهم أي اعتراض أو امتعاض وكأنهم ليسوا جزءًا من سورية، عفوًا لقد انفصلوا عن سورية وصنعوا دولةً في جبلهم وصار لهم

(١) تطور الحركة الوطنية ص: ٥١. عن المقطم ٤/٩/١٩٢٠.

عيد استقلال خاص بهم.

أسباب ثورة سلطان:

أولاً: ألقت السلطات الفرنسية القبض على -أدهم خنجر- الذي كان ملتجئاً إلى القربا إثر اشتراكه بمحاولة اغتيال -غورو- في ٢٢ / ٧ / ١٩٢٢، فغضب سلطان الأطرش لأن فرنسا خرقت الأعراف والتقاليد المرعية في الجبل.

ثانياً: هناك تنافس تقليدي بين آل الأطرش على زعامة الجبل، وعندما منح الفرنسيون -سليم الأطرش- لقب أمير وعيّنته حاكماً على الجبل فإن عملها هذا يعني أنها وقفت مع قسم من آل الأطرش ضدّ القسم الآخر.

وتجدّد الخلاف عند موت -سليم- واختيار عمّه -حمد الأطرش- ليخلفه في الزعامة. لقد رفض -عبد الغفار الأطرش- هذا الاختيار وقال: "كلّ واحد زعيم بيته" (١).

وأدّى التنافس بين آل الأطرش إلى فقدانهم منصب الحاكم الوطني، فقي تموز ١٩٢٣ عيّن الكابتن كارييه مستشاراً جديداً لحاكم الجبل الوطني. وعلى إثر وفاة هذا الحاكم في أواسط أيلول ١٩٢٣، عمل المستشار على أن ينتخبه المجلس الوطني، وعدد أعضائه ١٢، حاكماً بالوكالة لمدة ثلاثة أشهر، ريثما يتمّ الاتفاق بين المتنافسين من دار عري والسويداء، على اختيار الحاكم الوطني. إلا أنه ظلّ يدير

(١) المصدر السابق ص ٢١٧.

هذا المنصب وكالة حتى أعيد انتخاب المجلس الوطني في تشرين الأول من عام ١٩٢٤ فجمع أعضائه وتكلم فيهم وهو يمدّ يده بقبعته السوداء قائلاً:

"من يريد اختيار حاكم وطني يضع ورقة سوداء، ومن يريد اختياري يضع ورقة بيضاء. فكانت النتيجة أنه انتُخب بإجماع الأصوات" (١).

وهكذا ضاعت باختلاف وتزاحم [دار عرى] مع [دار السويداء] أي بتزاحم الأمير حمد خليفة الأمير سليم وعبد الغفار باشا الأطرش على منصب حاكم الجبل، فرصة اختيار أحد أبناء الجبل (٢).

وساعدت مشكلة حامية الجبل على تعجيل صدام الدروز مع الفرنسيين، الذين خالفوا بعملهم هذا "برنامج الاستقلال" وهو بمثابة عقد بين الدروز والفرنسيين.

ثالثاً: بدأ الدروز يشكون من الظلم الذي لحق بهم بعد أن نقض الفرنسيون الاتفاق معهم، وعينوا في الجبل حاكماً هو الكابتن كارييه بعد وفاة أميرهم سليم الأطرش فأساء فيهم السيرة واستبد بهم استبداداً ضاق به ذرعهم.

وحاول وفد منهم أن يقابل الجنرال [ساراي] في بيروت فرفض استقبالهم، وهددهم بالنفي إن لم يعودوا حالاً.

(١) ماذا يدلّ إجماع المجلس الوطني على انتخاب المستشار الفرنسي حاكماً للجبل بدلاً من حمد أو عبد الغفار الأطرش؟! هل في هذا الموقف دليل على العزة والوطنية التي يكثر الكتاب الدروز من إطلاقها على قادة طائفتهم؟!

(٢) -المقطم - ١٩٢٥ / ٧ / ٦، عن [تطور الحركة الوطنية].

ثم توالى الحوادث واستمرت الشكاوى من المظالم بدون جدوى، إلى أن لجأ الجنرال إلى مكيدة للإيقاع بزعماء الدروز، فكلف مندوبه في دمشق ١١/٧/١٩٢٥ باستدعاء حمد ونسيب وعبد الغفار وسلطان الأطرش، بحجة الاستماع إلى شكاوهم ومطالبهم، حتى إذا حضروا أبلغهم أنه يعدّهم مسؤولين عن كل اضطراب يقع في الجبل ويقيهم ضماناً عنده في مكان يتّهم عليهم الإقامة فيه. فلبى الثلاثة الأولون، ولما بلغوا دمشق قبض عليهم ونُفوا إلى تدمر ثم قبض على آخرين من الزعماء ونُفوا إلى الحسجة.

أما سلطان فقد رفض قبول الدعوة وأصرّ على الاعتذار، فحاولوا القبض عليه وأرسلوا قوةً لهذه الغاية، ولكنها لم تصنع شيئاً، فذهب سلطان يستفزّ بني قومه ويضرم في صدورهم نار الحماسة، وبدأت ثورة الدروز، وخاضوا معركة - المزرعة - مع الفرنسيين وكان النصر حليفهم. ودخل الجنرال في مفاوضات مع الدروز لوقف الحركات الحربية، وأطلق سراح الزعماء الذين كان اعتقالهم^(١).

لقد كان هذا السبب من أهم الأسباب التي أدّت إلى ثورة الجبل، ونستعير من الكاتب الدرزي الدكتور ذوقان وصفه للشخصيات الدرزية التي من أجلها كانت ثورة الجبل:

"فالجزبان المعنيان هما أصلاً من مؤيدي الانتداب ومن قبل كانا من مؤيدي

(١) ساق الدكتور نجيب الأرمنازي هذا السبب في كتابه [سورية من الاحتلال حتى الجلاء]

الحكم العثماني. وأقطابها من المتنفعين بالسلطة في كلِّ عهد".

يعني الكاتب حزب حمد الأطرش والحزب الثاني حزب عبد الغفار الأطرش.

ولا نوافق الدكتور ذوقان قرقوط في قوله: إن هذا السبب كان وسيلة القوى الوطنية إلى أهدافها في كفاح الانتداب الفرنسي ولم تكن هدفاً، لانواقفه لأن الجبل ثار من أجل قيام السلطات الفرنسية بنفي زعمائه، وسوّيت الأمور مع المحتلين، وإن كان ثمن هذه التسوية باهظاً، وعاد الجبل مرّةً أخرى بقياداته إلى التعاون مع الفرنسيين بعد أقلّ من عامين، ولا نوافقه لأن الدروز لم يشاركوا طيلة خمس سنين في آمال وآلام الشعب السوري، وعندما ثاروا كانت ثورتهم من أجل رفع الظلم عنهم ومن أجل مطالب خاصة بهم، وقد أهانهم المندوب السامي عندما رفض استقبالهم وأمر بنفيهم. ومن عادة الدروز أن يثوروا على الحكومات الوطنية من أجل هذه المطالب، فليس مستغرباً إذن ثورتهم على الفرنسيين.

ولو كان المندوب السامي لبقياً في تصرّفه مع قيادتهم لما كانت هذه الثورة، ودليلنا على ذلك تقرير لجنة الانتدابات لعام ١٩٢٦:

"لم يكن في تقرير الدولة المنتدبة الذي فحصته اللجنة خلال اجتماعها الخامس أيّ باعث على توقّع الثورة التي شبّت في جبل الدروز، فاللجنة مضطّرة والحالة هذه إلى عدّها حادثاً يعود أسباب مباشرة ذات أصل حديث...." (١).

(١) تطور الحركة الوطنية، ص: ٦١ و ٢١٥. وتحليلات المؤرّخين من غير الدروز تنسجم مع

رابعاً: كشفنا في الصفحات الماضية من هذا البحث ارتباط الدروز التاريخي مع الإنجليز، وجاءت رسالة سلطان الأطرش التي بعث بها إلى ابن عمه سليم كقاصمة ظهر لهذه الطائفة.

ومن قبل ذهب المؤرخون إلى اعتبار حرب الدروز مع الموارنة في لبنان عام ١٨٦٠ في حقيقتها لوناً من ألوان الصراع الفرنسي الإنجليزي في المنطقة.

ومن هنا نقول: إن تطور علاقات الدروز مع الفرنسيين مرتبط بالعلاقات الفرنسية الإنجليزية، فعند تنفيذ معاهدة سايكس بيكو كان المعتمد البريطاني في القدس يقوم بتسليم رسالة سلطان الأطرش إلى المعتمد الفرنسي وهو الذي يتولّى الإجابة على الرسالة، ويقبل الزعيم الدرزي هذه الإهانة من المسؤول الإنجليزي، ويمضي في تعاونه معهم وتأييده لقيادة لورنس.

ومنذ عام ١٩٢٢ أخذت العلاقات الفرنسية الإنجليزية تتردى لأسباب كثيرة منها: سعي إنجلترا مع بعض السياسيين والأحزاب في كل من العراق والأردن وسورية ولبنان من أجل إقامة وحدة الهلال الخصيب - أي وحدة بلاد الشام مع العراق - تحت قيادة الإنجليز وهذا يعني طرد فرنسا من سورية ولبنان.

واستمرّ هذا الصراع حتى أقدمت بريطانيا على ممارسة الضغط على فرنسا في الأربعينيات من أجل منح الاستقلال للشعب العربي في كل من سورية ولبنان، مما

ما ذهبُ إليه. المقطع ٨ / ٤ / ١٩٣٠ مقال بعنوان: "أسباب الثورة في رأي كاتب فرنسي".

دعا السياسي اللبناني سامي الصلح إلى القول: "استعمرنا الفرنسيون وحررنا الإنجليز".

وكانت فرنسا تعرب عن استيائها من الموقف الإنجليزي في كل مناسبة أو تقرير داخلي، كتب السياسي الفرنسي [بريموند] يقول:

"أصبح موقفنا في سورية على جانب كبير من الخطورة، أولاً بسبب مهزلة اللجنة الأمريكية الخبيثة التي كانت موجهة في الدرجة الأولى ضدّ فرنسا فإنها لم تتوجه إلى بغداد ولا إلى الموصل حيث كان من المتوقع أن تلاقي معارضةً شديدةً ضدّ إنجلترا. ثانياً لأنّ التحقيقات التي قامت بها كانت تمثيليةً مفاجئةً فإنها لم تقابل إلا الوفود التي كان يبعث الإنجليز بها أو الأمير فيصل، وكانت ترفض مقابلة أي وفد ييدي عطفًا على فرنسا، كانت تستقبلهم ببرودة وخشونة"^(١).

صحيح أن تقرير [بريموند] كان قبل سنة ١٩٢٥ لكنه يعكس الموقف الفرنسي من حلفائهم الإنجليز طيلة فترة الاحتلال، وصحيح أن معظم القيادة الدرزية عادت إلى التعامل مع الفرنسيين، لكن تعاملها لم يكن يصطدم بالمصالح الإنجليزية، وبقي سلطان الأطرش وشيعته من نصيب بريطانيا، وهي التي تتولى حماية سلطان عندما يداهمه خطر أو يتعرّض لأذى، وتسهّل له ولأنصاره طريقة الدخول أو الخروج من سورية عن طريق جند [غلوب باشا]. وفوق ذلك فإنجلترا الخبيثة ربما تشارك الدروز في توزيع الأدوار بين قيادة الجبل، ولا يزعجها معارضة

(١) عن كتاب [تطور الحركة الوطنية في سورية]، ص: ٢٠١.

بعض الدروز أو نقدهم لها.

مهير ثورة الدروز:

استمرت ثورة سلطان الأطرش عامًا ونصف العام، وفي ٢٨ / ٥ / ١٩٢٧ غادر البادية إلى [قريات الملح] ومكث فيها مدّةً بسيطةً ثم لجأ إلى الأردن، وأقام في الكرك حتى عام ١٩٣٧ حيث عاد إلى الجبل بعد صدور العفو عنه، وأقيم للبطل حفل تكريم في عمّان وتسبق الخطباء في تعداد مآثره، ووصف بطولاته، كما أقيمت له احتفالات أخرى في سورية.

وما كانت إقامة سلطان في سورية خلال ثورته—أي خلال عام ونصف العام— وإنما كان يتنقل بين بادية الشام، والأزرق في الأردن الذي يجاور الجبل، ويبعد عن قريته بضع كيلو مترات، وفي الأزرق كانت معظم إقامته، وشتان بين الثوار الذين يواجهون الجيش الفرنسي، وتطاردهم طائراته وبين رجل آمن تحت حماية الإنجليز، تُرى هل كان يُعجز بريطانيا تسليم سلطان ومن معه لسلطة الاحتلال الفرنسي لو أرادت؟!

وأخيرًا غادر الأزرق وعاش عشرين عامًا كما كان يعيش رجال الكتلة الوطنية يتحدثون عن سورية من خارجها وتحت مظلة الإنجليز وعطفهم.

والذين كتبوا عن سلطان الأطرش، حاولوا تبرير لجوئه إلى بلد يسيطر عليه الإنجليز، فزعموا أن شكري القوتلي توسّط له لدى دولة عربية مجاورة (!!)، وتناسوا أن الحكم في هذه الدولة للإنجليز وليس لغيرهم، وظنوا أن ذكر اسم

شكري القوتلي كاف لنفي الشكوك عن ارتباط سلطان الأطرش بالإنجليز.

غير أن أساليب هؤلاء الكتّاب لا تغيّر من الحقيقة شيئاً، ولا تبدّد الشكوك الملتصقة برجال الكتلّة الوطنية، والمجاهدون الذين أقضّوا مضاجع المحتلّين كانوا ينطلقون من المساجد، ومن غوطة دمشق وربي حماة وحمص وحلب، وريف دير الزور وحوران والجزيرة، وليس من صالونات باريس ولندن، ولا من مصايف الإسكندرية وكلّ أرض يحتلها الإنجليز.

وهناك مشكلة أخرى جدية بالاهتمام ألا وهي مشكلة عبد الغفار الأطرش.

كان عبد الغفار الأطرش ومتعّب عوناً للمستعمرين الفرنسيين، وهما من الذين طالبوا بدولة مستقلة للدروز، وبين عشية وضحاها صاروا من أركان قيادة سلطان الأطرش، ثم اختارهما سلطان فكانا عضوين في اللجنة العليا التي لها حق الإشراف العام على الثورة في سورية، وكان لهما صلوات بقواعد المجاهدين في الغوطة وغيرها.

وبينما كانت الثورة تمرّ في أخرج مراحلها، قاد عبد الغفار ومتعّب معظم الدروز في حركة ضدّ الثوّار، وأعلنت هذه الحركة انضمامها للسلطة المحتلة، وحاول المؤرّخون الدروز الدفاع عن عبد الغفار ومتعّب، وخلطوا ما بين موقفها الخياني وخلافات قيادة الثورة التي صعّبتها قضية المساعدات المالية، واستثثار بعض أعضاء هذه القيادة بالمساعدة.

غير أن الكاتب الدرزي الدكتور ذوقان قرقوط قال كلمة حق في هذه المسألة
نقلها لأهميتها:

" وحقيقة الأمر أن رائحة التلاعب بدأت تفوح من هؤلاء أنفسهم الذين
تذرّعوا بحجة استغلال أموال الإعانات لصالح حزب الاستقلال، للتراجع
والعودة إلى التعاون مع الفرنسيين كما يشير إلى ذلك كتاب عبد الغفار الأطرش
المُرسل إلى قائد الدرك الوطني بشأن تسليم كميات من الطحين إلى حسين
الأطرش، وكان قد خرج من صفوف الثورة فضلاً عن أنه لم يكن في حاجة
إليها" (١).

أنصف الدكتور ذوقان مرتين:

مرّة: عندما وصف أحوال عبد الغفار ومتعب ومن نحا نحوهما، وكيف كانوا
يتلاعبون يميناً ويساراً، ووصف موقفهم بأنه عودة إلى التعاون مع الفرنسيين،
وقوله [عودة] تعني أنهم كانوا من قبل يتعاونون مع الفرنسيين، وقد مرّ معنا أن
الجنرال غورو اعتمد على متعب الأطرش في اختيار حرسه الخاص، وفي هذا
الاختيار دليل على كبير ثقة غورو به.

ومرّة أخرى: عندما بيّن لنا أن حسين الأطرش كان قد سبق عبد الغفار ومتعب
في التخلي عن الثورة، وحسين هذا هو شيخ قرية [عنز] وصديق لسلطان يثق به،

(١) تطور الحركة الوطنية في سورية ص ٩٤.

وكان رسوله وممثله عند الإنجليز منذ إعلان الثورة على الأتراك.

والسؤال الذي يفرض نفسه:

ما هو موقف سلطان وأنصاره من عبد الغفار ومتعب وحسين؟!

كانت قيادة الثورة في سورية تحاكم الخونة والجواسيس الذين يتعاونون مع الفرنسيين، أما هؤلاء فلم تُعرض قضيتهم على محكمة الثورة.

وإذا افترضنا أن القائد العام -سلطان- كان عاجزاً عن محاكمتهم فلماذا لم تصدر عنه تصريحات في التحذير منهم، وبيان حقيقة وضعهم هذا -لو فعله- أضعف الإيمان.

أما المجاهدون المسلمون فلقد واجهوا مشكلة عبد الغفار ومتعب بحذر وحرص شديدين:

فهم من جهة لا يستطيعون محاكمتهم لأنهم يعرفون حساسية الدروز، وشدة تعصبهم لأبناء طائفتهم، وليس من المصلحة الاصطدام معهم في وقت تُعبأ الطاقات وتُستنفَر الجهود فيه ضدّ الاحتلال الفرنسي العاشم.

ومن جهة أخرى لا بد من تقليص العلاقات مع دروز سلطان ومتعب وعبد الغفار وحسين فالمؤمن لا يُلدغ من جحر مرتين، فقبل أيام كان متعب ممثلاً لثورة الدروز، وعضواً في اللجنة العليا للثورة في سورية، وكان بحكم موقعه من الثورة يعرف أسرار المجاهدين المسلمين في غوطة دمشق وغيرها، وها هو عميل لفرنسا،

مطيع لأوامر المفوض السامي، وكذلك أصبح شأن حسين وعبد الغفار.

كل الذي فعله المجاهدون إعلان حلّ اللجنة العليا التي تربطهم بالدروز، وحافظوا على صلوات واهية مع سلطان، وإرضاءً لغروره سكتوا عن وصف الدروز له بقائد الثورة العام، ولكن الثورة لا تتقدّم خطوةً واحدةً لو كان قائدها الفعلي بعيداً عن الحدود، والذي نعلمه أن الثورة استمرّت في سائر مدن سورية وقراها وكان يقودها رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى.

وبعودة عبد الغفار ومتعب عاد الدروز إلى التعاون مع الفرنسيين، فلا فرق عندهم بين عبد الغفار وسلطان أو بين سليم ومتعب، أو بين حمد وحسين، بل المهم أن تكون قيادتهم درزيةً ومن آل الأطرش.

وذاق المسلمون الولايات من الدروز الذين تطوّعوا في جيش فرنسا وأجهزة أمنها، فكانت قلوبهم لا تعرف الرحمة، ونفوسهم تجنح دومًا إلى إلحاق الأذى والضرر بالمسلمين.

وإذا كان الدروز لا يثقون بما نقوله عن تعاونهم مع فرنسا فلنترك الحديث لكاتب درزي: "ومن المسلّم به أن الفرنسيين المضغوط عليهم في الأربعينيات من قبل الإنجليز لإعطاء سوريا استقلالها، كانوا شبه متأكّدين أنهم إذا غادروا سورية لن يغادروا دولة جبل الدروز التي خلقوها وأعطوها بعض الامتيازات الخاصة، كنواة لإنشاء دولة في المستقبل".

وقد سند الفرنسيون سياستهم تلك في الطبقة العسكرية التي أوجدوها وفي بعض الأسر المتحالفة معهم، وقد بلغ نفوذهم مبلغاً عظيماً في داخل المجتمع الدرزي، حتى أن الحاكم الفرنسي [سارازان] قال لسكرتيره عندما احتج بعض الدروز على الفرنسيين وعندما ارتبطوا بالكتلة الوطنية سياسياً قبيل الاستقلال قال: الرجل الوحيد الذي يحق له أن يحتج وأن يكون لاحتجاجه معنى وطني، هو يوسف هلال الأطرش، الذي رفض التعاون معنا ورفض أن يقبض منا، كما أنه رفض عروضاً عليه للتعويض على ما دمّرت وحطّمته جيوشنا في الثورة السورية الكبرى، وأضاف الحاكم العسكري الفرنسي قائلاً: إن المحتجين علينا يقبضون في الليل ويثورون في النهار^(١).

يقول فؤاد الأطرش وهو درزي متممّ:

"وقد بلغ نفوذهم -أي الفرنسيون- مبلغاً عظيماً في داخل المجتمع الدرزي".
 ويعرض الكاتب الدرزي الأقوال التالية للحاكم العسكري الفرنسي مؤمناً بها:
 "إن المحتجين علينا يقبضون في الليل ويثورون في النهار".
 "الرجل الوحيد الذي يحق له أن يحتج وأن يكون لاحتجاجه معنى وطني، هو يوسف هلال الأطرش، الذي رفض التعاون معنا ورفض أن يقبض منا".

(١) الدرّوز، مؤامرات وتاريخ وحقائق. فؤاد الأطرش، ص: ٢٩٠.

أجل يستشهد فؤاد الأطرش بأقوال الحاكم العسكري الفرنسي في معرض وصفه لمجتمع الدروز في الأربعينيات، فلا ينكر ولا يعترض على أقوال المسؤول الفرنسي، ويستثني أباه يوسف هلال الأطرش، وليس لدينا معلومات تدين أباه ولا تبرئه، وإن كانت شهادة الابن لأبيه غير مقبولة في هذا الموضوع.

وإذن: اتفق رأينا مع رأي فؤاد الأطرش في هذه المسألة.

وجملة القول: تعاون الدروز مع الفرنسيين في بداية الاحتلال، واعتمد غورو عليهم فاختر حرسه منهم، ولم يشاركوا شعب سوريا جهاده طيلة خمس سنين من سني الاحتلال، ثم غادروا ردًا على ظلم [كاربييه] لهم، وإقدام السلطات الفرنسية على اعتقال قيادتهم، واستمرت الثورة سنة ونصف السنة، ومن بعدها عاد الدروز إلى التعاون مع الفرنسيين، وتطوّعوا في الجيش الفرنسي وسلك الشرطة والأمن، وكان المحتل الغاشم يستخدمهم في مقاومة المجاهدين في مختلف المحافظات السورية، وكانوا لا يتورعون عن الفتك بالمجاهدين، والاعتداء على الأمنين. انظر إلى قول فؤاد الأطرش: وقد سند الفرنسيون سياستهم تلك في الطبقة العسكرية التي أوجدوها وفي بعض الأسر المتحالفة معهم، وقد بلغ نفوذهم مبلغًا عظيمًا في داخل المجتمع الدرزي.

والسؤال الأخير: هل كانت صلات سلطان الأطرش وهو في المنفى مقطوعةً

مع قيادة الدروز التي تتعاون مع الفرنسيين؟!!

وجوابنا على ذلك: إن صلوات سلطان لم تكون مقطوعةً مع القيادة الدرزية لا في المنفى ولا قبله، وما كانت ثورته التي أسماها المنافقون الكبرى لولا إهانة الفرنسيين لقيادة دروز الجبل المتواطئة مع الاستعمار الفرنسي، والأدلة على تعاون سلطان مع قيادة الجبل العميلة كثيرة، ونكتفي بالمثال التالي:

تألّفت وزارة وطنية في سورية سنة ١٩٣٦، وكان شكري القوتلي من أعضائها، وبادرت الحكومة السورية إلى تعيين -نسيب البكري- أحد أركان الكتلة محافظاً لجبل الدروز، وكان نسيب صديقاً للدروز، ولهذا السبب وقع عليه الاختيار، وقابل الجبل هذا الاختيار بالرفض، وقامت حوادث شغب وكانت فرنسا وراء العملية مما دعا نسيب البكري إلى مغادرة الجبل والعودة إلى دمشق وقامت حوادث مماثلة في جبل النصيرية، وفي الجزيرة، وكان الفرنسيون يهدفون من وراء هذه الأحداث إلى إقناع الرأي العام العالمي بأنه من الصعوبة بمكان أن تحكم سورية من قبل السوريين أنفسهم.

والشاهد من هذه الرواية ما ذكره [أكرم زعيتر]^(١) قال: إنه سافر مع [نبيه العظمة] إلى الكرك وقابلوا سلطان الأطرش، وعرضوا عليه حلّ مشكلة الجبل، وحضر هذا اللقاء الأمير حسن الأطرش قادمًا من جبل الدروز ليستشير سلطاناً في شؤون الجبل والموقف من الحكومة الوطنية، وإن سلطاناً طلب منه التعاون مع

(١) مقال كتبه أكرم زعيتر في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١٨/٥/١٩٨٢، تحت عنوان

ذكريات سلطان الأطرش في أربعينه.

الحكومة وأن يقبلوا بعودة نسيب البكري إلى عمله في الجبل.

وإذن فلقد كان لرأي سلطان وزن لا يُستهان به، وكان حسن الأطرش مضطراً إلى السفر إلى الكرك ودراسة شؤون الجبل معه، وحسن الأطرش هو ابن يحيى وشقيق سليم، ومن أجله ثار الدروز ضدّ قرار تعيين نسيب البكري لأنهم يرون أن حسن الأطرش أحقّ بهذا المنصب من غيره، وكان حسن أحد الذين يتعاونون مع فرنسا، ولعب دوراً في مؤامرة سنة ١٩٥٦ التي ستتحدّث عنها في موضع آخر من هذا البحث، فحسن من غير شك ورث الخيانة عن أبيه وأخيه، ولو كانت علاقته مع سلطان سيئةً لما جاءه في الكرك يستشيريه وكذلك كان شأن سلطان مع عبد الغفار ومتعب وحسين وهذا هو شأن الدروز في كل عصر ومصر.

وبعد: حارب المسلمون في بلاد الشام المستعمر الفرنسي ربع قرن من الزمن، وكانوا يتسابقون إلى الموت في ساحات المجد والشرف، وكانت معاركهم مع الغزاة لا تنقطع، واستخدم الصليبيون جميع وسائل البطش والتنكيل، فما وهن جند الله ولا استكانوا، ولم يعرف اليأس سبيلاً إلى قلوبهم أو منفذاً إلى نفوسهم المفعمة بالإيمان وحبّ الموت في سبيل الله.

وكان مما فعله الفرنسيون: أحرقوا أسواقاً من دمشق، -واسمها الآن منطقة الحريقة-، وقصفوا عاصمة بني أمية بالقنابل المحرقة، كما أحرقوا بنيران طائراتهم ومدركاتهم قسماً كبيراً من أشجار غوطتها الغنّاء، وقصفوا وأبادوا منازل وأحياء من حلب وحمص وحماة واللاذقية ودير الزور ودرعا.

فهل يريد منا أعداء الإسلام أن نضرب صفحاً عن هذه الصفحات المشرقة من تاريخ أمتنا، ولا نقرأ أو نتحدث إلا عن ثورة الدروز المشبوهة؟!

هل يريد منا أعداء الإسلام أن نتناسى دور المساجد وحلقات العلم في مقاومة الفرنسيين، ولا نذكر إلا دور "القرية-وعرى-والسويداء"؟!

لقد أخطأوا في حساباتهم وخاب سعيهم.

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ الأنفال: ٣٠.

دحض افتراءات الدروز على أهل حوران:

يزعم الدروز في أحاديثهم الخاصة والعامة، وفي مؤلفاتهم ما يلي:

- تخلى الشعب السوري عنهم في ثورة سلطان سنة ١٩٢٥ وتركوهم لقمة سائغة للفرنسيين، وفي طليعة من تخلى عنهم أهل حوران.
- وقف أهل حوران مع الفرنسيين ضدّ الدروز سنة ١٩٢٥.
- حارب أهل حوران الدروز استجابةً لأوامر جميل مردم وغيره من الحكام.
- الدروز الآمنون في جبلهم هدف لاعتداءات أهل حوران وأهل البادية.

جاء في كتاب [الدروز مؤامرات، تاريخ، حقائق]:

"لماذا يقاتلنا أبناء حوران؟ لقد قاتلونا مع الفرنسيين ولا زالوا يقاتلوننا مع الوطنيين. لماذا يقاتلنا أبناء دمشق في هذا العهد؟ لقد قاتلونا في زمن الأتراك وفي

عهديّ جميل مردم والشيشكلي، وهم يقاتلوننا الآن في عهد البعث" (١). هل الدروز مسلمون أم معتدون؟!

أجاب مؤرّخ بلاد الشام الأستاذ محمد كرد علي عن هذا السؤال حيث قال: "إن قرى الجبل يُقدّر نفوسها على التخمين بخمسين ألف نسمة، وربما استطاع حمل السلاح منهم حوالي ثمانية آلاف، ومنهم الذين يشنّون الغارات ويقتلون الأبرياء ويسلبون المازّة. أما أهل دمشق فجهادهم معروف، وما كُتب عنهم بحق أكبر وأقوى من أن تبدّده أكاذيب الدروز، أما أهل حوران فلم يكن بينهم علماء يكتبون عن تاريخها أيام الانتداب الفرنسي ولم يكن للمنطقة قيادة في مستوى الأحداث التي كانت تمرّ بها سورية، لذا وجدتُ نفسي مضطراً إلى كشف ما حاول الدروز ترويجه عن أهل هذه المنطقة المسلمة. وإقليمهم هو الإقليم الوحيد في سورية بأسرها الذي أزمّت فيه الفوضى، إذ يعيشون عيش السلب والنهب والقتل، وإذا لم يجدوا من يقتلونه ويمثلون به، يقتتلون بينهم كأنهم يتعمّدون بإهلاك العباد والعبث بالفساد في البلاد، آخر عمل فظيع قاموا به، أنهم غزوا جيرانهم أهل قريتيّ -معرّبة وغصم- وسكانها مسلمون ومسيحيون فقتلوا ٥٩ رجلاً وامرأة".

وقال كرد علي أيضاً:

(١) الدروز مؤامرات، تاريخ، حقائق. ص: ٢٩٥، ٧٤، ٣٥٣. وكان مثل هذا الكلام أو قريب

منه يتحدّث عنه سلطان الأطرش لبعض زوّاره.

"وما برحوا يفحشون بالقتل والسلب والتخريب منذ حادثة سنة الستين، ووقائعهم في - قرية أم ولد، والكرك، وقرية كحيل، والحراك، وبصر الحرير، وبصرا سكي الشام، وجوارها قرية المليحات، ومع العرب المعجل، وعرب السرحان، وعرب الخريشة، وعرب ولد علي وغيرهم - مشهورة، دع عنك نحو عشرين قرية اغتصبها الدروز من الحوارنة"^(١).

وعند حديثنا عن - جبل حوران والدروز - نقلنا عن المؤرخ نفسه - كرد علي - نُتفأ من جرائم الدروز وكيف هجموا سنة ١٢٩٨ هـ على قريتي الكرك وأم ولد وذبحوا سكانها عن بكرة أبيهم، ولم يبقوا حتى على الأطفال والرّضع.

والأستاذ كرد علي لم يذكر إلا أخبارًا قليلةً عن جرائم الدروز، وأخبار اعتداءاتهم على أهل حوران أكبر من أن يتسع هذا المجال لذكرها. ويزعم فؤاد الأطرش بعد ذلك خطأ ما قاله كرد علي "لأن الدروز لا يعتدون على النساء وهذه قضية ليست بحاجة لإثبات أو تأكيد عنده".

وقول فؤاد لم يعتمد فيه على دليل، ومن أين له هذا الدليل أو شبهة الدليل، ولو شاء هذا الدرزي لذكرنا له أسماء من قتلهم الدروز في: معرّبة، وغصم، وصماد، وكحيل، وبصرا سكي الشام، وأم ولد، والحراك، والحريك، وبصر الحرير، والمليحة، بل وصلت اعتداءات الدروز إلى محجة واللجاة وجاسم وانخل.

(١) مجلة المقتطف، المجلد الخامس عام ١٣٢٨ هـ، وكتاب جبل الدروز، حنا أبي راشد ص:

١٢١، ١٢٣. عن كتاب [الدروز مؤامرات، تاريخ، وحقائق، ص: ٧٦].

مثال:

اعتداء الدروز على بصر الحرير سنة ١٢٩٦هـ الذي ذكره كرد علي قبل صفحات يُسمّى عند أهل حوران [موقعة السبع عرّسة]، وسبب هذه التسمية إقدام الدروز على قتل سبع شباب يوم الاحتفال بزفافهم، وكانوا مدعوّين على وليمة عند قبيلة من البدو صغيرة تسكن بين بصر الحرير وقرى الجبل. وانتهز الدروز فرصة الدعوة حيث كان أهل بصر عزّلاً من السلاح، فأوقعوا فيهم مذبحَةً عظيمةً، تجلّى فيها غدر بني معروف بشكل واضح.

أما ضغط الأتراك على أهل حوران الذي عبّر عنه مدحت باشا ووصفه بأنه نتيجة تشييع الإنجليز للدروز فخلاصته أن شيخ حوران إسماعيل الترك الحريري زار بصر ليلاً واجتمع بزعماء القرية وقال لهم: غداً ستتم المصالحة مع الدروز، ولا أستطيع الصمود طويلاً أمام ما يمارسه الأتراك من ضغط علي، فانظروا ماذا ستفعلون هذه الليلة.

وقبل فجر تلك الليلة كان شباب بصر قد أخذوا ثأرهم من الدروز، ووجدت السلطة نفسها أمام الأمر الواقع وتمّت المصالحة.

وهذه الحادثة ومثيلاتها معروفة عند أهل حوران كما أنها معروفة عند الدروز، فكيف يتجرّأ فؤاد الأطرش على إنكارها مع العلم بأن أخبار هذه الحوادث يتناقلها الدروز وأهل حوران في أشعارهم النبطية، إذ لكل منطقة شعراؤها الذين يدافعون عن جماعتهم ويتفاخرون بشجاعتهم في الحروب، وصبرهم على المكاره، ولا شك

أن هذا الدرزي يحفظ الكثير منه وذكر بعضه في كتابه [الدروز].

بل ونسي فؤاد الأطرش نفسه عندما قال:

"والتأمل المتبصر في انتصارات دروز الجبل على إبراهيم باشا وبني عثمان والبدو وأهل حوران، وأبناء العاصمة ودولة فرنسا يدرك فوراً أن لهذا الكون عقلاً مدبراً لا يتخلى مطلقاً عن من يؤمن به وينسجم عملاً وقولاً مع قوانينه الكونية الأزلية الأبدية. حتى في معركة [بكا] لم يكن الله مع العدد والعدّة بل كان مع الذين حافظوا على تعاليمه".

ويقول أيضاً:

"وفات زعماء الدروز -يعني فئة من الدروز حاربوا الأتارشة- أولئك أن للدين معنى مقدساً روحياً لا يتمثل في جسد سلطان بل يتمثل في المعنى الموجود في نفسه، لقد نسي هؤلاء أبا إبراهيم الذي نصر الدروز في معركة المزرعة، ونسي هؤلاء الخضر في معركة اللجاة. ومن جديد أيقظهم أبو إبراهيم في معركة [بكا] ورمى على أعينهم العشاوة الكبرى. وما إن بدأت المعركة حتى أخذت طير الأبايل ترميهم في حجارة، والتحمت سلسلة بيت المقدس فبعثت الرعب في قلوبهم، وتقطعت عزائمهم فانتهدت المعركة قبل أن تبدأ"^(١).

(١) الدروز مؤامرات، تاريخ وحقائق، ص: ٢٩٥، ٢٩٦. فؤاد الأطرش. و[بكا] قرية درزية

في الجبل اقتتل فيها الدروز وانقسموا قسمين.

لا نريد أن نحاسب فؤاد الأطرش عن أبي إبراهيم -ولي من أولياء الدروز- كيف نصر الدروز وكيف أيقظهم ورمى على أعينهم الغشاوة، كما أننا لا نريد أن نسأله عن سرّ طير الأبايل، ولا عن الخضر كيف جاءهم وعن مدى صحة هذه الأخبار، لا نريد أن نسأله أو نحاسبه عن هذا كلّه لأننا لسنا في صدد الحديث عن عقيدة الدروز وردّتهم عن الإسلام، إنما نريد أن نحاسبه عن أعداء الدروز الذين اعترف بهم فكان مما ذكره:

إبراهيم باشا، بنو عثمان، البدو، بنو حوران، أبناء العاصمة -أي دمشق- وذكر في موضع آخر المواردية ثم عرّج على انتصار الدروز الأطارشة على الدروز الشعبيين.

أليس في ذلك دليل على ما ذكره المؤرّخ محمد كرد علي عن الدروز أنهم أهل شغب وفتن وثورات؟! أكلّ ملل الأرض معتدية عليهم وهم ضعاف مسالمون؟!

أوليس في ذلك دليل على صحة قول المؤرّخ كرد علي في وصف الدروز:

"وإذا لم يجدوا من يقتلونه ويمثّلون به، يقتتلون بينهم كأنهم يتعمّدون بإهلاك العباد والعبث بالفساد في البلاد".

وبإذا نفس افتخار الدرزي فؤاد بانتصار عشيرته -الطرشان- على الشعبيين الدروز، وهل يريد منا هذا الأحمق أن نعود إلى عصر الجاهلية نردد مع شاعرهم:

وأحياناً على بكر أحنينا إذا ما لم نجد إلا أحنانا

لقد حكم على نفسه وعلى قومه من حيث لا يشعر، والحمد لله الذي أنطقه.
على أننا لا نستطيع أن نقول أن كل معركة خاضها الدروز مع أهل حوران كان الدروز هم المعتدين فيها، كما أننا لا نقول: إن حرب أهل حوران للدروز كانت إسلاميةً ضدّ فئة ارتدّت عن الإسلام، ولكننا نؤكّد أن الدروز في العموم كانوا معتدين يتطلّعون إلى إقامة دولة لهم في جبل حوران، ومن نتائج اعتداءاتهم احتلال معظم القرى في الجبل وإجبار أهلها على مغادرتها كما ذكرنا قبل صفحات، ونؤكّد أيضاً أن الدروز إذا رحلوا إلى بلد رافقتهم الفتن والشور.

جهاد أهل حوران ضدّ الفرنسيين:

وسنجيب فيما يلي عن زعم الدروز أن شعب سورية تحلّى عنهم، وإن أهل حوران قاتلوا الدروز مع الفرنسيين:

رمتني بدائها وانسلت:

كانت ثورة [خربة غزالة] أول ثورة ضدّ الفرنسيين بعد معركة ميسلون ودخول غورو إلى دمشق، ففي ٢١/٧/١٩٢٠ اعترض المجاهدون القطار المتّجه من دمشق إلى جنوب سورية عند محطة خربة غزالة التي تبعد بضعة أميال عن درعا، وكانوا يعلمون أنه يُقلّ أعضاء أول حكومة قبلت الانتداب الفرنسي، وأوقعوا فيهم مذبحةً تحدّثت عنها الركبان.

قتل المجاهدون عبد الرحمن اليوسف رئيس مجلس الشورى، وعلاء الدين الدروبي رئيس مجلس الوزراء، وعددًا من الوزراء، وكبار الضباط والمسؤولين الذين كانوا يرافقون رئيس مجلس الوزراء في رحلته.

زعم الجنرال الفرنسي -ساراي- أن عملية خربة الغزالة تمت بدون تدبير سابق من المجاهدين في حوران.

والصحيح أن الثورة جاءت بعد إعداد، واستمرت بعد مقتل رئيس الوزراء ومن معه، وشملت معظم مدن وقرى حوران، ويكفيها من الأدلة على ذلك مايلي:

إنذار الحوارة:

"إن غدر الحورانين الفطيع لوزراء الحكومة في خربة الغزالة واعتداءهم بالسلاح على الجنود الفرنسيين والسوريين الذين ذهبوا للانتقام من السفاكين قد دعا إلى التدمير والعقاب الذين بدأت حوران تشعر بوطأتها.

وسيثابر جنودنا على هذه الأعمال بلا رحمة حتى ينال المجرمون جزاء أعمالهم، ويوطد الأمن في البلاد وبقيّة القرى المسؤولة.

وقد مُنح سائر زعماء ووجوه الحوارة مهلة ثمانية أيام ليقدموا خلالها الطاعة النهائية إلى الحكومة ولا تُجازى القرى إلا بقدر ما يثبت عليها الاشتراك مع أعدائنا. وتزداد الشروط التي تفرض عليها صرامةً، كلّ ما تأخروا عن الحضور. وتُعدّ القرى التي تؤوي كبار المجرمين مشاركة لهم.

وابتداءً من هذا الحين إذا وقع اعتداء ما على مخافرنا أو قلعة الخطوط الحديدية، فإن القرية الأقرب إلى محلّ الحادثة تُعدّ مسؤولةً وتدمّر في الحال، وتُصادر مواشيها. وستتأبر الطيّارات على إلقاء القنابل على القرى المتمردة حتى تقدّم الطاعة.

قائد الفرقة الثالثة لجيوش الشرق عن رئيس الوزراء

الجنرال غوايعة محمد جميل

نُشر في جريدة العاصمة في ٢ أيلول ١٩٢٠ " (١).

وكان من البيوت التي أحرقتها الفرنسيون بيت شيخ مشايخ حوران إسماعيل الترك الحريري في قريته [الشيخ مسكين]، واعتقلت السلطات الغاشمة معظم زعماء حوران، واضطرّ بعضهم إلى مغادرة سورية. ولم تغفل الصحف الصادرة في تلك الفترة خبر الحملة الفرنسية التي وجهتها السلطة لاختضاع حوران، ولا أخبار المعارك التي خاضها أهل حوران مع القوات الفرنسية مما اضطرهم إلى استخدام الطائرات التي كانت تلقي قنابلها على القرى الآمنة بلا رحمة - كما نصّ الإنذار -.

وبعد المعارك والحرائق والخرائب اضطرّ أعيان حوران إلى قبول شروط قائد

الحملة التالية:

١ - إعاد المنهوبات إما عيناً أو نقداً.

٢ - دفع دية الوزراء المقتولين وقدرها عشرة آلاف ليرة ذهبية عن كلّ وزير

(١) يوم ميسلون، ساطع الحصري، ص: ٣٢٨.

وسبعة آلاف للضباط الإيطالي و ألفان وخمسمائة ليرة ذهبية دية كل من الكاهن ووحيد عبد الهادي وخمسمائة عن كل عسكري مقتول.

٣- تقديم ضمانات كافية بعدم ارتكاب اعتداءات جديدة.

٤- دفع مائة ألف ليرة عثمانية غرامة^(١).

ورغم همجية القوات الفرنسية وشدة تنكيلها بأهل حوران، ورغم الخسائر الفادحة في الأنفس والأموال استمرت المقاومة في حوران، وكان للمجاهدين فيها صلوات مع ثوار دمشق، كما كانت لهم صلوات مع الدروز في ثورتهم سنة ١٩٢٥.

فأين هذا من قول الدروز: "لقد تخلى عنهم شعب سورية خلال ثورتهم" وحقيقة المقال أنهم لم يطلقوا رصاصة واحدة في أول ثورة شهدتها سورية في خربة الغزالة، وأكثر من ذلك لقد كان الجنود الدروز من أشرس العسكريين الذين استخدمتهم فرنسا لاختضاع حوران سنة ١٩٢٠.

لطيفة: هناك فئة قليلة من السفهاء يسخرون من أهل حوران، والمشكلة التي تعرّضوا لها في قتل رئيس الوزراء ومن معه بمن فيهم سائق القطار، ودور حمد وعقلة في قيادة القطار من خربة الغزالة إلى درعا، ومن الأسماء التي يكثر انتشارها

(١) من المراجع التي تحدّثت عن ثورة خربة الغزالة: صحيفة النظام ٦/٩/١٩٢٠، وصحيفة

المقطم ٤/٩/١٩٢٠، والمقطم ٤/١٠/١٩٢٠، وكتاب تطور الحركة الوطنية في سورية ص: ٥١،

في حوران في هذه الحقبة الزمنية: حمد وعقلة.

حقاً لقد قاد حمد وعقلة القطار، ولا يعيب حوران نقص الفنينين إذا وُجدت البطولة والتضحية، وليت في أمتنا عشرات من أمثال حمد وعقلة يواجهون أعداء أمتنا بمثل ما واجه به حمد وعقلة عبد الرحمن اليوسف وعلاء الدين الدروبي، ومرحباً بهذه الأسماء تذكّرنا بمواقف الرجال لا تقهرهم الخطوب.

دور أهل حوران في ثورة ١٩٢٥:

تخلّى الدروز عن شعب سورية طيلة خمس سنين، وعاشوا في دولة صنعها لهم الفرنسيون لا تربطهم ببقية مناطق ومدن سورية أية رابطة، ثم ثاروا سنة ١٩٢٥ عندما نفت السلطة الفرنسية بعض زعمائهم، وكان خلافهم مع المحتلين لا علاقة له بوحدة سورية واستقلالها، بل كان قادة الجبل الذين اختلفوا مع الفرنسيين من دعاة التعاون مع كلّ محتلّ إذا ضمن لهم مصالحهم.

ولم يتخلّ المسلمون عن الدروز في محنتهم، لقد تصدّى المجاهدون الحوارنة للحملة الفرنسية على مشارف دمشق، وهي في طريقها إلى الجبل، وأعاقوا تقدّمها مدة أربعين يوماً، واضطرتّ القوات الفرنسية إلى سلاح الطيران، ولم تصل قوات الاحتلال الجبل إلا على أشلاء المجاهدين من أبناء حوران، وقد اعترف الدروز أنفسهم بذلك، نقل الدكتور ذوقان قرقوط عن سلامة عبيد قوله:

"وقف الشيخ إسماعيل الحريري شيخ مشايخ حوران في وجه القوات الفرنسية الزاحفة إلى الجبل فتدخلت الطائرات الفرنسية لتفريق الهياج العام. فاضطرّ

إسماعيل الحريري إلى اللجوء إلى شرقي الأردن ثم التحق بالثوار في اللجاة رغم تقدّم سنه وعدم تعوّده على شظف العيش وحرب العصابات" (١).

ففي كلام سلامة عبيد ردّ على أكاذيب فؤاد الأطرش الذي زعم بأن الحوارنة حاربوا الدروز مع الفرنسيين، ولكن اعتراف سلامة فيه كثير من المغالطات التي تصطدم مع الواقع ومن ذلك قوله:

"وقف الشيخ إسماعيل الحريري شيخ مشايخ حوران في وجه القوات الفرنسية الزاحفة إلى الجبل".

والحقيقة التي لا مرية فيها أن حوران بقيادة الشيخ إسماعيل وقفت في وجه القوات الفرنسية، وإذا كانت معركة الدروز مع الفرنسيين في المسيفرة استمرّت يوماً واحداً فمعركة المسلمين في حوران استمرّت أربعين يوماً بالتعاون مع المجاهدين في غوطة دمشق.

ويتلاعب سلامة عبيد بخبث في الألفاظ عندما يقول:

"فاضطرّ إسماعيل الحريري إلى اللجوء إلى شرقي الأردن ثم التحق بالثوار في اللجاة رغم تقدّم سنه وعدم تعوّده على شظف العيش وحرب العصابات"، ولنا على كلام سلامة عبيد الملاحظات التالية:

(١) الثورة السورية الكبرى على ضوء وثائق لم تُنشر، سلامة عبيد، ص: ١٩١، عن كتاب

[تطور الحركة الوطنية ص: ٢٢٥].

١- في كلامه إصرار على بيان موقف فرد واحد من حوران إسماعيل الحريري، فهو الذي وقف بوجه القوات، وهو الذي اضطرّ إلى اللجوء إلى الأردن، وكان إسماعيل الحريري قد وقف مع قوات درزية بوجه فرنسا، تُرى هل تخلّت حوران عنه، وإذا كانت حوران قد تخلّت عنه هل تخلّت عنه لقبيلته وهي أكبر قبيلة في حوران، وعدد أفرادها لا يقلّون عن عدد الدروز كلهم في الجبل، ومن يعرف حوران يجزم بأن القبيلة لا يمكن أن تتخلّى عن زعيمها، وبشكل أخص في تلك المرحلة.

٢- أين اللجاة التي التجأ إليها إسماعيل الترك!؟

إنها جزء من حوران، فإسماعيل الحريري عاد إلى عصبته إلى بصر الحرير، وازرع، ومحجة، وهذه من قرى حوران التي لا تنفصل عن اللجاة، ولا ينفرد أهل اللجاة بأمر إلا بعد استشارة شيوخ بصر ومحجة. فهل كان هذا الكاتب يريد أن يصور للناس أن اللجاة من مناطق الدروز، وذهب إسماعيل الحريري عالّةً عليهم!؟

٣- إسماعيل الحريري لم يتعوّد شظف العيش وحرب العصابات!؟

إن الجهاد والحرب والشجاعة وقف على الدروز وحدهم، أما أهل حوران فلا يختلفون عن سكان باريس ولندن وبرلين!!

عجيب هذا المنطق! إن أهل حوران ألفوا شظف العيش وحرب العصابات، وليس هذا حال حوران وحدها، ولكن حال أهل الريف في بلاد الشام، فما من بيت

إلا وكان فيه قطعة سلاح، وما من شاب إلا وقد مارس ركوب الخيل وحمل السلاح.

إن أهل حوران اليوم يعلمون أن عددًا كبيرًا من آبائهم لجأ إلى الأردن، واستشهد عدد غير قليل، وكانوا يتخذون من اللجاة مركزًا قتاليًا، ولكن الدروز لا يصدقون، وكيف يصدق مع العبيد من افترى على الله الكذب؟!

موقعة المسيفرة:

رابطت القوات الفرنسية في المسيفرة -من قرى حوران القريبة من الجبل- وقرّر الدروز مواجهة هذه القوات حيث ترابط، غير أنهم أخطأوا الطريق، وبدلاً من مباغته الفرنسيين في ظلام الليل، وصلوا في وضح النهار، فأصبحوا هدفاً للمدافع الفرنسية، فما كان من أهل المسيفرة إلا أن فتحوا بيوتهم للدروز، وقدموا لهم كل مساعدة وعون، ولولا منازل وشرفات القرية لما ترك الفرنسيون درزيًا واحدًا يعود إلى الجبل، وانتهت المعركة بهزيمة الدروز، وكانت خسارتهم فادحةً في الأرواح، وبعد انتهاء المعركة فعل الفرنسيون الأفاعيل بأهل المسيفرة.

قتلوا عددًا من شبابها، ونهبوا البيوت، وساموا أهلها ألوانًا من الخسف والهوان، ولجأوا أخيرًا إلى طرد السكان من قريتهم ثم أحرقوها عن بكرة أبيها.

ولجأ سكان المسيفرة إلى القرى المجاورة، وأصيبوا بمرض الطاعون من كثرة الحرائق وروائح القتلى، وما يزال أهل هذه القرية حتى اليوم يذكرون ما فعله الفرنسيون بهم ويطلقون على ذلك الحادث المفجع [عام الحريق].

أما الفرنسيون فيقولون: لقد حاربنا أهل المسيفرة من منازلهم وعند مفترق الشوارع، وكنا لا نفرّق بينهم وبين الدروز.

فكيف يستقيم هذا مع قول فؤاد الأطرش: لقد حاربنا الحوارنة مع الفرنسيين، وكيف يتجرأ سلطان على ترويح هذه الأكذوبة؟!

الدروز ونصارى حوران:

دافع فؤاد الأطرش عن نصارى حوران والجبل^(١)، وزعم أن الإخاء الدرزي المسيحي قديم وليس بحاجة لإثبات وهذا منه كذب مخجل، وأهل حوران والجبل مجمعون على أن النصارى كانوا عوناً لفرنسا وعيناً لها، ودليلنا على ذلك أنه بعد معركة المسيفرة اتفق الدروز على غزو قرى النصارى المجاورة للجبل تآديماً لهم، وفعلاً هاجم الدروز سمج وطيسيا وخربة وجيب وقتلوا عدداً من نصارى هذه القرى، ونهبوا البيوت، وشاركوا بدو الجبل الدروز في هذه الغارة.

ومن الجدير بالذكر أن نصارى حوران والجبل يفتخرون بانتصارات الجنرال الفرنسي -كاربييه- وهم أغنية تُردّد في أعراسهم فيها إشادة بكاربييه وهجومه على الدروز، وما يزال سكان خربة وجيب يتردّدون على درعا ويدرس أبناءهم فيها بدلاً من السويداء رغم أن سكان هاتين القريتين يتبعون السويداء رسمياً.

(١) من كتاب فؤاد الأطرش، ص: ٧٧.

وفعل بدو اللجاة وبعض أهل حوران بقري النصارى المجاورة إلى اللجاة - بصير، تبنّة، خبب - كما فعل الدروز بنصارى سمج وخربة وطيسيا لولا حماية وجهاء محجة وانخل لهذه القرى.

هذا هو الإخاء الدرزي المسيحي الذي زعمه فؤاد الأطرش سنة ١٩٢٥، وهو لا يختلف عن الإخاء الدرزي المسيحي سنة ١٨٦٠ في لبنان. وهذا هو أسلوب المؤرّخين الدروز في التلفيق والتزوير.

ويبدو أن الكاتب الدرزي راح يتودّد إلى النصارى لأن همّهم الوحيد في كتابه شتم المسلمين وإصاق التهم بهم، وقد أعماه حقه عن رؤية الحق والعياذ بالله.

الدروز في عهد الاستقلال

- أطماع الدروز سنة ١٩٤٨ .
- وحدة الهلال الخصيب .
- مؤامرة ١٩٥٦ .
- مؤامرة سليم حاطوم .
- الدروز في حرب التحريك سنة ١٩٧٣ .

أطماع الدروز سنة ١٩٤٨:

تحدّث الناس في حرب ١٩٤٨ عن خيانة الدروز وتجنّسهم لحساب اليهود، فانبرى الكاتب الدرزي [فؤاد الأطرش] للدفاع عن بني قومه، وبيان مآثرهم، وصدق وطنيتهم، وأورد روايةً مفادها أن الدروز أوفدوا زعيمهم الأمير حسن الأطرش -على رأس وفد درزي- إلى أمين عام الجامعة العربية خلال زيارته لسورية في الأيام التي سبقت الحرب، وعُرض عليه أن ينفرد الدروز بحرب إسرائيل شريطة أن تسمح الأنظمة العربية لهم بالاستيطان في الأراضي التي يتم تحريرها، وبشكل أكثر صراحةً أن تسمح لهم الحكومات العربية بإقامة وطن خاص بهم!!^(١).

ويصبّ فؤاد الأطرش جام غضبه على الساسة السوريين لأنهم رفضوا عرض حسن الأطرش وقالوا لأمين عام الجامعة العربية: "الدروز لا يقلّون خطرًا عن اليهود".

أليس في هذه الرواية دليل على سعي الدروز منذ القديم من أجل إقامة وطن خاص بهم؟!؟

(١) الدروز مؤامرات وتاريخ وحقائق لمؤلفه فؤاد الأطرش، ص: ٢٨٨. ويبدو أن المؤلف أحق، أو أنه ألف الكتاب وهو يعاني ظروفًا نفسيةً أخرجته فأخرجته عن السياسة التي يسلكها الباطنيون في الكتابة، وعلى كلّ حال فالمؤلف صريح في عرض آرائه، وهو من آل الأطرش -قادة الجبل- وسوف أعتمد على كتابه فيما يخصّ هذه المرحلة من تاريخ الدروز.

وإذا كان الدروز مسلمين عرب - كما يزعمون - فلماذا لا يجارون مع إخوانهم،
ولماذا لا تكون حربهم لوجه الله، وهل هم مرتزقة حتى يأخذوا أجرًا؟!!

وهل من المصادفة أن تكون الجولان التي يصلون ويجولون فيها اليوم،
ويتطلعون لإقامة دولة فيها وفيها يجاورها، أقول هل من المصادفة أنهم كانوا
يخططون لإقامة وطن لهم فيها منذ عام ١٩٤٨؟!!

نعم - والله - إن الدروز لا يقلون خطرًا عن اليهود ولن يقبل مسلم غيور على
دينه استبدال الاحتلال اليهودي بدولة درزية!!!

أما خيانتهم سنة ١٩٤٨ وأسرار تعاونهم مع الهاغاناه وسائر المنظمات
الصهيونية، فستحدث عنه في فصل قادم إن شاء الله، وسنعمد في أدلتنا على
اعترافات الدروز أنفسهم.

وحدة الهلال الخصب:

ينادي أصحاب هذه الفكرة بوحدة سورية الكبرى التي تمتد من جبال
طوروس في الشمال إلى قناة السويس في الجنوب، شاملة شبه جزيرة سيناء وخليج
العقبة ومن البحر السوري في الغرب حتى الالتقاء بدجلة في الشرق.

وكان من أبرز من نادى بوحدة الهلال الخصب [أنطون سعادة]، ولهذا أسس
حزبًا أسماه [الحزب القومي السوري]، ومبادئ الحزب تمثل شكلاً من أشكال
الكيانات الطائفية والإقليمية التي خطط لها الصليبيون واليهود في مطلع هذا

القرن.

ودعاة الهلال الخصب لا يؤمنون بالوحدة العربية أو الإسلامية، وفي نظرهم إلى الأديان لا يختلفون عن حزب البعث العربي الاشتراكي الذي أسسه [ميشيل عفلق]، أو حركة القوميين العرب التي أسسها [جورج حبش]، إنهم دعاة إلى العلمانية، ومبادئ أحزابهم مقدّمة عند أتباعهم على أديانهم، ومن صيغة القسم عند القوميين: "... أقسم بشرفي أن أأخذ مبادئه عقيدةً لي ولعائلي وشعاراً لبيتي" ^(١).

ووجد النصيريون والنصارى والدروز في هذا الحزب بغيتهم المنشودة، فانتسبوا إليه، ولم يكن انتسابهم عن اقتناع بمبادئه وإنما اتخذوا منه واجهةً يجاربون من خلالها الوحدة العربية أو الإسلامية، وهاتان الوجدتان عقدة العقد عندهم.

وأهل سورية يعرفون جيّداً كيف كان الحزب القومي السوري يشق طريقه بقوة في كلّ من جبل الدروز وجبل النصيريين، وكيف تحوّل هؤلاء إلى بعثيين عندما دارت الدائرة على أنطون سعادة وأفل نجمه، رغم ما بين الحزبين من عداوة وتناقض، ولكن المصلحة الطائفية عند هؤلاء أقوى من الأحزاب والأفكار ^(٢).

(١) مبادئ الحزب طبعة عام ١٩٣٦ ونشوء الأمم لأنطون سعادة والمحاضرات العشر لأنطون سعادة عن [تطور الحركة الوطنية ص: ٢٥٥].

(٢) لم نتحدّث عن دور النصارى في الحزب القومي السوري، لأنه حزبهم، ومعظم قاداته منهم وعلى رأسهم أنطون سعادة، واكتفينا بالحديث عن دور النصيريين والدروز في الحزب.

ومؤلف كتاب [الدروز، مؤامرات، وتاريخ، وحقائق]، يتحدث في كتابه عن ضرورة وحدة الهلال الخصيب، ويشني على أنطون سعادة، ويعتبر قتله مؤامرةً اشترك في تدبيرها اليهود والنصارى والرجعية الإسلامية، -على حدّ زعمه- والشعوبيون، ونفّذها الرئيس السوري السابق الضابط حسني الزعيم. انظر إليه وهو يتحدث عن أنطون سعادة:

"ضرب الحزب السوري القومي وتصفية رئيسه:

لقد كانت هذه الحادثة من أبرز الحوادث، في عهد حكمه القصير بحيث تمكّن العميل الأميركي -أي حسني الزعيم- والباطني المتعصب لكرديته من إطفاء نور شخص كان ولا شك من أبرز رجال الفكر في بلادنا، ومن أكثرهم فهماً وعمقاً وذكاءً.

استطاع الزعيم سعادة أن يوجد فلسفةً متكاملةً، تجاوزت هياكل الأفكار المريضة، ونسفت ما فيها من خبث وانتهازية، وبسبب إصلاحه للفكر السوري سارع أعداء هذا الوطن لاغتياله. وذلك لأجل القضاء على التفتّح الاجتماعي ولإبقاء الوضع على حاله" (١).

ولنا على الحزب القومي السوري وأقوال المؤلف ملاحظات كثيرة نوجزها فيما

يلي:

(١) الدروز، مؤامرات، وتاريخ، وحقائق. فؤاد الأطرش، ص: ٣٠٩.

١- تصفية رئيس الحزب القومي السوري أنطون سعادة كان في نهاية الأربعينات، ثم كانت تصفية الحزب على يد حزب البعث في منتصف الخمسينات بعد اغتيال العقيد عدنان المالكي، ويحدثنا فؤاد الأطرش أنه كان بعثياً في منتصف الستينات، ومن الخطوط العريضة عند البعثيين رفض فكرة وحدة الهلال الخصيب واعتبار دعائها عملاء للامبريالية. وكتاب فؤاد الأطرش صدر في منتصف السبعينات، ولا نستطيع الجمع بين هذه المتناقضات إلا إذا قلنا: إن الدرزي يركب كل مركب من أجل طائفته، ولهذا كان الكاتب قومياً سورياً ثم صار بعثياً اشتراكياً، ثم أصبح هاشمياً عندما التجأ إلى الأردن^(١).

٢- من الجدير بالذكر أن أول مسؤول رسمي تحدّث عن وحدة الهلال الخصيب هو رئيس وزراء العراق السابق -نوري السعيد- سنة ١٩٤٢، في مذكرة سرّية قدّمها إلى وزير الدولة البريطاني لشؤون الشرق الأوسط وفي هذه المذكرة إشارات واضحة إلى ضرورة إقامة دولة يهودية في فلسطين ومسيحية في لبنان^(٢).

٣- جرت اتصالات درزية يهودية مع الحزب القومي السوري هدفها التعاون، والعمل من أجل تحقيق أهداف هاتين الطائفتين تحت إطار وحدة الهلال الخصيب، وكان يمثل الدروز زعيم من زعمائهم المشهورين اسمه -حسن أبو الركن-

(١) قلت: أول مسؤول رسمي أعني في إطار الحكومات العربية، أما في إطار الزعامات العربية

فقد ورد اسم الهلال الخصيب في محادثات وايزمن مع فيصل التي جرت بعد الحرب العالمية الأولى.

(٢) الصراع على سوريا، باتريك سيل، ص: ٢٨.

واليهودي أبو حوشي سكرتير مجلس عمّال حيفا، واجتمعوا بأنطون سعادة رئيس الحزب القومي السوري، واعتنق في هذه المدة المبدأ الماسوني وترأس محفل الكرمل في حيفا، وسيأتي تفصيل هذه الرواية عند حديثنا عن الدروز في فلسطين والجولان، علماً بأن لقاء أبي الركن مع أنطون سعادة وأبي حوشي كان في الثلاثينات.

وإذا كان الشيخ حسن أبو الركن قد لقي مصرعه سنة ١٩٣٨ تنفيذاً لأمر المفتي الحاج أمين الحسيني رحمه الله، فإن الزعيم الدرزي المشهور بخيانتته لحساب إسرائيل جبر معدي الدايش ما زال على قيد الحياة، ويتحدث الزعيم الدرزي اللبناني أمين الأعرور عن خيانة جبر الدايش وعن لقاءه معه في قريته -يركا- فكان مما قاله: "وكان جبر الدايش يومها منفذ المنفذين في الحزب القومي السوري ويرفع صورة أنطون سعادة في بيته" (١).

وتجلى تعاون القيادة الدرزية في الجبل مع الحزب القومي السوري من جهة، ومع القيادة النصيرية من جهة أخرى في مؤامرة ١٩٥٦ والتي سيأتي الحديث عنها بعد قليل.

وهذا هو السرّ في ثناء فؤاد الأطرش على الحزب القومي السوري وزعيمه أنطون سعادة. ويبدو أن حافظ الأسد قد عقد العزم على تحقيق هذه الفكرة بعد أن يلبسها ثوباً قومياً وحدوياً اشتراكياً ولنا عودة إلى موضوع الهلال الخصب في موضع آخر من هذا الكتاب إن شاء الله.

(١) الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي، غالب أبو مصلح، ص: ٥٥.

مؤامرة ١٩٥٦:

كان نظام الحكم في سورية سنة ١٩٥٦ ديموقراطياً برلمانياً، وكان لسورية في تلك الفترة تأثير على مجريات الأحداث في معظم الأقطار العربية، وكانت حرية الرأي التي يمارسها المواطنون تساعد على كشف المخططات الاستعمارية هنا وهناك.

وضاقت إسرائيل وأمريكا وإنجلترا ذرعاً بما يجري في سورية، وصمّمت على إسقاط النظام البرلماني، وقيام حكم عسكري يأخذ على عاتقه كمّ الأفواه، وفرض الإرهاب ومصادرة الحريات، وفي صيف ١٩٥٦ تشكلت لجنة ثلاثية -من أمريكا وإنجلترا وعراق نوري السعيد- مهمتها الإشراف على تنفيذ المؤامرة. واستنفرت هذه الدول عملاءها من السوريين، فكان ممن استجابوا لها:

١- الدروز، ومن أبرزهم: فارس الدوير، فضل الله أبو منصور، شقيب وهّاب، سليمان حمزة.

ولقد اعترف الأمير حسن الأطرش زعيم الجبل وعضو مجلس الأمة السوري بالمؤامرة والمهمة التي أسندت إليه، كما أنه اعترف بأن العراق زوّدت الدروز في الجبل بـ [٨٠٠٠] بندقية، أما سلمان حمزة أمين سرّ مكتب حسن الأطرش فقد اعترف أمام المحكمة بשרاء صحيفة [ألف باء] الدمشقية لتكون منبراً إعلامياً من منابر المتآمرين.

٢- النصيريون: وكان على رأسهم العقيد "غسان شديد" شقيق الزعيم البعثي العقيد صلاح شديد.

٣- الحزب القومي السوري في سورية ولبنان في شخص قائده الدكتور عبد الله سعادة.

٤- جماعة الشيشكلي في شخص أديب الشيشكلي وصلاح الشيشكلي.

٥- بعض القبائل الموالية للعراق، والتي تجاور الدروز في الجبل وبادية الشام.

٦- بعض عناصر حزب الشعب لأنه مرتبط بالعراق منذ بداية نشأته وكان حسن الأطرش وراء تجنيد عناصر من حزب الشعب، وزعماء بعض القبائل إضافة إلى الدروز.

وكان هدف المتآمرين إقامة وحدة الهلال الخصب. وثبت من خلال المحاكمة أن المؤامرة مؤلفة من فصلين:

الفصل الأول: يقوم الدروز بثورة في جنوب سورية، والنصيريون في شامها الغربي، وبدو نوري السعيد في بادية الشام.

الفصل الثاني: يقوم العسكريون: غسان شديد، صلاح الشيشكلي، الجناح العسكري في الحزب القومي السوري باحتلال دمشق في فترة يكون الجيش السوري وقوات الأمن متفرقة في جبل الدروز وجبال النصيرية وبادية الشام.

والذي حال دون تنفيذ المؤامرة أن أديب الشيشكلي تخلّى عن شركائه في المرحلة الأخيرة من المؤامرة، وأدّى تخليه إلى زعزعة ثقة الأطراف ببعضهم وتسرب الأخبار إلى أجهزة الأمن السورية.

وكان مقدراً لهذه المؤامرة أن تنفذ خلال العدوان الثلاثي [الإسرائيلي - الإنجليزي - الفرنسي] على قناة السويس، يقول الدكتور عبد الله سعادة:

"أصبح من الواضح بعد فشل الحركة أن مساندينا من الدول الكبرى وبريطانيا بشكل خاص قد وقّتوا المؤامرة لتتفق مع هجومهم على السويس"^(١).

بكل صراحة يعترف زعيم الحزب القومي السوري أن الدول الكبرى وقّت المؤامرة لتواكب هجومهم على السويس، ومعلوم أن إسرائيل كان لها القدر المعلن في ذلك الهجوم. وهذه واحدة.

أما الثانية: حقاً إن ملة الكفر واحدة مهما وقع بينهم من خلافات، فبين النصيرية والدروز عداً قديماً لا يزيده الزمن إلا رسوخاً وعمقاً، وبين الدروز والنصارى عداً مستفحلاً كانت مجازر سنة ١٨٦٠ واحدة من ثمراته، وبين الشيشكلي والدروز من جهة والنصيريين من جهة أخرى كره وحقد لا نظير له، لقد تناست كل الأطراف ما بينها من خلافات استجابةً لأوامر الإنجليز واليهود.

(١) الصراع على سورية، ص: ٣٣٦. ولم يكتب المؤلف باتريك سيل بما نشرته الصحف

السورية عن المؤامرة، بل اتصل ببعض المهتمين كحسن الأطرش وغيره ونقل اعترافاتهم له.

والذي نخشاه دومًا غفلة السطحيين من البدو وغيرهم الذي وقعوا في شباك هؤلاء، وقد تكرّرت المأساة عند الذين ينقصهم العلم والوعي السياسي والصدق من أبناء السُّنة. ومن قبل تمكّن [لورنس] من تجنيد عدد كبير من الأعراب في جيشه واستخدمهم ضدّ المسلمين الأتراك.

مؤامرة سليم حاطوم:

الرائد سليم حاطوم ضابط درزي، شارك في انقلاب الثامن آذار عام ١٩٦٣، وكان هو والمقدّم [محمد عبيد] قائديّ التنظيم الدرزي العسكري داخل حزب البعث، وكان له شأن في سياسة النظام السوري، وهو الذي هدم جزءًا من المسجد الأموي في دمشق، وقتل داخل المسجد عددًا من الدعاة إلى الله عام ١٩٦٤، في حين كان حمد عبيد قائدًا للقوات البعثية التي اعتدت على مدينة حماة، وهدمت جامع السلطان فيها.

وشقيق سليم حاطوم ضابط طيّار في جيش الدفاع الإسرائيلي، كما كان للرائد سليم صلات قويّة مع الجاسوس اليهودي [إيليا كوهين] الذي كان مسؤولاً عن شؤون المغتربين في تنظيم حزب البعث الحاكم، وقد اتخذ من شقة كوهين وكرًا لنفسه وفجوره.

وعندما كشفت السفارة الهندية في دمشق اتصالات كوهين بإسرائيل، واضطرّ الحزب لمحاكمته وكان صديقه حاطوم عضو المحكمة التي مثل أمامها كوهين، ومرة سأله رئيس المحكمة العقيد صلاح الظلي: هل تعرف من هو سليم حاطوم؟!

فأجاب كوهين: لا أعرفه، فقال رئيس المحكمة: كيف يقولون أنك صديق لحاطوم؟! وكانت بحق نكتةً سمجةً أخذ الناس يتندرون بها كيف لا يعرف كوهين صديقه حاطوم، وهل يُنتظر من جاسوس متمرس أن يكشف سرًا خطيرًا كهذا؟!!

ومن عملاء كوهين الضابط الدرزي [معذى زهر الدين] أحد قادة الحرس القومي البعثي، وثبت من اعترافات كوهين التي نشرتها صحف وإذاعة البعث أن معذى زهر الدين كان ينظّم للرفيق كوهين جولات داخل ثكنات الجيش، وبشكل أخص في المواقع العسكرية على حدود سورية مع فلسطين المحتلة - أي في الجولان -.

واضطرّ النظام البعثي إلى اعتقال الضابط زهر الدين وتقديمه للمحاكمة، ثم أصدرت عليه المحكمة حكمًا بالسجن ثلاث سنين، ولا ندري هل تكون هذه المدّة كافيةً لخائن كشف أسرار الجيش أمام جاسوس يهودي، كما أننا لا ندري هل سُجن فعلاً لا؟! كلّ الذي ندرية أن سليم حاطوم هو القاضي والمتّهم.

ومن الجدير بالذكر أن الضابط معذى زهر الدين يعمل اليوم في دولة خليجية في شبه الجزيرة العربية، فكيف سمحوا له بدخول بلدهم وهل يأمنون شره، متى يعلم هؤلاء أن إسرائيل مدينة لهؤلاء في حرب ١٩٦٧ وفي كلّ حرب خاضتها مع العرب.

نعود إلى الحديث عن سليم حاطوم:

كان يقود الدروز في صراعهم مع النصيريين داخل الحزب والجيش، وكان

الناس يعرفون إذا كان حاطوم منتصراً أو منهزماً من أغاني صديقته مطربة الحزب [لودي شامية]، فإذا انقطعت عن الإذاعة يكون حاطوم مبعداً، وإذا كثرت أغانيها علم الناس أن السيطرة لصاحبها.

وقبل حرب حزيران بقليل هرب حاطوم من سورية والتجأ إلى الأردن إثر محاولة انقلاب فاشلة، وفي الأردن راح يجمع الدروز ويدربهم ليغزو بعث النصيريين.

كتب فؤاد الأطرش عن مؤامرة حاطوم فقال: "وصلتُ عمّان فوجدت جبل الدروز كلّه يكاد ينتقل إلى الأردن، وكانت النعمة السائدة: تحرير سورية. فتساءلت مع ذاتي: تحرير سورية ممن؟! أنا أعلم علم اليقين أن سورية تستغيث في كلّ يوم لخالقها وتطلب أن يحرّرها من حكم البعثيين كلّهم وبصورة خاصة من حكم الدروز".

ويقّرّ الكاتب الدرزي بأن جميع الدروز مشتركون في المؤامرة:

"بعد أيام من وصولي إلى عمّان لاحظتُ أن أفراد عائلة الأطرش يتقربون من سليم حاطوم، لا بل يفرضون عليه اللقاء بشتّى الوسائل والضغط" (١).

ونحن من جهتنا لا نستغرب كلام فؤاد الأطرش: "وصلتُ عمّان فوجدت جبل الدروز كلّه يكاد ينتقل إلى الأردن".

(١) الدروز، مؤامرات، وتاريخ، وحقائق. ص: ٣٧٧.

لا نستغرب كلامه لأننا نعرف الدروز جيّدًا، ونعلم أن أهدافهم وعقائدهم خدمة العقيدة الدرزية، والانتماءات الحزبية عندهم [أي الانتماء لحزب البعث، أو الشيوعي، أو الحركة الناصرية، أو الحزب القومي السوري، أو الشعب] ليست أكثر من توزيع أدوار في مسرحية واحدة. فجلبهم كان بعثيًا عندما كان حاطوم حاكمًا، وكانوا أدوات البطش والعنف في أجهزة الأمن والجيش، وصدق فؤاد الأطرش: "إن سورية تستغيث في كل يوم لخالقها وتطلب أن يحررها من حكم البعثيين كلّهم وبصورة خاصة من حكم الدروز".

وعندما هرب حاطوم من سورية وتبعه العسكريون الدروز، وقف الجبل مرّة ثانية مع حاطوم، وأخذوا ينادون بتحرير سورية من شركائهم ورفاق دربهم في أسطورة البعث ورسالته الطائفية.

وبينما كان السوريون يستعدّون لتحرير فلسطين، وكان حافظ الأسد وصالح شديد وإبراهيم ماخوس يرتّبون دورهم الخياني في إخراج بلاغ سقوط القنيطرة عام ١٩٦٧، في هذا الوقت أُلقت السلطة النصيرية القبض على سليم حاطوم في حوران وهو يحاول تنفيذ المؤامرة، فاقناده إلى سجونها في دمشق، وهلك تحت التعذيب أي بالطريقة نفسها التي كان يعدّب بها الأبرياء.

تُرى: هل جاء تخطيط الدروز، وحاطومهم، مصادفةً مع حرب حزيران عام ١٩٦٧؟! ومن قبل جاءت مؤامرة ١٩٥٦ مع الاعتداء اليهودي على قناة السويس.

الدروز في حرب التحريك عام ١٩٧٣ :

في حرب رمضان سنة ١٩٧٣ كان الضابط الدرزي العقيد رفيق حلاوة آمراً للواء المرابط في القطاع الشمالي من الجبهة، وحدثت أن قامت إحدى كتائب هذا اللواء بتحرير جزء من الأرض المحتلة، وفوجئت قيادة الكتيبة بأمر يصدره قائد اللواء يقضي بالتراجع وإخلاء الأرض المحررة، ووقعت مشادة بينهم وبينه، ولم تكن تعليقاته مقبولةً في الموازين العسكرية.

وتكررت أوامر قائد اللواء السلبية، وكان من قبل عندهم موضع شك وريبة، وقطع شكهم باليقين عندما تم ضبطه وهو يحاول الاتصال بإسرائيل، وبعد تداول الأمر مع قيادة الجبهة تم تشكيل محكمة ميدانية، وأعدم رفيق حلاوة رمياً بالرصاص في ساحة القتال. ومن الجدير بالذكر أن قرى الدروز تقع في القطاع الشمالي الذي كان مسؤولاً عنه رفيق حلاوة.

وحدثت قصص مشابهة لقصة رفيق حلاوة في عدد من القطاعات العسكرية، وكان أبطالها دروزاً، وقابل الناس والعسكريون بشكل أخص هذه الأحداث ببالغ الاستياء، ووقعت اشتبكات كثيرة بين المواطنين والدروز داخل الجيش وخارجه في مختلف المدن السورية، بل وخارج سورية في لبنان ودول الخليج، وتدخل كمال جنبلاط وشيخ عقل الدروز، وكانت علاقة النظام السوري بهما لا بأس بها، فأعلنت السلطة البعثية أن رفيق حلاوة بطل من أبطال رمضان، وقد سقط شهيداً في ساحة القتال، وأقامت حفل تأبين له في الجبل.

يتعرّض الكاتب الدرزي فؤاد الأطرش لقصة رقيق حلاوة والتهمة الموجهة إلى الدروز، فلا يجد ما يقوله إلا الشتائم يوزّعها يميناً ويساراً، والافتخار بتاريخ الدروز ووطنيتهم، وأثار في ردّه النقطتين التاليتين:

الأولى: قال كيف يجوز لنظام يتعامل مع إسرائيل أن يتهم الدروز بالخيانة؟!

والجواب: لم يتهم النظام الدروز، وإنما جاء الاتهام من ضباط اللواء وهم مسلمون سنة، أما النصيريون وصعاليك البعث فكانوا يجرسون دمشق خوفاً من غضبة الشعب، وكانت السلطة مرغمةً عندما استجابت لضباط اللواء وأعدمت رقيق حلاوة.

وأخبارنا عن خيانة الدروز لا نتلقاها من الشائعات ولكن من واقع معرفتنا لهم، ومن بين ضباط لواء القطاع الشمالي إخوان وأقرباء لنا نثق بهم ونصدّق أخبارهم.

الثانية: ليس لأحد أن يتهم العقيد رقيق حلاوة بعد البيان الذي صدر عن السلطة، وبعد إقامة حفل تأبين لهم، وإكرام أهله.

والجواب: نحن لا نثق بالسلطة ابتداءً من جهة، ومن جهة ثانية، فهذه السلطة، وكلّ سلطة حكمت سورية كانت تخشى من إثارة النعرات الطائفية، وبشكل أخص مع الدروز، وعلى هذا الأساس فمن المستبعد أن تصرّح أي سلطة في بيان رسميّ بعمالة الدروز وتعاونهم مع إسرائيل.

ولمّا كان فؤاد الأطرش عالماً بهذه المشكلة ومدركاً لها، لهذا فهو يتحدّى أن تثبت أي جهة حقيقة ما يُنسب إلى الدرّوز من عمالة.

ونحن نحيله إلى سكان القرى الذين يجاورون [مجدل شمس، ومسعدة، وبقعاثا] في الجولان، ونحيله إلى سكان القرى المجاورة للجبل في حوران، بل فليعد إلى كتاب "الدرّوز في ظلّ الاحتلال الإسرائيلي" للكاتب الدرزي غالب أبو مصلح، أو فليعد إلى كتابه هو وليقرأ تصديقه على قول الحاكم الفرنسي الذي يصف به درّوز الجبل: "إن المحتجّين علينا يقبضون في الليل ويثورون في النهار".

وذكر هذه الشهادة لأنّ فيها ثناءً على أبيه وزعم أن الحاكم الفرنسي "سارازان" قال: الرجل الوحيد الذي لا يقبض منا هو "يوسف هلال الأطرش"، هؤلاء هم الدرّوز بشهادتك يا فؤاد باشا ومن يقبض من الفرنسيين يقبض من اليهود ومن الشيطان لو استطاع.

ولا نريد أن نذهب بعيداً فبعد حرب التحريك عام ١٩٧٣، كان الأمير "حسن الأطرش" لاجئاً سياسياً في دولة عربية مجاورة لسورية، وذات مرّة اكتشفت مخبرات هذه الدولة أن الأمير الدرزي دخل الجولان المحتلّ عن طريق عسكريين دروز يرابطون على حدود هذه الدولة، وشاع الخبر بين السياسيين السوريين الملتجئين إلى هذه الدولة، وتحذّث الناس عن لقاءات عقدها الزعيم الدرزي مع أركان النظام الإسرائيلي والزعماء الدرّوز في الأرض المحتلة.

وأُخرجت الدولة المضيفة فأهملت حراسته أو تفاهمت مع النظام السوري الذي قام باعتقاله والتحقيق معه، ثم أُفرج عنه بسبب مرضه، ووساطة ابن عمه سلطان باشا، وأهلكه الله بعد خروجه من السجن، وبقي الخبر سرًّا خوفًا من غضب الدروز.

الدروز في فلسطين والجولان

- لحة عن عدد الدروز وقراهم.
- دروز يردون على جنبلاط.
- القيادة الدرزية في خدمة إسرائيل.
- أثر الدروز في مناهج التعليم.
- الدروز في خدمة الجيش الإسرائيلي.
- الدروز في خدمة أجهزة الأمن الإسرائيلية.
- الجمعيات والصحف الدرزية.
- لقد حصص الحق.

لمحة عن عدد الدروز وقراهم:

يتوزع دروز فلسطين على ثماني عشرة قرية، اثنتان منها في جبل الكرمل وهما دالية الكرمل وعسفايا، وست عشرة قرية في الجليل وهي: شفا عمرو، المكر، جولس، أبو سنان، جت، يانوح، كفر سميع، كسرى، البقيعة، حريفش، بيت جن، عين الأسد، الرامة، ساجور، المغار، وهي قرى جبلية وعرة المسالك فقيرة التربة. كما أن إسرائيل قد أسكنت ٥٠٠ عامل منهم مع عائلاتهم قرب ميناء إيلات في الجنوب، حيث يعمل هؤلاء كعمال في الميناء.

وبلغ عدد الدروز في فلسطين في نهاية سنة ١٩٤٨ حوالي ١٤ ألف نسمة، أما الاحصاءات الإسرائيلية الرسمية فلا تذكر أرقامًا خاصةً بالدروز، بل تضيف إليهم الأقليات الأخرى، من بهائيين وشركس وغيرهم، وتقول هذه الاحصاءات إن عدد الدروز والأقليات الأخرى كان ١٦ ألف سنة ١٩٤٨ وارتفع عددهم إلى ٣٧ ألف حتى ١٩٧١/٣١/١٢، أما عدد سكان فلسطين المحتلة فقد بلغ في نهاية سنة ١٩٧١ [٣٨٢٣٠٠] نسمة حسب الاحصاءات الرسمية الإسرائيلية، واليهود لا يعتبرون الدروز من العرب.

ويتوزع الدروز في الجولان على أربع قرى في القطاع الشمالي وهي: بقعاشا، مسعدة، مجدل شمس، وعين قنية. ويبلغ عدد سكان هذه القرى ١٠ آلاف نسمة^(١).

أما عدد السكان العرب في الجولان فيزيدون على ١٠٠ ألف نسمة حسب الإحصائيات التي سبقت هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧^(٢).

ومن الجدير بالذكر أن العدو الإسرائيلي أخرج المسلمين من الجولان بعد احتلاله لها، وأبقى الدروز في قراهم، كما أبقاهم في فلسطين المحتلة من قبل.

يقول كمال جنبلاط في تفسير هذه الظاهرة:

"... ولكن الدرزي من الحكمة بحيث أنه لا يتخلى عن أرضه متى جاء المحتل. والواقع هو أنه شديد الارتباط بأرضه وبمرايع طائفته. ثم لماذا الهرب؟ فخير للمرء أن يبقى على أن يترك موضعه للآخرين، وهذا هو المبدأ الذي طبقه الدروز عام ١٩٤٧ و ١٩٤٨ عندما حاول الإسرائيليون طرد العرب".

(١) حبيب قهوجي، العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي منذ ١٩٤٨، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٢، ص: ٢٢، عن ملحق جروسالم بوست الأسبوعي في ٣٠/٣/١٩٧١، عن كتاب [الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي، ص: ٥٠].

(٢) سقوط الجولان، ص: ٣٨، أما دروز الجولان فقد اعتمدت على معلوماتي ومعرفتي الشخصية لهذه القرى، وكذلك ما نشرته بعض الصحف، انظر السياسة ٢٠/٥/١٩٨٢.

ويمضي جنبلاط في ثنائه على شجاعة الدروز وصبرهم ونظرهم للمستقبل إلى أن قال:

"وإذن فإن الدروز بقوا هناك وتدبروا أمورهم بحيث لا يستولي القوم على الكثير من أراضيهم، وبحيث يتمكنون من تحمّل هذه الحياة المشتركة مع الإسرائيليين، وأعتقد شخصياً أنه لو أن الآخرين قلدوا الدروز بدلاً من الهرب، إذاً لما كان هناك مشكلة إسرائيل، لأنهم ما كانوا سيتركون هذا الفراغ الذي يبلغ حجمه مليون ومائتي ألف إنسان. وتأمل معي في إسرائيل يقطنها مليون وستمائة ألف عربي درزي ومسيحي وسني، إذاً لما كان الإسرائيليون سيتمكنون بادئاً من استجلاب الكثير من اليهود من الخارج، كما أن الفلسطينيين كانوا سيشاركون بسهولة وعلى مستوى واحد في اقتصاد إسرائيل، وبالتالي في السلطة السياسية. وكانوا سيشاركون في الحكومة ويكونون أقليةً قويّةً فعالةً في البرلمان".

وإذن فكما ل جنبلاط يرى أن الذين خرجوا من فلسطين المحتلة خرجوا عن جبن منهم وخوف على أرواحهم ثم يتساءل: "لماذا الهرب؟"، ثم يقدم لنا درساً عن بطولة الدروز واستخفافهم بالحياة فيقول: "... فهم يرون أنه ما من فرح إلا وهو مختلط ببالغ العناء، وما من هبوط إلا ووراء صعود، وليس ثمة من موت بالمعنى الحقيقي للكلمة^(١)، لأن الميت لا يفعل سوى أنه يبدّل لباسه الجثثاني:

(١) يشير جنبلاط في هذه العبارة إلى "التقمص" وهو ركن من أركان العقيدة الدرزية ومعناه أن الجسد قميص للنفس، بل ثوب يخلق، وبيت يتهدم. فإذا بلي القميص انتقلت النفس إلى قميص

فتبديل الأجسام كتبديل القمصان أو كما جاء في كتاب الحكمة: [ولا تخافوا من تمزيق أقمصتكم] أي ولا تخافوا من تمزيق جسدكم. وجاء فيه أيضًا: [ولا تخشى عدوك، فإن خشيتك له تعطيه سلطانًا عليك] " (١).

لقد أبعده جنبلات النجعة مرتين:

مرّة عندما زعم أن استخفاف الدروز بالحياة مكّنهم من البقاء في قراهم في فلسطين والجولان، تُرى أين هذه الشجاعة في حرب لبنان ١٩٧٥؟!

هل نسي جنبلات -وهو الزعيم الدرزي- أنه كان يجارب الموارنة بأبناء السنة ودروزه في قراهم لا يجرّكون ساكنًا؟!

إن ملاحم تلّ الزعتر والكرنتينا وغيرهما لم يساهم فيها درزي واحد مع أن جنبلات هو القائد الأعلى، ولقد رأى بعينه تآمر الجيش النصيري، والطابور الخامس في لبنان -منظمة أمل- والموارنة واليهود والدروز جميع هؤلاء تآمروا على

آخر ومن هنا جاءت كلمة التقمّص. عن كتاب [أصل الموحّدين الدروز، لأمين طليح]. وفي الصفحة ٥٥ من كتاب جنبلات "هذه وصيتي" يدافع عن التقمّص ويروي قصة شاب مسيحي في جنوب لبنان أخبره أنه يعيش حياةً ثانيةً، وأنه قبل ما ينوف عن القرن بقليل كان يعيش في ميونخ، وعندما ذهب إلى هناك عثر على منزله وقبره وكافة ما كان مألوفًا لديه!! وما يدرينا أن هذا الشاب المسيحي اخترع هذه الرواية ليسخر من عقيدة الدروز. أمثل هذه الأساطير بينون تصوراتهم؟ لا ندري كيف كان جنبلات يجمع بين دعوته إلى العلمانية وهذه الخرافات؟!

(١) هذه وصيتي لكمال جنبلات ص: ٥٥ و ٥٦.

الفلسطينيين في لبنان، وهذا الذي حصل في ١٩٤٨.

وأبعد جنبلاط النجعة مرّةً أخرى عندما راح يصوّر لقرائه أن بقاء الدروز في فلسطين والجولان المحتلّين كان عفويًّا، ولم يخطط له اليهود والدروز معًا.

لقد تحدّث بن غوريون سنة ١٩٣٧ عن الدويلات الطائفية، وقامت وزارة الدفاع الإسرائيلية بنشر خطة لإقامة دويلات طائفية في طليعتها الدولة الدرزية.

كان ذلك في الخمسينات ثم في الستينات، لم تكن هذه الوثائق سريةً، بل وقد اعترف -كمال كنج- أنه أطلع جنبلاط على خطة عرضها اليهود على الدروز.

وموضوع الدولة الدرزية سيأتي الحديث عنه في فصل قادم إن شاء الله، ومع ذلك سنختار مثالين من كتاب "الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي":

دروز يردون على جنبلاط:

الدليل الأول: أدلى [سليمان فلاح] الذي عمّنته السلطات الإسرائيلية مفتشًا في وزارة المعارف بتصريح إلى صحيفة معاريف في ١٩/٦/١٩٦٦ قال فيه:

"إن حركة القومية العربية فشلت في تجنيد الدروز في الحرب ضدّ اليهود وضدّ قيام دولتهم. ولم يشتركوا في الهجمات العربية ضدّ المستوطنات اليهودية، ومع قيام حرب الاستقلال [أي حرب ١٩٤٨ التي انتهت بسقوط فلسطين بيد اليهود هكذا يسمّيها المجرم حرب الاستقلال] عقد في دالية الكرمل مقابلة سرّية بين قادة الهاغاناه وبين قادة الطائفة في البلاد ورسل من جبل الدروز وفي هذه المقابلة وافق

الجميع وتحفظ الدروز من الحرب اليهودية العربية. وبسبب هذا طُرد أديب الشيشكلي من قرية بين جن الدرزية -أيام جيش الإنقاذ- وقد منعت هذه الاتفاقيات العرب من أن يتخذوا قواعد لهم في المناطق الدرزية، وعلى ضوء هذه الاتفاقية يتضح أيضًا سبب تجميد الكتبية الدرزية التي أتت من سورية وتمركزت في شفا عمرو عام ١٩٤٧" (١).

الدليل الثاني: يتحدث ولد الشيخ حسن أبي الركن عن أبيه فيقول:

"لقد علمت من السادة حسين عزّام وفايز حسون وعبد الله شروف والشيخ لبيب أبي الركن، ومن معارفه اليهود الذي عمل معهم [جول امسطر، ونوح الباجوري، وأبا حوشي]، أنه بعد ما ظهر اتجاه عند المسؤولين اليهود للتقرب من الطائفة الدرزية، بغية إيجاد أصدقاء لهم بين مواطني، وقع اختيار الهاغاناه على والدي الذي أنيط به سنة ١٩٢٧ أن يوزع منشورًا على الطائفة الدرزية من قبل [إسحاق بن تسفي] يدعو للتعايش بين اليهود والدروز.

فقد المهمة وازدادت الروابط بين الهاغاناه وأهالي عسفيّا، وانضم عدد من الدروز لمنظمة العمل المستدروت، واشتركوا في أول أيار. ثم اتسع عمل والدي، فشمّل القرى المسيحية والإسلامية. اتصل مع عائلة الناشيبي وآل خضرة، ثم سافر برفقة المرحوم أبا حوشي سكرتير مجلس عمّال حيفا، إلى سوريا ولبنان،

(١) العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي، حبيب قهوجي [عن كتاب الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي، ص: ٥٢]، وسليمان فلاح من الدروز الذين ينظرون سياسة الاحتلال في مناهج التعليم.

واجتمع بشخصيات منهم [أنطون سعادة] رئيس الحزب القومي السوري آنذاك، واعتنق هذه المدة المبدأ الماسوني وترأس محفل الكرمل في حيفا.

ولما اشتدّ الخطر على المستوطنات اليهودية قام بمساعدة أصدقائه بحراسة المستوطنات اليهودية وشراء الأسلحة التي كان يجادها من أصعب الأمور لليهود. ثم سافر برفقة أبا حوشي وحسين عزّام إلى الرامة واستطاعوا أن يقنعوا العصابات التي أتت من خارج البلاد لتضرب المستوطنات اليهودية من حيث أتت.

وفي سنة ١٩٣٦ قام أبا حوشي مع دافيد هوز ولفيف من رجال الهستدروت والوكالة اليهودية، بإهدائه جهاز راديو، وهو أول جهاز وصل إلى عسфия، ذلك كرمز للتعاون والصدّاقة.

وبعد أن وصل خبره إلى الهيئة العربية العليا التي كانت تحارب كلّ متعاون مع اليهود، طُلب إلى جلسة أمام مخاتير قريتي عسфия ودالية الكرمل، وأُنذر إما أن يتراجع وإما أن يُقتل، فأقنعهم ببراءته، لكنه استمرّ في عمله بواسطة حاكم لواء الشمال وذوي المقاصد، ثم نُفي إلى عكا بعد أن لم يستطيعوا سجنه أو قتله، لكن المفتي كان قد أصدر الأمر بقتله، فاختطفه مسلّحون إلى قرية كوكب أبو الهيجا قرب طمرة، وتدخّل الزعيم صالح سليمان ذياب من طمرة لإنقاذه لكنه لم ينجح. وقُتل في شهر أيار سنة ١٩٣٨، بعد أن وضع خلال عشر سنوات الحجر الأساس

للعلاقة اليهودية الدرزية" (١).

وإذا بالغنا في حسن الظن بكمال جنبلاط وقلنا: إنه لا يعرف مثل هذه المعلومات، فماذا نقول عن مشروع الدولة الدرزية المتفق عليه بين اليهود والدروز في الجولان وفلسطين المحتلة؟!

إن دروز الجولان أخبروا جنبلاط عن طريق المحامي الدرزي [كمال أبو لطيف]، وطلبوا أخذ رأيه فيما إذا كان من المصلحة إبلاغ بعض الأنظمة العربية أم لا.

ولو افترضنا أن هذه المعلومات ليست أكثر من شبهات يثيرها أعداء الدروز، أفلا تستحق عند جنبلاط مجرد الإشارة إليها وبيان ما فيها من افتراءات لا أصل لها؟!، وبعد هذين المثالين ننتقل إلى عرض أوسع عن علاقة الدروز باليهود.

(١) مجلة الهدى، العدد السادس، تشرين الثاني ١٩٧٢ [عن كتاب الدروز في ظل الاحتلال

الإسرائيلي ص: ٥٨].

القيادة الدرزية في خدمة إسرائيل:

١ - القيادة السياسية:

في ردّنا على كمال جنبلاط تحدّثنا عن تعاون الدروز مع اليهود، وضررنا مثالين على ذلك، وبيّنا أن بداية هذا التعاون كانت سنة ١٩٢٧، وسنمضي في الحديث عن ارتباط القيادة الدرزية في الأرض المحتلة بالنظام الصهيوني بشكل أوسع. ساهم في عضوية الكنيست الإسرائيلي عن الدروز:

جبر الداهاش معدي في جميع دورات الكنيست، ولييب أبو الركن منذ عام ١٩٥٩ وإلى عام ١٩٦١، وصالح خنيفس منذ عام ١٩٥١ وإلى عام ١٩٥٥.

ويقول الكاتب الدرزي غالب أبو مصلح عنهم:

" وثلاثتهم كانوا عملاء مخبرات الهاغاناه قبل اغتصاب فلسطين".

وتردّد النظام الصهيوني في منح هؤلاء وسام الاستحقاق فغضب جبر معدي وقال: "أنا الذي مقابل ٤٠ ليرة حقيرة في الشهر عرضت نفسي للخطر بخدمة جهاز المخبرات الإسرائيلي: أهكذا يفعلون الآن بمعدي"، ويقول: "إن الوسام الدس أستحقّه عن جدارة وليس عن منّة" (١).

(١) الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي ٥٧ و ٢٠٧. عن صحيفة الاتحاد الصادرة في الأرض

وفي عام ١٩٧١ عيّنت إسرائيل جبر معدي نائبًا لوزير المواصلات، وهو منصب حسّاس لا يُسند إلى لمن يثقون به.

وقد يظن بعض الناس أن جبر معدي مفضوح أمره، وهذه هي سيرته عند الدرّوز وغيرهم في الأرض المحتلة، والذي نريد أن نقوله: إن جبر معدي مثل في يوم من الأيام دور البطل الوطني وإليكم موجزًا لقصّته كما رواها السياسي اللبناني الدرزي [أمين الأعور].

رفض دروز بيت جن ويركا دخول جيش الإنقاذ إلى تينك القريتين، وكان الفوج بقيادة أديب الشيشكلي، وكُلف فوزي القاوقجي أمين الأعور حلّ المشكلة، وقابل الأخير جبر معدي -صاحب القرار- وفهم منه أن المشكلة تُحلُّ إذا تمّ طرد [أبو إبراهيم الكبير] قائد الفصيل الفلسطيني في فرقة أديب الشيشكلي لأنه اعتدى على فتاتين درزيتين سنة ١٩٣٦.

واستجاب الشيشكلي لطلب جبر معدي، وتحوّل أمين الأعور برفقة جبر الدايش معدي ومرزوق معدي في القرى الدرزية وسجّلوا أسماء المتطوّعين بعد أن أعلن جبر انضمامه للثورة.

وفي صيف سنة ١٩٤٨ قَدِمَ جبر ومرزوق معدي إلى عالية لمقابلة فوزي القاوقجي فلم يجدها، فتوجّها إلى قرنايل لمقابلة أمين الأعور الذي كان يقضي فترة نقاهة بعد خروجه من المستشفى وتوجّها معه إلى بيروت لمقابلة فوزي القاوقجي وقال له: "يابتعطونا سلاح أو بنمشي مع اليهود" ولم يكن هناك سلاح. كان ذلك

في أواخر أيام القتال.

ويقول أمين الأعور: "وعاد جبر الداهاش إلى فلسطين وبعد أقل من شهر واحد قيل: إن هناك فصيلاً درزياً يقاتل مع اليهود".

ويذكر أمين الأعور أن قصة جبر الداهاش أكبر من قضية السلاح، ومن أدلته على ذلك: أن استطلاع جيش الإنقاذ رصد قافلةً يهوديةً تخرج دورياً من نهاريا إلى جدّين وتمرّ ببلدة عربية اسمها الكابري وتقرّر أن يُنصب لهذه القافلة كميناً على مقبرة الكابري، وأُخبر جبر الداهاش بالقافلة والكمين الذي سيشارك هو فيه مع رجاله، وذهب جبر الداهاش مع رجاله إلى الكابري ونصب اليمين. ولكن القافلة لم تمر ولم يقاتل الشيخ جبر.

وفي وقت لاحق نصب كميناً للقافلة نفسها وفي المكان نفسها دون أن يعطي جبر الداهاش علماً بالموضوع ف وقعت القافلة اليهودية في الكمين^(١). ثم جاء تصريح جبر معدي: أنه كان عميلاً لجهاز المخابرات الإسرائيلي.

تُرى كم خائناً درزياً لبس ثوب الوطنية، وطعن هذه الأمة في أوقاتهما، ومكّن اليهود من نحور المسلمين؟!

وقصة جبر الداهاش تذكّرنا بكتاب [الدروز، مؤامرات، وتاريخ وحقائق].

(١) المصدر السابق، ٥٦، ٥٧.

لقد شنّ مؤلف هذا الكتاب حملات مسعورةً ضدّ المسلمين في سورية لأنهم يتّهمون الدروز بالعمالة لإسرائيل، وكان مما قاله:

"وفي قضية اعتقال دروز مجلس شمس في نهاية الأربعينات وإلصاق تهمة التجسس بهم، كان هذا العمل مدروسًا ومتفكّرًا عليه، ومأجورًا من دولة الأعداء، وكانت الغاية منه تحقيق سياسة الترهيب والترغيب انطلاقًا من خيانة الشعبين لعروبة سوريا، وإنني أتحدّى كلّ من يقول العكس لابل نطلب لجنةً عربيةً لإعادة فتح التحقيق ودراسة مضاعفات القضية. وفي عام ١٩٦٧ وُجّهت تهمة سقوط الجولان للدروز فثارت الغوغاء كعادتها على المناضلين. وفي عام ١٩٧٣ وُجّهت نفس التهمة إلى البطل رفيق حلاوة واعتُبر سبب سقوط الجولان"^(١).

وردّنا على قول فؤاد الأطرش ما يلي:

١- دروز مجدل شمس لم يتّهموا مرّةً بل مرّات كثيرة وليس في عهد واحد بل في أنظمة متعاقبة ومتناقضة، ومنهم من صدر حكم ضده، ومنهم من خشيت السلطة من نفوذه الطائفي فلم تحرك ساكنًا، وأهل القرى المجاورة لمجدل شمس في القنيطرة يعلمون وضع هذه القرية وصلات أهلها مع اليهود، وكيف كانوا ينقلون أخبار الجيش السوري إلى المخابرات الإسرائيلية، وكان ذكر اسم هذه القرية أو بقعائها أو مسعدة يعني القرى الموبوءة!!

(١) الدروز. فؤاد الأطرش ٣٤٣.

٢- يطلب فؤاد الأطرش لجنةً عربيةً لإعادة فتح التحقيق، فأى نظام في سورية سبق وأن اتهم الدروز بشكل صريح!؟

حتى نظام الشيشكلي لم يتهم الدروز كلهم ولكن اتهم خصومه في الجبل، فالقضية التي يثيرها الكاتب الدرزي لا يعترف بها أي نظام، وعلى العكس كل نظام يشيد بوطنية الدروز، وأي حزب علماني يتقرب إلى الدروز ويخطب ودهم.

إذن فما هي مهمّة اللجنة العربية التي يطالب بها فؤاد الأطرش، والقضية التي يثيرها لا يعترف بها النظام رسمياً، ومن ثم فهي من شأن جهاز مخابراته التي لا يُسمح لأي نظام أن يتدخل في شؤونها، وليس من عادة الأنظمة العربية أن تتدخل في الشؤون الداخلية لدولة من الدول.

ونحن هنا ننقل كلامهم الرسمي أما التدخلات السرية فلسنا في صدد الحديث عنها، وليست هي المعنيّة في كلام الكاتب الدرزي.

وإذن فليس هناك أي معنى لتحديّ فؤاد الأطرش!

٣- في حديثنا عن خيانة الزعيم الدرزي جبر داهش -وكيف لبس لبوس الوطنية في عام ١٩٤٨- نقلنا شهادة الدروز الذين لا يقلّون تعصّباً عن فؤاد الأطرش.

وسننقل فيما يلي شهادة الدروز أنفسهم عن خيانة زعيم الدروز في الجولان وزعيم مجدل شمس بالدرجة الأولى.

يقول غالب أبو مصلح:

"وبعد احتلال هضبة الجولان، عملت السلطات على خلق الزعامة التي تؤمن مصالحها، فاختارت الشيخ "سليمان" بعد أن رفض غيره التعاون مع سلطات الاحتلال. وطريقة إبراز الشيخ سليمان كانت تقليديةً بالنسبة للحكم الإسرائيلي.

يقول أحد المزارعين الشيوخ من مجدل شمس:

لي قطعة أرض في [الأرض الشرقية] منعوني من الوصول إليها إلا بموجب تصريح، لكن الحاكم العسكري رفض إعطائي التصريح إلا على يد الشيخ سليمان وهو من عملاء السلطة، وسمسار تفّاح تشارك مع سمسار في إسرائيل اسمه [لبيب] وربح عشرات الآلاف من الليرات وخسرنا نحن مئات ألوف الليرات من وراء سمسرتهم" (١).

والشيخ سليمان الذي تعمّد الكاتب الدرزي إخفاء كنيته هو سليمان كنج زعيم الدروز في هضبة الجولان وهو صاحب العبادة التقليدية عند الدروز، وابن عم كمال كنج -الذي فوّضه اليهود من أجل إقامة الدولة الدرزية-، ومن الطوائف الجديرة بالذكر أن بيت كنج هذا وعلى رأسه كمال وسليمان، كان بعثياً عقلياً ثم صار بعثياً أسدياً ثم صار يهودياً هكذا فالناس على دين ملوكهم.

(١) الاتحاد ٢/ ١/ ١٩٦٨ [عن الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي ص: ٢٠٧، ٢٤٨].

وإذن فلسنا وحدنا الذين نقول: إن مجدل شمس وكر من أوكار التجسس لمصلحة إسرائيل، فهذا هو الكاتب الدرزي غالب أبو مصلح يؤكد لنا هذه الحقيقة، وتختلط أقواله مع أقوال الدروز في أرضنا المحتلة، وجميعهم يثبت تورط سليمان كنج مع إسرائيل، ونزفُ إلى فؤاد الأطرش خبراً آخر:

"أكدت الأنباء الواردة من دمشق أن السلطات الإسرائيلية قد بدأت مؤخرًا بإنشاء ما يُسمى بـ "الحرس المدني" وذلك في نطاق خطة تهدف إلى شقّ الوحدة في المرتفعات، وإلى تشكيل رديف لما يُسمى بـ "روابط القرى" في الضفة.

وأشارت هذه الأنباء إلى أن إسرائيل استطاعت إيجاد قلة ضئيلة ممن يتعاونون معها وقررت تسليمهم السلاح، وتنظيم دورات تدريبية لهم وتسميتهم باسم الحرس المدني^(١).

نعود بعد هذا كله إلى تحدي فؤاد الأطرش فنقول: هؤلاء الدروز^(٢) يتحدثون عن خيانة سليمان الكنج من منطلق الدفاع عن الدروز، وسليمان الكنج قائد لهم وورث الزعامة عن آباءه وأجداده فهو في الجولان كالأمر حسن أو سلطان في الجبل، ومثل كمال جنبلاط في لبنان، ومن سبر غور الدروز يعلم مدى تمسكهم بقيادتهم، وعمق طاعتهم لهم واستعدادهم المطلق لتنفيذ أوامرهم.

(١) الصحف العربية ٢٠/٥/١٩٨٢، ومنها السياسة الكويتية.

(٢) غالب أبو مصلح قدّم خدمات للدروز أكثر من فؤاد الأطرش في كتابه، وليس متهمًا عند

وها هي الصحف العربية الصادرة في ٢٠ / ٥ / ١٩٨٢ تنقل عن مصادر رسمية في دمشق أن قلة ضئيلة من دروز الجولان يتعاونون مع السلطات المحتلة، وستثبت لنا الأيام القادمة أن الذين يتعاونون مع اليهود ليسوا قلة بل إن جمهور الدروز يسير في هذا الخط، وما ينشر عن وطنيتهم، ومقاومتهم لليهود ليس أكثر من ذرّ للرماد في عيون العرب، أما سياسة توزيع الأدوار بين كمال وابن عمه سليمان فستحدث عنها في فصل قادم إن شاء الله.

٢- المثقفون الدروز:

يعمل المثقفون الدروز في أجهزة النظام الإسرائيلي، وفي وظائف وأعمال تدلّ على ثقة اليهود بهم. ومن هؤلاء:

- سلمان فلاح مفتش في المعارف على المدارس العربية، ومن أبرز الذين يضعون مناهج التعليم العربية.

- الدكتور زيدان عطشه: كاتب، ويعمل قنصلاً للإعلام في السفارة الإسرائيلية في نيويورك، ووقع الاختيار عليه ليلعب دورًا مع دروز المهجر في الأمريكيتين.

- كمال قاسم من أعيان الدروز في هضبة الجولان ويصدر مجلة اسمها [الدروز] وهو الذي يقول: "لديّ تواقع من أهالي الهضبة تبرّر مطالبة الحكومة بضمّ الهضبة إلى إسرائيل".

وهناك عدد كبير من الدروز يعملون في الإذاعة والصحافة، وفي أجهزة الأمن والمخابرات ومن أشهرهم: كمال منصور، سلمان ذيب فرج، ومصباح حلبي، ومير فارس. إضافةً إلى الأسماء التي ذكرناها في الصفحات السابقة.

ويتبارى هؤلاء في إصدار التصريحات التي يؤيدون بها إسرائيل، ويباركون التعاون اليهودي الدرزي، ويتبرأون من أية وشائج تربطهم مع العرب. ومن ذلك قول كمال منصور عندما رشّح نفسه للكنيسة: "لقد كنا ومازلنا طلائع التعاون مع الشعب اليهودي في هذه الديار قبل قيام الدولة"^(١).

٣- القيادة الدرزية:

الدروز عند جنبلات كلهم شهامة ووطنية وتضحية، وفي طليعتهم دروز فلسطين والجلولان، وكأنه لا يقرأ أخبارهم ولا يسمع ما يُقال عنهم، وعندما يتطرق إلى شيخ عقلهم يقول:

"..إنهم بعيدون الآن ولكن لديهم رئيس روحي رفيع يقودهم، وهو لا يزال على الرغم من سنّيه الثمانين، أمثلة في الحكمة والتعقل.." ^(٢).

كان ثناء جنبلات على [أمين طريف] شيخ عقل الدروز في فلسطين المحتلة سنة ١٩٧٨، وفي التاسع من حزيران سنة ١٩٦٧ نشرت إذاعة إسرائيل وصحفها،

(١) الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي، ص: ٢٠٧، ٢١٣، ٢٥٦.

(٢) هذه وصيتي، كمال جنبلات ص: ٥٨.

ووكالات الأنباء العالمية برقية التهئة التي أرسلها إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي بمناسبة عودة القدس إليهم، انظر إلى قوله: عودة القدس!! يعني كانت القدس مغتصبةً مستعمرةً من قبل المسلمين ثم عادت لأصحابها الشرعيين!!

ويمرّ فؤاد الأطرش على هذا الخبر في كتابه ص ٣٥٦ فلا يستطيع أن ينكره.

هذه واحدة عن شيخ العقل الذي وصفه جن بلاط فقال: "ولكن لديهم رئيس روحي رفيع يقودهم..." ثم وصفه بأنه أمثلة في الحكمة والتعقل.

أما الثانية: فلنستمع إلى شهادة الدروز أنفسهم عن شيخ عقلمهم:

- يتحدث كمال كنج عن مؤامرة إسرائيل لإقامة الدويلات الطائفية، ومن الزعماء الدروز الذين ساهموا في إعداد هذه المؤامرة شيخ العقل أمين طريف الذي زار دروز هضبة الجولان في مجدل شمس أكثر من مرةً وأفهمهم بأنه أوصى موسى دايان خيرًا بالدروز وأن دايان وعده بتنفيذ كافة مطالب الجولان^(١).

- كتب عاصم الخطيب أحد قادة لجنة المبادرة الدرزية رسالةً مفتوحةً إلى غولدامائير، نقل منها ما وصف به شيخ عقل الدروز أمين طريف: "...تحاولون سلخ الدروز عن العرب، تحاولون خلق -تاريخ خاص- بهم.. تقولون على لسان رئيسنا الروحي... ساحمه وساحكم الله... إن النبي شعيب زوج إحدى بناته من النبي موسى ولهذا نحن أبناء عمّ الشعب اليهودي [مشايخ الدين ينكرون أنه كان

(١) الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي ص: ٢٤٩.

للنبي شعيب بنات لأنه لم يتزوج] أهكذا يا سيدتي، بجرّة قلم على كراس صغير تزوجون نبينا بدون دعوتنا إلى حفلة الزفاف^(١).

وفي الرسالة دليل واضح على أن شيخ عقل الدروز مطوع لأوامر النظام الإسرائيلي.

- انقياد الزعماء الدينيين في الطائفة الدرزية تحت قيادة أمين طريف لليهود أثار روح التهكم في نفوس بعض أبناء الطائفة. كتبت مجلة الهدى في هذا السياق متهمّة تقول:

"ولقد قرّرت الحكومة استدعاء الشباب الدروز للتجنيد الإلزامي بناءً على طلبات وجهاء الطائفة، ولقد وافقت على الدمج استجابةً لطلبات مشايخ الدروز، وقرّرت كذلك تمديد عمل القاضي الدرزي إلى سنّ السبعين تلبيةً لشيوخ الطائفة، كما وقرّر وزير العمل إخراج معالجة شؤون الدروز من مكتب السيّد حبوشي، ثم قرّر إعادتها إلى مكتبه ثم قرّر إخراجها، كلّ ذلك حسب توجيهات مشايخ الدروز، ثم قرّر إلغاء قراره تلبيةً لمطالب الشيوخ"^(٢).

وعن التجنيد الإجباري ودور شيوخ الطائفة كتبت مجلة الهدى تقول:

"وإذا ابتعدنا عن الناحية الشخصية نرى أن قضية تجنيد أولاد الزعامة هي

(١) المصدر السابق، ص: ٢٤٠، ما بين القوسين للكاتب عاصم الخطيب.

(٢) المصدر السابق ص ٢١٧، عن الهدى العدد ٣ ص: ٤.

مشكلة طائفتنا. فمعظم الزعماء والشيوخ وأصحاب الحول والطول وذوي الإمكانات المادية والسياسية، هربوا أولادهم من الخدمة الإجبارية، وأن كل من يراجع قائمة وجهاء الطائفة يرى صدق ما نقول".

ويقول زيدان عطشه، وهو أحد كبار المتعاونين مع السلطات الإسرائيلية متذمراً من الإعفاءات: "الفرد الذي تُوجّل خدمته أو يُعفى هو من له معرفة بقيادة الطائفة، ومن له الجاه والمال، ومن يتمكن من إتمام دراسته الجامعية، وهؤلاء أصحاب الإمكانات المالية"^(١).

هذا هو أمين طريف الذي وصفه جنبلاط بأنبل الصفات وأرفعها.

وهؤلاء هم قادة الدروز في فلسطين والجولان الذين تحدّث جنبلاط عن نضالهم واستخفافهم بالموت، وصلاتهم بإسرائيل غير خافية عليه، ولكن يبدو أن خيانة الدرزي مغفورة عنده، أما إذا كان مارونياً ونداً له فيقيم جنبلاط الدنيا ولا يقعد لها لأنه مرتبط بإسرائيل وعميل وخائن.

تُرى هل أدركت الجماهير المسلمة من الفلسطينيين حقيقة جنبلاط ودروزه؟! نرجو ذلك.

٤ - المعارضة الدرزية:

من أهم الأدلة التي يعتمد عليها الذين يدافعون عن الدروز في فلسطين المحتلّة

(١) المصدر السابق ص: ١٠٣ عن الهدى العدد ٥ ص: ٣٧، والعدد ٢ ص: ١٦.

قولهم: هناك مناضلون دروز يقاومون الاحتلال ويذكرون منهم^(١):

سميح قاسم، كمال كنج، محمد نعناع، نايف صالح سليم، عاصم الخطيب، توفيق فيّاض. فما هي حقيقة سميح قاسم وإخوانه، وهل صحيح أنهم يناضلون من أجل تحرير فلسطين؟!

سميح قاسم، ومحمد نعناع، ونايف صالح سليم، وتوفيق فيّاض أعضاء في الحزب الشيوعي الإسرائيلي، ويصدر عن هذا الحزب صحيفة سياسية نصف أسبوعية اسمها [الاتحاد]، ومجلة أدبية شهرية هي [الجديد]، وكلتاهما تصدران باللغة العربية، ويعمل في تحريرهما بعض الدروز من أمثال سميح القاسم ومحمد نعناع.

والحزب الشيوعي الإسرائيلي -ركاح- من الأحزاب المعارضة في إسرائيل، وهو ضدّ الاضطهاد والعنصرية، وضدّ السياسة الإسرائيلية التوسعية المرتبطة بالإمبريالية.

وبدأ [ركاح] نشاطه سنة ١٩٦٥ بعد انشقاق في الحزب الشيوعي نفسه، ويدعو الحزب إلى الاعتراف بإسرائيل وهو بعد ذلك أممي لا يؤمن بالقوميات، ووطن الحزب كلّ بقعة في الأرض تطبّق فيه مبادئه.

(١) وطنية كمال كنج ستحدّث عنها إن شاء الله في فصل قادم.

وركاح مرتبط بسياسة دول المعسكر الشيوعي التي اعترفت بدولة إسرائيل سنة ١٩٤٨، وسمحت بهجرة اليهود إلى فلسطين المحتلة، فكانت مساعدتها لإسرائيل بالفنيين والخبراء اليهود الذين لعبوا دوراً مهماً في بناء دولة إسرائيل. وأعضاء الحزب من مختلف القوميات وبشكل أخص من اليهود والعرب والدروز.

وفي سنة ١٩٧٢ أسس الشيوعيون تنظيمًا درزيًا أسموه [لجنة المبادرة الدرزية]، وهو تجمع يضم القوى التقدمية الدرزية، وتأسس هذا التنظيم يشبه إلى حد بعيد تجارب الشيوعيين في البلاد العربية ومحاولاتهم إقامة جبهات تقدمية يسارية واتخاذها سُلماً من أجل تحقيق مصالحهم وأهدافهم.

ومن الجدير بالذكر أن العميل [كمال قاسم] ابن عم سميح القاسم، وكانت جريدة الأسبوع نشرت خبر اتفاق سرّي على توزيع الأدوار بين كمال وابن عمه سميح غير أن الأخير نفى صحة الخبر!!^(١)

وإن كان سميح قاسم مناضلاً فنضاله لصالح حزب إسرائيلي معارض، وليس لمصلحة منظمة التحرير أو الشعب الفلسطيني، فهل يستحق هذا الشيوعي هذه الدعاية التي تروّجها له بعض الإذاعات والصحف العربية؟!

(١) الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي ص: ٢١٦، ٢.

هل تستحقّ قصائده الركيكة المفكّكة أن تُدرّس في مناهج التعليم العربية، أم هذه هي الطريقة التي تُصنع فيها البطولات المزيّفة في عالمنا الإسلامي بغية تشويه الوجه الجهادي الإسلامي؟!

أثر الدروز في مناهج التعليم:

يتولّى الدروز رسم سياسة التعليم، والإشراف على وضع المناهج العربية في النظام الإسرائيلي، ولهذا جاءت الكتب المدرسية تعكس أهداف الدروز وتطلعاتهم الطائفية. تحدّث مؤلف جغرافية الصف الخامس عن الدروز فكان مما قاله:

"يسكن الدروز في قرى جبليّة، مبنية من الحجر الأسود الناري، والقرى مزدحمة البيوت، فترى كحصن منيع من بعيد. لقد تحصّن الدروز في قراهم لكثرة أعدائهم، مما اضطرهم إلى الدفاع عن أنفسهم ضدّ هجمات الأعداء".

ثم يبرز المؤلف صورةً لقرية درزية متأخرة وأخرى لقرية نصيرية متأخرة، أما لبنان فبلد متقدّم زراعيّاً وتجاريّاً، وسرّ تقدّمه يعود للنصارى أولاً وأخيراً لأنهم يشكّلون الأكثرية فيه.

وفي كتاب مديّنات إسرائيل وتحت عنوان "السكان في بلادنا"، يتحدّث المؤلف عن تاريخ الدروز فيقسّمه إلى مرحلتين:

المرحلة التي سبقت قيام إسرائيل، وهي -كما يزعم المؤلف- مرحلة اضطهاد وتنكيل بالدروز، وليته ذكر على الأقل الحرب المارونية الدرزية سنة ١٨٦٠، لكنه

تجاهلها وصوّر الدروز على أنهم ضعفاء مسالمون، والمسلمون السُّنة هم المعتدون الغاشمون الذين يطاردون الدروز من مكان لآخر ويبطشون بهم.

ومرحلة ما بعد قيام دولة إسرائيل: وفيها نال الدروز حقوقهم كاملةً غير منقوصة، وأنقذتهم إسرائيل من كلّ اضطهاد، ومدّت لهم يد العون والمساعدة، وصاروا أعزّة بعد أن كانوا أذلة!!

وفي منهاج اللغة والأدب العربي، يسوق المؤلف النصوص التي تدعم مخططات اليهود وعملائهم الدروز، ففي أكثر من موضوع يتحدّث عن هجرة الدروز إلى فلسطين قادمين من سورية ولبنان، ويرى أن سببها الظلم والاضطهاد الذي لحق بهم في ذينك البلدين.

وهناك عناوين بارزة ملفتة للنظر من أبرزها: "الدروز في إسرائيل"، "سيرة النبي شعيب".

وهناك كتب مقرّرة مثل: "الدروز في إسرائيل" كتبه الصحفي الدرزي مصباح الحلبي، وتحديث الإذاعة الإسرائيلية عن هذا الكتاب على أنه يتحدّث عن التعاون المشترك بين الطائفة الدرزية واليهود. وقد أُقيمت لمؤلفه حفلة تكريم في حيفا حضرها عدد كبير من الشخصيات اليهودية والعربية.

ويرد هنا السؤال التالي:

لماذا التركيز على خيانة الدروز، وفي منهاج التعليم نفسها مفتشون سنة، وقد

قاموا بتزوير كتب إسلامية وحذفوا من السيرة كل ما يتصل بمؤامرات اليهود على رسولنا ﷺ!؟

وجوابنا على هذا السؤال: نحن لا ننكر أن بعض المتسيبن للإسلام فقدوا الخوف من الله وارتدوا على أدبارهم خاسرين، ورضوا بأن يكونوا عملاء لإسرائيل، ولكن إسرائيل تتعامل معهم بشكل فردي، ولا تحترم مشاعرهم عندما تدافع المناهج عن النصيريين والدروز والنصارى، وتهاجم المسلمين وتنتعهم بالتأخر والهمجية، وبالتالي فهؤلاء لا يمثلون قيادةً إسلاميةً، ولا يتجرأون على التعامل مع اليهود باسم المسلمين، وهم في ديننا مرتدّون عندما يتلاعبون في العقيدة الإسلامية خدمةً لليهود، ودمهم وما لهم حلال^(١).

الدروز في خدمة جيش الدفاع الإسرائيلي:

سنة ١٩٥٥ طبقت إسرائيل قانون التجنيد الإلزامي على أبناء الطائفة الدرزية. بينما أعفي أبناء بقية الطوائف العرب من الخدمة الإجبارية، وذلك لاعتبارات أمنية.

وشارك الدروز اليهود في حروبهم ضدّ العرب، وكانوا من أشرس المقاتلين وأكثرهم وحشيةً وهمجيةً، وسمع ناس من الجولان والضفة الغربية بعضهم يقول

(١) اعتمدتُ في حديثي عن مناهج التعليم في إسرائيل على كتاب "التحدي الصهيوني" للأستاذ ماجد عرسان الكيلاني ص: ١٢٧، ١٤٣، ١٤٥، ١٥٠. وعلى كتاب "الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي"، غالب أبو مصلح ص: ٢١٠-٢٣٨.

وهو يفتك بالعرب: يا لثارات الجبل!! يعنون أو آخر عهد أديب الشيشكلي عندما تمرّد الجبل عليه.

وامتدّت أصابع الاتهام إلى الدرّوز، وكثر الكلام عن دورهم في الجيش الإسرائيلي، فانبأ الكاتب الدرّوز يدافعون عن أبناء طائفتهم، فزعم جنبلاط أن تجنيد الدرّوز تمّ بالقوة، غير أن غالب أبو مصلح اضطر أن يقول بعض الحقيقة:

"وقد برّرت السلطات الإسرائيلية موقفها هذا بدعوى أن الزعامة الدرّزية الدينية [أمين طريف على رأسها] والسياسية والعائلية قد طالبت بذلك، هذه الزعامة التي بُنيت في ظل الاحتلال الإسرائيلي، ووفقاً لمقاييسه ورغباته ومصالحه" (١).

ونذكر القراء بما نقلناه قبل صفحات من وصف جنبلاط لشيخ عقل درّوز فلسطين المحتلة - أمين طريف - وأنه أمثلة في الحكمة والتعقل، وها هو أبو مصلح يفصح عن عمالته لإسرائيل، فكيف نجمع بين القولين؟!:

زعم الكاتب الدرّزي غالب أبو مصلح أن معظم أبناء الطائفة يرفضون التجنيد الإلزامي، ونحبّ هنا أن نفرّق بين ثقة اليهود بهم، وإعراض شبابهم عن التجنيد بسبب ما يرافقه من صعوبات اقتصادية ليس إلا، قال الكاتب الدرّزي فاضل منصور:

(١) الدرّوز في ظل الاحتلال الإسرائيلي ص: ١٠٠، وهذه وصيتي لجنبلاط ص: ٥٧-٥٨.

"بتجنيد كلّ ابن، تفقد العائلة الدرزية على طول مدّة التجنيد دخلاً قيمته ألفا ليرة بالإضافة إلى ثلاثمائة ليرة يأخذها كلّ ابن من والديه كمصروف وسفريات أثناء الخدمة" (١).

وكذلك الشباب في البلاد العربية يشكون من التجنيد الإلزامي ويعتبرونه مصيبةً في حياتهم، ومنهم من يحاول دفع البديل النقدي، ومنهم من يستغل الدراسة الجامعية. ليست هذه هي المشكلة المثارة، وطرحها بهذه الصيغة حيدة عن الحق وتلاعب في العرض.

إن المشكلة في جوهرها وحقيقتها: هل أقدمت إسرائيل على تجنيد الدروز إلا بعد أن أمنت غدرهم، واطمأنت إلى حسن ولائهم، ولماذا الدروز بالذات وليس غيرهم؟! ترى هل يجرؤ أي نظام عربي على تطبيق قانون التجنيد الإلزامي على الأقلية اليهودية التي ما زالت تعيش في بعض البلدان العربية؟!!

إن نظام البعث عندما ابتلى الله السوريين به أقدم على تسريح دورة كاملة من ضباط الاحتياط لأنهم مسلمون مصلّون رغم أنهم في سلك التجنيد الإلزامي، وأتبعهم بألاف الضباط العاملين من الإسلاميين ومن أهل دمشق بالذات، وأضعاف هذا العدد من صف الضباط والجنود.

(١) المصدر السابق، ص: ١٠٠.

والجيش في كل بلد من بلدان العالم هو القوة الضاربة التي تضمن سلامة النظام وأمنه، وسيكون مصدر خطر إذا تسلل إليه خصوم السلطة، وجهاز المخابرات الإسرائيلي - وهو من أضخم أوكار التجسس في العالم - لا تغيب عن بال القائمين عليه مثل هذه القضية، ولو كانوا يعلمون أن الدروز سيثيرون لهم فتناً في الجيش لعاملوهم بالطريقة نفسها التي يعاملون بها المسلمين.

ثمة مشكلة أخرى: هل من المصادفة أن تنفق الزعامة الدرزية - الدينية والسياسية والعائلية كما قال أبو مصلح - مع اليهود في فلسطين المحتلة على تجنيد أبناء الدروز وتشكيل نواة جيش فيه ضباط من مختلف الاختصاصات؟!

وهل من المصادفة أن يقدم كمال جنبلاط على تشكيل ما أسماه [جيش فخر الدين المعني] في لبنان، وينشط دروز جبل حوران في تخزين الأسلحة في جبلهم بكل سرية وتحفظ، ويرسلون أبناءهم لاستغلال بعث العفالق، ويرابط بعضهم قرب سورية ينتظرون الظرف المناسب.

إن من يعرف تاريخ الدروز وأحوالهم يعلم جيّداً أنهم تنظيم واحد وقيادة واحدة، وجيش واحد بعضه في سورية، وبعضه في لبنان، وبعضه في فلسطين المحتلة، والأيام الحبلى القادمة ستكشف خطأ أو صحة هذه الرؤية.

الدروز في خدمة أجهزة الأمن الإسرائيلية:

يعمل الدروز في أجهزة أمن إسرائيل: في الشرطة، وحرس الحدود، والسجون، والجوازات، وفي المخابرات، وسأترك الحديث في هذا الشأن للدروز ومؤيديهم:

يقول توفيق طوني، من خطاب له في الكنيست:

"الدروز محرومون من معاملة المساواة في منح الحقوق الممنوحة لجميع المسرّحين من الجيش، في التأهل المهني والإسكان، والاندماج في حياة المجتمع المنتجة، وليس أمامهم إلا طريق واحد - حرس الحدود والشرطة - وهذا خدمة بالنسبة لنفس السياسة للطائفة الدرزية".

ويعدّ غالب أبو مصلح المبرّرات التي ذكرها عضو الكنيست توفيق طوبي ثم يقول: "... وبذلك يجد من أكمل الخدمة الإجبارية نفسه غير قادر على كسب قوته معظم الأحيان، إلا في التوجّه إلى حرس الحدود، وحرس السجون، والشرطة، حيث الإغراءات المادّية كثيرة وفرص العمل مفتوحة"^(١).

مناطق الحدود حسّاسة وكذلك السجون فكيف اطمأن اليهود إلى تشغيل الدروز في هذه الأجهزة؟!!

هذا الذي لم يُجيبنا عليه أبو مصلح واكتفى بقوله: "... حيث الإغراءات المادّية - أي أمام الدروز - كثيرة وفرص العمل مفتوحة".

ولا ينكر أبو مصلح ما يُشاع عن قسوة الدروز ووحشيتهم ضدّ العرب وبشكل أخصّ الفدائيين، ويحاول أن يفلسف هذه القسوة فيقع في تناقضات لا تناسب كاتباً ذكياً مثله.

(١) المصدر السابق ص: ١٠٢، عن صحيفة الاتحاد الشيوعية ١١/٧/١٩٧٢.

يقول عن سبب قسوتهم: "وعندما يكون -أي الدرزي- في الشرطة أو حرس السجون يجد نفسه ممزقاً بين ولائه لشعبه الذي يساهم باضطهاده، وولائه للقامة العيش. هذا التوتر الحادّ يعبر عنه الجندي بأشكال شتى، بالقسوة في بعض الأحيان تجاه أبناء شعبه وتجاه ذويه أو تجاه ذاته".

لا ندري كيف نصّب الكاتب الدرزي نفسه طبيياً نفسانياً، ثم قدّم نتيجة تشخيص المرض فكان توترًا حادًّا!!

ويسبب هذا المرض أقدم المريض على ضرب السجناء الفدائيين ضرباً مبرحاً، وكأن الكاتب يقول: لا تعتبوا على أبناء طائفتي الذين يعدّون العرب في سجون إسرائيل لأنهم مجانيين!!!، غير أن الكاتب الدرزي -أبو مصلح- يستدرك ويحدّثنا عن نوع آخر من الدروز يقول: "فحرس السجون من الدروز يشاركون بضرب السجناء العرب تنفيذاً للأوامر، وهذا ما يزيد من حدّة التمزق في نفوسهم. ويقول بعض الشباب الفلسطيني ممن قضوا مدّة في السجون الإسرائيلية أنهم كانوا يشعرون، وحتى خلال الضرب، بتعاطف الجندي العربي الدرزي معهم..."^(١). هرطقة درزية عجيبة!! من خلال الضرب والتعذيب يشعر الفدائي بتعاطف جلاّده الدرزي معه.

وما الذي يمنع هذا الدرزي من التخلّي عن هذه المهنة التي اختارها بمحض إرادته، ويسلم معنا الكتّاب الدروز أن أبناء طائفتهم لا يُكرهون على هذه الوظائف

(١) المصدر السابق، ص: ١٠٢، ١١٧.

والأعمال. والأنكى من ذلك أن أبا مصلح ينقل عن بعض الشباب الفلسطيني أن ناسًا من حرس السجون يتأثرون بالفدائيين المعتقلين ثم يتخلّون عن وظائفهم وينضمّون للعمل الفدائي.

فإذا كان ما يقوله أبو مصلح صحيحًا، فكيف يأمن الفلسطينيون من انضمام عناصر درزية مشبوهة إلى صفوفهم، مع العلم أن جهاز الأمن يشمل الشرطة وحرس الحدود وحرس السجون والجوازات والمباحث والمخابرات العامة.

ويعترف أبو مصلح أن بعض الدروز يعملون في المخابرات العامة، انظر كيف يذكر أسماء بعض الدروز العملاء ثم يقول: "ويعمل هؤلاء من خلال مختلف وسائل الإعلام في الإذاعة وصحافة البلاط، والوظائف التعليمية والسياسية، وفي المخابرات لخدمة المخطّط الاستبدادي الصهيوني".

غير أنه يستدرك كعادته ويقول:

"..وبعض المثقفين وأشباه المثقفين من العرب عامة ومن الدروز المتعاونين مع سلطات الاحتلال، هم في حقيقتهم مناضلون ضدّ سلطات الاحتلال ومتمكّمون في نضالهم. ولا اعتبارات أمنية، لا يمكن التحدّث عن نضالهم الفعّال النشيط. بعضهم قد انكشف والبعض الآخر ما زال يناضل متستّرًا بالتبعية والعمالة. وينتشر هؤلاء في صفوف الجيش كضباط وجنود وفي سلك التعليم، وفي مجالات

الإعلام وغيرها^(١).

وكلام أبو مصلح لا يسنده دليل، وهو لم يذكر أنه على صلة معهم، ولم ينقل شواهد وأدلة تعضد رأيه، وعلى أية حال فهؤلاء الذين يعينهم أبو مصلح من العملاء المزدوجين، وهم أخطر أنواع الجواسيس وستحدث عن أمثالهم عند الحديث عن مشروع الدولة الدرزية الذي فاض به كمال الكنج دروز لبنان.

نعود إلى تحديّ فؤاد الأطرش السالف الذكر فنقول:

هؤلاء الدروز يعترفون بأن عددًا كبيرًا من أبناء طائفتهم يعملون في حرس الحدود وحرس السجون والمخابرات العامة. ومن هنا نقول: إن العائلة الواحدة من الدروز يعيش بعض أفرادها في لبنان، وبعضهم في جبل حوران، وبعضهم في فلسطين والجولان، وصلاتهم مع بعضهم لا تنقطع، ويسهل على حرس الحدود الدخول إلى سورية، ومجدل شمس ليست بعيدة عن الحدود قبل عام ١٩٦٧، ولهذا تمّ اكتشاف عدد من الجواسيس في هذه القرية الدرزية، وإذا أصرّ فؤاد الأطرش على تحديّيه، وضرب بأقوال القضاة العسكريين الذين حاكموا شبكات التجسس الدرزية خلال أكثر من ثلاثين سنة. إذا ضرب بهذه الأقوال عرض الحائط، ورفض شهادة أهل القرى المحيطة بمجدل شمس، فهذه أقوال الدروز أنفسهم عن ارتباطهم بجهاز الأمن الإسرائيلي، وهذه اعترافات أبو مصلح، وهذا هو واقع الشيخ سليمان كنج وهو زعيم دروز الجولان كما صوّره لنا أبناء قريته.

(١) المصدر السابق، ص: ٢١٣.

وإن رفض هذا وذاك فإنها هو صاحب هوى لا يحترم الدليل، ولا يتعامل مع الواقع، وهذا ظننا به وبمن هو على شاكلته.

الجمعيات والصحف الدرزية:

من أبرز الجمعيات والصحف الدرزية في فلسطين المحتلة مايلي:

١- منظمة الكشاف الدرزي الإسرائيلي تأسست سنة ١٩٤٥ بدعم مادّي ومعنوي من الاتحاد الكشفي الإسرائيلي ودائرة المعارف والثقافة [كما يقول جمال يوسف علي مندوب التدريب].

٢- منظمة الشباب الدروز يصفها أبو مصلح فيقول: "كانت تحيطها المراقبة الشديدة من السلطة الحاكمة، أما من الداخل فكانت تكتنفها الأشواك وخاصة بين أعضائها الإداريين، إذ عمل قسم منهم عملاء لسلطة الحكم، حتى ومنافقين يزيّفون حقيقة بحوث الجلسات". وأنشأت هذه المنظّمة نوادي تابعة لها في معظم القرى الدرزية.

٣- نادي شباب عسфия الفني. قالت مجلة الهدى: "في يوم ١٠ / ١٠ / ١٩٧١ غادرت البلاد ولأول مرّة فرقة الدبكة التابعة لنادي شباب عسфия الفني، وذلك لإحياء ١٧ حفلة في طول البلاد وعرضها بالاشتراك مع فرق يهودية من إسرائيل".

٤- المنظّمة الدرزية. يقول رئيسها سلمان ذيب فرج: "أسست المنظّمة الدرزية سنة ١٩٦٦ بمبادرة جماعة من الشباب الدرزي المثقّف، وكان هدف المنظّمة المطالبة

بمساواة أبناء الطائفة الدرزية بالحقوق والواجبات مع أبناء الشعب اليهودي الإسرائيلي. وأعلن رئيس الحكومة السابق ليفي أشكول عن هذه المنظمة في القدس بتاريخ ١٠ أكتوبر سنة ١٩٦٧ أي بعد أربعة أشهر من هزيمة حزيران، وفي القدس بالذات!!!".

٥- حزب العمل [ماباي] له نشاط واسع بين الدروز، وهناك خلاف بين جماعة جبرالدهاش معدي، وجماعة كمال منصور داخل الحزب الذي حكم إسرائيل معظم الفترة الزمنية الماضية.

٦- اللجنة اليهودية الدرزية التابعة لحزب العمل.

٧- من أهم الصحف والمجلات التي تصدر عن الدروز:

- مجلة الهدى تصدر عن المنظمة الدرزية -سليمان ذيب فرج- وتمولها وتشرف عليها الهيستدروت التي يتحكّم بها حزب العمل.

- مجلة الدروز ويصدرها المحامي كمال قاسم، وهناك صراع بين المجلتين.

وأنشأت الهيستدروت شبكةً من النوادي في جميع قرى الدروز.

٨- تكلمنا فيما مضى عن لجنة المبادرة الدرزية، والحزب الشيوعي [ركاح] وهما من الحركات المعارضة، ومعارضتها ليست لوجود إسرائيل في فلسطين ولكن للتمييز العنصري وللرأسمالية والارتباط بالمعسكر الغربي، ولا تخرج هذه المعارضة عن الإطار الذي رسمته لها إسرائيل، ويكفيها ما يقوله أبو مصلح:

"منعت إسرائيل قيام أحزاب وتكتلات عربية درزية ذات صفة سياسية وفكرية مستقلة، حتى أنها لم تسمح بقيام جمعيات و نواد إلا إذا كانت السلطة الإسرائيلية هي المبادرة بها والمشرفة عليها." (١).

لقد حصص الحق:

آن لنا أن نقول بعد الأدلة التي عرضناها في الصفحات الماضية:

إن الدروز متورطون مع النظام الصهيوني في كل شيء، متورطون معهم في الجيش، والأمن والمخابرات، والإعلام، والتعليم، والسياسة، والاقتصاد. ولم يخرج الدروز من فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، ومن الجولان عام ١٩٦٧ لأنهم يخططون مع اليهود من أجل إقامة دولة درزية. وقد بدأ التعاون الدرزي اليهودي - في حدود ما أطلعنا عليه - سنة ١٩٢٧، وتوثقت الصلات بين الطرفين سنة ١٩٣٦، ولهذا كان الدروز [طابورًا خامسًا] في جميع الحروب التي نشبت بين العرب واليهود.

والعرب الذين اضطروا إلى مغادرة مدنهم وقراهم في فلسطين المحتلة سنة ١٩٤٨ كان لهم شأن آخر مع اليهود تحدّث عنه العالم أجمع.

ليقرأ محبو كمال جنبلاط تقرير [جاك دورينيه] مندوب الصليب الأحمر البلجيكي عن مذبحه دير ياسين وكيف بقر اليهود بطون النساء الحوامل بالمُدَى

(١) المصدر السابق ص: ١٨٩، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٢٠.

والحراب، وكيف قطعوا الأطفال إرباً إرباً أمام أعين الآباء والأمهات، وفي قرية الطيرة العربية صبّ الصهاينة البارافين على الأسرى العرب، وأشعلوا فيهم النار وهم أحياء.

وقد وصف الكتاب الغربيون هذه المجازر في تقارير ومقالات وكتب كثيرة ليس هذا موضع الحديث عنها وكان أقلّ ما قالوه في المذابح التي ارتكبتها اليهود في القرى العربية: "إنها أكثر وحشيةً من المذابح التي دبرها النازيون".

وكرّر اليهود المأساة نفسها في الجولان سنة ١٩٦٧. لقد استخدموا قنابل [النابالم] المحرقة كما استخدموا الأسلحة الجرثومية مع المواطنين الأمنيين من سكان الهضبة، وتشبّث الناس بأرضهم، وقدموا أرواحهم ولكن هيهات.

أما دروز مجدل شمس وبقعاثا ومسعدة فقد وجدوا عند إخوانهم اليهود كلّ عطف وعون، وتتحلّى محبي جنبلاط ودروزه أن يكون عندهم دليل يخالف قولنا هذا، أما أدلتنا فقد بسطانها فيما مضى من هذا البحث، وكيف نتصوّر أن مئة ألف نسمة من سكان الجولان فقدوا الشجاعة وفرّوا هارين لا يلوون على شيء، وبقي عشرة آلاف درزي في أربع قرى لأنهم أبطال لا يرهبهم الموت ولا يخيفهم التهديد ولا الوعيد - كما زعم جنبلاط -.

ويشاء الله أن يرينا دليلاً آخر عن الدروز نذكره فيما يلي فيه من عبر وعظات لكلّ من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد:

في ١٩٨٢/٦/٥ اجتاح اليهود جنوب لبنان، وهبّ المسلمون يدافعون عن أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، أما دروز الشوف فلم يطلقوا رصاصةً واحدةً في وجه المحتلّين، وكأنّ الأمر لا يعينهم.

وننقل فيما يلي موجزاً للأبناء التي نشرتها وكالات الأنباء والصحف العربية عن الدروز وزعيمهم وليد جنبلاط:

- استقبل وليد جنبلاط الزعماء الدينيين والأعيان ورؤساء البلديات والمسؤولين عن منطقة الشوف لبحث الوضع في أعقاب الغزو الإسرائيلي للبنان. بيروت - ١٣ - أ. ف. ب .

وكان استقباله لزعماء الدروز في الشوف بتاريخ ١١/٦/١٩٨٢، وفي قرية المختارة.

- نشرت صحيفة الأنباء الكويتية الصادرة بتاريخ ١٤/٦/١٩٨٢ أخباراً عن الوضع في لبنان، نقتطع منها ما يخص الدروز وجنبلاط:

"وقد أكّد الرئيس سلام للرئيس سر كيس استعدادة لحضور مؤتمر الوفاق الوطني، ولكنه أعرب عن ضرورة الاتصال بوليد جنبلاط الذي يتعدّر إجراؤه حالياً. وبالتالي فإن السيّد جنبلاط - كما تقول بعض الأوساط العلمية - أُصيب بخيبة أمل من القرار الذي اتُّخذ خلال الاجتماع الذي عقده زعماء الطائفة الدرزية عندما بدأ الإسرائيليون زحفهم من جزيين إلى الشوف، بعدم استطاعة السكان

مواجهة الغزو الإسرائيلي، فعمد إلى إرسال زوجته إلى الأردن، فيما اعتكف في مقره بالمختارة، واعتبر نفسه أنه لم يعد عملياً رئيساً للحركة الوطنية. وقد دُعي جميع زعماء الحركة الوطنية والمقاومة إلى اجتماع في بيروت الغربية، وأُرسلت الدعوة إلى السيد جنبلاط لحضور الاجتماع، إلا أنه لم يحضر، إما لأنه لم يتبَلَّغ الدعوة، أو أنه لا يرغب في ذلك".

- ووليد جنبلاط الذي اعتذر عن حضور مؤتمر الحركة الوطنية والمقاومة - وهو رئيس الحركة الوطنية - استجاب لدعوة تلقاها من سر كيس، وأقلته من المختارة إلى قصر بعدا سيارة السفير الأمريكي [روبرت ديلون] المدرّعة والتي لا يخترقها الرصاص. انظر الصحف العربية الصادرة بتاريخ ١٥/٦/١٩٨٢.

وهذه الأخبار تطرح عدة أسئلة منها:

السؤال الأول: كيف لم تُقدم إسرائيل على اعتقال وليد جنبلاط بصفته رئيساً للحركة الوطنية وهي عدوة إسرائيل في لبنان لأنها تقف مع المقاومة الفلسطينية في خندق واحد؟!

السؤال الثاني: في مثل هذه الظروف الحرجة، هل يكون مكان إقامة وليد قصر المختارة أم غرفة العمليات في بيروت؟!

السؤال الثالث: القرار الذي اتخذه الدروز تمّ الاتفاق عليه في قصر المختارة. فكيف يصحّ أن يقول قائل: أصيب وليد بخيبة أمل من قرار الدروز عندما بدأ اليهود زحفهم من جزين إلى منطقة الشوف؟!

السؤال الرابع: كيف قبلت الحركة الوطنية في لبنان والمقاومة أن يكون وليدًا رئيسًا لها، وهم يعلمون موقف الدروز السلمي في حرب ١٩٧٥، ويعلمون كيف كان كمال جنبلاط يتاجر بدماء المسلمين الشُّنة، بل يعرفون ماذا فعل بمستودعات الأسلحة التي وضع يده عليها في [حمانا] والتي كانت تابعةً لأسلحة الجيش اللبناني، مرّةً أخرى نقول: كيف أمن الفلسطينيون جانب وليد وهم يعرفون من هو؟! ومن أبوه؟! ومن هي طائفته؟!

هذه الأسئلة نظرناها في الأيام الأولى من الاجتياح اليهودي للبنان، وسيأتي ذلك اليوم الذي يُكتشف فيه دور الدروز وتورّطهم مع اليهود كما تورّط إخوانهم في فلسطين سنة ١٩٤٨ وفي الجولان سنة ١٩٦٧.

كما ستكشف الأيام لنا أن أطراف المؤامرة هم: اليهود، منظمة أمل، الدروز، سعد حدّاد والكتائب، النصيريون، والنظام الإيراني.

وننطلق في تحديد هذه الرؤية من معرفتنا لتاريخ هذه الطوائف، وأنهم مع أعدائنا في كلّ حرب منذ مئات السنين.

كما أننا ننطلق في تحديد هذه الرؤية من معرفتنا لواقعهم ولدينا أدلة وشواهد على تعاونهم مع اليهود، بسطنا معظمها في هذا الكتاب، وسنمضي في بسطها في كتب أخرى إن شاء الله.

وسيعلم المغفلون من أبناء الشُّنة أسرار التمثيلية التي أعدها الخميني عندما أرسل قوات إلى دمشق من أجل تحرير فلسطين، سيعلمون أن هذه القوات ستأخذ

دورها في الجنوب بعد ترحيل أو إبادة الفلسطينيين، أو ستأخذ دورها في البقاع أو في شمال لبنان، وحاشا لله أن تقوم قوات مجوسية بتحرير فلسطين أو تحرير شبر أرض من بلاد المسلمين.

الفصل الثاني

وثائق من تاريخ نصارى بلاد الشام المعاصر

- النصارى في عهد الدولة العثمانية.
- النصارى في عهد الانتداب الفرنسي.
- النصارى في عهد الاستقلال.

النصارى في عهد الدولة العثمانية

- توطئة.
- دور الموارنة في الحرب الصليبية.
- الدولة العثمانية والامتيازات الأجنبية.
- نفوذ فرنسا في الدولة العثمانية.
- ضعف السلطة العثمانية.
- المبشرون وقادة الغرب خدم لليهودية العالمية.
- الحرب الدرزية المارونية سنة ١٨٦٠.
- نظام المتصرفية.
- دروس وعبر.

توطئة:

الحديث عن النصارى ذو شجون تنوء بحمله هذه الصفحات المتواضعة، فهم وراء كل نكبة ألمت بأممتنا في تاريخنا المعاصر بدءاً بهدم الخلافة الإسلامية ومروراً بسيطرة اليهود على فلسطين، وانتهاءً بمؤامرة الدويلات الطائفية.

إن تاريخ النصارى المعاصر حافل بالمؤامرات والدسائس وعرضها يحتاج إلى مجلّدات كثيرة، وأقلام متمكّنة تتمم ما نهض به الدكتور محمد حسين في كتابه الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، والأستاذان د. مصطفى الخالدي و د. عمر فرّوخ في "التبشير والاستعمار" ومحب الدين الخطيب في "الغارة على العالم الإسلامي" والأستاذ محمود شاكر في "أباطيل وأسما".

وكما هو ملاحظ فلم يتجاوز كتابنا الأفاضل عرض جرائم النصارى في التبشير أو تاريخ الأدب الغربي، أما تاريخنا المعاصر فيحتاج عرضه إلى جهد جماعي بعيد عن كل رياء أو نفاق للنصارى.

وعلى كل حال فموضوع بحثي في هذا الكتاب "وثائق من تاريخ نصارى بلاد الشام المعاصر"، وليس كل تاريخ النصارى المعاصر، وإنما ما يكشف سعيهم من أجل إقامة دولة خاصة بهم في لبنان من بلاد الشام.

ولعلي أوفق في طبعة ثانية من هذا الكتاب -إن شاء الله- إلى تقديم دراسة عن مؤامرة الأقباط في مصر.

وإذا كانت مصائب قوم عند قوم فوائد، فإن الحرب التي اندلعت في لبنان منذ سنة ١٩٧٥ م، وفرت علي وقتاً أحشد فيه مزيداً من الأدلة على تواطؤ النصارى في لبنان مع اليهود في فلسطين المحتلة، والولايات المتحدة الأمريكية، ومعظم الدول الغربية.

وكلّ ذي بصيرة بات يعلم أن ملة الكفر واحدة، أما الذين طمس الله على بصيرتهم فلن ينفعهم عرض الوثائق وحشد الأدلة.

دور الموارنة في الحروب الصليبية:

كتب الدكتور عمر عبد السلام تدمري بحثاً قيماً عن تاريخ الموارنة وعلاقتهم بالمسلمين منذ بداية العهد الأموي وحتى المرحلة التاريخية المعاصرة، ولما لهذا البحث من أهمية علمية نجتزئ منه ما يتعلق بالحروب الصليبية^(١):

"ومنذ أن دخل الصليبيون بلاد الشام في أواخر القرن الخامس الهجري، أخذ الموارنة يبذلون ترحيبهم بهم لما يربط بينهم من عقيدة دينية، فعندما وصل الصليبيون إلى نواحي (عرقه) هبّ الموارنة لملاقاتهم والترحيب بهم وعرض خدماتهم ومساعداتهم، وقدموا لهم أدلاء يرشدونهم في طريقهم إلى القدس سنة ٤٩٢ هـ، ١٠١٩ م"^(٢).

(١) انظر مجلة الفكر الإسلامي اللبنانية، السنة السابعة، العدد الخامس، جمادى الأول عام

١٣٩٨ هـ.

(٢) تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، د. عمر تدمري، ص: ٢٨٣.

وفي ذلك يقول مطران صور (وليم الصوري) الذي عاصر الحروب الصليبية وأرّخ لها: "لما خيّم الافرنج فوق مدينة طرابلس - في زحفهم على أورشليم بعد فتح أنطاكية - هبط إليهم جماعة من المؤمنين السريان الذين كانوا يسكنون جبل لبنان فوق جليل والبترون وطرابلس مما يلي الشرق لأجل تهنتتهم وعرض خدماتهم عليهم، فرحّبوا بهم بعواطف الحب الأخوي، وأخذوا منهم هداية يرشدونهم آمن الطرق وأيسرها في تلك الجبال الهائلة التي كانت تعترضهم" (١).

ويقول آخر:

"إنه في سنة ١٠٩٩م. قدمت الافرنج من أنطاكية إلى بيت المقدس، وصلوا إلى عرقة وفد إليهم أناس من المردة من جبل سير وصقع الضنية وجليل وتلك التخوم، وترحّبوا بهم، وسار معهم بعض (؟) وهدوهم الطرقات والمسالك، حتى بلغوا القدس وكانوا ينجدونهم بالوقائع ويمدّونهم بالميرة".

"وشارك الموارنة في الموقعة التي دارت بين الكونت "ريموند" وعسكر أمير طرابلس (فخر الملك ابن عمار) خارج أبواب المدينة في سنة ٤٩٥ هـ، ١١٠٢م، وكذلك عندما قام (بلدوين) ملك بيت المقدس، بمحاصرة بيروت في سنة ٥٠٣ هـ - ١١١٠م، وعندما خرج أتابك الموصل مع الأمراء السلاجقة يريد التوجّه إلى طرابلس، انضم الموارنة إلى الصليبيين الذين تحرّكوا لصدّ الهجوم سنة ٥٠٥ هـ -

(١) نبذة تاريخية في أصل الطائفة المارونية، يوسف دريان ص: ٤٠، والكنيسة المارونية، فيليب

السمرائي ص: ٣٤، ولبنان في التاريخ، ص: ٣٩٢.

١١١١م" (١).

اكتفيننا بنقل هذا القدر من بحث الدكتور تدمري مع أنه -جزاه الله خيراً- تتبع فضائح وغدر هذه الطائفة الضّالة التي ألفت الكيد، وأشربت حب الغدر، وتكلم عن موقفهم من الظاهر بيبرس وتعاونهم مع التتار، وتحالفهم مع الدروز والروافض، وقتال الأمير -سنقر- لهم.

ولا أدري لماذا سقط من بحثه قتال شيخ الإسلام ابن تيمية لهم مع أنه ذكر بعض أسماء الذين صاحبوا شيخ الإسلام في معاركه مع الروافض وحلفائهم -الدروز والموارنة- ومن أراد مزيداً من المعلومات في هذا الموضوع فعليه أن يعود إلى فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية وإلى كتاب البداية والنهاية لابن كثير.

ولم ينفرد الدكتور التدمري في الكتابة عن دور الموارنة في الحروب الصليبية، فالمؤرخون الموارنة لا يستطيعون إنكار هذه الحقيقة. قال الأستاذ محمد جميل بيهم (٢): "والواقع فإن علاقات الموارنة بفرنسا هي أقدم من ذلك بوقت. لأن بعض المؤرخين يرون أن بوديكور وجد سنة ١٢٥٠م في خزانة البطريركية المارونية كتاباً من لويس التاسع في عكا يشكرهم فيه خلال الحروب الصليبية.. على إرسالهم خمسة وعشرين ألف مقاتل بقيادة سمعان.

(١) مجلة الفكر الإسلامي، السنة السابعة، العدد الخامس، جمادى الأول عام ١٣٩٨.

(٢) عروبة لبنان، محمد جميل بيهم. ص: ١٨٩.

ويقول فيه أن هذه الطائفة التي تُنسب إلى القديس مارون هي جزء من الأمة الفرنسية، وقد نشرنا هذه الرسالة بكاملها في كتابنا الثاني (فلسفة التاريخ العثماني)، حيث وقينا هذا الموضوع حقه ابتداءً من الصفحة (١٠٣) ".

وأكد الدكتور كمال سليمان الصليبي تعاون الموارنة مع الافرنج في الحروب الصليبية، وعلى إثر ذلك انتعشت الطائفة المارونية، وتأسست في طرابلس إمارة فرنجية امتدت تخومها من فتوح كسروان جنوباً إلى بلاد اللاذقية شمالاً، ومن مشارق وادي العاصي شرقاً إلى البحر غرباً، وأخذ الغيورون - كما زعم - من الموارنة ينشئون الكنائس والأديرة في مختلف القرى. وكذلك أخذ الموارنة يدقون النواقيس - من نحاس بلد الخشب - للصلاة والقداس^(١).

الدولة العثمانية والامتيازات الأجنبية:

كانت خسائر الافرنج في الحروب الصليبية باهظةً في الأموال والأرواح، وأدرك قادة الغرب أن محاولاتهم محكوم عليها بالفشل، فالطريق طويلة موحشة ومفاجآتها كثيرة، والمسلمون صامدون لا تزيدهم النكبات إلا إصراراً وثباتاً، وهم بعد ذلك يجاربون في أرضهم، ويعرفون كيف يستدرجون عدوهم ومتى.

وإذن لا بد من أمر آخر يحقق لهم السيطرة على ساحل بلاد الشام وبيت المقدس بأقلّ الخسائر وأيسرها. وبعد البحث والتنقيب سلك الغربيون طريقاً آخر نستطيع

(١) الموارنة صورة تاريخية، للدكتور سليمان الصليبي، ص: ١٦، ملف النهار، قضايا عربية.

إيجازه فيما يلي:

- الاعتماد على نصارى المشرق، وبشكل أخص الموارنة منهم، وكانت العلاقات قد توثقت بين الطرفين منذ أوائل الحروب الصليبية.

- التغلغل في المشرق عن طريق استخدام التبشير، وإقامة المؤسسات العلمية، والمستشفيات، والمراكز الاجتماعية.

ومن المؤسف أن الدولة العثمانية فتحت أبوابها أمام المبشرين وسموهم في عهد سليمان القانوني، وتنافست الدول الغربية في اقتسام تركة -الرجل المريض- وهو الاسم الذي كانت تُعرف به الدولة العثمانية في نهاية القرن السابع عشر، وأول مكسب حَقَّقته هذه الدول حصولها على امتيازات خاصة في الدولة العثمانية.

والامتيازات الأجنبية كما يدُل الاسم حقوق تمنحها السلطة لرعايا الدول الأجنبية النازلين في الامبراطورية العثمانية أو السائحين فيها أو المارين بها مروراً، وهي امتيازات لم تكن تُمنح للعثمانيين أنفسهم.

من أشهرها إعفاء هؤلاء الأجانب من الضرائب المباشرة ومن جزء كبير من رسوم الجمارك. ثم إن السلطات العثمانية لم تكن تستطيع ولوج بيت رجل أجنبي مهما كان السبب، حتى لو أن جريمة ارتكبت في ذلك البيت لما كان للسلطة العثمانية أن تدخل للتحقيق، بل كان الذي يقوم بالتحقيق والمحاكمة والفصل قنصل الرجل الذي يسكن ذلك البيت.

إن البيت الذي كان يسكنه رجل إنجليزي أو فرنسي أو يوناني أو أسوجي أو برازيلي، كان يعتبر جزءاً من إنجلترا أو فرنسا أو أسوج أو البرازيل.

وكذلك كان لكلّ أجنبي أن يتجوّل في البلاد العثمانية كما يشاء، فإذا اتفق أن ناله سوء -ولو قضاءً وقدراً- فإن حكومته تطالب بديّته أضعافاً مضاعفةً، وقد تشدّد أحياناً حتى تنال امتيازات سياسية وتجارية جديدة لم تكن لها من قبل. وكانت القوانين العثمانية لا تُطبق على الأجانب النازلين في الامبراطورية العثمانية^(١).

ولم تكن هذه الامتيازات واردةً في عهد السلاطين الطيبين الأول من آل عثمان، وإنما بدأت آثارها مع بداية عهد السلاطين الذين تأثروا بالثقافة الغربية أعني سليمان القانوني ومعظم الذين جاءوا بعده.

نفوذ فرنسا في الدولة العثمانية:

أصبحت فرنسا حليفةً لتركيا ومدينةً لها منذ أنجدها سنة ١٥٢٦ على عدوّها الامبراطور شارلمان، وأنقذتها من التهلكة، وخلصت عاهلها فرنسوا الأول من الأسر، ولهذا رفضت فرنسا أن تشترك مباشرةً في الحروب المقدّسة التي شنتها أوروبا على السلطنة العثمانية.

ولما بين الدولتين من علاقات وثيقة منح سليمان القانوني فرنسوا الأول ملك فرنسا شيئاً من الامتيازات، أخذت تنمو مع مرور الزمن حتى أصبحت صاحبة

(١) التبشير والاستعمار، فروخ وخالدي، ص: ١٣٢، ١٣٣.

الحق في حماية الطوائف الكاثوليكية والموارنة.

وكان سفراء فرنسا وقناصلها في استامبول يتدخلون عند الباب العالي دفاعاً عن الموارنة، وقامت فرنسا أكثر من مرة بتعيين قناصل موارنة لها في بيروت دعماً لهم، ورغبةً منها في زيادة نفوذهم^(١).

وكان بطريك الموارنة يكتب إلى السلطات الفرنسية، وهي تتولى تنفيذ رغباته لدى الباب العالي في استامبول، وبشكل أوضح كانت فرنسا شريكاً للدولة العثمانية في حكم بلاد الشام في كل ما يخص الكاثوليك والموارنة.

واستغلت فرنسا امتيازاتها أبشع استغلال فراحت تخطط من أجل استرجاع البلاد المقدسة، وركزت على النشاط التبشيري في لبنان، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- أن الرجل الذي عهد إليه بالحصول على امتيازات لفرنسا من الباب العالي كان يدعى ده لافورست، وهو راهب من فرسان القديس يوحنا الصليبيين، ومن أجل ذلك كان أول سفير لفرنسا في الامبراطورية العثمانية.

٢- كانت فرنسا تضيّق الخناق على اليسوعيين وتطاردتهم، وقد أخرجت عدداً كبيراً من أرضها.

(١) عروبة لبنان تطورها في القديم والحديث، محمد جميل بيهم، ص: ١٨٧، ١٨٨.

أما خارج فرنسا فكان لهم شأن آخر. لقد أرسلتهم عملاً سياسيين لها، ودعامةً اجتماعيةً لآرائها، وخالقي مشاكل في سبيل مصالحها. ومع أن فرنسا كانت عدوةً لليسوعيين في بلادها، فإنها كانت لليسوعيين في الخارج الصنم الذي يعبدونه، وكان اليسوعيون يعدّون كلّ تعرّض لفرنسا تعرّضاً للبابا نفسه^(١).

والتبشير عند فرنسا -وسائر الدول الغربية- لا يعني الدعوة إلى النصرانية بقدر ما يعني تحقيق مكاسب سياسية، واستغلال كلّ ظرف طارىء من أجل أن تكون لبنان وساحل بلاد الشام أرضاً فرنسيةً، ومن هذا المنطلق كانت فرنسا تبني علاقاتها مع الدولة العثمانية، فإذا سهّلت الأخيرة سبل التبشير لرسول فرنسا تحسّنت العلاقات بين البلدين، وإذا اتخذت إجراءً صارماً ضد المبشرين لجأت فرنسا إلى ممارسة الضغوط، وتحريك عملائها داخل البلاد الإسلامية.

مثال: ساءت العلاقات بين فرنسا والعثمانيين في عهد السلطان محمود الثاني، فحرّكت ضده صنيعتها محمد علي باشا الذي تولى قيادة حملة سنة ١٨٣٨، وخاض معارك مع جيوش السلطنة العثمانية ونجح في السيطرة على بلاد الشام كلّها، وكاد يحتلّ تركيا لولا وقوف إنجلترا والنمسا وغيرهما إلى جانب الباب العالي خوفاً من زيادة نفوذ فرنسا في المنطقة.

(١) التبشير والاستعمار، فروخ وخالدي، ص: ١٣٣.

والشاهد هنا أن عهد إبراهيم باشا في بلاد الشام كان عهد رخاء بالنسبة للمبشرين والنصارى عموماً. لقد كان موقفه من الإرساليات التبشيرية موقف صداقة وودٍّ وأيده موارنة لبنان، وفي عهده وضع المبشرون ما دعوه "كنيسة صهيون".

وكان أغلب مساعديه ومعاونيه من النصارى، وكان في قراراته التي يتخذها في بلاد الشام يضع النصارى واليهود على قدم المساواة التامة مع المسلمين^(١).

ضعف السلطة العثمانية:

قال الأستاذ محمد جميل بيهم يصف وضع الدولة العثمانية بعد حملة محمد علي باشا: "ولما استولى السلطان عبد المجيد على العرش في غضون الحملة المصرية، لم ير بداً من الاستسلام لتوجيهات الدول التي أنقذته منها، فبادر إلى الإصلاحات التي كانت تتطلبها، وأعلن ما أسمي بالتنظيمات سنة ١٨٤٤، وخط شريف همايون سنة ١٨٥٦. ولكن كل ذلك لم يجد من مطامع الدول في السلطنة العثمانية.

فكانت هذه الدول في صراعها حولها تعدّ العدة لاستيلاء كل منها على القطر الذي تطمع به مستعيناً بقناصلها وإرسالياتها الدينية والثقافية. وكان من عواقب ذلك أن الأقليات من سكان ولاية بيروت ومتصرفية لبنان الممتازة أصبحت

(١) الطائفية ولعبة الحكم في لبنان ص ١٤، والتبشير والاستعمار ص ١٨١. ومما يجدر ذكره أن إبراهيم باشا كان منقداً لأوامر فرنسا الصليبية عندما أقدم على احتلال نجد وإجهاض الحركة الإصلاحية فيها.

موزعةً على الدول الطامعة بهذه المنطقة: فالوارنة والكاثوليك لفرنسا، والروم الأرثوذكس لروسيا، والدروز والبروتستانت لإنجلترا. وكان قناصل الدول ذات الكلمة المسموعة يمحون أتباعهم فيما كانوا يسعون للحفاظ على ولائهم كما يسعون لاكتساب غيرهم" (١).

وكان نفوذ بريطانيا يأتي في الدرجة الثانية بعد فرنسا، ومن حقوقها التي تعترف بها الدولة العثمانية حماية الإرساليات البروتستانتية، سواء كانت هذه الإرساليات إنجليزية أم أميركية أم ألمانية.

وكان كثيرون في لبنان يتظاهرون باعتراف البروتستانتية لينالوا حمايةً أو ينالوا مالا من دولة بريطانيا العظمى التي كانت مرهوبة الجانب قوية الشكيمة، وكان قنصل إنجلترا في حلب المستر سكين يباشر بنفسه مهام وصلاحيات المبشرين، فلقد عمل عام ١٨٦٠م على تحضير البدو في بادية الشام ليتوصل من هذه السبيل إلى اجتذاب أبنائهم إلى النصرانية (٢).

ورغم ما بين الدول الغربية من صراعات وتنافس كانت كلمة قناصلها موحدة في قضايا التبشير، ولهذا كانت السلطة العثمانية عاجزة عن وضع حدٍ للطغيان التبشيري في بلاد المسلمين. يقول د. فروخ:

(١) عروبة لبنان، تطورها في القديم والحديث، محمد جميل بيهم ص: ١٨٦.

(٢) التبشير والاستعمار، فروخ وخالدي ص: ١١٩.

وكلما حاولت الدولة العثمانية إغلاق مؤسسة أو مركز تبشيري، وجدت نفسها مضطرةً إلى التراجع أمام ضغط قناصل الدول الغربية. وإذا اتفق أن اعتنق رجل النصرانية كان القناصل والرجال السياسيون الأجانب يأخذونه تحت جناحهم علناً، ويتدخلون في كل صغيرة وكبيرة من أجله حتى في الأمور الداخلية.

وكانت تركيا عاجزةً عن منع التبشير، فمن ذلك أن الحكومة العثمانية أرادت أن تمنع باعة الأناجيل الدوَّارين من التجوُّل في المدن والقرى، فما زال القناصل يتدخلون حتى حملوا الحكومة العثمانية على العودة إلى السماح لهم^(١).

المبشرون وقادة الغرب خدم لليهودية العالمية:

منذ قرن ونصف القرن فكّر المبشرون باستغلال اليهود لنشر النصرانية بينهم ولقاومة العرب والمسلمين بهم. ففي عام ١٨٩٠ أسّس الإنجليز الجمعية اللندنية لنشر النصرانية بين اليهود، ولقد كانت آمالهم عند تأسيسها عظيمةً جداً، كانوا يرون أن العمل يجب أن يبدأ بأن يُساق اليهود المتفرّقون في الأرض إلى فلسطين. وهكذا بدأوا يشجّعون اليهود على الهجرة، وعزموا على أن يبدأ التبشير بينهم بعد ذلك مباشرةً.

ولهذا أسّس الملك فريدريك ولهم الرابع ملك بروسية (١٨٤٠ - ١٨٦١) الأسقفية الإنجليزية البروسية في القدس لتكون مركزاً بروتستانتيّاً لإصلاح

(١) المصدر السابق ص: ١١٨، ١٢١.

الكنائس الشرقية عامةً ولتنصير اليهود خاصةً^(١).

ومع مرور الزمن تغيرت الصورة وتفوّق التخطيط اليهودي على نظيره الصليبي، واستطاع حكماء صهيون شراء كثير من الجمعيات التبشيرية وتسخيرها لخدمة النشاط اليهودي في فلسطين. يحدّثنا عن هذه الظاهرة الكاتب النصراني أميل الغوري فيقول:

"عندما فشلت الجمعيات التبشيرية في فلسطين في محاولتها فصم عرى الوحدة الإسلامية-المسيحية^(٢) بين عرب فلسطين قرّرت أن تصبغ على خطتها صبغةً دوليةً عالميةً، فدعت إلى عقد مؤتمر ديني مسيحي عالمي في القدس في نيسان سنة ١٩٣٥، أطلقت عليه اسم المؤتمر العالمي التبشيري مما أثار ثائرة العرب، مسلمين ومسيحيين، وسار الشيوخ والرهبان جنباً إلى جنب في التظاهرات الاحتجاجية.

وكانت هذه الجمعيات من العناصر المنحرفة عن الدين المسيحي التي نشأت في أحضان البروتستانتية في الولايات المتحدة، بتأثير الحركة الصهيونية لنشر الفوضى والبلبلة، وإضعاف معنويات المسيحيين العرب وصرهم عن المساهمة في الحركة الوطنية، بل معارضتها.

(١) التبشير والاستعمار، فروخ والخالدي ص: ١٨١.

(٢) لم تكن هناك وحدة إسلامية-مسيحية في يوم من الأيام، بل كان النصارى يقابلون الإحسان بالكيد والتآمر، والذي يعنينا هنا اعتراف الكاتب النصراني بتآمر المبشرين في فلسطين مع اليهود.

ومن تلك الجمعيات: "شهود يهوه والسبتيون، والمعمدانيون، وجماعة كنيسة الله"، ومعظم معتقداتهم على صلة وثيقة بالحركة الصهيونية، فهم ينهالون طعناً في مقوّمات النصرانية، ويجعلون الإسلام في مستوى الديانات الشرقية الوثنية، وينادون بقيام مملكة إسرائيل، ويزعمون أن الشعب اليهودي قد أُزيل عنه غضب الله وأنه سيعود إلى فلسطين ليملكها مع أنبيائه الذين سيبعثون فيخضع لهم العالم كلّه، ولذا فهم يؤمنون بأن الحركة الصهيونية، هي حركة إلهية وأن (هرتسل) هو رسول الله ومبارك منه تعالى.

وقد قرّر المؤتمر العالمي السالف الذكر، إقناع العرب عامّة بعدم جدوى مقاومتهم للحكم البريطاني والخطط الصهيونية لأنها إرادة الله. فتعاونت تلك الجمعيات التبشيرية مع دوائر الاستخبارات البريطانية، ومع الدائرة السياسية للوكالة اليهودية، وعندما نشأت أزمة (البراق) سنة ١٩٢٩، هبّت تؤيد وجهة النظر اليهودية...^(١).

إن كلام أميل الغوري لا تنقصه الصراحة، وهو يتحدث عن مخازي الجمعيات التبشيرية منذ وُجدت في فلسطين في القرن الثامن عشر، وإن كان قد اختار أزمة البراق سنة ١٩٢٩ كمثال على ما يقول.

أما تعاون الاستخبارات البريطانية مع الدائرة السياسية للوكالة اليهودية والجمعيات التبشيرية الذي أشار إليه الغوري فهو حقيقة ثابتة ثبوت الشمس في

(١) مجتمع الكراهية، سعد جعة، ص: ٩٠، ٩١.

رابعة النهار، بل إن الدائرة السياسية للوكالة اليهودية كانت تحكم فلسطين وبريطانيا والجمعيات التبشيرية، ومن أدلتنا على ذلك ما يلي:

الدليل الأول: كان مندوب السامي البريطاني الأول في فلسطين السير هربرت صموئيل، يهودياً، ومن أجل أن نوضح سبب اختياره لهذه المهمة نقدم نبذة عن حياته من كتاب (القاموس السياسي):

صمويل: سياسي بريطاني يهودي، أول مندوب سام بريطاني على فلسطين بعد الانتداب. وُلد بمدينة ليربول عام ١٨٧٠ انتخب عضواً بمجلس العموم عن المحافظين عام ١٩٠٢. تولى وكالة وزارة الداخلية ١٩٠٥ وتولى الوزارة لأول مرة عام ١٩٠٩، وفي السنة التالية عُيّن وزيراً للبريد ثم وزيراً لمجلس الإدارة المحلية ١٩١٤ فوزيراً للداخلية عام ١٩١٦ فريئساً للجنة المالية خلال الحرب العظمى.

وعُيّن سير هربرت صمويل مندوباً سامياً على فلسطين بعد إقرار مجلس الحلفاء صكّ الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٢٠ فتسلّم الإدارة من السلطات العسكرية وأقام جهازاً مدنياً بريطانياً ضمّ عدداً من اليهود البريطانيين منهم: ديدز للإدارة، سمواد للمالية، هراري للتجارة والصناعة، سلمون للمستودعات، بنتوتشي نائباً عاماً^(١).

(١) إن الجهاز الذي أقامه صمويل يشبه جهاز مجلس الوزراء اليوم، ولما كان معظمه من اليهود، فهذا يعني أن اليهود كانوا يحكمون فلسطين منذ عام ١٩٢٠ ولكن تحت لافتة بريطانية.

وجاء في مذكرات الزعيم الصهيوني وايزمان أن تعيين هربرت صمويل في هذا المنصب كان باقتراح منه.

قضى هربرت صمويل ٥ سنوات في منصبه فباشر على الفور تطبيق ما تضمنه الانتداب ووعده بلفور من وضع فلسطين في ظروف إدارية وسياسية واقتصادية يضمن معها تأسيس الوطن القومي اليهودي، ووسائل ذلك شملت تشجيع الهجرة اليهودية بوضع قوانين تيسر هذه الهجرة، الاعتراف بالوكالة اليهودية ممثلة لليهود ومنحها استقلالاً داخلياً في العمل، اعتبار اللغة العبرية لغة رسميةً ثالثة، تشجيع عمليات بيع الأرض للمستوطنين، وإقامة المستعمرات اليهودية.

تولّى صمويل وزارة الداخلية البريطانية سنة ١٩٣١، ومُنح لقب فيكونت (لورد) سنة ١٩٣٧، واختير رئيساً لمعهد الفلسفة البريطاني سنة ١٩٣١ توفي عام ١٩٦٣^(١).

الدليل الثاني: ينقل مؤلفا كتاب التبشير والاستعمار عن الراهب الأمريكي هنري جسب قوله: إن المتمول اليهودي روتشليد كان يقدم مساعداته لجميع الإرساليات التبشيرية في فلسطين: البابوية، والبروتستانتية، والصهيونية^(٢). ولا غرابة في ذلك فالإرساليات الصليبية بشكل عام، والبروتستانتية بشكل خاص وكر من أوكار الصهيونية.

(١) القاموس السياسي، أحمد عطية الله ص: ٧٢٦، اسم صمويل.

(٢) التبشير والاستعمار، د. خالد و. د. فروخ ص: ١٨٢.

وقد نقلنا قبل قليل شهادة نصرائي فلسطيني عاصر هذه الأحداث -أميل الغوري-.

ومن المفيد أن نقدّم نبذةً عن روتشيلد الذي كان يدعم الإرساليات التبشيرية، ويقدم لها المساعدات المالية المجزية:

روتشيلد: أسرة يهودية من رجال المال، اتصلت سيرة بعض أفرادها بالاحتلال البريطاني لمصر ثم بالحركة الصهيونية لإقامة وطن قومي لليهود بفلسطين.

ويرتبط اسم روتشيلد بتاريخ التسلّل الصهيوني إلى فلسطين، فقد اشترك آل روتشيلد في المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ والمؤتمرات التالية، وساهموا في تمويل الجمعيات الصهيونية لاسيما التي تولّت شراء الأراضي وإقامة المستعمرات والمشروعات الاقتصادية والعمرائية مثل مشروع روتنبرج عام ١٩٢٦ لتوليد الكهرباء. كما ساهم آل روتشيلد في ملكية عدد غير قليل من الصحف الإنجليزية والفرنسية والأمريكية التي وقفت موقف التأييد من المطالب الصهيونية، وتبلورت هذه المساهمة بالحثّ على إصدار تصريح بريطاني بإنشاء وطن قومي في فلسطين، ففي يناير ١٩١٧ زار كلٌّ من اللورد روتشيلد والسير (اللورد) هربرت صمويل والسير رونالد ستورز وزير الخارجية البريطاني اللورد بلفور ذاكرين أن الوقت قد حان لإصدار هذا التصريح، الذي صدر بالفعل في ١٧ مارس ١٩١٧ في صورة رسالة موجّهة من اللورد بلفور إلى لينويل وولتر روتشيلد مصدرّةً بقوله:

"عزيزي اللورد روتشيلد.. الخ" وهي ما تُعرف بتصريح أو وعد بلفور^(١).

وإذن: تقلّب هربرت صمويل في مراكز سياسية خطيرة أبرزها وزارة داخلية بريطانيا العظمى التي كانت تسيطر على معظم بلدان العالم، وكان (وايزمان) الزعيم اليهودي المعروف وراء تعيين صمويل مندوباً سامياً في بريطانيا.

أما روتشيلد فقد مُنح لقب اللوردية عام ١٨٨٥، وهو الذي أقرض الحكومة البريطانية أربعة ملايين جنيه في عام ١٨٧٥ لشراء سندات قناة السويس^(٢).

وخلاصة القول: كانت بريطانيا سيّدة البحار، وصاحبة الأساطيل، وزعيمة المعسكر الغربي، وكان اليهود سادةً لبريطانيا والدول الغربية: سياسياً، وإعلامياً، واقتصادياً، وفنياً، وكان روتشيلد يمتلك معظم صحف بريطانيا وفرنسا.

وعندما أفل نجم بريطانيا، نجح حكماء صهيون في السيطرة على اقتصاد وإعلام وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية التي ورثت بريطانيا في استعمار معظم بلاد العالم، ولكن بأسلوب حديث يختلف عن الأسلوب البريطاني.

ويبدو أن محاولات الزعماء اليهود في السيطرة على الولايات المتحدة الأمريكية قديمة، ومن الأدلة على ذلك أن أول وزير مفوضي للولايات المتحدة الأمريكية في تركيا كان المستر اوسكار ستراوس وهو يهودي وكان يساعد المشركين النصاري

(١) القاموس السياسي، أحمد عطية الله، ص: ٥٧٢.

(٢) المصدر السابق، ص: ٥٧٢.

ويقول: "أنا أمريكي في الدرجة الأولى ثم أنا يهودي"، ولما سحبتة الولايات المتحدة من استنابول أسف المبشرون لذلك^(١).

الحرب الدرزية المارونية سنة ١٨٦٠:

كانت بريطانيا قلقةً من تزايد نفوذ فرنسا في لبنان، وبعد أن فشلت كلُّ محاولاتِها في استمالة الموارنة إلى جانبها، لجأت إلى الدروز حصان الرهان الثاني في جبل لبنان، ووثقت علاقاتها بهم، وأصبحوا ورقة بيد بريطانيا تستخدمها ضدَّ كلِّ من يهدد مصالحها في بلاد الشام.

وكان توتر علاقات بريطانيا مع فرنسا يعني توتر علاقات الدروز مع الموارنة في جبل لبنان.

وفي سنة ١٨٦٠م أشعلت بريطانيا حرباً ضروساً بين الدروز والموارنة، كانت تهدف من ورائها أن يكون لها حق التدخل في سياسة الحكم في لبنان بشكل رسمي مباشر. قال النائب الإنجليزي (مونسل) في مجلس العموم البريطاني في ١٧/٨/١٨٦٠:

"وضح لي من التدقيق في السنين العشرة الأخير أن إنجلترا هي سبب ما جرى في سورية. فقد سعينا إلى إبدال هيئة الحكم في لبنان نكايَةً بفرنسا ومعارضةً لبعض دول أوروبا، وعملنا على التفريق بين الدروز والموارنة، وجعلنا على كلِّ فريق زعيمًا

(١) التبشير والاستعمار، ص: ١٢٠.

وسلطنا على الزعيمين باشا تركيا".

وفي نفس الجلسة قال السير (شارل نيبار) قلتُ وكرّرت قولي في مجلس العموم: "إنني أحجل من الدور المعيب الذي لعبته في سورية، إن الحكومة أوفدتني إلى تلك البلاد في مهمة ففقت بها".

ومن خلال أقوال المسؤولين في الحكومة الإنجليزية نعلم هدف بريطانيا من حرب سنة ١٨٦٠، ويضاف إلى ما ذكرناه تصريح القنصل البريطاني في بيروت حينذاك (الكولونيل روز) الذي قال فيه: "إن الموارنة استسلموا لفرنسا، فلم يبق لإنجلترا حق الخيار، بل أضحت ملزمة بتعويض الدروز"^(١).

وتحرّك الموارنة نحو حلفائهم الفرنسيين. فأمدّوهم بكلّ ما يحتاجون إليه في معركتهم ضد الدروز. قال د. فروخ: "وكانوا -أي الموارنة- يتلقّون السلاح من فرنسة أيضًا، فقد رسا عام ١٨٥٨ مركب حربيّ قرب طرابلس وأنزل أسلحةً اشترى منها أهل طرابلس أنفسهم خمسمائة بندقية. ولما وصل الخبر إلى بيروت أرسلت الحكومة عشرة مدافع لحماية المدينة من هجوم قد يقوم به أهل زغرتا. وكان الدروز أيضًا يتلقون السلاح من إنجلترا"^(٢).

(١) الراصد ٢٢/١٠/١٩٦٠، والأنوار ٨/١١/١٩٦١، عن كتاب سياسة الحكم في لبنان،

ص: ٤١٥، الدكتور حمدي الطاهري.

(٢) التبشير والاستعمار، ص: ١٣٥، ١٣٦.

وبعد أن أكلت الحرب الأخضر واليابس تدخلت الدول الأوروبية، وأرسلت حملةً عسكريّةً إلى بيروت بحجّة مساعدة السلطات العثمانية في القضاء على الفتنة وإعادة الأمن إلى جبل لبنان، وتكوّنت الحملة من قوات فرنسية ولكن باسم الدول الأوروبية.

ومن الجدير بالذكر أن المبشرين لعبوا دورًا قدرًا في هذه الحرب. قال صاحب التبشير والاستعمار:

" ولم يحدث قبل مذابح الأرمن عام ١٨٩٥، ١٨٩٦ حادث حفّز الإرساليات البروتستانتية المختلفة إلى التكاتف في سبيل تنصير هذا القسم من العالم كحادث ١٨٦٠. لقد كان هذا الحادث فريدًا إلى درجة أن المبشرين والرهبان لم يكتفوا بأن آثاروه بل وقفوا يتفرّجون عليه، بل إن منهم من اشترك فيه، فإن الراهب اليسوعي فرديناندو بوناشيتا قُتل عام ١٨٦٠ في اضطرابات مدينة زحلة بعد أن قتل سبعةً من الدروز.

أما اليسوعيون فيزعمون أنهم لم يكونوا يريدون هذه المذبحة لأنها هدّدت أعمال التبشير مع العلم أن بعضهم خاضها وأبلى فيها البلاء الحسن (كالراهب بوناشيتا مثلاً). ويرى المبشر الأمريكي هنري هاريس حسب هذه الفتنة إعلانًا ناجحًا، فلقد اضطرت لها أوربا وأمريكا، وأصبح لبنان بها معروفًا في العالم الغربي فأمكن أن

تجمع الإعانات باسمه والتبشير فيه^(١).

نظام المتصرفية:

لم تكتف الدول الأوروبية بالمشاركة عسكرياً في حرب سنة ١٨٦٠، بل عمدت وبضغط منها على الباب العالي إلى تشكيل "لجنة بيروت الدولية" سنة ١٨٦١ وتضم هذه اللجنة في عضويتها ممثلاً عن كل دولة من الدول التالية: بريطانيا، فرنسا، النمسا، روسيا والروسيا، الدولة العثمانية -فؤاد باشا-.

وبعد مفاوضات ومناقشات تقرّر أن يقوم نظام جديد في جبل لبنان عُرف بنظام المتصرفية، ويقوم على الأسس التالية:

١- تعيين متصرف مسيحي على جبل لبنان من قبل السلطان لفترة ثلاث سنوات بعد موافقة الدول الأوروبية.

٢- إلحاق المتصرف مباشرةً بالباب العالي دون المرور بالولاية كما كان الحال في عهد القائمقاميتين.

٣- ضمّ مدينة زحلة بشكل نهائي إلى جبل لبنان.

٤- وضع قوات تركية بتصرف المتصرف على أن تبقى في مكان يحدده المتصرف خارج المتصرفية ولا تتدخل إلا بأمره.

٥- تحدّد مصادر تمويل خزينة الجبل -يسدّ العجز في موازنة المتصرفية من

(١) التبشير والاستعمار، د. خالد و د. فروخ، ص: ١٤٢-١٤٣.

الموازنة العامة - (١).

ولقد وُضع هذا النظام تحت التجربة لفترة ثلاث سنوات، وبعد أن ثبت نجاحه وُضع بروتوكول ١٨٦٤، الذي أبقى على الخطوط الأساسية لبروتوكول ١٨٦١، فكان بذلك نظام المتصرفية الذي استمرّ حتى عام ١٩١٥.

وهكذا أصبح جبل لبنان يُحكم من قبل متصرفٍ مسيحي من رعايا الدولة العثمانية، ومن أتباع الكنيسة الكاثوليكية، يعينه السلطان بعد موافقة الدول الأوروبية على ذلك، ويكون مرجع المتصرف الباب العالي مباشرةً، ويعاونه مجلس إدارة مؤلف من اثني عشر عضواً يضمّ ممثلين عن جميع الطوائف على الشكل التالي: موارد: ٤، دروز: ٣، روم: ٣، وواحد عن كل من السنة والشيعة.

ومن مساوىء المتصرفية أنه كرّس الطائفية في لبنان، وأعطى الموازنة حقوقاً غير عادية، وفتح الباب أمام الأطماع الأوروبية في بلاد الشام على مصراعيه، فتناصرت كثير من العائلات طمعاً في المناصب كآل شهاب وآل ملحّم، أو رغبةً في منافع دنيوية عاجلة والله الأمر من قبل ومن بعد (٢).

(١) الطائفية ولعبة الحكم في لبنان، د. رياض الصمد، ص: ١٩.

(٢) المصدر السابق ص: ٢٠، وعروبة لبنان، بيهم ص: ١٩٣ حتى ١٩٧.

دروس وعبر:

١- أية دولة إسلامية هذه التي كان المبشرون وقناصلة الدول النصرانية يشترقون ويغربون فيها دون حسيب أو رقيب؟!
 أسر عديدة وقبائل شتى تنصرت رغبةً أو رهبةً في لبنان في ظلّ دولة الخلافة الإسلامية، فأين إقامة حدود الله على المرتدّين؟!
 إن أمةً ترضى الذلّ وتستمرىء الهوان لا يمكن أن ينصر الله بها دينه أو أن يكتب لها الخلافة في أرضه:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١)

٢- للذميين حقوق في دولة الإسلام، فلا يجوز أن يُعتدى على أرواحهم وأموالهم وأماكن عبادتهم، أما أن تُعطى لهم امتيازات خاصة لا يحلم بها المسلمون، وتسند إليهم الولايات -كمتصرّفية جبل لبنان-، وتترك لهم حرية التعاون أو حرية التآمر والخيانة مع دول الكفر، ليس هذا من الإسلام في شيء، إنه من سياسة الحكام الذين انحرفوا عن الإسلام أمثال سليمان القانوني وعبد المجيد وغيرهما.

ومهما تسامح الحكام المسلمون مع الذميين يجب أن تبقى مرتبتهم دون مراتب المسلمين، وأن يشعروا بالصغار لقوله تعالى:

(١) آل عمران، الآية ١٣٩.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَبُغُونَ﴾ (٢٩) [التوبة: ٢٩].

والصغار: الذل، وأخذ الجزية من الذمي، نوع من أنواع الإنعام عليه. وبالجملة ينبغي للقباض للجزية أن يجعل الذمي حال قبضها صاغراً ذليلاً^(١).

٣- إن أول آية من كتاب الله نزل بها الروح الأمين على نبينا الكريم:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ (٢)

إن الإسلام والمدارس العلمية صنوان لا يفترقان... فكيف أقفرت دولة آل عثمان من المدارس وحلقات العلم!؟

كيف قبل آل عثمان أن يتفشى الجهل والتخلف في بلاد المسلمين!؟

وكيف سمحوا للإرساليات التبشيرية أن تبتث سمومها في بلاد الشام وغيرها، مع العلم بأن مناهج هذه المعاهد والجامعات والمدارس الصليبية تصطدم مع الإسلام ابتداءً في أخص خصائص الألوهية والربوبية وأسماء الله وصفاته!!

(١) التوبة الآية ٢٩. وفي تفسير الآية انظر فتح القدير للشوكاني ٢ / ٣٤٩

(٢) العلق الآية ١-٥.

لا أدري كيف تكون حرية مدارس الكفر مصنونةً في دولة آل عثمان، أما دعوة محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية فتجتمع فرنسا وعميلها محمد علي باشا والدولة العثمانية على حربها، ومحاوله وأدها وهي ماتزال في مهدها

٤- مازال النصارى خدماً لسياسة اليهود كما كانوا بالأمس فعندما نُصّب البابا بولس السادس أعلن تبرئة اليهود من دم المسيح - وإعلانه حق أراد به باطلاً- وكذب عقيدة قومه الذين يتناقلون هذه الرواية منذ قرون طويلة الأمد... وعندما زار القدس عام ١٩٦٤ في الأسبوع الأخير من شهر يناير قال مخاطبا اليهود:

" إن الصراع الدامي بين المسيحية واليهودية قد انتهى "

واستغرب الناس جرأة هذا البابا، ولكن لم يعد لهذا الاستغراب مسوغ بعد أن نشرت وكالة رويتر الخبر التالي:

" نسبت مجلة بانوراما الأسبوعية إلى العميل فكتور مارتشيسي الذي وصف بأنه كان مسؤولاً كبيراً في وكالة الاستخبارات المركزية قبل أن يتركها في عام ١٩٦٩ قوله: إن البابا الذي كان يعرف آنذاك باسم الكاردينال (جيو فاني باتيستا مونتينني) كان واحداً من عدة أساقفة توكاردينالات تلقوا أموالاً من وكالة الاستخبارات المركزية.

وامتنع ناطق بلسان الفاتيكان عن التعليق عن النبأ حتى الآن، لكنه أشار إلى أن (مارتشيتي) نفسه اعترف في المقابلة بأن الكاردينال - أي البابا بولس السادس - ربما لم يكن مدرّكاً لمصدر هذه الأموال". وقول العميل (مارتشيتي) [ربما لم يكن

مدركا لمصدر هذه الأموال [مثيرا للسخرية.

فهل البابا بولس السادس ساذج أبله لا يعرف الجهات التي يتعامل معها ولا كنه هذا التعامل وأبعاده؟!

كيف يكون كذلك وهو الذي يمارس أنشطة مريبة في مختلف أنحاء العالم.

وسيتقى هذا هو موقف النصارى حتى يرث الله الأرض ومن عليها لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (١)

إنهم صف واحد عندما تكون عداوة بعضهم مع المسلمين، وإن كانوا في ذات بينهم متعادين متضادين، واليهود في عصرنا أقوى تنظيماً من النصارى وأكثر دهاءً ومكرًا.

(١) المائة، الآية ٥١.



النصارى في عهد الانتداب الفرنسي

- الوجود الفرنسي في لبنان قبل الاحتلال.
- تأييد النصارى للاحتلال الفرنسي.
- موقف رجال الدين النصارى.
- هل الدافع لاتخاذ هذا الموقف هو الخوف وحده؟
- النصارى المعارضون للاحتلال.
- شاهدان من النصارى.

الوجود الفرنسي في لبنان قبل الاحتلال:

لم يكن سقوط الدولة العثمانية حدثاً غير متوقع، ولم يُفاجأ به الذين يتابعون الأحداث.

لقد كان لنصارى بلاد الشام نفوذ واسع، لأنهم موضع عناية الأمة الفرنسية، وقد ذللت لهم سبل الدراسة في جامعاتها ومعاهدها.

- فمن نصارى بلاد الشام كان كبار المسؤولين والخبراء والفنيين، وبصورة خاصة الموارنة.

- ومنهم قادة الأحزاب والحركات القومية والوطنية التي ترفع شعار العلمانية، وتنادي بالانفصال عن الدولة العثمانية، واتخذ هؤلاء مراكز لهم في باريس، ثم نقلوا أنشطتهم إلى بيروت ودمشق والقاهرة.

- ومنهم الأدباء والمدرسون والمفكرون والصحفيون، ومن الجدير بالذكر أن معظم الصحف والمجلات في بلاد الشام تعود ملكيتها إلى النصارى.

ونجح هؤلاء النصارى في استقطاب الطبقة المثقفة من أبناء المسلمين الذين تتلمذوا في جامعات ومعاهد الفرنجة ولم يكن نقد النصارى وتلامذتهم منصباً على الدولة العثمانية وما تعانیه من جهل وتحلّف فحسب، ولكنهم تجرّأوا على نقد الرابطة الإسلامية، ودعوا إلى وحدة عربية لا تفرّق بين دين ودين، وصدّق أنصاف المثقفين من أبناء المسلمين أكاذيب النصارى وحيلهم، وما دروا أنهم كانوا يبيّتون

أمراً آخر مع قيادتهم في باريس ولندن والفاتيكان.^(١)

أما الدولة العثمانية فكان عاملها في لبنان شبيهاً بالضيف، وقَبِلَ الباب العالي أن تكون فرنسا صاحبة الحُلِّ والعقد في بلاد المسلمين، لا بل كان يُقدَّم أمرها على أمره وهو لا يحرك ساكناً.

وجاءت نتائج الحرب العالمية الأولى لتقرّر واقعاً قائماً ولفظ الرجل المريض أنفاسه الأخيرة في البلاد العربية، ودخل لورنس عاصمة بني أمية يرفع علم ما يُسمى بالثورة العربية الكبرى، وأعقبه غورو الذي دخل بيروت فدمشق بعد معركة ميسلون، وأعلنت فرنسا انتدابها لسورية ولبنان مقابل انتداب إنجلترا على فلسطين والأردن والعراق حسب معاهدة (سايكس بيكو)، ثم بدأت سياسة التفكيك والتجزئة في قلب العالم الإسلامي.

تأييد النصارى للاحتلال الفرنسي:

منذ اليوم الأول الذي وطأت فيه أقدام الغزاة بيروت ودمشق، أعلن نصارى بلاد الشام عن تأييدهم للانتداب الفرنسي، ووقوفهم إلى جانب المحتلّين الصليبيين، ولم يكتفوا اغتباطهم بالانتصار الذي حقّقه (غورو) في معركة ميسلون.

(١) من أراد مزيداً من المعلومات في هذا الشأن فليراجع الاتجاهات الوطنية في الأدب

وكان نصارى سورية ولبنان دعامةً للاحتلال ووعوناً له عسكرياً وإدارياً وإعلامياً وسياسياً، وكانت فرنسا لا تتخذ قراراً داخلياً في سورية ولبنان إلا بعد دراسته مع المواطنين النصارى، وبعد أن يقوم هؤلاء بتقديم العرائض إلى المندوب الفرنسي مطالبين باتخاذ قرار زاعمين أن في صدوره منافع كثيرة، ويدفعون زعماء الطوائف الأخرى وضعاف النفوس من أبناء المسلمين إلى تقديم عرائض مماثلة، ويأتي القرار الفرنسي استجابةً لرغبات جمهور الشعب - كما تزعم السلطة المنتدبة -.

ونعرض فيما يلي بعضاً من هذه العرائض:

١- "نحن أفراد الطائفة الكلدانية بحلب الموقعين بذيله قد انتدبنا برضانا وحسن اختيارنا حضرة الخوري ميخائيل شعيا والسادة فرانسوا شوحا وجميل رسام وسمعان موصلبي ليمثلونا أمام اللجنة الأمريكية وليبينوا لها مطالبنا وهي: المحافظة على وحدة سورية بحدودها الطبيعية واستقلالها وانتداب دولة فرنسا دون سواها للوصاية عليها وإشعاراً بذلك سلمناهم هذا صك الاعتماد.

حلب تحريراً ٦١ - ٧ - ١٩١٩. (١)

٢- من كهنة ووجوه قصبية إهدن.

نتشرف برفع عريضتنا هذه أنا لما كان القصد من حرب دولتي فرنسا وإنجلترا

(١) وثائق وزارة الخارجية الفرنسية (عن كتاب تطور الحركة الوطنية ص ٢٠٤).

في الشرق تحرير الشعوب المظلومة وتأسيس حكومات وإدارات تنشأ فيها حسب ما يود الأهليون مخيرين وبما أننا من تلك الشعوب نسترحم من عدالتها إجابة مطلوبنا الآتي:

أولاً- توسيع نطاق جبل لبنان توسيعاً موافقاً لحدوده الطبيعية.

ثانياً- توسيع امتيازاته بما يناسب حالة الأهلين الحاضرة وطبائعهم.

ثالثاً- حماية وإدارة الجمهورية الفرنسية.

مكرّرين الاسترحام بقبول التماسنا داعين لمعاليتكم بالنصر.

٦ كانون الأول ١٩١٨

التواقيع وعددها عشرون^(١)

٣- من قضاء راشيا.

لمعاليتي حضرة القوميسير الأعلى في ولاية بيروت المسيو جورج بيكو الأفخم.

نحن الموقعين إمضاءاتنا بذيله من طائفة الروم الكاثوليك بقضاء راشيا نتشرف

بأن نعرض لحضرتكم ما يلي:

إنه لما كان قضانا^(٢) راشيا من ضمن لبنان الكبير بمقتضى الخريطة التي

(١) المصدر السابق ص ٢٦٠.

(٢) في الأصل قضانا والصحيح قضاؤنا.

وضعتها دول أوروبا بفصل قسم كبير منه وحرّم قضانا^(١) تلك المساعدة التي وضعتها يد الدول العظمى واليوم هذه الدول وضعت على مسؤوليتها إعادة الحقوق المهضومة فإليها نرفع صوتنا مستغيثين باسم العدل إعادتنا إلى النقطة التي حذفنا منها تركيا من الخريطة القديمة واعتبار قضانا^(٢) من ضمن لبنان الكبير تحت حماية فرنسا راجين رفع عريضتنا هذه للمؤتمر العالي لينظر بحالتنا ويتذكر أننا بيده وضعنا مع لبنان الكبير وهو اليوم مسؤول تجاه الله والعالم المتمدن لإعادة حقوقنا المهضومة.

تواقيع: مختار الكاثوليك عضو مجلس إدارة راشيا

وكيل مترو بوليتان الروم الكاثوليك بقضاء راشيا

٤- من مختلف الطوائف المسيحية في قضاء راشيا:

نحن الموقعين أختامنا وإمضاءاتنا في ذيله سكان قضاء راشيا الواقع في سفح جبل حرمون الغربي لكون بلادنا هي من حدود لبنان القديمة الطبيعية كما تثبت ذلك الأدلة التاريخية والجغرافية والجيولوجية، وقد فصلت بلادنا عن لبنان السياسة التركية منذ نصف قرن فنريد أن ننضم إلى لبنان الكبير المنوي تأسيسه على أن يكون حائزاً على امتيازاته واستقلاله ويكون مربوطاً بسورية ربطاً اقتصادياً

(١) في الأصل قضانا والصحيح قضاؤنا.

(٢) في الأصل قضانا والصحيح قضاؤنا.

تكفله الدولة الوصية على لبنان وسورية وعلى هذا نرفع طلبنا بواسطتكم إلى مؤتمر السلام المعظم وإننا نتمنى أن تكون الجمهورية الفرنسية الفخيمة الدولة الوحيدة المساعدة لنا وبهذا نكون قد نلنا مراحماً عظيمةً يجود بها علينا المؤتمر العالي.

التواقيع والأختام وتبلغ أكثر من ٤٠٠ من الطوائف المسيحية.^(١)

ويقول الدكتور ذوقان قرقوط عن هذه العرائض:

" ومن مراجعة الموجود من هذه العرائض في وثائق وزارة الخارجية الفرنسية يتضح أنها، إلى جانب صدورها من فئات معينة، تشكل أقليةً في هذه المناطق، تكاد أن تكون جميعها صورةً واحدةً، حتى لنجد التواقيع الصادرة عن القرية الواحدة مكتوبةً بحبر واحد وبخط واحد بل كأنها أُستعمل لوضع أختام كل قرية حبر واحد".^(٢)

هذه أربعة أمثلة عن مواقف نصارى حلب وإهدن وراشيا، وسبق أن تحدّثنا عن موقف نصارى حوران من ثورة سنة ١٩٢٥م، مما دعا دروز الجبل إلى استباحة قراهم عقوبةً لهم، ولم تكن مواقف نصارى بقية بلاد الشام أحسن حالاً.

إن المواطنين في بلاد الشام يشهدون على تواطؤ النصارى جميعاً مع فرنسا، وإن كتب التاريخ حافلة بالشواهد على ذلك، وما كان منتظرًا منهم غير هذا الموقف

(١) المصدر السابق ٢٦٠ و ٢٦١.

(٢) تطور الحركة الوطنية في سورية ص ٣٩.

ولكن السّدج لا يعلمون.

موقف رجال الدين النصارى:

لا بد لنا أولاً من كلمة حول التعريف بسلطة بطريك الموارنة في لبنان.

يمثل بطريك الموارنة أعلى سلطة فعلية، وهو لا يتقاضى راتباً من الدولة، ولا يعتبر موظفاً فيها^(١)، وقد كانت زيارة بكركي - مقر البطريك - هي أول عمل يقوم به رئيس الجمهورية المنتخب أو رئيس الوزراء المكلف - رغم أنه مسلم سني - أو سواهما من رؤساء المجالس والوزراء من أية طائفة كانوا.

ولا يستطيع رئيس الجمهورية أن يتخذ موقفاً في قضية من القضايا إذا كان يعلم أن البطريك يعارضه، ففي سنة ١٩٥٥ زار عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا لبنان، وراجت إشاعة انضمام لبنان إلى حلف بغداد، واتفق على أن يصدر المقرّر البطريكي بياناً بهذا الشأن، وعرف شمعون بمضمون البيان وشدة لهجته فوسّط القاصد الرسولي والكاردينال آغاجيان بطريك الأرض الكاثوليك أن يستعملوا نفوذهما لدى اللجنة البطريكية وبعد أخذ وردّ تراجع كميل شمعون ولم ينضم لبنان لحلف بغداد استجابةً لإرادة البطريك النابعة من كرهه لكل عمل تشارك فيه تركيا ولو كان حلف بغداد!!

(١) مفتي لبنان موظف في الدولة، ويتقاضى راتباً منها، وهذا شأن علماء المسلمين في جميع بلدان العالم الإسلامي، أما علماء الرافضة ورجال الدين النصارى واليهود فلقد تجاوزوا هذه القيود المضنية، وباليات العلماء المخلصين يبحثون هذه المشكلة، ويتحرّرون من قيود الوظيفة.

ومنذ القرن السادس الميلادي والبطريك الماروني - أعلى سلطة في لبنان - يُعَيَّن مباشرةً من قبل البابا في روما، إلى أن صدر عام ١٩٤١ تشريع خاص بموارنة لبنان اعترف بابا روما الرابع عشر فيه لرجال الدين في لبنان ببعض الحقوق، مع استمرار ارتباط الأكليروس المسيحي اللبناني بروما وفرنسا.

وبعد هذا التعريف نعود إلى الحديث عن موقف القيادة الدينية لنصارى لبنان من الاحتلال الفرنسي:

ماذا ننتظر أن يكون موقف رجال الدين من قيادتهم الفرنسية.

لقد سارع البطريك الحويك - بطريك الموارنة - إلى تقديم مذكرة إلى مؤتمر الصلح في فرساي في ٢٨ حزيران ١٩١٩ يطلب فيها أن تكون فرنسا هي الدولة المنتدبة على لبنان بعد فصلها عن سورية. ومما لا شك فيه أن مذكرة البطريك الحويك ليست مبادرةً ذاتيةً منه فحسب وإنما هي رأي للقيادة الدينية لنصارى لبنان.^(١)

وبعد أن توّطدت أقدام الفرنسيين في لبنان، عهدوا إلى المؤسسات الدينية الكاثوليكية بوظائف ومهام حسّاسة، وحرصوا أن يكون القاصد الرسولي في لبنان فرنسي الجنسية.

(١) سياسة الحكم في لبنان، د. حمدي الطاهري ص ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨.

ولا يزال البطريرك الماروني يقيم في كل من عيدي الميلاد الفصح قدّاساً يُسمى "القدّاس القنصلي" كان يرأسه قنصل فرنسا ثم المفوض السامي الفرنسي في عهد الانتداب، وبعد الاستقلال قامت مشادة بين البطريرك ورئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ بشارة الخوري بسبب ترؤس وزير فرنسا المفوض للقدّاس الماروني الرسمي، وطلب بأن يرأسه رئيس الجمهورية إلا أن البطريرك رفض ذلك، وألغى القدّاس خلال عامين، ثم أُعيد الاحتفال به ورأسه سفير فرنسا وتخلّف عن حضوره الرسميون اللبنانيون، وما زال الأمر كذلك.

وهكذا فإن المندوب الفرنسي أو السفير الفرنسي أهم عند القيادة الدينية لنصارى لبنان من رئيس الجمهورية أو من ينوب عنه.

وخير معبرٍ عن موقف الموارنة من فرنسا "ماربولس بطرس المعوشي" بطريرك الموارنة الذي ألقى كلمةً في احتفال أُقيم في بكركي في ١٣ - ٢ - ١٩٦٢ لتقليده وشاح "جوقة الشرف" الفرنسي بحضور أساقفة الطائفة المارونية والرؤساء العاملين لرهبانياتها وموظفي السفارة الفرنسية وعدد من أفراد الجالية الفرنسية في لبنان، فكان مما قاله:

"أما نحن الموارنة فما أخفينا يوماً ما نكنه لفرنسا من محبة وإعجاب أصبح تقليداً نأبى له إلا الوفاء، ويسعدنا أن نتهز هذه الفرصة لنعرب لها عن عاطفة الامتنان لكل ما أسدت إلينا من جميل على مرّ التاريخ، ونرفع لها عاطفة الشكر والتقدير لما تقوم به من أعمال باهرة في حقل الثقافة والإحسان تنشرها في العالم وفي

الشرق الأوسط وعلى الأخص في لبنان، وقد أنشأت فيه العديد من المدارس ودور الإحسان يعمل فيها مئات من الرهبان والرهبان باسم الإنجيل بتجرّد ومحبة وإخلاص، على تربية الناشئة تربيةً سليمةً والتخفيف من آلام آلاف المرضى على اختلاف طوائفهم ونزعاتهم وماذا عسانا نقول في الضيافة السمحاء التي يلقاها طلابنا ولاسيما الكليركيون منهم، في معاهدكم في فرنسا، حيث ينهلون من العلوم ويتشربون روح الحرية التي علمتها بلادكم العالم رغم الكثير من التضحيات.

ولقد أُتيح لنا منذ أقل من ثلاث سنوات أن نعمل أثناء الزيارة التي قمنا بها في (١) بلادكم بما تمتاز به الضيافة الفرنسية من سخاء وإيناس لا نزال نحمل عنها أجمل الذكريات.

أما الآن وقد تلطّف صاحب الفخامة الجنرال ديغول بموافقة حكومته الجليلة بأن منحني وشاح جوقة الشرف، وقد أراده دليلاً جديداً بعد العديد من سواه على ما يكنه لطائفتنا من تقدير". (٢)

ووجهة نظر البطريرك المعوشي هي موضع إجماع القيادة الدينية لنصارى بلاد الشام، وكيف لا يكون الأمر كذلك وهم يطلقون على فرنسا اسم "الأم الحنون"، وهم أبناء بررة بأمهم، وجنود مخلصون لقيادتهم في باريس والفاتيكان.

(١) في الأصل "في" والصحيح "إلى".

(٢) انظر صحيفة الطيار والتلغراف اللبنانية تاريخ ١٥-٢-١٩٦٢، "عن سياسة الحكم في

لبنان، د. حمدي الطاهري ص ٤١١، ٤١٢، ٤١٣".

هل الدافع لاتخاذ هذا الموقف هو الخوف وحده؟

وقد يقول قائل: إن سبب تأييد نصارى الشام للفرنسيين خوفهم من الوحدة العربية التي يدعو الأشراف إليها، وهو لا يفرّقون بين العروبة والإسلام، ويخشون أن يفقدوا كياناتهم في بحر عربي متلاطم.

الجواب: إن نصارى بلاد الشام هم الذين رفعوا لواء القومية العربية، وأسّسوا الجمعيات والأحزاب التي تنادي بامبراطورية عربية مستقلة، فكيف كانوا دعاةً للقومية وكيف صاروا أعداءً لها؟!

ومن المشهور أن الملك فيصل بن حسين كان يرفع شعار "الدين لله والوطن للجميع"، وكان النصارى أصدقاءه وأعوانه وكبار مستشاريه، ويذكر ساطع الحصري شيئاً من هذا فيقول:

وكان في الحكومة -أي الحكومة التي شكّلها فيصل بعد دخوله بلاد الشام- نسبة كبيرة من النصارى ويذكر منهم على سبيل المثال: مدير العدلية العام، مدير الأمن العام، مستشار المالية العام^(١).

والمدير العام تعني في عصرنا وزيراً، وماذا بقي للمسلمين إذا كانت شؤون وزارة الداخلية والقضاء والاقتصاد للنصارى؟!

(١) يوم ميلون، ساطع الحصري، ص: ٩١.

وإذن ليس صحيحًا أنهم كانوا يخشون من الثورة العربية، بل صحيح أنهم تظاهروا بالدعوة للقومية لتفريق صفّ المسلمين، ثم تأمروا على زملائهم في الثورة العربية، وكانوا متورّطين مع الفرنسيين والإنجليز منذ أيام الحروب الصليبية، ولو كان رفاق لورنس مسلمين لقلنا: وهذه عقوبة من الله للذين يوادّون أعداءه ويحاربون أوليائه.

وبعد الاحتلال الفرنسي حرص المجاهدون المسلمون والثوّار القوميون، على حماية المواطنين النصارى، والإغضاء عن مواقفهم المؤيِّدة لقوات الانتداب، ونذكر فيما يلي مثالين على ذلك:

المثال الأول: وجهت قيادة الثورة الرسالة التالية:

"إلى إخواننا المسيحيين في قضائي حاصبيا وراشيا المحترمين:

بلغنا أن بعضكم داخلهم خوف من وجود الحملة الوطنية في جوارهم فأخذوا ينزحون توهمًا منهم أن الثورة الوطنية قد تصيبهم بأذى، فساءنا هذا الخبر وآلنا جدّ الألم لأنهم إخوان لنا لا فرق بينهم وبين أيّ من الطوائف الأخرى، وثانيًا لأن عملهم هذا يؤذي شعورنا لما فيه من عدم الثقة بما أسلفناه من البيانات التي أوضحنا فيها حقيقة الثورة الوطنية ولقد اضطررنا بسبب موقفكم هذا إلى مخاطبتكم بصفتكم الطائفية على حين أننا لم نفعل ذلك من قبل تنزيهًا للثورة الوطنية من شوائب النزعات البعيدة عن الروح القومية.

ولكننا رأينا بعض السذج لم يدركوا الأغراض النبيلة التي ترمي إليها ثورتنا هذه فأسرعنا ببيانها على هذه الصورة تطميناً لهم. ونرجو عما قريب أن نثبت لكم وللما لا أن حركتنا القومية تستند على مبدأ الدين لله والوطن للجميع" (١).

ورغم ما في هذه الرسالة من كفر صريح، وشرك واضح فإنها لم ولن تحل مشكلة عند النصارى:

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مِلَّتَهُمْ﴾ البقرة: ١٢٠.

المثال الثاني: وهو اعتراف من اليهود والنصارى في سورية ولبنان والحق ما شهدت به الأعداء.

شكر وثناء:

نُشر في جريدة العاصمة في ٨/٨/١٩٢٠:

جاءنا من مديرية المطبوعات نص العريضة التي رفعها الرؤساء الروحانيون إلى صاحب المعالي رئيس الوزراء الأفخم ننشرها فيما يلي:

"يا حضرة الوزير المعظم!

إعلاناً للحقيقة، واعترافاً بالفضل لذويه نرفع نحن المسيحيين والموسويين المستقرين في دمشق وضواحيها على تعدد مللنا وطبقاتنا القومية تشكراتنا القلبية،

(١) تطور الحركة الوطنية في سورية ١٩٢٠-١٩٣٩، صحيفة لي تمبس، الصادرة في ١٥ نوفمبر

موجهةً إلى العلماء والأعيان والوجهاء والعامّة من إخواننا المسلمين من دمشق وضواحيها، لما صدر منهم في الأيام الأخيرة المخوفة من السهر الدائم على الراحة العامة وإقامة جنود وطنية للمحافظة على الأمن والسكينة ومنع الاضطرابات المقلقة، مما يسرّ لهم الذكر الجميل في صحف التاريخ ويوجب لهم لدى معاليكم يا دولة الوزير أن يفوزوا بتكرمة وتقدير، وليحفظ الله مجد دولتكم العلية والدولة المتدبة.

بطريك الروم الكاثوليك: تقلاوس.

مترو بوليت: بصرى وهوران.

ميخائيل بحاش: مطران السريان بدمشق.

مرخص أرمن بدمشق: استودس كيسهان.

النائب الأسقفى الماروني بدمشق: الخوري إبراهيم مساكي.

فارس الخوري، ناصيف أبو زيد، أسعد أبو شعر، قسطاكي الحمصي، إبراهيم طويل، ميخائيل وإلياس صحنأوي، ميشيل أواديس، شفيق قدسي، أنطوان أبو حمد، خليل عنجوري، أسير الخوري، موسى سعد شامية" (١).

(١) يوم ميلون، ساطع الحصري، ص: ٣٢١.

النصارى المعارضون للاحتلال:

يزعم دعاة القومية والوطنية أن المواطنين النصارى قاوموا الاستعمار الفرنسي، وقدموا تضحيات نفيسة، فمنهم من سُجن، ومنهم من نُفي وشرّد عن وطنه. ويذكرون من هذه الأسماء: فارس الخوري، وبشارة الخوري، ونُحات هذه الأسماء بهالات من التفخيم والتعظيم، كتلك الهالات التي أحيط بها اسم سلطان الأطرش وصالح العلي.

ولا ننكر أن بعض النصارى عارض سياسة الاحتلال الفرنسي، لكن هذه المعارضة بقيت سياسية إعلامية لا تتجاوز القلم واللسان.

وهؤلاء المعارضون كانوا صنفين:

١- الصنف الأول: ومعارضة هؤلاء كانت تزداد وتقوى إذا تعارضت مصالح الإنجليز مع الفرنسيين، وتضعف أو تجمد إذا تحسّنت العلاقات بين الدولتين، ويدخل تحت هذا الإطار البروتستانت، ودعاة الهلال الخصيب وأنصار الثورة العربية الكبرى - على حدّ زعمهم - وعلى هذا الأساس نستطيع تفسير معارضة بشارة الخوري.

٢- الصنف الثاني: وهذه المعارضة موضع اتفاق جميع الأطراف لأنها تدخل ضمن إطار توزيع الأدوار بين قادة النصارى. وعلى هذا الأساس نستطيع تفسير معارضة كميل شمعون وبيّار الجميل وغيرهما من الأسماء والشخصيات التي صنعتها فرنسا لتكون بديلاً لها في عهد ما يُسمّى بالاستقلال.

وضمن هذا الإطار تدخل معارضة فارس الخوري، وهي معارضة سياسية مشبوهة، ورغم ذلك افُتت كثير من المسلمين به حتى إن أحد أئمة المساجد في دمشق كان يهاجم أحد الوزراء في خطبة الجمعة لأنه طالب بمنع أذان الفجر في "الميكرفون" فقال: أين هذا الوزير وهو مسلم سنّي من فارس الخوري الذ قال لي: إنني أطرب جدًّا لصوت المؤذن وأفتح نافذة حجرتي عندما أسمع أذان الفجر بشكل خاص. إذن لماذا بقي نصرانيًّا كافرًا ولم يُسلم إذا كان يترنم لصوت المؤذن؟! لم يُجب الشيخ على هذا السؤال، ومات فارس الخوري كافرًا صليبيًّا، ومع ذلك حكم سورية فكان رئيس وزرائها ورئيس المجلس النيابي فيها، وثبت عددًا كبيرًا من النصارى في وظائف حساسة، وكانت سورية في عهده وبعد عهده تحتكم إلى غير شرع الله، ولا أدري بعد ذلك كيف كان محبوبًا عند المسلمين وهو الذي لم يخض معركة واحدة ضد فرنسا، ولم تكن معارضته أكثر من تقريب وجهات النظر بين الزعماء الذين سرقوا نتائج جهاد المجاهدين وبين سلطة الانتداب.

هذا ما حدث في سورية، أما في لبنان فهذه نبذة عن سيرة بعض زعماء المعارضة من النصارى فيها:

١- بشارة الخوري:

وُلد سنة ١٨٩٠ وهو ابن خليل الخوري الذي كان إبان الحكم العثماني مديرًا للقلم العربي بمتصرفية لبنان، ودرس -صاحب الترجمة- في جامعة القديس يوسف اليسوعية في بيروت وتخرّج محاميًّا. مارس هذه المهنة في كل من بيروت

والقاهرة ثم عُيِّن وزيراً للداخلية سنة ١٩٢٦ في حكومة (أوغست ديب).

أُنتخب سنة ١٩٤٣ أول رئيس للجمهورية اللبنانية بعد إعلان الاستقلال، ولما حاول أن يلغي من الدستور المواد التي كانت تتناقض مع هذا الاستقلال اعتقلته سلطات الانتداب الفرنسي مع مجموعة من الوزراء في قلعة راشي^(١). ورمت إنجلترا بثقلها إلى جانب بشارة الخوري.

لقد تقدّم الوزير الإنجليزي في الجزائر - حينذاك في ١٣ نوفمبر ١٩٤٣ بمذكرة إلى اللجنة الوطنية الفرنسية ينصح فيها بالتراجع عن التصرفات التي اتخذتها المندوبية الفرنسية في بيروت، إلا أن الجنرال ديغول رفض النصح وأيد (هللو) - المندوب الفرنسي في بيروت - في موقفه الذي عارض الجنرال كاترو - قائد قوات فرنسا الحرّة.

وبعد رفض ديغول هدّد الوزير البريطاني بتدخل قواته من أجل إعادة الأمور إلى نصابها في لبنان، وأرفق مع تهديده الاقتراح التالي:

أ- استدعاء المندوب الفرنسي المسيو هللو فوراً من بيروت وإحلال آخر محلّه.

ب- الإفراج عن المعتقلين - بشارة ومن معه من الوزراء - فوراً وعودة الأمور إلى ما كانت عليه.

(١) الموسوعة السياسية، د. عبد الوهاب كيالي وكامل زهير، ص: ١٢١، والقاموس

السياسي، أحمد عطية الله ص: ٢٠٤.

وأذعن الجنرال (ديجول) للضغوط الإنجليزية، فكلف الجنرال (كاترو) بالسفر إلى بيروت وأعطاه الحرية في التصرف طبقاً للظروف.

وحاول (كاترو) أن يتوصل إلى حلٍّ مع بشارة الخوري ينقذ فيه سمعة وكرامة فرنسا إلا أن الأخير تصلب في موقفه فتّمت إعادته إلى السجن. وعادت بريطانيا تمارس ضغوطها على فرنسا.

ففي ١٩ نوفمبر استدعى المستر كاسي الجنرال كاترو وأبلغه أنه إذا لم يفرج عن المعتقلين خلال ثلاثة أيام فإن إنجلترا سوف يكون لها حرية التصرف، وأبلغ الجنرال كاترو ذلك التهديد إلى اللجنة الوطنية الفرنسية بالجزائر، وكانت إجابتها بالتسليم.

ولو أن فرنسا رفضت التهديد البريطاني لوقعت حرب بين البلدين، وبريطانيا أبحث من أن تخوض حرباً مع حليفها فرنسا لولا أنها تعلم أن بشارة الخوري ومن معه يخدمون مصالحها ويمشون في ركابها، وهكذا خرجت فرنسا من المعركة صاغرةً خاسرةً، وخرج بشارة الخوري بطلاً من أبطال العرب وقد استجابت فرنسا إلى جميع مطالبه.

ومما تجدر الإشارة إليه أن إنجلترا التي صنعت بطولة بشارة الخوري لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تتدخل من أجله. لقد سبق لها أن تدخلت من أجل استقلال لبنان ١٩٤١، وتوترت العلاقات بين المندوب البريطاني والجنرال ديغول أكثر من مرة، وعندما اضطر كاترو إلى إصدار بيانه الذي أعلن فيه إنهاء الانتداب،

سارع (مايلز لامبسون) سفير بريطانيا في القاهرة إلى إذاعة بيان يبرز من خلاله دور بريطانيا في المنطقة وحرصها على استقلال لبنان وسورية^(١).

وجملة القول: كان ارتباط بشارة الخوري بالإنجليز مكشوفاً عند عامة الناس وخاصتهم. قال الكاتب اللبناني إلياس الديري:

"كنا صغاراً، وكان عمر الاستقلال صغيراً. كنا نسمعهم يقولون داخل الغرف المقفلة النوافذ (الإنجليز مع ابن الخوري، والفرنساوية مع إده) نسمعهم ولا نفهم شيئاً، وعندما كبرنا وكبر عمر الاستقلال وكبرت الضجّة حول دولة الاستقلال واستقلال الدولة عدنا نسمعهم يقولون داخل غرف مشرّعة النوافذ والأبواب: (الإنجليز مع ابن شمعون والأمريكان مع ابن شهاب)"^(٢).

وعن معركة الرئاسة عام ١٩٤٣ يقول موسى مبارك:

"إن المعركة الحقيقية كانت بين الإنجليز والفرنسيين: الإنجليز يدعمون الشيخ بشارة بكلّ قواهم، والفرنسيون ينشطون من أجل إيصال إميل إده.

كانت الأنظار متجهةً إلى رياض الصلح، هل يبقى إلى جانب إميل إده فيربح الفرنسيون المعركة، أم ينقلب إلى جانب بشارة الخوري ويربح الإنجليز؟

(١) سياسة الحكم في لبنان. د. حمدي الطاهري ١٢٠، ١٤٢، ١٤٣ بتصرف.

(٢) ملف النهار، رؤساء لبنان، من يصنع الرئيس، من المفاوضات إلى السفارات ص: ٧ صدر

رياض الصلح وفاءً منه لإدته دخل المعركة إلى جانبه برغم الضغوط التي تعرّض لها من سوريا والعراق! إلا أنه لم يصمد حتى النهاية أمام هذه الضغوط التي اشترك فيها شكري القوتلي وسعد الله الجابري وجميل مردم ونوري السعيد إلى جانب الإلحاح الآتي من القاهرة مع تحيات النحاس باشا! فانسحب الصلح من معسكر إميل إده لينضمّ إلى جبهة بشارة الخوري مع محاولة التوفيق بين الاثنين في سبيل الإجماع وفاز الخوري وفرح الإنجليز^(١).

وقال د. حمدي الطاهري:

"وفي خلال حكم الشيخ بشارة الخوري لم يتضاءل النفوذ البريطاني لأنه اتخذ من موقفه مع الشيخ بشارة حجةً لفرض نفسه، إلا أن هذا النفوذ لم يكن ظاهرًا للعيان - مثل النفوذ الفرنسي - وذلك لأن إنجلترا فضّلت أن تقوم بدورها وتنفّذ أهدافها من وراء ستار حتى لا تثير النعرة القومية وتجرح فكرة الاستقلال الذي ساندته، كما أن فرنسا بدأت تروج بين أوساط مؤيديها بأن إنجلترا لم تُخرج فرنسا من لبنان إلا لكي تحلّ محلها، وبذلك فضّلت إنجلترا أن تحتفي من فوق خشبة المسرح السياسي تاركةً لأعوانها تنفيذ مآربها، ولم تنس أن تدعم نفوذها الثقافي حتى يكون سندًا لها في المستقبل^(٢).

وقال السياسي اللبناني ريمون إده: " .. في أي حال رئيس الجمهورية في لبنان لا

(١) من يصنع الرئيس.

(٢) سياسة الحكم في لبنان، د. حمدي الطاهري ص: ٤١٧، المطبعة العالمية في القاهرة.

ينتخبه الشعب بل المجلس النيابي. وقسم كبير من النواب اللبنانيين اعتاد على الاقتراع وفق تعليمات خارجية: في ١٩٤٣ انتخبوا بشارة الخوري بالاتفاق مع بريطانيا العظمى والنحاس باشا، في ١٩٥٢ انتخبوا كميل شمعون وفقاً لإرادة بريطانيا العظمى، وفي ١٩٥٨ انتخبوا فؤاد شهاب وفقاً لإرادة عبد الناصر وأمريكا.. وفي ١٩٧٦ انتخبوا الرئيس سركيس وفقاً لإرادة سوريا وأمريكا، وعلى كل، الجنرال شارون لم يخف نياته عندما أعلن أنه يريد نظاماً جديداً في لبنان مما يعني أنه يريد نظاماً ورئيساً خاضعين لإسرائيل" (١).

وبعد: هذه هي قصة بطولة بشارة الخوري ووطنيته. وهذه هي قصة استقلال لبنان، وبعد الاستقلال أحيط بشارة الخوري بهالات من التمجيد والتعظيم، وصار صاحب الفضل الأول في وحدة لبنان بطوائفه المتعددة، وحقق عن هذا الطريق مكاسب كثيرة للنصارى من أهمها ما يلي:

أ- ضمن لطائفته في المجلس النيابي اللبناني عدداً من المقاعد يزيد على عدد مقاعد المسلمين، وبعد أن احتكم الطرفان -الإسلامي والنصراني- إلى الجنرال الإنجليزي (سبيرس) الذي قضى بإعطاء الطوائف الإسلامية ٢٥ مقعداً والطوائف المسيحية ٣٠ مقعداً. فقبل الجميع بهذا الحل الذي ترجمه قرار المندوب

(١) حديث ريمون إده جاء في مقابلة صحفية أجرتها معه صحيفة (المجلة) الصادرة في لندن في عددها رقم ١٢٥ بتاريخ ٣/٧/١٩٨٢، ولم يذكر ريمون دور فرنسا مع أبيه إميل إده، بل لم يشير إلى اسم فرنسا وكأنها ليست دولة استعمارية، وما لم يذكره ريمون عن أبيه سنذكره بعد قليل.

العام الصادر في ٣١ تموز ١٩٤٣، والذي أصبح تقليدًا متبّعًا في تقسيم المقاعد النيابية على الطوائف اللبنانية^(١).

علمًا بأن النصارى ليسوا أكثريةً رغم سيطرتهم على شؤون الأمن والجوازات، ولكنها مؤامرة دبرها الإنجليز والفرنسيون مع بشارة الخوري، ولعب الملك فاروق ورئيس وزرائه النحاس باشا دورًا في تخدير المسلمين في لبنان فقبلوا ما لحقهم من ظلم.

ب- الميثاق الوطني ليس مكتوبًا حتى نقول إن رئاسة الجمهورية حق للنصارى، وتمكّن بشارة الخوري من حلّ هذه المشكلة لمصلحة طائفته قبل اعتزاله الرئاسة، فبعد انتهاء فترة رئاسته الأولى "أراد أن يمدّد فترة رئاسته ست سنوات أخرى بالرغم من أن الدستور يعارض مثل هذا التجديد فكان أن أجرى انتخابات سنة ١٩٤٧ تميّزت بالتدخل والتزوير. وفي سنة ١٩٤٨ عدّل الدستور بصورة استثنائية وأعاد مجلس النواب انتخابه^(٢).

وبعد انتخابه للمرّة الثانية تعارف الناس في لبنان على أن تكون رئاسة الجمهورية للنصارى. ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، وإنما نجح بشارة الخوري في توسيع صلاحيات رئيس الجمهورية فصار رئيس الوزراء ليس أكثر من رئيس كتبة

(١) الطائفية ولعبة الحكم في لبنان، د. رياض الصمد، ص: ٣٥، توزيع دار النهار للنشر.

(٢) الموسوعة السياسية، د. عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري ص: ١٢١، المؤسسة العربية

في ديوان رئاسة الجمهورية.

ج- في عهد بشارة الخوري سيّطر النصارى على كافة مرافق الدولة ومؤسساتها: التجارة والصناعة والصحة والتعليم وقطاع السياحة والمصارف وغيرها، بحجة أنهم يتفوّقون على المسلمين بالتقنية والعلم والتطور في التعامل الذي يفتقر إليه المسلمون.

د- تميّز عهد بشارة الخوري بسوء الإدارة والرشوة، والفوضى، وبالعصيان المسلّح الذي قام به السوريون القوميون سنة ١٩٤٩، وبالقطيعة بين سورية ولبنان^(١).

ويجب أن لا يغيب عن أذهاننا أن نشر الفساد، وإشاعة الفوضى جزء من مهمة الإرساليات التبشيرية في بلاد المسلمين، وبشارة الخوري ومن جاء بعده من رؤساء لبنان وكلاء لمصالح الدول الغربية والإرساليات التبشيرية.

بقي سؤال يفرض نفسه:

كيف نجمع بين إيمان بشارة الخوري بالجامعة العربية والمكاسب التي حقّقها لأبناء طائفته في لبنان؟!

الجواب: إن نصارى بلاد الشام كانوا من أكثر الناس حماسةً للقومية العربية، وتطوّعوا في الثورة العربية الكبرى!! تحت قيادة لورنس.

(١) الموسوعة السياسية ص: ١٢١.

وإذا علمنا أن بريطانيا ساهمت مساهمة فعّالة في تأسيس الجامعة العربية لتكون حصناً للذين يجاربون الجامعة الإسلامية فليس من المستغرب أن يكون بشارة الخوري من المؤمنين بها، والعاملين تحت لوائها.

٢- كميل شمعون:

كميل نمر شمعون وُلد سنة ١٩٠٠ ببلدة دير القمر في جبل لبنان، تخرّج من كلية الحقوق واشتغل بالمحاماة عام ١٩٢٤، انضمّ إلى الجبهة الدستورية التي كان يتزعمها بشارة الخوري، انتُخب عضواً بالبرلمان عام ١٩٣٤، وفي عام ١٩٣٨ عُيّن وزيراً للمالية ثم وزيراً للأشغال حتى عام ١٩٤١ إبّان انتداب حكومة فيشي على لبنان.

كان وزيراً للداخلية في حكومة رياض الصلح سنة ١٩٤٣، وسُجن مع رئيس الوزراء وبشارة الخوري في قلعة راشيا، وبين ١٩٤٥-١٩٤٦ عُيّن وزيراً مفوضاً للبنان في لندن، ومثّل بلاده في أول اجتماع لهيئة الأمم عام ١٩٤٦ في لندن ثم في نيويورك، وتمّ انتخابه رئيساً للجمهورية سنة ١٩٥٢.

وإذن كان كميل شمعون شريكاً في الجبهة الدستورية، وفي المناصب الحكومية، وفي الارتباط العضوي ببريطانيا، ومن الجدير بالذكر أن الجنرال البريطاني (سبيرز) رشّحه لرئاسة الجمهورية سنة ١٩٤٣^(١)، ثم تمّ سحب ترشيحه لمصلحة بشارة

(١) القاموس السياسي، أحمد عطية الله، ص: ٩٨٤، أما ارتباط شمعون ببريطانيا فلا ينكره كلُّ

الخوري الذي دعمته بريطانيا ضد إميل إده مرشح فرنسا، وعادت بريطانيا ففرضته سنة ١٩٥٢ رئيساً للجمهورية، فخدم مصالحها في المنطقة، وحاول الانضمام لحلف بغداد، لكنه تراجع أمام معارضة البطريرك وسائر القيادة الدينية.

وبعد أن أفل نجم بريطانيا استبدلها بالولايات المتحدة الأمريكية، فرحب بمشروع (أيزنهاور) الخاص بالشرق الأوسط عام ١٩٥٧، وكان موقف شمعون من مشروع أيزنهاور سبباً من أسباب ثورة سنة ١٩٥٨ التي اضطرت به إلى الاستعانة بالأسطول السادس الأمريكي.

وانتهت الثورة باختيار فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية وكان لعبد الناصر والولايات المتحدة الأمريكية دور في هذا الاختيار، أما كميل شمعون فلم يتخلّ عن كرسي الرئاسة إلا في الثاني والعشرين من سبتمبر ١٩٥٨ وهو اليوم الأخير لانتهاه ولايته الرسمية طبقاً للدستور^(١).

وخاض شمعون معركةً ضد المسلمين في لبنان سنة ١٩٧٥، واستعان في حربه بإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، ولنتركه يتحدث عن نفسه في حديث نشرته له صحيفة (لوريقي) اللبنانية في الأسبوع الأول من شهر تموز سنة ١٩٧٧.

قال شمعون: "لقد كنا الوحيدة الذين تعيّن علينا أن نقاتل ليس ضدّ كراهية

من كتب في تاريخ لبنان الحديث وسبق أن ذكرنا بعض الشواهد على ذلك.

(١) المصدر السابق. وكتاب سياسة الحكم في لبنان، د. حمدي الطاهري، ص: ٣٣٠، ٣٤٤،

٣٤٨. ووقف مع كميل شمعون في حرب ١٩٥٨ الأهلية حزب الكتائب والحزب القومي السوري.

الأجانب فحسب بل ضدّ الشيوعية بصفة خاصة.

وقال أيضًا: لقد خضنا معركة الغرب وأوروبا وأمريكا، وبالرغم من ذلك تركونا وحدنا من أجل برميل واحد من البترول".

وختم حديثه قائلاً:

"إن أوروبا من أجل عدم إغضاب الامبراطورية العثمانية القوية تركت (الفنيقية) تواجه مصيرها المحزن، وفي الوقت الحاضر وخلال الحرب التي استمرت عامين تركنا لأنفسنا هذا بالرغم من أننا بلد ذو أهمية استراتيجية وأيديولوجية كبيرة بالنسبة لأوروبا".

وفي ٢٣ حزيران عام ١٩٨٢ نشرت صحيفة السياسة الكويتية مذكرات أحد رجالات المخابرات الأمريكية، يكشف الكاتب في مذكراته عن علاقته بكميل شمعون في سنة ١٩٥٦ عندما كان رئيسًا للجمهورية، وكيف كان يتعاون معهم من أجل الاطاحة بنظام الحكم القائم في سورية حينذاك.

ولا يستنكر أحد من الذين يعرفون كميل شمعون أقواله وتصريحاته التي يعلن فيها أنه خاض معاركه دفاعاً عن أوروبا وأمريكا، وهو من غير حياء أو خجل يصرّح بكرهه للعرب والإسلام، ويرى وجوب تعاون موارد لبنان مع إسرائيل وأمريكا وبريطانيا.

لكن الذي لا يعرفه المسلمون في بلاد الشام أن كميل شمعون كان أيام الانتداب الفرنسي من الزعماء الوطنيين الذين ينادون باستقلال لبنان الناجز.

بل إن النواب المسلمين في المجلس النيابي اللبناني كانوا يؤيدون شمعون وكان يومذاك يوصف بـ: "فتى العروبة الأغر" !!

والذي نراه أن كميل شمعون الأمس هو نفسه كميل شمعون اليوم، وكلّ الذي حدث أنه اعتزل سياسة التمثيل السياسي.

٣- آل إده:

رفض ريمون إده سياسة الكتائب الداعية إلى تقسيم لبنان، كما رفض العنف الذي أدى إلى حرب سنة ١٩٥٧، ومن ثم تدخل سورية عسكرياً في شؤون لبنان.

واضطر إلى مغادرة لبنان بعد أن تعرّض إلى أكثر من محاولة اغتيال، واستقرّ به المقام في فرنسا-الأم الحنون- وما يزال مقيماً بها حتى تاريخ كتابة هذه الأسطر.

وفي باريس يعقد ريمون المؤتمرات والندوات الصحفية التي ينادي فيها بوجود تعايش الطوائف في دولة لبنانية واحدة، ويندد بالمؤامرات التي تُحاك ضدّ لبنان، وروجّ خصوم الكتائب لأفكار ريمون، فأصبح في منظار الناس زعيماً وطنياً وبطلاً قومياً، وعدواً للطائفية، ومن أجل أن لا تتكرّر مأساة بشارة الخوري كشف فيما يلي سيرة إميل إده وابنه ريمون:

إميل إده: اشترك في الثورة على الحكم العثماني إبّان الحرب العالمية الأولى،

وحُكِمَ عليه بالإعدام، والتجأ إلى فرنسا^(١) وعاش بها حتى عام ١٩١٨ حيث عاد إلى بيروت على ظهر بارجة فرنسية، وأُقيم مستشاراً للمفوضية الفرنسية، وعُيِّن وزيراً للداخلية ثم انتُخب رئيساً للجمهورية اللبنانية عام ١٩٣٦ خلفاً لحبيب باشا السعد، فكان ثالث من تولّى المنصب إبان الانتداب الفرنسي على لبنان. فشل في انتخابات الرئاسة سنة ١٩٤٣، وكان مرشح الجناح الفرنسي^(٢).

وبعد اعتقال بشارة الخوري عمدت فرنسا إلى تعيين إميل إده رئيساً للجمهورية، لكنه فشل في تشكيل الوزارة، حيث لم يقبل أحد التعاون معه نظراً للظروف التي قامت في ذلك الوقت ولنظرة الجميع إليه على أنه رئيس غير شرعي للبلاد. وقد اتَّجَهَت النية بعد استقرار الأوضاع في البلاد والإفراج عن الرئيس الشرعي إلى محاكمة إميل إده بتهمة الخيانة العظمى، وأثير ذلك في مجلس النواب في شهر ديسمبر عام ١٩٤٣، إلا أن منافسه الشيخ بشارة الخوري لم يوافق على ذلك محافظةً على وحدة صفوف المسيحيين، واكتفى مجلس النواب بفصله من عضويته بحجة أنه قبل وظيفة عامة وهو نائب^(٣).

(١) انظر التشابه بين إميل إده وابنه ريمون ترى هل يعود الابن اليوم إلى بيروت كما عاد أبوه من قبل أن تعود جثته؟! من قبل أن تعود جثته؟! من قبل أن تعود جثته!؟

(٢) القاموس السياسي ص ١٢٤. ومن الجدير بالذكر أن مدّة رئاسة إميل إده استمرّت منذ ١٩٣٦ وحتى ١٩٤١.

(٣) سياسة الحكم في لبنان ص: ٢٨٦.

وكان إميل إده متطرفاً في آرائه الخاصة، وكان يهدف إلى صبغ لبنان باللون المسيحي، وكان يخشى اليوم الذي يصبح فيه المسلمون أكثرية في لبنان - نظراً لتناسلهم السريع - مما سيؤدي إلى طغيانهم العددي ومما قد ينتج عن ذلك من قوة لن تكون في صالح مسيحية لبنان.

وكان لا يخشى التصريح في هذه الآراء، قال: "إذا لم يُرد المسلمون قبول الوضع الراهن في لبنان، فما عليهم إلا الرحيل إلى الحجاز" ^(١).

وقال أيضاً: "إننا والسوريون أمتان مختلفتان كلّ الاختلاف، إننا الجزيرة المسيحية الوحيدة في البحر الإسلامي".

كما صرح لأحد الصحفيين الأمريكيين بأنه لا علاقة له ولا صلة له بالشرق أو العروبة وأنه وجميع الموارنة في تفكيرهم ولغتهم غربيون ^(٢). وورث ريمون تراث أبيه السياسي بعد هلاكه عام ١٩٤٩ - أي بعد انتهاء الانتداب الفرنسي - وإذا كنا لا نستطيع محاسبته عن المرحلة التي سبقت لأن أباه كان مسؤولاً عنها، فلدينا ما يكفي لإدائته ومن ذلك ما يلي:

أ- تولى ريمون إده رئاسة حزب أبيه - الكتلة الوطنية -، ويستعمل الحزب لفظ (العميد) بدلاً من الرئيس، وهذا يعني أنه يسير على نهج أبيه لأنه تولى زعامة حزبه

(١) سياسة الحكم في لبنان، ص: ٢٨٥.

(٢) جريدة صوت الأحرار ١٩ آذار ١٩٣٣، عن مجلة الفكر الإسلامي جمادى الأولى ١٣٩٨.

وسياسة الحكم في لبنان ص: ٢٨٥.

وورث مقعده النيابي، ولم يُنقل عن ريمون أنه نقد سياسة أبيه، وأقرب مثال حديثه مع صحيفة (المجلة) الذي نقلناه قبل صفحات وفيه تحدّث عن ارتباط رؤساء لبنان السابقين بالدول الأجنبية وقفز عن ذكر أبيه الذي كان غارقاً في مستنقع العمالة لفرنسا حتى شحمتي أذنيه، ولا ندري إذا كان لا يعتقد أن فرنسا دولة أجنبية.

ب- كان ريمون إده من المؤيدين لمبادرة (أيزنهاور) الخاصة بالشرق الأوسط عام ١٩٥٧، ومن الذين رحّبوا بالتدخل الأمريكي في لبنان عام ١٩٥٨ ومحاضر جلسات المجلس النيابي تشهد بذلك^(١).

ج- كان ريمون إده من الذين عارضوا اتفاقية القاهرة التي تمّ بموجبها إعطاء الوجود الفلسطيني العسكري صفةً شرعيةً في لبنان، في حين كان (بيار الجميل) أحد الموقعين على الاتفاقية، وإذا كانت منظمة التحرير ومؤيّدوها يعتبرون هذه الاتفاقية انتصاراً لهم ولنضالهم، فريمون إده كان عقبه في طريق القضية الفلسطينية في لبنان^(٢).

د- بعد تصريحات وطنية كثيرة، وبعد جولات وزيارات قام بها ريمون إده لعدد من الدول الغربية في نهاية عام ١٩٧٥ بعد هذا كلّ طالب ابن اميل بتدخل

(١) نقل د. حمدي الطاهري في كتابه سياسة الحكم في لبنان بعضاً من محاضر الجلسات التي

تؤكّد تأييد ريمون إده لمشروع أيزنهاور ص: ٤٣٥.

(٢) صحيفة المجلة العدد ١٢٥ تاريخ ١٩٨٢/٧/٣.

الأسطول السادس الأمريكي لإنهاء الحرب اللبنانية^(١).

إذن ما هو الفرق بين ريمون وبيّار أو بين ريمون وشمعون؟!

إن الفرق كلّهُ أن حزب الكتائب يشكّل قوةً لا يُستهان بها في لبنان، أما الكتلة الوطنية فحركة فاشلة لا مستقبل لها. واستطاع شمعون أن يتقلّد رئاسة الجمهورية أما ريمون فلقد فشل أكثر من مرّة، ولم يبق أمامه إلا أن يلبس لبوس الوطنية، ويجمع خصوم الكتائب وشمعون حوله من المسلمين والنصارى ليكون مرشّحهم في انتخابات الرئاسة.

شاهدان من النصارى:

إن ارتباط النصارى بفرنسا وبريطانيا والفايكان حقيقة لا ينكرها إلا كلّ مكابر لا يحترم الدليل، ولا يقيم وزناً للحجج والبراهين، ومن المفيد أن نختم هذا الفصل بشهادتين لعلمين من أعلام النصارى:

الشاهد الأول: رشيد سليم الخوري - الشاعر القروي - عاصر الانتداب الفرنسي وشاهد بعينه خيانة النصارى وغدرهم، وصحا ضميره ذات مرّة فأنشد يقول:

وكيف ألوم في وطني الزمانا ومنا ذلّة لا من سوانا؟

(١) نشرت صحف العربية تصريحات ريمون إده التي يطالب فيها بتدخل الأسطول السادس

في نهاية شهر ١٢ عام ١٩٧٥.

ألسنا قد أهناه فهانا وقلنا كن فرنسيًا فكانا؟

إذن فليهننا نيل المراد

رضينا للتعصّب أن نهونا فأغمضنا على الضيم العيوننا

نقول: المسلمون المسلمونا فنرميهم ونحن الخائنونا

نبيع بدرهم مجد البلاد

بربك قل: متى لبنان ثارا ليدرك من علوج الغرب ثارا؟

متى نفرت إلى السيف النصارى لتغسل بالدم المسفوك عارا؟

وتحرز مرّةً شرف الجهاد^(١)

والشاعر القروي لا يهاجم آل إده أو آل الخوري، أو أية فئة من فئات النصارى من منطلق الصراع القبلي أو التنافس السياسي، وإنما شمل هجومه جميع النصارى في لبنان، ووصمهم بالذل والتعصّب والخيانة، وأنكر أن يكون النصارى قد ساهموا بمعركة واحدة ضدّ المحتلّين الفرنسيين.

وبعد لحظات من صياغة هذه القصيدة عاد الشاعر القروي كما كان داعيةً من دعاة الكفر والزندقة. انظر إليه يقول:

بلادك قدّمها على كلّ ملّة ومن أجلها أفطر ومن أجلها صم

(١) حقيقة القومية العربي، محمد الغزالي ص: ١٥٠.

سلام على كفر يوحد بيننا وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم
فقد فرقت هذي المذاهب بيننا وقد أودعتنا بين ناب وميسم
ويقول في قصيدة نونية أخرى:

يا مسلمون ويا نصارى دينكم دين العروبة واحد لا اثنان
وإذا كان يعترف بأن النصارى خائنون، ولا يجاهد الدخيل المحتل إلا المسلمون
فلماذا ينادي بعبادة العروبة والبلاد من دون الله؟!

ولقد علمتُ من أحد أصدقاء الشاعر أنه كان من المتعصّين ضدّ المسلمين،
ويتظاهر بالاعتدال والحياد من أجل إخراج المسلمين عن دينهم كما فعل بشارة
الخوري وفارس الخوري وميشيل عفلق وغيرهم من نصارى قومية لورنس.

ومن المؤسف اهتمام القائمين على مناهج التعليم في البلاد العربية بشعر رشيد
سليم الخوري حيث فرضوا على الناشئة حفظ قصائده رغم ما فيها من كفر صريح،
ترى هل نحن أميون جهلة ولا نفهم الوطنية إلا من صليبيّ ضالّ؟!

الشاهد الثاني: غريغوار حدّاد مطران بيروت للروم الكاثوليك، وجاءت
شهادته في محاضرة ألقاها في قاعة المحاضرات في مدرسة الفرنسييسكان في بيروت،
وحضر المحاضرة أكثر من ألفي شخص، وكان مما قاله:

"إن الاستعمار الغربي والمسيحية تلازمتا معاً ضدّ الحضارة والقيم والإنسانية،
لذا أطلب بتحرير القيم الإنسانية من سيطرة القيم المعتبرة مسيحيةً وجعلها مشاعاً

للعالم" (١).

ولا يعيننا في هذا الموضوع بقيّة محاضرة المطران حدّاد وما فيها من هجوم على الكنيسة والعقيدة التي يدين بها النصارى، وإنما الذي يعيننا أن غريغوار قد قال هذا الكلام في لبنان، وأوّل ما يعني في نقده القيادة الدينية النصرانية في لبنان، ومن أجواء بيروت وجبل لبنان كوّن قناعاته عن ارتباط المسيحية بالاستعمار الغربي، ومع ذلك فهو ينقد الكنيسة حيث كانت وفي أي أرض أُقيمت.

ومن ذا الذي يزعم بعد عرض هذه الأدلة أن نصارى بلاد الشام قاوموا الاحتلال الفرنسي، وبدلوا الغالي والنفيس من أجل الاستقلال!؟

(١) نشرت الصحف اللبنانية محاضرة غريغوار حدّاد في ١٢ مارس ١٩٧٤.



النصارى في عهد الاستقلال

- كلمة عن هذه المرحلة .

- الوصايا العشر .

- خطة الموارنة :

أولاً- الجانب الثقافي .

ثانياً- الجانب الاقتصادي .

ثالثاً- الجانب العسكري .

رابعاً- جانب الإدارة والحكم .

□

كلمة عن هذه المرحلة:

زرتُ بيروت في الهدنة الأولى التي جاءت بعد مذبحه عين الرمانة، وتحولت في أحياء المدينة ومخيماتها، وشاهدت الخراب والدمار عن كثب، كما زرتُ صيدا وطرابلس وبعض المخيمات الأخرى، وكلّ الذي رأيته كان ينذر بالانفجار لا محالة.

وأثناء لقائي مع بعض العاملين في حقل الدعوة الإسلامية سألتهم هل انتهت الحرب أم تتوقعون أن تنفجر مرّة أخرى؟

فكان ردّهم: لن يتجدّد القتال مرّة أخرى بعد أن تلقى الموارنة ضربةً شديدةً، وحاولتُ إقناعهم بغير ما يرون فلم أفلح، وما وجدت عندهم معلومات تفيدني، ولم أستغرب جهل إخواننا بإمكانات الموارنة. على أية حال كنتُ أرى أن هناك مؤامرةً يدبرها أعداء الإسلام في لبنان، ومن المتورّطين فيها: الموارنة، وسادات مصر، وأسد سورية، وإسرائيل والولايات المتحدّة الأمريكية، واليسار الأمريكي في المنظمة -جورج حبش ونايف حواتمة ومنظمة الصاعقة السورية-. وستكون لبنان المحطة الأخيرة في السياسة التي اتبعها كيسينجر وزير الولايات المتحدة الأمريكية السابق -أي سياسة الخطوة خطوة-.

وكنتُ أبحث عن جواب للسؤال التالي:

ما هي الخطة التي سار عليها الموارنة حتى تمكّنوا من السيطرة على لبنان؟!

وسأعرض في هذه الصفحات خطة المارون: الاقتصادية، والسياسية، والإدارية، والثقافية، والعسكرية، منذ بداية عهد الاستقلال وحتى بداية حرب لبنان، أي الجواب على السؤال السابق.

ولا أدعي أنني اطلعتُ على كلِّ ما عندهم بل هذا ما استطعت الحصول عليه، وبالتأكيد لقد فاتني شيء كثير، ولكنني بذلت الاستطاعة، ومنذ بداية حرب لبنان وأنا أتابع باهتمام ما يكتب عنهم من كتب ودراسات ووثائق.

أما القسم الثاني من هذا البحث فسأعرض فيه العقلية التي يفكر بها النصارى بدون مجاملة ومن غير نفاق، ويحتوي هذا القسم محاضرةً للأب بطرس ضمو الأستاذ في كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية، ووثيقةً تقدّم بها الموارنة للمبعوث الفرنسي الذي زار لبنان للاستطلاع ورؤية الأحداث عن كتب.

ومن الجدير بالذكر أنني كتبتُ بعض فصول هذا البحث في عامي ١٩٧٥ - ١٩٧٦، وأبقيته دون تعديل أو إضافة.

وكما ذكرت في مقدمة الكتاب: إن البحث ليس دراسةً تاريخيةً بكلِّ ما تعنيه كلمة تاريخ، وإنما تتبع لمخططات أعداء الإسلام من أجل إقامة دول لهم في بلاد الشام خاصةً والعالم الإسلامي عامةً.

الوصايا العشر:

اقتحم الفلسطينيون ديرًا في المتن الأعلى خلال الحرب اللبنانية سنة ١٩٧٥، ويجب أن لا يغيب عن الأذهان أن معظم الكنائس والأديرة في لبنان صُممت على شكل قلاع على قمم الجبال والهضاب، فلا غرابة إذن من اقتحامه لأنه كان ملجأً وغرفة عمليات للمقاتلين النصارى، وأثناء التفتيش عثر الفلسطينيون على منشور باللغة الفرنسية، ويعود تاريخه إلى سنة ١٩٤٣، وفي ٢٠ آب ١٩٧٦ أذاع كمال جنبلاط هذه الوثيقة، ونشرتها الصحف اللبنانية في اليوم التالي، وفيما يلي ترجمة المنشور:

"يا أبناء يسوع المسيح، يا من صبرتم على الذل والهوان عبر القرون دفاعًا عن عقيدتكم. أيها الشرفاء الأطهار لا تنسوا هذه الوصايا العشر:

١- إن هذا الوطن لم يُخلق إلا لكم حتى تجمعوا شملكم وتباشروا حریتكم بعد الحروب التاريخية (لعلها الحروب الطائفية فيما بين ١٨٤١-١٨٦٠) فاعلموا جيّدًا أن كلمة لبناني معناها مسيحي أما العرب الذين جاؤوا من الصحراء فيجب أن يعودوا إليها (وعربي تعني مسلم في النص).

٢- إننا قد ربّنا لكم أهم الأشياء التي تضمن لكم معيشةً حسنةً على هذه المنطقة، مثل تملك الأراضي والتوكيلات الأجنبية (وقد ساعد الفاتيكان والدول الأوروبية الأخرى الموارنة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ماليًا من أجل الحصول على الوكالات الدوليّة والوضع السياسي وشؤون التقدّم) وقد وضعنا

ذلك كله في أيديكم ويبقى عليكم أن تحافظوا على هذه المكاسب وتزويدها مع الأيام.

٣- جاهدوا للسيطرة على المصايف وأمور السياحة وامتلاك ساحل البحر وأخرجوهم من قراكم كلما أصبحتم غالبية أو أغلبيةً ولا تنسوا تجهيز ميناء احتياطي في مدينة غير بيروت لا يكون فيها مسلمون وذلك عندما تسنح الفرصة. (وهذا المرفأ هو جونيه. ومنذ الأحداث الأخيرة أضيف مطار حامات قرب البترون).

٤- عليكم بأسباب القوة من لياقة بدنية وتنظيمات للشباب. واهتموا بالجيش وعليكم بكتمان أموركم والثوق من سلامة صفوفكم لأن المعركة مع الأعداء مستمرة وطويلة، وهم يطوقونكم من كل جانب (إنها الروح الصليبية).

٥- احرصوا على الزعامة الأدبية كنشر الكتب والسيطرة على النقابات والاتحادات، ولا تعترفوا أن تراث لغتكم وتاريخكم ملك للمسلمين وخدمهم، وحاربوا بلا هوادة الأفكار والأشخاص الذين يعاكسون أفكاركم.

٦- إن الاختلافات المذهبية بينكم يجب ألا تخرج عن النظرية والسطحية لأن حياتكم مرهونة باتحادكم أمام العدو الكافر، ولكنكم أبناء يسوع الذي علمنا المحبة (كذا).

٧- ادرسوا دائماً مخططات الآخرين، وتداخلوا معهم لتعرفوا ما عندهم، ولا مانع للبعض من التظاهر بتأييدهم عند الضرورة، ولكن كل واحد يبقى مرتبطاً

برؤسائه وكنيستته، ولا يعصي أوامر الآباء المخلصين.

٨- ارفعوا رؤوسكم وشعائركم في مكان مرتفع على الطرقات العامة وعلى رؤوس التلال وفي المدارس ومراكز البعثات، واعلموا أن كل القوة الجبّارة في العالم الحر تساعدكم وتقف إلى جانبكم في أسرع وقت، ولكن عليكم أن تتصرّفوا كأنكم لا تعرفون ذلك.

٩- اجتهدوا في التقرب من ملوك العرب ورؤسائهم بالخدمات الطبية والخدمات الشخصية وهذا شيء سهل جداً. ولكنه يفتح لكم مجالات واسعة للعمل ويدرّ عليكم أموالاً طائلةً ونفوداً كبيراً حتى في البلاد المستعصية عليكم.

١٠- إن معركة الجنسية اللبنانية شديدة الأهمية ودققوا كثيراً في ذلك. واهتمّوا بإخوانكم المغتربين والذين نزلوا عليكم من البلدان الأخرى لتحفظوا بحقوق الأكثرية المقرّرة لكم وإلا ضاعت كل الجهود.

قال جنبلاط:

"ولعل هذه الوثيقة قد كُتبت على يد رهبان ومدنيين اجتمعوا في ضرب من المجمع السري. ثم إن الموارنة لا يزالون يواصلون الاجتماع -كما ذكرت- مرّةً أو مرتين في الأسبوع لتقرير بعض المسائل المهمّة والموقف الذي يجب اتخاذه في هذا الظرف أو ذاك. ثم تبلّغ القرارات إلى الملاء عامّةً بواسطة الأساقفة والرهبان والكهنة وبعض المدنين وعبر التنظيمات، أي بما يشبه طريقة البنّائين الأحرار، لقد طبّق هذا الخط من السلوك بعناية فائقة. وهم الآن ضدّ الصحافة لأنها تتلقّى معونة

البلدان العربية ولأنها تفلت من أيديهم يوماً بعد يوم، ولا سيما صحافة الأحزاب. وهم يريدون الاقتراع على قانون يمنع الصحافة من التمتع بحريتها. كما يرغبون الآن في منع كل معونة أجنبية لها. وهو ما سبق لهم أن رفضوه عندما اقترحته أنا بنفسى يوم كنت وزيراً" (١).

خطة الموارنة:

اعتمدت في قولي: "يعود تاريخ الوصايا إلى سنة ١٩٤٣":

أولاً- على الصحف التي نشرتها في شهر ١٢ من سنة ١٩٧٥.

وثانياً- على صيغة الوصايا كقولهم: "لقد ربّنا لكم أهم الأشياء التي تضمن لكم عيشةً حسنةً.....". وهذا يعني أنها صيغة مودّع بعد أن قام بمهمته وأدى دوره.

وفي كتاب كمال جنبلاط ما يدل على أن الوصايا تعود إلى سنة ١٩٢٠، ولعله أراد أن بداية المؤامرة تعود إلى هذا التاريخ المذكور، وعلى كل حال فجنبلاط حصل على الوثيقة من منظمة التحرير، والمنظمة أرسلتها إلى جهات كثيرة.

وقد بات من الواضح أن النصارى ينقذون هذه الوصايا بدقة وكتمان منذ بداية الاحتلال الفرنسي، وليس منذ عهد ما أسموه بالاستقلال، وحسب خطة تشمل

(١) هذه وصيتى، كمال جنبلاط ص: ٨٥. والنصوص التي بين القوسين هي لكمال جنبلاط

وليست من نص الوثيقة. واعتمدت كذلك على الصحف الصادرة في شهر ١٢ من سنة ١٩٧٥.

الجوانب التالية:

أولاً- الجانب الثقافي.

ثانياً- الجانب الاقتصادي.

ثالثاً- الجانب العسكري.

رابعاً- جانب الإدارة والحكم.

أولاً- الجانب الثقافي^(١) :

وهنا لا بد من ذكر أهم المؤسسات والإرساليات التبشيرية العاملة في لبنان بموجب إحصاء رسمي يبيّن اسم الدولة المسؤولة والوصية على المؤسسة أو الإرسالية مع شىء من التفصيل يتناول اسم الإرساليات أو البعثات والمراكز التابعة لها ثقافيةً كانت أو اجتماعيةً.

أولاً- جمهورية فرنسا:

تشرف فرنسا وتموّل مادياً وثقافياً وعلمياً على ثلاث مؤسسات أو بعثات تعليمية أو إرساليات تبشيرية، وهي:

أ- البعثة العلمانية الفرنسية: وتشتمل على ما يلي:

(١) نشرت هذا الجانب مجلة الفكر الإسلامي اللبنانية في عددها الخامس، السنة السابعة،

جمادى الأول ١٣٩٨، ولم تذكر المجلة اسم الكاتب.

- ١- أربع ثانويات: ٣ في بيروت و ١ في طرابلس.
 - ٢- مدرسة الآداب العليا (الفرنسية) الجامعية.
 - ٣- المركز التربوي النفسي.
 - ٤- المركز الفرنسي للعلوم والرياضيات.
 - ٥- مكتبة.
 - ٦- مركز توثيق.
 - ٧- مركز تعليم اللغة الفرنسية.
- ب- المؤسسة الكاثوليكية الفرنسية: ترعى شؤون ما يلي:
- ١- خمسون ثانوية للأباء الياسوعيين والرهبانيات الفرنسية موزعة في جميع أنحاء لبنان خاصة في الجبل، غايتها تبشيرية يديرها رجال الدين المسيحي.
 - ٢- جامعة القديس يوسف: تتألف من (١٠) كليات ومعهدين ومركز كسارة للرصد الجوي.
- أولاً:
- ١- كلية الطب.
 - ٢- طب الأسنان.
 - ٣- الصيدلة.

٤- الهندسة بكلّ فروعها.

٥- الحقوق والعلوم السياسية.

٦- إدارة الأعمال.

٧- التجارة.

٨- كلية اللاهوت.

٩- الفلسفة.

١٠- الآداب.

ثانيًا:

١- معهد العلوم الشرقية.

٢- اللاهوت - لتخريج رجال الدين المسيحي الكهنوتي.

٣- الإشراف على عدد من الأديرة التي تهتمّ بالأيتام والمؤسسات الاجتماعية والصحية عند الطائفة المسيحية.

٤- المطبعة الكاثوليكية.

٥- المكتبة الشرقية.

ج- مؤسسات الطائفة الإنجيلية الفرنسية: تتألف من:

ثانوية واحدة في بيروت ومؤسسات عدة تشرف على الكنائس والأديرة التابعة

لطائفها وتقدّم كل الخدمات بوسائل متطوّرة مع حضارة الغرب.

د- مؤسسات وبعثات صحية ومستوصفات ومستشفيات حديثة.

هـ- مركز خاص لإعطاء منح تعليم للتخصّص في جامعات فرنسا.

ثانياً- إيطاليا:

أ- البعثة الثقافية الإيطالية:

١- اثنتان في بيروت.

٢- واحدة في طرابلس.

٣- واحدة في الحازمية.

٤- مركز توثيق.

٥- مكتبة.

٦- مركز تعليم اللغات الإيطالية.

ب- البعثة الكبوشية: تأسست مدارسها في لبنان بأمر من البابا عام ١٦٢٠م.

دأبت مدارس البعثة الكبوشية منذ تأسيسها ١٦٢٠م في لبنان على تعليم السريانية

واللاتينية والإيطالية وتختار المتفوّقين من تلاميذها وترسلهم إلى إيطاليا لتعلّم

الكهنوت. وقد رجع الكثير من التلاميذ إلى لبنان وساهموا في تأسيس المدارس

الطائفية في القرى اللبنانية. وقد اشتهر من بينها مدرسة عين ورقة تأسست عام

.١٧٨٩

ج- مساعدات الفاتيكان:

وهي عبارة عن مساعدة شاملة يقدمها الفاتيكان لمئتي مؤسسة وثانوية وتكميلية من جهة، ومن جهة أخرى يقدم الفاتيكان مساعدةً لجميع الرهبانيات اللبنانية ومؤسساتها كما تغطي نفقات التعليم المجاني في الجيل والأعمال التبشيرية.

د- مؤسسات صحية - مستشفيات ومستوصفات حديثة.

ثالثاً- الولايات المتحدة الأمريكية:

تشرف الولايات المتحدة وتمول المؤسسات التالية منذ عام ١٨٦٦ م.

١- ثانوية عامة -٢-.

٢- كلية بيروت الجامعية.

٣- مركز توثيق (جون كنيدي).

٤- مكتبة الجامعة الأمريكية.

٥- مركز تعليم اللغة الأمريكية.

٦- مركز تقديم منح التخصصات في جامعات أمريكا.

٧- الجامعة الأمريكية في بيروت وتتألف من:

- كلية الطب ويتبعها مستشفى مهم متطور.

- كلية هندسة بكلّ فروعها.
- كلية صيدلة.
- كلية علم الأحياء ويتبعها مختبرات مجهزة بدقة.
- كلية الآداب بمختلف الفروع.
- كلية إدارة الأعمال والإحصاء.
- كلية علوم ويتبعها مختبرات حديثة.
- كلية رياضيات.
- كلية تربية.
- كلية علوم سياسية.
- ٨- مدرسة تمرّض.

رابعاً- بريطانيا:

تشرف وتموّل البعثات التالية:

أ- مؤسسات الطائفة الإنجيلية الانكليكانية:

- ثانوية للبنات عدد ٢.
- ثانوية للصبيان عدد ١.

ب- البعثة الثقافية الإنجليزية - تهتمّ بمنح التعليم في جامعات إنجلترا.

ج- مكتبة ومركز تبشير.

د- مركز توثيق.

هـ- مركز تعليم اللغة العربية والبيئة والمحيط في شمالان (يهتم بالمستشرقين).

و- مركز تعليم اللغة الإنجليزية.

خامسًا - ألمانيا الاتحادية:

تشرف وتمول البعثات التالية:

أ- ثانوية عدد ٢.

ب- مركز (غوتة) وهو مركز ثقافي فيه:

- مركز توثيق.

- مكتبة.

مركز تعليم اللغة الألمانية.

ج- مستشفى كبير يُعرف بالمستشفى الألماني.

د- مدرسة مهنية.

هـ- مساعدات متفرقة من بعثات تعليمية وتقديم منح تعليم للتخصّص في

الخارج.

سادساً - اليابان:

ترعى شؤون جاليتها وعندها ثانوية واحدة.

سابعاً - الاتحاد السوفيتي:

يشرف على مركز ثقافي لتعليم اللغة الروسية وتقديم الخدمات الثقافية والمنح للتخصّص في جامعات الاتحاد السوفيتي، وقد نشط في المدّة الأخيرة في هذا المجال بصورة ملحوظة.

ثامناً - أسبانيا:

تشرف على مركز ثقافي لتعليم اللغة الأسبانية والموسيقى ويقدم المركز منحاً للتخصّص في جامعات أسبانيا.

تاسعاً - جمهورية مصر العربية:

أ- تشرف على جامعة بيروت العربية التابعة لجمعية البر والإحسان وقد شيّدت عام ١٩٦٠ بعد معركة سياسية طائفية لمنع الترخيص بالجامعة (كان الشيخ بيّار الجميل رئيس حزب الكتائب اللبنانية على رأس المعارضين لبناء مثل هذا الصرح العلمي العربي لأنه كان يريد أن يبقى العلم محتكراً للإرساليات التبشيرية المسيحية) غير أنه بضغط من حكومة مصر على المسؤولين حينذاك فازت جمعية البر

والإحسان بالترخيص، وتمّ بناء الجامعة وهي اليوم الصرح العلمي العربي الوحيد الذي يساهم في تأمين العلم لعدد غير قليل من المسلمين، على الرغم من عدم اكتمال فروعها، وتتألف أقسامها من:

- كلية هندسة معمارية.

- كلية تجارة.

- كلية آداب.

- كلية حقوق.

- كلية هندسة كهرباء لا يزال العمل جارياً على قدم وساق لإنجازها.

ب- تمنح جمهورية مصر العربية مساعدات ثقافية بإيفاد أساتذة لجامعة بيروت العربية ومدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية كما تخصص بعض المنح التعليمية في جامعاتها للمتفوقين.

وهكذا يتبيّن لنا باختصار أن لبنان يواجه بشكل أو بآخر المؤامرة نفسها التي سلبت العرب فلسطين فبات لبنان يُحكّم من قبل طائفة عنصرية استمدّت قوتها من الدول الأجنبية عن طريق الإرساليات التبشيرية التي قدّمت الثقافة والعلم للمسيحيين ومكّنهم بالتالي من تويّي الحكم وتكريس امتيازات ثقافية وإدارية ووظيفية وتجارية وغيرها حتى أصبحوا فئة حاكمة غنيّة بيننا المسلمون في تقهقر مستمرّ من جرّاء تحلّفهم الثقافي الذي استتبع بالتالي إبعادهم عن مقدّرات

البلاد^(١).

بيان الهيئات الإسلامية:

ومن منطلق شعور الهيئات الإسلامية في لبنان بهذا الواقع المؤسف تداعت إلى عقد مؤتمر في بيروت بتاريخ ١١ / ٩ / ١٩٧٣ وأذاعت فيه بياناً جاء فيه ما يلي:

"إننا عندما نرى أبناءنا لا يستطيعون دخول الجامعات التبشيرية المسيطرة نتيجة وجود تفرقة فئوية، ولذلك لا يمكنهم تسلّم المراكز المهمّة في الدولة ولا في المؤسسات المالية والاقتصادية، وعندما تصعقنا الإحصاءات الإدارية، فإذا بفتة هي نصف البلاد وأكثر تتراوح نسبتها في كثير من المؤسسات العامة والخاصة ذات الصفة العامة بين ٢٠ و ١٥٪ بينما تتراوح نسبة الفئات الأخرى بين ٨٠٪ و ٩٠٪ عندما نجد أن التسهيلات المالية والمصرفية تؤمّن لفتة واحدة أكثر بكثير من الأخرى، عندما نجد أن مجالس النقابات الحرّة والمهنية لا تأخذ بعين الاعتبار، ولو من باب اللباقة، ظروف البلاد وتكوينها الطبيعي، عندما نرى أبناءنا في الأزقة والشوارع ومناطقنا مهملة بينما تُصرف الملايين على مناطق من بيدهم السلطة الفعلية في البلاد، عندئذ لا يمكننا أن نقبل بالشعارات لأنها لا تطعمنا خبزاً ولا تحمي أبناءنا من غوائل الدهر...." ^(٢).

(١) انتهى تعليق كاتب الدراسة في مجلة الفكر الإسلامي.

(٢) الصحف اللبنانية نشرت البيان بتاريخ ١١ / ٩ / ١٩٧٣.

ثانياً – الجانب الاقتصادي:

كتبْتُ هذا الموضوع في نهاية عام ١٩٧٥ .

سلكت الحركة الصليبية المخطّط نفسه الذي سلكته الحركة الصهيونية في السيطرة على الموارد الاقتصادية وتسخيرها لمصلحتهم، ولا غرابة في ذلك فالحزبان توأمان.

ففي بروتوكولات حكماء صهيون تكلموا في أكثر من بند على الاحتكارات والتحكّم في الاقتصاد العالمي، مثلاً جاء في البروتوكول السادس:

"سنبداً سريعاً بتنظيم احتكارات عظيمة –هي صهاريج للثروة الضخمة- لتستغرق خلالها دائماً الثروات الواسعة للأمة (غير اليهود) إلى حدّ أنها ستهبط جميعاً وتهبط معها الثقة بحكومتها يوم تقع الأزمة السياسية، وعلى الاقتصاديين الحاضرين بينكم اليوم هنا أن يقدّروا أهمية هذه الخطة. يجب علينا وجوباً أن نجرّد الارستقراطيين من أراضيهم بكلّ الأثمان. وفي الوقت نفسه يجب أن نفرض كلّ سيطرة ممكنة على الصناعة والتجارة وعلى المضاربة بخاصة فإن الدور الرئيسي لها أن تعمل كمعادل للصناعة".

هذا ما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون، أما ما جاء في الوصايا العشر الموجهة من الفرنسيين إلى نصارى لبنان:

١ - لقد ربّنا لكم أهم الأشياء التي تضمن لكم معيشةً حسنةً في هذه المنطقة

مثل: تملك الأراضي والوكالات الأجنبية، والأنظمة السياسية، وشؤون النقد، ويبقى عليكم أن تحافظوا على هذه المكاسب وتزويدها مع الأيام.

٢- جاهدوا للسيطرة على المصايف ومصادر السياحة وامتلاك ساحل البحر، وأخرجوا الآخرين من قراكم كلما أصبحتم أغلبيةً ولا تنسوا تجهيز ميناء احتياطي في مدينة غير بيروت، لا يكون فيها مسلمون، وذلك عندما تسنح لكم الفرصة.

ألم أقل قبل قليل أن الصليبية والصهيونية توأمان؟ فبابا روما هذا برأ اليهود من دم المسيح، واستنكر من قريب قرار الأمم المتحدة في اعتبار الصهيونية من الحركات العنصرية، واستنكر مؤتمر الكنائس العالمي القرار نفسه، والدول الصليبية الكبرى هي التي فرضت إسرائيل على العرب في فلسطين.

وبتاريخ ١٢/٤/١٩٧٥ سُئل رئيس وزراء إسرائيل في الكنيست: لماذا لم تردّوا على عملية سافوي فأجاب: "إذا رددنا على الفدائيين الفلسطينيين فسوف نخلق ردّة فعل في لبنان، ولكننا سنترك المهمة لعناصر لبنانية من داخل لبنان".

ولست الآن في صدد الحديث عن علاقة الصليبية مع الصهيونية، ولو أردت ذلك لمضيت في سرد أمثلة واضحة وضوح الشمس رأد الضحى، ولنعد إلى الحديث عما سلكه الصليبيون في لبنان من تخطيط للسيطرة على الاقتصاد في لبنان، حسب رغبة إخوانهم الفرنسيين التي جاءت في الوصايا العشر. وإذا كان الناس في عصرنا يرغبون بلغة الأرقام فهاكم جدولاً لمجموعة من نصارى لبنان وما يملكون ونوعية هذه الشركات:

- ١- جوزيف شادر: عضو المكتب السياسي لحزب الكتائب، ونائب الأرمين الكاثوليك عن دائرة بيروت الأولى، وهو محام لعدة شركات منها:
 - شركة "كوبان ترايدنغ ايفستالت" وكانت شركة أمريكية تعمل في كوبا.
 - هو عضو مجلس إدارة "شركة لبنان العقارية" وهي تعمل في المضاربة العقارية.
 - رئيس اللجنة البرلمانية المالية، وأحد أكبر المدافعين من بين أركان الكتائب عن مشروع ضمان الرساميل الأجنبية.
 - ويتعاطى شادر الذي حاز على وسام إيراني من درجة عالية، تجارة السلاح، وقد جنى في الفترة الأخيرة مع بعض التجار الآخرين في المكتب السياسي أموالاً ضخمة في حملة التسليح التي جرت في بعض المناطق بغية التصدي لمحاربة المسلمين وتقسيم لبنان.
- ٢- انطوان جزار: محام وعضو المكتب السياسي لحزب الكتائب:
 - رئيس مجلس إدارة شركة الخطوط البحرية للشرق الأوسط، وهي شركة تعمل في النقل البحري.
 - عضو مجلس إدارة شركة "أورباكو" العقارية التي تتعاطى المضاربة بالأراضي والمقاولات وعمليات الرهن والسمسرة واستيراد المواد الخام للبناء.
 - عضو مجلس إدارة شركة جاك منهاسي وهي شركة وكالات تجارية

مؤسسوها من الفرنسيين والألمان.

- عضو مجلس إدارة شركة "اينفستور اوفرسيز سرفيس" فرع الشرق الأوسط، وهي شركة أمريكية تمثل مصالح عدّة شركات احتكارية مالية.

- عضو مجلس إدارة محلات لويس صبّاغ، وهي تهتم بالتجارة والوكالات وخاصة البحرية منها.

٣- انطوان خليفة:

- عضو مجلس بلدية بيروت وله فضائح عقارية مشهورة.

- شريك في شركة ميتس للشرق الأوسط المحدودة وهي شركة مقاولات بناء وخدمات.

- عضو ومحام في شركة التأمين أندريا نشورنس كومباني.

- أمين الصندوق سابقاً في حزب الكتائب، وهو صاحب مطبعة خليفة.

- مدير وشريك في الشركة الالكترونية للطباعة والتجارة.

٤- بطرس الخوري وأولاده:

- سليم بطرس الخوري شريك.

- آدمون رزق في مستودعات التبريد في بكفيا.

- صهر بطرس الخوري يوسف الضاهر، وهو المسؤول عن الكتائب في محافظة

- لبنان الشمالي، ويجري بواسطته تمويل حزب الكتائب.
- بطرس الخوري شريك جان سكاف في معمل السكر.
- خليل بطرس الخوري شريك إلياس رباني في بنك بيلوس. ويملك بطرس الخوري وأولاده مع شركائهم الشركات التالية:
- الشركة اللبنانية لتكرير السكر.
- مصرف التسليف الزراعي والصناعي والعقاري.
- شركة قاديشا لكهرباء لبنان الشمالي.
- بنك لبنان والمهجر.
- شركة زيوت أسعد جبر.
- شركة مصنع السكر في لبنان.
- بنك الصناعة والعمل.
- شركة كنسروة لبنان.
- الشركة الصناعية للشرق.
- مئات الأسهم في شركة الترابة اللبنانية.
- الشركة اللبنانية للتأمين.
- بنك بيلوس.

- شركة مستودعات التبريد بكفيا.

- شركة نقل الطاقة الكهربائية.

- شركة كهرباء البارد.

- ايستون امبورت - اكسبورت.

- شركة "انتركوت".

- شركة الخشب المضغوط للبناء.

- شركة الحديد اللبنانية.

- شركة الفنادق العصرية.

٥- جورج أبو عضل:

- شريك انطوان جزّار في شركة الفن التقني.

- وهو رئيس نقابة أرباب العمل الجديدة التي يشتغل كريم بقرادوني أمين

سرّها الإداري.

- وهو من كبار مستوردي الأدوية الذين لا يتركون وسيلةً إلا ويستغلّونها

لاحتكار تجارة وتوزيع الأدوية.

ويملك أبو العضل الذي قام في الفترة الأخيرة بتقديم مبالغ ضخمة لحزب

الكتائب لإنفاقها على تسليح العناصر الطائفية، الشركات التالية:

- محلات جورج أبو عضل وشركاه ورأس مالها ثلاثة ملايين ليرة تضمّ الفروع

التالية:

١- فرع استيراد الأدوية.

٢- فرع استيراد أدوات التجميل.

٣- فرع استيراد الساعات والولاعات.

٤- فرع استيراد السجائر.

- الشركة الدولية لصنع أدوات التجميل ورأس مالها مئتان وخمسون ألف

ليرة.

- الشركة اللبنانية للإنماء الزراعي -سوليدار- رأس مالها مئة ألف ليرة.

- كونتوار توزيع المستحضرات الصيدلية - ورأس مالها مئة ألف ليرة.

- شركة تأمينات -الشرق- ورأس مالها ستون ألف ليرة.

- شركة "انتربودو" للأدوات المكتبية ورأس مالها خمسمائة ألف ليرة.

- الشركة العامة للمنتوجات الغذائية، ورأس مالها مليون ليرة.

- شركة المنشورات الشرقية وتصدر عنها مجلة "ماغازين" بالفرنسية ومجلة

"الأسبوع العربي" ورأس مالها خمسمائة ألف ليرة.

- الوكالة الشرقية للدعاية والريبورتاج المصوّر ورأس مالها خمسون ألف ليرة.

- شركة "ميدل أيست ميديا" ورأس مالها خمسون ألف ليرة.
- الشركة اللبنانية الحديثة للملبوسات ورأس مالها مئتا ألف ليرة.
- شركة "انترناشيونال براندس" ورأس مالها خمسمائة ألف ليرة.
- الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ورأس مالها خمسمائة ألف ليرة ليرة.
- شركة مخازن "أي.ب.رقم ٨" ورأس مالها أربعون ألف ليرة لبنانية.
- ٦- آل الصبّاغ: وهؤلاء هم شركاء انطوان جزّار في شركات عديدة ويملكون الشركات التالية:
- الخطوط البحرية للشرق الأوسط.
- محلات لويس صباغ، شركة نقل الفحم الحجري البحرية، شركاء اوفرسيز للملاحة البحرية، شركة لابرد فيدانس للملاحة البحرية، شركة تأمين تورينو المغفلة.
- ٧- آل صحنّاوي: وهؤلاء على علاقة وثيقة مع الكتائب، وفي طليعتهم الاحتماري انطوان صحنّاوي الذي كان مرشّحًا للانتخابات في لوائح الحزب التي قام بتمويلها. وهو يملك مع شركائه الشركات التالية:
- البنك البلجيكي اللبناني.

- الشركة الوطنية للأنايب.

- مئات الأسهم في شركة الترابة اللبنانية وشركة اترنيت.

٨- نجيب صالحه والصمدي: شركاء عبده صعب وآل داغر في سيتي سنتر ومواقف السيارات. ونجيب صالحه عدا أملاكه العقارية الواسعة ودوره في بنك انترا والشركات المتفرعة عنه يملك وشركاؤه الشركات التالية:

- شركة "ليكو".

- الشركة اللبنانية للاسمنت.

- الشركة الشرقية للدعاية.

- شركة بيلوس.

- شركة الفنادق الكبرى في لبنان.

- فندق فينيسيا.

٩- كتانة (الفرد وهنري): شركاء امدون رزق في شركة مستودعات التبريد في بكفيا. ويملكون الشركات التالية:

- شركة "كوماتسو اوفرسيز كومباني".

- الشركة اللبنانية للمكائن والتجهيزات.

- شركة الملاحة البحرية اللبنانية.

- شركة الفنادق السياحية في لبنان.

- شركة "جل الديب للتنمية".

- شركة كبريت الشرق.

- شركة كهرباء البارد.

- بنك بيروت يونيفرسال.

- شركة الإنتاج اللبناني.

- شركة نقل الطاقة الكهربائية.

- شركة الدهمية.

- شركة التوزيع الشرقية.

- محلات فرنسيس والفرد كتانة.

- الشركة العقارية للفرز والبناء.

هذه نماذج تدلّ على سيطرة نصارى لبنان على الاقتصاد، ولم نتعرّض إلا لأسماء قليلة، لم نتكلّم عما يملكه سليمان فرنجيّه، ولا عن كميل شمعون، ومن الجدير بالذكر أن إضراب العمال في صيدا ومقتل معروف سعد كان بسبب شركة للأسماك هي من جملة شركات كثيرة يملكها.

وهذا المثال يدلّنا على حقائق كثيرة منها:

١- دقة تنفيذهم للوصايا العشر التي وجهها الفرنسيون لهم عند مغادرة لبنان، وطالبوهم بالسيطرة على المصايف. فمصايف النصارى جنة من الجنان وعناية الدولة بها فاقت كل حد، ولهذا يقصدها المترفون من أهل البترول، ويقضون فيها ليالي حمراء ينفقون فيها أموالاً طائلةً على موائد الخمر ولعب القمار.

وبينما تزدهر مصايف النصارى وتنتعش، نجد المصايف الإسلامية خاويةً على عروشها من المصطافين، مهملة من قبل الدولة ليس فيها طرق ولا عناية، غير متوفر فيها الأمن، فمن يذهب إليها إنما يجازف بحياته، ويقدم على مغامرة غير مضمونة عواقبها.

أما عن امتلاك ساحل البحر، وتجهيز ميناء احتياطي فهذا ميناء جونية يمتلكه الكتائبون ويشحنون إليه الأسلحة وغيرها ليل نهار، وقد عجز رئيس الوزراء نفسه أن يصادر شحنة أسلحة منقولة لهذا الميناء.

٢- خلال هذا التخطيط الاقتصادي، ركّز الصليبيون على المضاربات والأعمال العقارية، وأهم الشركات العقارية في لبنان تابعة لهم: كشركات لبنان العقارية - وشركة أوربا العقارية، وجوزيف شادر وانطوان جرّار، وهذا التركيز على العقارات جعلهم يخرجون من بقعة ضئيلة في الجبل، وينتشرون في مختلف المناطق اللبنانية، وسيطروا على أغلب الساحل اللبناني، ونظّموا خطة التسلّل إلى قرى ومناطق رئيسية فصاروا الأكثرية فيها وطرّدوا المسلمين منها.

٣- التخطيط الاقتصادي دفعهم إلى السيطرة على المؤسسات الرسمية التي

تساعد على توجيه الاقتصاد في البلاد.

فمثلاً هم الذين يسيطرون على اللجنة البرلمانية المالية ورئيسها جوزيف شادر، ومعروف أهمية هذه اللجنة في توجيه اقتصاد البلاد، وهم الذين يسيّطرون على مجلس بلدية بيروت، وهم الذين يسيطرون كذلك على وزارة المالية ووزارة الأشغال العامة.

٤- الاعتماد على الرساميل الأجنبية: الشركات الأجنبية العالمية في لبنان جاءت بمساعدة النصارى، فمحاموا هذه الشركات وممثلوها ومجالس إدارتها من النصارى. ومما يدلّ على عظيم صلتهم وتعاونهم مع هذه الشركات أنها صفت أعمالها قبل بدء الحرب الأخيرة بأقل من عام حتى لا تتعرض لأذى.

وحزب الكتائب تبنى المشروع الذي قدّمته السفارة الأمريكية، والذي يقضي بأن تؤمّن الدولة اللبنانية تحويل الأرباح التي تجنيها الرساميل الأجنبية في لبنان. فشركة انترا أمريكية وأمين الجميل يملك ٥٠٠ سهم فيها، وعضو في مجلس إدارتها، وشركة انفستور اوفرسيز الأمريكية يشرف عليها انطوان جزّار، وشركة املفكو الأمريكية عضو مجلس إدارتها الكتائبي سمير إسحاق.

٥- اعتمادهم على احتكارات بعض الشركات والأعمال المهمة: مثلاً لو أراد مسلم أن يؤسس شركة للخدمات البحرية. يبدأ عمله فيجد كلّ من حوله نصارى متضامنين ويبدأون المضاربة فيعرضون أسعاراً مغرية لا تناسب المسلم بحال من الأحوال، وإزاء هذه الحرب نجده يصفّي حسابه بخسارة باهظة، ويرفع علم

الاستسلام، ثم بعد خروجه من المعركة تعود الشركات الصليبية لفرض الأسعار التي تريدها.

هذه السياسة الاقتصادية جعلتهم يمتلكون أهم الشركات، وسيطرون على الاستيراد والتصدير، ومدنهم وقراهم قلاع شاهقة بينما المسلمون تحولوا إلى عمال فقراء كادحين، وخدم مستضعفين، مضطرين إلى الخضوع لهم وعدم الخروج على إرادتهم.

ثالثاً - الجانب العسكري:

نفذ نصارى لبنان التعليمات الواردة في البند الرابع من الوصايا العشر، وسيطروا على أجهزة الأمن وقيادة الجيش منذ وقت مبكر بالاتفاق مع الفرنسيين. ومن الوظائف القيادية التي يحتكرونها (مدير عام الأمن العام)، وعن هذا الطريق نظموا هجرة قسم كبير من أرض تركيا إلى لبنان في بداية الانتداب، وفي عام ١٩٣٧ بعد أن ضُمَّ لواء اسكندرون إلى تركيا، وسارعوا إلى منح هؤلاء الجنسية اللبنانية، وفعّلوا الأمر نفسه مع كل نصرائي كان يستقرّ في لبنان، أما عرب وادي خالد وهم مواطنون لبنانيون فما زالوا بدون جنسية لأنهم عرب مسلمون. والجانب العسكري ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- الجيش اللبناني.

٢- جيش الكتائب.

٣- التسلّح.

١- الجيش اللبناني:

في جلسة الثقة النيابية بحكومة الرئيس تقي الدين الصلح بتاريخ ٢٦/٧/١٩٧٣، أذاع رئيس لجنة الدفاع في المجلس النيابي النائب العقيد السابق في الجيش فؤاد حُود (مسيحي ماروني)، أذاع إحصائية خطيرة، على شكل تساؤل تشير بوضوح إلى حرمان المسلمين من قيادات الجيش والقوى العسكرية الأخرى قال:

"هل يجوز أن يكون القادة في الوحدات العسكرية ٨٥ في المائة من الطوائف المسيحية و ١٥ في المائة من الطوائف المحمدية؟، إنني أعارض هذا التوزيع" (١).

وحاولت الحصول على هذه الإحصائية فلم أفلح، وبعد أقل من عامين عثرتُ على وثيقة أهم منها عند أحد أصدقائي في قرية من قرى سهل البقاع، وهذا نصّها:

مذكرة خدمة ١٢٢١٠/١ تاريخ ٢٨/٦/١٩٧٤

(١) سلاح المدفعية

اسم الكتيبة	اسم القائد	الديانة
قائد كتيبة المدفعية الأولى	اميل حدّاد	نصراني

(١) مجلة الفكر الإسلامي، العدد الخامس، السنة السابعة، جمادى الأولى ١٣٩٨ هـ.

قائد كتيبة المدفعية الثانية	جوزيف عون	نصراني
قائد كتيبة المدفعية الثالثة	مطانيوس اسكندر	نصراني
(٢) سلاح المشاة		
قائد كتيبة المشاة الأولى	نايف كلاس	نصراني
قائد كتيبة المشاة الثالثة	فارس ماضي	نصراني
قائد كتيبة المشاة الخامسة	قيصر فرح	نصراني
قائد كتيبة المشاة السادسة	سليم الدحداح	نصراني
قائد كتيبة المشاة السابعة	جورج رعد	نصراني
قائد كتيبة المشاة التاسعة	انطون كرم	نصراني
(٣) سلاح المغاوير		
قائد كتيبة المغاوير الأولى	رياض شمعون	نصراني
قائد كتيبة المغاوير الثانية	سمير الأشقر	نصراني
(٤) المدارس العسكرية		
قائد المدرسة الحربية	جنادري	نصراني
قائد مدرسة الرتباء	طانيوس	نصراني

(٥) سلاح المدرّعات

قائد سلاح المدرّعات	فكتور خوري	نصراني
معاون قائد سلاح المدرّعات	انطوان بركات	نصراني
قائد كتيبة المدرّعات الأولى	جان خوري	نصراني
قائد كتيبة المدرّعات الثانية	هنري عازار	نصراني
قائد كتيبة المدرّعات الثالثة	جوزيف روكز	نصراني

(٦) سلاح الاستطلاع

قائد كتيبة الاستطلاع الأولى	انطوان بركات	نصراني
قائد كتيبة الاستطلاع الثانية	روجيه فغالي	نصراني

(٧) سلاح الطيران

ومن كبار ضباط الطيران:

- بديع سعيد القاصوف.
- جان إلياس القاصوف.
- أسعد بدوي بطرس.
- جوزيف سعيد الحدّاد.

- ديب أسعد أبو حنّا.

- سمعان جرجس يعقوب.

- فؤاد فريد إبراهيم.

وسيطرة النصارى على سلاح الطيران تكاد تكون جماعيةً.

(٨) الجهاز الصحي في الجيش

الوحدة	الرئيس	الديانة
مدير الصحة العسكرية	فارس عوّاد	نصراني
رئيس المستشفى العسكري	جورج قمر	نصراني
مفتش الصحة العسكرية	لويس كريدي	نصراني
رئيس قسم الجراحة	برنس	نصراني
رئيس قسم البنج	يارد	نصراني
رئيس قسم الأسنان	خوري	نصراني
رئيس طبابة منطقة جبل لبنان	بجاني	نصراني
رئيس طبابة منطقة الشمال	صباغ	نصراني
رئيس مستشفى أبلح	القبطي	نصراني

طبيب القلب في المستشفى العسكري	جورج	نصراني
رئيس قسم الأشعة في المستشفى العسكري	ديب	نصراني
رئيس قسم طبابة موقع صربيا	ناصر	نصراني
رئيس قسم طبابة موقع رياق	عكاوي	نصراني
رئيس قسم طبابة موقع صيدا	حدّاد	نصراني
رئيس رئيس قسم طبابة مرجعيون	عيّاش	نصراني

إن نسبة المسلمين بين كبار ضباط الجيش اللبناني لا تبلغ ١٥٪ كما جاء في بيان فؤاد لحود، مع العلم بأنه يعتبر الدرّوز والفئات الباطنية الأخرى من المسلمين وبهذا تختلف حساباتنا عن حساباته.

٢- جيش الكتائب:

أنشأ نصارى لبنان أحزاباً سياسية، وكانت التدريبات العسكرية من أبرز اهتمامات قادة هذه الأحزاب، ونذكر:

١- حزب الكتائب - ١٩٣٦ - الموارنة.

٢- الحزب القومي السوري - ١٩٣٣ - انطون سعادة، روم أرثوذكس.

٣- الطاشناق - الأرمن - والحزب وثيق الصلة بالولايات المتحدة الأمريكية، ولا حاجة إلى ذكر تاريخه لأن التنظيم صفة تلازم الأرمن وحيثما يتواجدون يرافق

التنظيم وجودهم، وهجرتهم إلى لبنان بدأت منذ ١٩٢٠. ويقابل الطاشناق حزب أرمني آخر يُسمى (الهانشاق) وهو موالٍ للاتحاد السوفيتي.

٤- أفرزت الجامعة الأمريكية حركات قومية كحركة القوميين العرب - ١٩٣٨-، ومعظم النصارى العاملين في هذه الحركات من البروتستانت.

ونستعرض فيما يلي الجانب العسكري في حزب الكتائب لأنه أكثرها أهمية في الساحة اللبنانية:

تأسست الكتائب اللبنانية في عهد الانتداب الفرنسي عام ١٩٣٦ باسم فرنسي Flange وقد اتخذ الاسم تشبهاً بالفلانج الإسبانية، وقد كان تقليد النظم الفاشستية النازية منتشرًا في ذلك الوقت^(١).

واعترفت الحكومة اللبنانية بالكتائب منظمةً قانونيةً بحق العمل المشروع في ١٢/١٢/١٩٤٣، وذلك بمرسوم رقمه ١٢٨ وتاريخ: ٢٧/١١/١٩٤٣، وبررت الحكومة اعترافها بقولها: إقرار من السلطات اللبنانية بفضل الكتائب على نجاح الثورة الاستقلالية^(٢).

وكان اهتمام الحزب بالتدريبات والتسلح بالغ الأهمية، فمنذ سنة ١٩٤٢

(١) سياسة الحكم في لبنان، حمدي الظاهري، ص: ٢٥١.

(٢) الكتائب اللبنانية: حزب ديمقراطي اجتماعي ص: ٦ إلى ١٠ ويبدو أن الكتاب من

نشرات الحزب. (عن المجتمع ٤/٢/١٩٧٦).

أصبحت "الميليشيا" أساس الحزب وجوهره، وتتألف "الميليشيا" من مجموعة صغيرة تتصاعد هرمياً إلى وحدات أكبر تؤلف عدّة كتائب، كلّ واحدة منها تضمّ ٦٠٠ عضو، والكتيبة تنقسم إلى سريّتين، وتنقسم السريّة إلى قسمين، وكلّ قسم يضمّ ٦ مجموعات (المجموعة ٢٥ فرداً) وتضمّ المجموعة أربع دوريات (الدورية ٦ أفراد)^(١).

وفي سنة ١٩٥٨ حلّ اسم الفرقة محلّ الكتيبة^(٢).

وقد أشار إلى هذه النقطة تقرير الأمين العام (جوزيف سعادة) في المؤتمر العام التاسع عام ١٩٦٦ ويتبع كلّ قسم من أقسام الحزب فرقة بقيادة رئيس القسم، ومهمته تنفيذ الإجراءات الضرورية المطلوبة للدفاع عن أمن الحزب وأعضائه في الأحوال الطارئة^(٣).

تحدّث (وليم حاوي) عضو المكتب السياسي ورئيس مجلس الأمن في حزب الكتائب عن الجانب العسكري في الحزب فقال إن الكتائبين كانوا يقومون

(١) القانون الأساسي، المواد من ٢٤ إلى ٣٠ (المجتمع ٤/٢/١٩٧٦).

(٢) تقرير الأمين العام، المؤتمر السابع ٢٥/٩/١٩٦٦.

(٣) نظام القوات النظامية، بيروت ٢٣/١/١٩٦١. أما زعم السلطة بأن للكتائب دوراً في استقلال لبنان فلا دليل عليه، وسجّلات المفوضية الأمريكية في بيروت في تلك المرحلة تؤكّد أن الحزب كان يتلقّى مساعدات من فرنسا، ومعظم قاداته كانوا يتلقّون رواتب شهرية من المندوب الفرنسي، انظر لبنان الطائفي، أنيس صايغ ص ١٥١ عن المجتمع ٤/٢/١٩٧٦.

بالتدريب أيام الانتداب الفرنسي على اعتبار أن "التدريب هو الوسيلة الوحيدة لانتزاع الاستقلال". ويتابع قائلاً أنه بعد تحقيق الاستقلال أصبح للبلاد جيشها وقوي أمنها مما جعل القيادة الكتائبية لا ترى لزومًا للنشاط شبه العسكري، "وأصبح من الأفضل أن تتحوّل الكتائب إلى حزب سياسي مع المحافظة على الطابع الرياضي والروح الانضباطية كي تبقى للحزب فعاليته بعيداً عن الفوضى والميوعة".

إلا أن بعض الأحداث "المتفجرة" والحركات "المشبوّهة" التي تقع في البلاد لا تستطيع قوى الأمن الوقوف بوجهها ولا يستطيع الجيش أن يتدخّل، "بل لعوامل كثيرة لا مجال لذكرها كنا نرى هذه القوى مغلولّة الأيدي أمام تصرفات شاذّة وأخطار كثيرة".

ويرى حاوي أنه لذلك قرّر الحزب العودة إلى التدريب العسكري "بغية الحفاظ على الكيان اللبناني" وعلى جوّ الحرّيّة في البلاد وبغية أن يتمكن من وضع نفسه في حالة مقبولة تحت تصرّف الجيش إذا ما دبّت الفوضى وتعرّض الاستقلال للخطر وتزعزع الكيان، هذا من جهة ومن جهة ثانية غدا الحزب بحاجة إلى القوى النظامية الكتائبية وقد وفرّ الكثير من الخُصّات^(١) على البلاد وقد أحبط الكثير من المؤامرات التي تُحاك بالخفاء ضدّ أمن لبنان وسلامة شعبه.

(١) الخُصّات: تعني الهزّات.

وأضاف أن القوى النظامية ^(١) في الكتائب هي "للردع والمحافظة على سلامة الوطن ليس إلا، وأكثر من مرّة وضع المكتب السياسي هذه القوى بتصرّف الجيش، ولم تسمح الكتائب لنفسها مرّة بأن تقدم على أي تصرّفات بواسطتها قد تعرقل مهمة الجيش أو تخرج موقفه تجاه الأخطار المحدقة بالوطن".

وأوضح حاوي بأن للكتائبي مهمتين سياسية-إدارية ونظامية وأن من الأفضل أن تبقى القوى النظامية، كما هو الحال، خاضعةً لقيادات الأقسام في الظروف العادية، "لأنها يجب أن تتمرّس أيضًا بالأعمال السياسية حتى عندما تصبح في عمر معين، تنتقل إذا شاءت، بصورة طبيعية من العمل النظامي إلى العمل السياسي، هذا عدا عن أن فصلها عن القسم يفقده العناصر القوية ويضعف حيويته".

وعندما توكل مهمة القيام بأعمال معيّنة إلى القوى النظامية يفترض أن تتلقّى أوامرها رأسًا من قادتها بالتسلسل.

بينما توضع هذه القوى في حالة الطوارئ بتصرف القيادة المركزية وكذلك أثناء النشاطات التدريبية والأوامر التابعة للتدريب وداخل المخيمات.

يتحدّث وليم حاوي وكأنه رئيس دولة مستبد، انظر إليه يقول:

"إلا أن بعض الأحداث المفتعلة والحركات المشبوهة التي تقع في البلاد لا تستطيع قوى الأمن الوقوف بوجهها ولا يستطيع الجيش أن يتدخل، بل لعوامل

(٢) القوى النظامية: أي القوى العسكرية في الحزب.

كثيرة لا مجال لذكرها كنا نرى هذه القوى مغلولة الأيدي أمام تصرّفات شاذة وأخطار كثيرة^(١).

ترى من هي الجهة التي تنسّق وتوزّع المهّمات بين الجيش والأمن وميليشيا حزب الكتائب، وما هي العوامل التي أعرّض الحاوي عن ذكرها؟!

يخيّل إليّ أن حافظ أن حافظ أسد يقول: إن لديّ ثلاثة تنظيّمات عسكرية: الجيش، وسرايا الدفاع، والوحدات الخاصة، ولكلّ تنظيم مهمة خاصة منوطة به.

إن كلام الأسد هذا لا يختلف عن كلام حاوي إلا اختلافات شكلية طفيفة.

إن عدد المنتسبين إلى الحزب بلغ سنة ١٩٧٠ أكثر من ٧٠٠٠٠٠ عضواً، وعدد الذين يحملون السلاح منهم أكثر من ٣٠٠٠٠٠ فكيف ترك السلطة اللبنانية حرية التسلّح لجيش هو في عدده وتدريبه أقوى من الجيش اللبناني؟!

انظر إليه مرّة أخرى وهو يقول: "إن القوى النظامية في الكتائب هي للردع والمحافظة على سلامة الوطن". وماذا يعني الردع والوطن كما يفهمه الحزب.

٣- التسلّح:

الحصول على مختلف أنواع الأسلحة ليس مشكلةً عند الموارنة، لأن السلطة بأيديهم، وعندهم ميناء خاص بهم (جونية)، وسأعرض فيما يلي مثلاً واحداً يكشف لنا كثيراً من القضايا:

(١) أدلى وليم حاوي بحديثه إلى صحيفة العمل الناطقة باسم الحزب بتاريخ ٣٠/٩/١٩٧٠.

أدى (لي اسبين) النائب في البرلمان الأمريكي عن الحزب الديمقراطي بتصريح أبدى فيه تخوفه من أن تصل صفقة المسدسات إلى رجال المقاومة الفلسطينية في لبنان، وطالب اسبين لجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب الأمريكي بالتدخل لوقف تنفيذ صفقات السلاح المتفق عليها مع التاجر اللبناني (كربن سوغانليان).

وعلى إثر ذلك قامت ضجة في مجلس الشيوخ والنواب الأمريكيين، مما اضطر وزارة الخارجية الأمريكية إلى الإعلان عن سحب التصريح بالسماح بتصدير هذه الأسلحة التي عُقدت صفقتها الأولى في آذار عام ١٩٧٥ وتمت الموافقة عليها في ٨ / ٥ / ١٩٧٥ حيث كانت الاشتباكات بين الكتائب والمقاومة على أشدها.

وفي ٢٢ / ٧ / ١٩٧٥ صرح المستر روبرت اندرسون الناطق باسم وزارة الخارجية الأمريكية أن رخص تصدير المسدسات إلى لبنان كانت قد أُقرت بناءً على توصية السفارة الأمريكية في بيروت وبمعرفة اثنين من موظفي وزارة الخارجية في واشنطن.

من جهة ثانية اضطر (سوغانليان) إلى عقد مؤتمر صحفي في بيروت اعترف بأنه تاجر أسلحة، وقد عقد عشرات الصفقات المماثلة دون أن تثير مثل هذه الضجة، ورفض أن يذكر إلى أين ذهب بهذه الصفقات، بل اكتفى بقوله: إنها تذهب إلى بلدان وقوى صديقة!! وموالية للغرب.

وفي ٢٧ / ٧ / ١٩٧٥ نقلت صحيفة صندي تايمز تصريحاً صادراً عن وزارة

الخارجية الأمريكية جاء فيه:

"لقد أكدت سفارة الولايات المتحدة في بيروت أن الترخيص المعطى لسوغاناليان بالصفقة يجعلنا مطمئنين إلى أن الأسلحة لن تقع في أيدي رجال منظمة التحرير الفلسطينية خصم الكتائب اللبنانية".

وأضافت المجلة أن عدد صفقات الأسلحة المعقودة مع التاجر سوغاناليان ليس معروفاً، وكذلك لم تُعرف أنواع الأسلحة التي شملتها هذه الصفقات.

وأكد مراسل الصندي تايمز في نيويورك أن طائرة شحن من طراز دس ٧ ذات أربع محركات لا تحمل أية علامات تابعة لشركة تحمل ذات الاسم الذي تحمله مؤسسة سوغاناليان في بيروت قد أقلعت من أحد مطارات ولاية (كونكتيكات) الأمريكية في آخر كانون الثاني ١٩٧٥ وهي محملة بالأسلحة ووجهتها لبنان، ورفضت وزارة الخارجية الأمريكية التعليق على هذا الخبر. وصرحت وزارة الخارجية الأمريكية بالاستناد إلى تقرير من السفارة الأمريكية في بيروت أن السلاح سوف يُباع إلى عناصر مسيحية مسؤولة (نقلت التصريح صحيفة كورانت الأمريكية)^(١).

لا أدري كيف تمّ الكشف عن هذه الصفقة في ١٩ / ٨ / ١٩٧٥، ولماذا أُثيرت هذه الضجة، علماً بأن التاجر اللبناني (سوغاناليان) عقد مؤتمراً صحفياً أعلن فيه أنه

(١) تحدّثت الصحف العربية عن فضيحة (كربين سوغاناليان) في تاريخها المذكور، ومن هذه

نُفذ عشرات الصفقات، ومع ذلك لم يُستدعَ من قِبَل أجهزة الأمن ليُحَقَّق معه.

وفي تلك الفترة وصلت باخرة أسلحة إلى ميناء جونبة، وأصدر رشيد كرامي رئيس الوزراء ووزير الدفاع أوامره لقوات الجيش بمصادرة الباخرة، لكن أوامره بقيت حبراً على ورق ولم تُنفَّذ، وسُلِّمَت صفقة الأسلحة إلى أصحابها بمتهى السهولة واليسر، أما رئيس الوزراء فاستمرَّ يصدر التصريحات والأوامر، ولحسن حظّه أن معظم الصحف اللبنانية كانت تنشر بياناته حول قضية الباخرة.

وكيف ينتظر كرامي أن تُنفَّذ أوامره، وهو الذي قَبِل أن يكون رئيس وزراء لنظام يتولّى قيادة الجيش فيه أحد مستشاري السفارة الأمريكية في بيروت -أسكندر غانم-.

إن السلاح كان يتدفق على الموارد في لبنان من كلِّ حذب وصبوب، وكانوا يُعدّون أنفسهم لمعركة فاصلة مع المسلمين في لبنان، وكانت لهم معسكرات معروفة في جبالهم ومزارعهم، وكانوا يقفون صفاً واحداً رغم ما بينهم من شحناء وبغضاء -إذا كان الخصم مسلماً-، ففي سنة ١٩٥٨ وقف شمعون والكتائب والحزب القومي السوري في خندق واحد ضدّ الناصريين الذين كانوا يستغلّون الشعور الإسلامي عند المسلمين، وتكرّر الموقف في حرب سنة ١٩٧٥، مع اختلاف يسير في الأسلوب.

رابعاً - الإدارة والحكم:

المراكز والمناصب التي يهيمن عليها المسيحيون بالوراثة الطائفية ولا يتخلّون عن مركز واحد منها خوفاً على امتيازاتهم ولبنانهم.

١- رئيس الجمهورية.

٢- مدير عام رئاسة الجمهورية.

٣- قائد الجيش.

٤- ثلاثون مركز قيادة في الجيش من أصل اثنين وأربعين مركزاً. (٣٠ مركز قيادة للموارنة، ١٢ مركز قيادة لباقي الطوائف المسيحية والمسلمة).

٥- ٥٤ عضواً في مجلس النواب مقابل ٤٥ للمسلمين.

٦- قائد الدرك.

٧- مدير عام الأمن العام.

٨- أمين عام وزارة الخارجية والمغتربين. هذا المنصب مهم جداً في توجيه السياسة الخارجية للبنان فضلاً عن أنه من خلاله يشرف ويحافظ الأمين العام على مصالح المسيحيين في المهجر، ويهتم بتسجيل نفوس المغتربين المسيحيين في السجلات الرسمية لتكون جاهزة عند مطالبة المسلمين بإجراء إحصاء للنفوس

لأنهم الأكثرية في البلاد، فيتصدى لهم المسيحيون بقيود المغتربين على أساس أنهم لبنانيون.

٩- النائب العام التمييزي.

١٠- رئيس محكمة التمييز العليا.

١١- رئيس مجلس القضاء الأعلى.

١٢- رئيس مجلس شورى الدولة.

١٣- رئيس هيئة التشريع والاستشارات القانونية.

١٤- رئيس الجامعة اللبنانية.

١٥- حاكم مصرف لبنان المركزي.

١٦- رئيس مجلس الخدمة المدنية.

١٧- محافظ مدينة بيروت (العاصمة).

١٨- رئيس مجلس إدارة مرفأ بيروت.

١٩- مدير عام وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة.

على أثر مطالبة المسلمين بالمشاركة تنازل المسيحيون عن هذا المنصب للمسلمين بعد أن استحدثوا المركز التربوي للبحوث والإنماء وأناطوا به الصلاحيات التي كانت لمدير عام التربية وهم يحرصون عليها ويرأس هذا المركز (ماروني). أهم هذه الصلاحيات هو الإشراف على البرامج التعليمية وعدم تعديلها أو تعريبها والإشراف على المؤلفات التاريخية لكي تكون منسجمةً مع مبادئهم ومخططاتهم. وقد أشار إلى هذه البرامج التعليمية اللاوطنية بيان أصدرته جبهة الأحزاب والهيئات والشخصيات الوطنية في بيروت يوم ٢٦/٩/١٩٦٦ قالت فيه: " والمعاهد الأجنبية تزداد خطورتها بما تتبعه من مناهج منحرفة موجّهة مسمّمة للنشء الجديد من دون مراقبة الدولة"، كما طالبت بتوحيد البرامج التعليمية في لبنان.

٢٠- مدير عام وزارة المال.

٢١- مدير عام وزارة الإعلام.

٢٢- مدير عام الأحوال الشخصية (قيد النفوس).

٢٣- مندوب لبنان في هيئة الأمم^(١).

ليست هذه المراكز والمناصب المهمة هي كلّ ما يهيمن عليه النصارى في لبنان،

(١) مجلة الفكر الإسلامي، جمادى الأولى ١٣٩٨هـ.

أما المراكز التي تُعطى للمسلمين فلا يمكن الاستفادة منها للأسباب التالية:

١- مسؤول بلا مسؤولية: المسلم الذي تُسند إليه مسؤولية يجد نفسه بلا صلاحيات عند مباشرته العمل:

مثال: لو افترضنا أن رجلاً اسمه مصطفى تولى مسؤولية الأمن في صيدا، فهو من جهة لا يعرف حقيقة ما يجري في المدينة لأن مساعديه حجبوا عنه المعلومات، وإذا اعترضته مشكلة وارتأى حلاً لها وأصدر أمراً بذلك فأمره لا يُنفذ، وإذا رفع مصطفى تقريراً لقيادته في الأمن العام وضمّنه اقتراحات تعود بالنفع العام على المواطنين، كان مصير تقريره سلّة المهملات أو الحفظ في أحسن الحالات.

ولا تكتفي قيادة مصطفى بتجميده بل قد يتصلون بمساعديه ويتفقدون معهم على إثارة مشاكل أمنية في المدينة وتستمرّ مع استمرار صاحبنا، وعندما يراجع المواطنون قيادة الأمن يصوّرون لهم بشكل أو بآخر أن المسؤول عن الفوضى هو مصطفى، وقد يُنقل بناءً على طلب وجهاء المدينة، ويحلّ محلّه (جرجس) فتتغيّر الصورة وتُحلّ المشاكل الأمنية المستعصية ويرتاح سكان المدينة.

ومصطفى هذا لا ذنب له إلا اسمه فقد يكون من الذين لا دين عندهم، ولا خلق يردعهم عن ارتكاب المعاصي وخدمة النصارى، فيخسر دينه ودنياه، وقد يكون رجلاً صالحاً فيهرب من الوظيفة كلّها.

٢- جرت العادة أن يكون رئيس الوزراء مسلماً سُنيّاً، ومن هنا جاء زعم النصارى أنهم شركاء منصفون، ولكن الواقع يشهد أن رئيس الوزراء ليس أكثر من ضيف عند رئيس الجمهورية إن شاء أكرمه، وإن شاء طرده، والأكثرية مع امبراطور بعبداء، والدستور عون له، وهذه نماذج من الدستور اللبناني:

مادة (٥٣) - رئيس الجمهورية يعيّن الوزراء ويسمي منهم رئيساً ويقيلهم.

مادة (١٧) - تُنأط السلطة الإجرائية - أي التنفيذية - برئيس الجمهورية، وهو يتولّاها بمعاونة الوزراء وفقاً لأحكام الدستور.

وتحوّله هذه المادة أن يتولّى جلسات مجلس الوزراء ويتخذ من القرارات ما يشاء، وأكثرية أعضاء مجلس الوزراء إلى جانبه لأنه هو الذي اختارهم، والغريب العجيب أن القرارات التي يتخذها رئيس الجمهورية مسؤول عنها أمام المجلس النيابي رئيس الوزراء وليس رئيس الجمهورية حسب نص المادة (٦٠) من الدستور التي جاء فيها: "لا تبعة على رئيس الجمهورية حال قيامه بوظيفته إلا عند خرقه الدستور أو في حال الخيانة العظمى".

وهذا يعني أن له الغنم وعلى رئيس الوزراء الغرم.

ولرئيس الجمهورية حق إصدار قوانين ومراسيم تشريعية:

مادة (٥٨) - كلّ مشروع تقرّر الحكومة كونه مستعجلاً بموافقة مجلس الوزراء

مشيرةً إلى ذلك بمرسوم الأصالة يمكن لرئيس الجمهورية بعد مضي أربعين يوماً من طرحه على المجلس دون أن يبتّ به أن يصدر مرسوماً قاضياً بتنفيذه بعد موافقة مجلس الوزراء.

وهناك شرط واحد يقيّد رئيس الجمهورية بعض الشيء ألا وهو شرط الأكثرية في مجلس الوزراء أو في المجلس النيابي، أما مجلس الوزراء فهو الذي اختاره وهو يعرف كيف يختار، أما المجلس النيابي، فأكثريته من النصارى، وهناك كثير من غير النصارى يخطبون وّدّ رئيس الجمهورية ويتزلفون له، وعلى هذا فرئيس الجمهورية ضامن للأكثرية، وهذا الذي دعا رشيد كرامي إلى القول:

"إن الحاكم الفعلي في لبنان هو رئيس الجمهورية بينما الوزراء الذين يجب أن تكون عملية الحكم بين أيديهم حسب المبادئ الأساسية للنظام البرلماني نراهم يكتفون بالتربع على الكراسي والصلاحيات البسيطة"^(١).

وهكذا يكون رئيس الجمهورية حاكماً مستبدّاً يفعل ما يريد شريطة أن يكون متفاهماً مع البطريك في بكركي، أما المسلمون فيمارس ضدّهم جميع أنواع الظلم

(١) الطائفية ولعبة الحكم في لبنان، د. رياض الصمد، ص: ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، وكلام كرامي قاله في مناظرة جرت بينه وبين الجميل حول الأوضاع، صحيفة النهار الثلاثاء ٢٢/١/١٩٧٤. من الجدير بالذكر أن الحقائق الوزارية بين الطوائف التالية: سنة، موارنة، شيعة، دروز، كاثوليك، أرثوذكس.

والتعسف لأنهم أصبحوا أقليةً في اللعبة النيابية وإن كانوا هم الأكثرية فعلاً.

٣- قيادة المسلمين السياسية^(١): إن قيادة الموارنة في شخص رئيس الجمهورية هي التي تختار رئيس الوزراء والوزراء والسفراء وكبار المسؤولين من المسلمين.

ومن غير شك فإن قيادة المارون تعرف من تختار، ومن يصلح لها من لا يصلح، ومن آثار هذا الاختيار أن الذين يتولون الحكم من أبناء السُّنة ومنذ أربعين سنة ليس بينهم من يلتزم الإسلام عقيدةً وسلوكاً ومنهج حياة، ومعظمهم تخرّج من المعاهد والجامعات اليسوعية، وتتلّمذ على أيدي الفرنسيين والموارنة.

إنهم مرتبطون بالثقافة الغربية، ويجيدون اللغة الفرنسية أكثر من اللغة العربية، ويعرفون تاريخ فرنسا وأعلامها أكثر من معرفة تاريخ الأمة الإسلامية وأعلامها.

ولهؤلاء الساسة علاقات وارتباطات واسعة من الموارنة يتوارثونها عن آبائهم وأجدادهم، والناس في لبنان يعلمون أنه إذا فاز في رئاسة الجمهورية شمعون من سيختار لرئاسة الوزراء، وإذا فاز ريمون إده من سيختار.

إن التسلّط الماروني من جهة ورغبة هؤلاء في الوزارة أو في رئاسة الوزارة من

(١) هؤلاء في الحقيقة ليسوا قادةً للمسلمين، وقصدت من هذه التسمية ما تعارف عليه الناس

جهة أخرى جعل موقفهم ضعيفاً متناقضاً أمام رئيس الجمهورية، وتراهم يقولون رأياً أمام الجمهور، ويتراجعون عنه أمام أصدقائهم الموارنة.

ويتذكّر مسلمو الهوية القادة الإسلام وواقع المسلمين في لبنان في الحالات التالية:

أ- إذا طردهم رئيس الجمهورية من الوزارة، وتعدّر عليهم إرضاءؤه.

ب- عند خوضهم معركة الانتخابات النيابية.

ج- حاجتهم إلى أخذ مساعدات من جهات رسمية في غير لبنان اعتادت أن تقدّم مساعدات لمؤسسات إسلامية^(١).

إنه من المحزن جداً أن يكون للنصارى والدروز والرافضة قيادات سياسية في مستوى الأحداث، وليس عند المسلمين نائب واحد في المجلس النيابي اللبناني نستطيع أن نعتبره من العاملين في حقل الدعوة الإسلامية.

(١) من الجمعيات التي يستغلّها السياسيون في لبنان: جمعية المقاصد الإسلامية، والقائمون على هذه الجمعية نسخة طبق الأصل عن صائب سلام، وبالتالي ليست في عداد الجمعيات التي تنشر الإسلام وتلتزمه سلوكاً ومنهجاً، ومع ذلك تُستغل في أخذ مساعدات من بعض الدول العربية، وفي حرب مفتي لبنان الشيخ حسن خالد. ومن المؤسف أن هناك جمعيات كثيرة في العالم الإسلامي تتاجر بالإسلام وليس من الإسلام في شيء وفي كشف مساجد الضرار خدمة جلييلة للعمل الإسلامي.

ماذا يريد النصارى في لبنان؟

ماذا يريد النصارى في لبنان وما هي العقلية التي يفكرون بها؟!

يجيبنا على هذين السؤالين الأب بطرس ضو الأستاذ في كلية الحقوق بالجامعة اللبنانية بمنتهى الوضوح والصراحة، وجاءت أجوبته في محاضرة حضرها عدد كبير من الناس، ونشرتها مجلة البلاغ في ٨/٨/١٩٧٨.

كما يجيبنا على هذين السؤالين قيادة المارون في الوثيقة التي رفعوها إلى المبعوث الفرنسي في نهاية عام ١٩٧٥، ونشر فيما يلي نص المحاضرة ووثيقة المارون.

نص محاضرة بطرس ضو:

توطدت أركان عهد المودّة أو عهد الوطن القومي الماروني المستقل على دعائم قوة الموارنة الذاتية الروحية والعسكرية. استمدّ هذا العهد قوته من الأهداف التي وضعها الموارنة نصب أعينهم وأخصها صيانة حريتهم بكل أشكالها. الحرية الدينية والحرية الفكرية وحرية القول والعمل والعبادة وحرية الفلسفة والعلم والفن والحضارة. حرية المثل العليا والقيم الإنسانية السامية. كان هدفهم إنقاذ الحرية والحضارة في الشرق الأوسط من الطغيان ونظام القهر والظلم والتمييز والاستعباد والخراب والبداوة الهدّامة. فالحرية أساس الحضارة والكرامة الإنسانية وكلّ نظام لا يقترّ حرية الآخرين هو نظام هدم للحضارة والكرامة الإنسانية.

وعليه وقفة الموارنة كانت إنقاذاً للإنسان وحضارته وكرامته في هذه البقعة من العالم. هذه الأهداف والمثل العليا كانت قوة الموارنة ومنبع إلهامهم ومصدر حماسهم واندفاعهم واستماتتهم في إنشاء وصيانة وطنهم القومي اللبناني.

واعتمدوا أيضاً على قوتهم العسكرية. الشعب الماروني خلاصة الشعب الآرامي والشعب الكنعاني والشعب الآموري الذي عُرف بالمردة. كل هؤلاء وخاصة الأموريون المردة الذين منهم الجراجمة والموارنة، كلهم اتصفوا بشموخ القامة وشدّة البأس وقوة الشكيمة والمهارة في الحروب.

أطلق الكتاب المقدّس على الأموريين أجداد الموارنة اسم الجبابرة والعمالقة، ووصفهم بأنهم مثل قامات الأرز قاماتهم وصلابتهم كالسندان وشبّههم العرب بالجبّال شموخاً، ودعوهم الخضارمة لمقدرتهم على العظام والأساور لبراعتهم في فن الحرب وبني الأحرار لعنفوانهم وعشقهم الحرية والاستقلال، وأشاد الكتاب المقدّس بقوتهم العسكرية فقال: إن مدنها عظيمة وحصونهم تكاد تبلغ السماء واسمهم بالسريانية الجراجمة يعني الأبطال.

ودعاهم المؤرّخون البيزنطيون السدّ النحاسي أي الذي لا يستطيع الأعداء اقتحامه وخرقه. واشتهروا في الحروب بانقضاضهم الصاعق كالبرق وسرعتهم الخاطفة في التحرك والهجوم القاصم الساحق على العدو.

هؤلاء هم الموارنة المردة. وكان كل واحد منهم كبيراً أو صغيراً رجلاً أو امرأة

جندياً بارعاً بطلاً أقاموا على كلّ تلة وقمة من وطنهم حصناً أو قلعةً أو برجاً فشمّلوا الجبل كلّه بشبكة متماسكة من القلاع والحصون فكان لبنان كلّه من أقصاه إلى أقصاه كأنه حصن واحد متماسك لا يُقهر. ضمن هذا الوطن المنيع رصّوا صفوفهم فكانوا كلّهم كأنهم رجل واحد في الحرب والسلام مما جعل لهم سطوة عظيمة.

ونشطوا ضمن سياج وطنهم المنيع إلى تنظيم شؤونهم الروحية والدينية فرفعوا مستوى الأخلاق عالياً في قلب هذا الشرق وفوق أعلى قممه، فكثرت بينهم القدّيسون وازدهرت الفضائل، وانصرفوا إلى نقب جبلهم فحوّلوه إلى فردوس مليء بالخيرات ونعموا بهناء لا مثيل له بينما كان الشرق يتخبّط في الحروب والمحن وكافة أنواع الظلم والضيّق والبؤس، وازدهرت علومهم وانفتحوا على الشرق والغرب وأنشأوا صداقات متينة مع الخلفاء المسلمين وأباطرة بيزنطيا والغرب معاً.

ونعموا بأمان داخلي متين وكان همهم خارجياً صدّ غارات الإرسلايين الذين أرسلهم الخلفاء المسلمون ليحاصروا الموارد فحصلت مناوشات بين الفريقين برهة ولكن ما إن طال الأمر حتى استحكمت العلاقات الطيبة بين الإرسلايين والموارنة.

هذا كان عهد لبنان والموارنة الذهبي بدون شك خاصة إذا قابلناه بالصمود الذي تلاه.

تتميّز العهود التي تعاقبت منذ تصدّع الوطن الماروني بتوق مستمرّ متصاعد إلى تحقيق الاستقلال عن الدولة الإسلامية، هذا التوق كان الحافز الأكبر الناهض بالموارنة نحو الحرية وشاركهم به الدروز في عهد الإمارة فتحقق الاستقلال جزئياً في ذلك العهد وخاصة بزمن المير فخر الدين الثاني والأمير بشير شهاب الثاني.

ولكن حلّت بلبنان في عهد الإمارة فاجعتان كبيرتان الأولى سقوط فخر الدين وما تلاه من الاضطهاد الفظيع الذي تعرّض له اللبنانيون وخاصة الموارنة من قبل الدولة العثمانية، والثانية سقوط المير بشير الثاني وما تبعه من الفتن الداخلية والمذابح الفظيعة وما سبقه من الحروب والتمزيق الذي حلّ بلبنان بسبب تنازعه بين محورين محور الدولة المصرية من جهة ومحور الدولة العثمانية من جهة ثانية مع ما تخلّل ذلك من مداخلات الدول الأوروبية، وهاتان الفاجعتان أنزلتهما الدولة التركية بلبنان واللبنانيين بسبب توقعهم إلى الاستقلال، وبين هاتين الفاجعتين كم حلّ باللبنانيين من ضروب الظلم والتعسف والاضطهاد والبؤس بسبب جور الدولة العثمانية واضطراب الحكم فيها ونزوع آلة الحكم إلى التنكيل وتحريك الفتن وبثّ روح الشقاق والتكالب على المناصب.

بالرغم من كلّ ذلك تمكّن الموارنة في هذه الحقبة المظلمة من التفلّت من الكابوس العثماني الخانق بقوة شكيمتهم وسجية انفتاحهم الحضاري فوثقوا ووسّعوا الاتصالات مع العالم العربي ومراكز الحضارة الإنسانية فلمع علماءهم وفتحوا على الشرق أبواب الحضارة والعلم الذين عرفوهما من منابع الغرب خاصة

منذ تأسيس المدرسة المارونية في روما.

فالانفتاح على الغرب واعتمادهم على قوتهم الذاتية العسكرية وتعاونهم مع بعض الأسر والعشائر وخاصة الدروز كلّ هذا مكّن الموارنة من اجتياز مرحلة الظلم العثماني الذي خيّم على الإمارة مدّةً طويلةً واستغتم العثمانيون وبعض ! من الغربيين سقوط الإمارة ليحاولوا القضاء كلياً على الاستقلال اللبناني فقسّموا لبنان إلى قائمقاميتين فكان هذا العمل كما وصفه أحد قناصل الدول الغربية الحرب الأهلية المنظّمة التي تسلسلت فصولها ومآسيها من (١٨٤٠) حتى (١٨٦٠) وانتهت بانتفاضة أوروبية شاملة ضد هول تلك الفظائع فأرسلت فرنسا جيشها لإيقاف القتال واتفقت الدول الأوروبية الكبرى على بسط مظلة حمايتها فوق لبنان لوقايتها من شرّ الدولة العثمانية فكان بروتوكول (١٨٦٠) وقيام نظام المتصرفية الذي بموجبه ظلّ لبنان مرتبطاً بعجلة الدولة العثمانية ولكن مع بعض حرية التصرف الداخلي وإشراف من الدول الأوروبية كي لا تجرّه هذه العجلة الجرّارة إلى الهاوية أو تسحقه ولكن هذا لم يمنع الدولة العثمانية من التضييق على لبنان ما استطاعت فحاصرتة بحرياً إذ منعت البواخر من أن تتعامل مع شواطئه وحاصرتة برياً بانتزاع السهول الخصبه منه وذلك بغية حصره ضمن جباله وخنقه.

وعندما سنحت لها الفرصة في مستهلّ الحرب الكونية الأولى قضت تماماً على امتيازاته واستقلاله ونظامه وعملت على تجويعه لإبادة سكانه فأنقذنا انتصار الحلفاء ودخلنا في ظلّ الانتداب.

كان مطلب اللبنانيين وعلى رأسهم البطريرك إلياس الحويك ومجلس الإدارة، كان مطلب اللبنانيين، عند نهاية الحرب وسقوط الدولة العثمانية، استقلال لبنان التام الناجز تحت إشراف وضمانة فرنسا وبمساعدها، وصيغة الانتداب فرضتها الظروف الدولية لا الإرادة اللبنانية آنذاك، وسعى فيصل شريف مكة بدعم من بريطانيا لإنشاء امبراطورية عربية تحلف الامبراطورية العثمانية يرتبط لبنان بها ولكنه يتمتع ضمن إطارها باستقلال ذاتي ولكن وقوف الموارنة بقوة ضدّ إلحاق لبنان بعجلة الامبراطورية العربية التي على كل حال لم تتحقق آنذاك.

وفي (١٩٤٣) وُضع الميثاق الوطني الذي أوضحنا بنوده وكان من صميم الميثاق أن يبقى لبنان بمعزل عن التسلط العربي غير مرتبط بعجلة العروبة كما كان مرتبطاً بعجلة العثمانية وأن ينظّم علاقاته مع الدول العربية ميثاق الجامعة العربية الذي شدّد على احترام سيادة لبنان المطلقة كما شدّد على ذلك البيان الوزاري الأول في عهد الاستقلال.

ولكن سرعان ما ضُرب بالميثاق الوطني وبميثاق الجامعة العربية عرض الحائط وانصبّت جهود العرب في الداخل والخارج على ابتلاع لبنان وجره وراءهم وتقييد سياسته الداخلية والخارجية وقطع المدد عنه من المصادر الدولية إلى غير ذلك.

وأثبتت الوقائع منذ (١٩٤٣) إلى الآن أن العروبة ليست أفضل من العثمانية على الإطلاق.

بالواقع أن الدولة العربية الراشدية فالأموية فالعباسية والدولة الأيوبية والدولة المملوكية والدولة العثمانية ومجموعة الدول العربية حاليًا هي كلها أشكال متنوّعة ومتعاقبة لجوهر واحد هو الحكم الإسلامي.

وليس العرب أفضل من الأتراك في حكم الشعوب إذ أن تصنيف الناس إلى مسلمين وأهل ذمة ومؤمنين وكفار ليس من وضع الأتراك ولكن العرب والشرائع العمرية وغيرها المذلة للنصارى وغير المسلمين ليست من وضع الأتراك. الأتراك طبّقوا شرائع وضعها العرب فالعرب هم الأصل والأتراك هم فرع، المدرسة عربية والتلامذة أتراك أو مماليك وليست الحال اليوم أفضل منها في الماضي لأن هذه الشرائع تُعتبر بنظر أصحابها منزلةً ومن أصل إلهي لا يجوز تبديل حرف واحد فيها. والذين محقوا الدامور والمتين وعينطورة وترشيش وغيرها هم من العرب وفعلوا ذلك باسم العروبة وتحت شعار الله أكبر وأمعنوا في التنكيل أكثر مما فعله الأتراك طوال ٤٠٠ سنة.

حاولوا فرض العثمانية والآن يحاولون فرض العروبة كهوية على شعب يتمسك بهويته الأصيلة ويرفض هويةً غريبةً تُفرض عليه بالإكراه.

والإصرار على إلغاء الطائفية من جهة والعروبة من جهة ثانية إن هو إلا طائفية باتجاه واحد إذ ليست العروبة سوى لون من الطائفية كما هو ثابت من أنظمة الدول العربية كلّها بدون استثناء وأن يتمسك شعب بهويته وحرته واستقلاله لا يجب

اعتباره عداءً لأحد ولكنه حق مقدّس تقرّه شرعة حقوق الإنسان وحق تقرير المصير، ومن الأمور النادرة في التاريخ والمستغربة أن يحاول شعب فرض هويته على شعب آخر.

من المقابلة بين مختلف العهود التي اختبرها الموارنة طوال ١٣٠٠ سنة يتّضح أن عهد الوطن القومي الماروني المستقل عن الدولة الإسلامية عربية كانت أم غير عربية هو العهد الذهبي الأمثل.

المستقبل:

مثلاً أن العلة الأساسية في الماضي منذ فقد الموارنة استقلالهم في عهد المماليك كانت ارتباط لبنان ووطن الموارنة بالدولة الإسلامية المملوكية فالعثمانية، هكذا اليوم العلة الأساسية في ارتباط لبنان بالمجموعة والسياسة العربية.

هذا الارتباط أفرغ لبنان من استقلاله الحقيقي وحرمة التصرف داخلياً وخارجياً وعرقل مسيرته في طريق التقدّم والرقى والازدهار الاقتصادي والحضاري. وما يجعل الوضع أكثر صعوبةً وتعقيداً كون المسلمين في داخل لبنان يؤلّفون مع المسلمين في الخارج وخاصة في الدول العربية أمةً واحدةً ووطناً واحداً ولا يعترفون بالولاء لأي وطن آخر خاصة إذا كان يسكنه مسيحيون. فعبثاً تُعقد الاتفاقات والمواثيق معهم. إنهم لا يعترفون بلبنان ووطناً مستقلاً نهائياً ولكنهم يعتبرونه جزءاً من وطن أكبر هو الوطن العربي.

فيجب أن يكون هدفنا هو إعادة استقلالنا التام الناجز عن الدولة الإسلامية الممثلة الآن في العروبة أو المجموعة العربية: بالتمسك بما لنا من سلطات وخاصة رئاسة الجمهورية التي أرادها الميثاق الوطني ضماناً لاستقلال لبنان.

إنها ضمانة وطنية لاستقلال لبنان الذي أرادته الميثاق الوطني مستقلاً عن الشرق والغرب معاً. واتفقاً على أن يتولى المواردنة الرئاسة الأولى كضمانة لاستقلال لبنان ضد طغيان الأكثرية العربية. فاختصاص الرئاسة الأولى بالموارنة له طابع وطني لا طائفي وغاياته تعزيز استقلال لبنان وديمومة هذا الاستقلال. في الواقع يمكن التأكيد أن خطر الطغيان العربي من الخارج والشارع الإسلامي من الداخل لم يزل منذ وضعت الضمانة، ولم ينقص لابل زاد وتعاضم مما يتوجب التمسك أكثر بالضمانة ودعمها بقوة فاعلة ذاتية داخلية وخارجية عربية ودولية.

وما تشديد المسلمين أكثر فأكثر على عروبة لبنان، وتلاهمهم مع الفلسطينيين الغرباء لك سيادة لبنان وتعريبه وإبدال نظامه الذاتي المستقل بنظام يحكم السيطرة العربية عليه إلا الدليل المحسوس على حقيقة وتزايد الخطر الذي لأجله وضعت الضمانة المذكورة.

مارونية الرئاسة الأولى ضمانة لا للكيان اللبناني فحسب ولكن للوجود المسيحي والماروني أيضاً.

وعندما اتفق واضعوا الميثاق الوطني على تخصيص الرئاسة الأولى بالموارنة كان

القصد من ذلك توفير ضمانة للموارنة تؤمّن لهم الاطمئنان على أرواحهم وممتلكاتهم وتقوم في ذلك مقام الانتداب والحماية الغربية. والأخطار التي استعين بالحماية الغربية والانتداب والتي أُنْفِق على أن تكون الرئاسة الأولى ضماناً ضدها مكان الانتداب والحماية الغربية، لا تزال قائمة، ولا يتوقّع زوالها في المستقبل المنظور وذلك للأسباب التالية:

- العروبة تعني لا نظرياً ولكن واقعياً الإسلام، ففي دساتير كل الدول العربية: دين الدولة الإسلام وليس هنالك أي اتجاه للتخلي عن هذا الارتباط بين الدين الإسلامي والدولة العربية.

- والإسلام يميّز بين المسلم والذمي على الصعيد السياسي والمدني والاجتماعي، والذمي لا حق له بالحياة أصلاً ولكن يُسمح له بالاحتفاظ بالحياة لقاء الجزية، والحقوق التي تقرّها شرعة حقوق الإنسان وكلّ الدساتير الحديثة لا يقرّها الشرع الإسلامي للذمي كما هو معروف وخاصة حرية الضمير والعبادة وغير ذلك مما يطول شرحه.

- وهذا التمييز بين المسلم والذمي أو المؤمن والكافر مع ما يتبعه من الطبقية والحرمان الذي أشرنا إليه بالنسبة إلى الذمي نابع لا من أنظمة وقوانين بشرية المصدر يمكن إصدارها وتعديلها ولكن من نصوص قرآنية لها قدسية الوحي بنظر المسلمين ولا يجوز مسّها بأي شكل من الأشكال، هذا التشريع إلهي الأصل حسب

اعتقادهم، أدى على ممر الأجيال إلى تصفية المسيحيين في البلدان التي تغلب عليها العرب والدول الإسلامية كآسيا الصغرى والعراق ومصر وأفريقيا الشمالية وغيرها، ومن ضمن خطط شطر كبير من العرب والمسلمين في الوقت الحاضر تصفية المسيحيين في لبنان، وخاصة الموارنة والأحداث الأخيرة دلالة محسوسة واضحة على ذلك، وجرت محاولات كثيرة في الماضي بهذا الصدد.

أما القول إن الظروف تغيرت والعقول تطوّرت فهذا يُكذّبه الواقع والأحداث التي نشهدها الآن والخطط المعلنة وغير المعلنة والتيارات التعصبية التي تحتاج العالم الإسلامي والعربي.

- ليس من الحكمة والمسؤولية في شيء التخلي عن الضمانات التي بيدنا لنلقي بأنفسنا وبالشعب الموكول إلينا والتراث والرسالة في خضم المجهول تحت رحمة السيف الإسلامي وذلك لمجرد آمال أو تمنيات أو وعود أو عواطف أخوة أو المسكونية أو غير ذلك من الاعتبارات.

يجب التمسك بما لدينا من ضمانات والعمل على الاستزادة منها على صعيد القوة الذاتية والعلاقات العربية والدولية.

الاعتراضات على مارونية رئيس الجمهورية:

إن لبنان بفضل نظامه هذا ذي الرأس المسيحي أكثر تطوّرًا من كل البلدان العربية والإسلامية، وأكثر ازدهارًا وأرفع مستوى من الناحية الثقافية والحضارية

والاجتماعية والاقتصادية من أي منها مع العلم أنه أفقرها جميعاً من حيث الموارد الأرضية الطبيعية، وإبدال النظام للرأس المسيحي بنظام إسلامي شأنه أن يعيد البلاد إلى الوراثة.

والنظام المسيحي هو لا طائفي ولا علماني بالواقع لأنه مستوحى من الإنجيل والإنجيل لا يميّز في التعامل بين الناس بين مؤمن وكافر وقريب وعدو بينما هذا التمييز هو من صميم الدين الإسلامي.

والروح المسيحية قائمة على العدل والمحبة والمساواة ومنها انبثقت التشريعات الإنسانية المعاصرة كالدستور الفرنسي والأمريكي وشرعة الأمم المتحدة وشرعة حقوق الإنسان وغيرها.

فلا يمكن التعبير عن العلمانية بآية أوضح من هذه: "أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، وأحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم ويضطهدكم. في الواقع إن النظام اللبناني ذا الرأس المسيحي كانت منافع للمسلمين أكثر منها للمسيحيين كما يتضح ذلك من وقائع جمّة. فموازنة الدولة يغدّي أغلبية مواردها المسيحيون بينما تُنفق أكثريتها على المسلمين.

ما ارتضيناه سنة ١٩٤٣ تجاوزه الزمن لأن المسيحيين كانوا آنذاك أكثريةً بينما أصبح المسلمون اليوم أكثريةً.

الجواب هو أنه لم يُبن الميثاق الوطني على هذا الاعتبار ولكن على اعتبار أن المسيحيين في لبنان أقليةً بالنسبة إلى المحيط العربي من الخليج إلى المحيط، فالمسيحيون في جبل لبنان في عهد المتصرفية كانوا أكثريةً ساحقةً بالنسبة إلى الطوائف الإسلامية، ومع ذلك نُظمت ضمانة دولية لحمايةهم ضدّ طغيان العالم الإسلامي والحكم العثماني، وقد خلف الانتداب هذه الضمانة الدولة بعد الحرب الكونية الأولى، وأقيمت الرئاسة الأولى ضمانةً للمسيحيين في الميثاق الوطني بدل الضمانة الدولية والانتداب بصرف النظر عن نسبة المسيحيين ضمن لبنان، وعندما اتفق على ذلك أُعتمد لا كتدبير عابر مؤقت مركّز على عدد المسيحيين والمسلمين في لبنان ولكن كعهد مؤبّد بين فريقين وضمانة ثابتة، ولم يقد الميثاق الوطني بين بشارة الخوري ورياض الصلح فقط ولكنه قام بين بشارة الخوري ممثلاً عن المسيحيين من جهة وبين رياض الصلح وجميل مردم بك رئيس وزارة سوريا وزعيم الكتلة الوطنية فيها ومصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر وزعيم حزب الوفد بصفتهم ممثلين عن العالم العربي والإسلامي بأجمعه.

ماذا في حال تصلّب الفريق الإسلامي ومطالبته بالتغيير، لا يجب في هذه الحالة التراخي على الإطلاق فالمسلمون يتبعون مخطّطاً هدفه تعريب لبنان وأسلمته، وهو بنظرهم لا يكون وطناً مستقلاً مؤيِّداً ولكنه في الوقت الحاضر جزء من الأمة العربية والوطن العربي الأكبر إلى أن يذوب تماماً في هذا الوطن العربي الإسلامي والميثاق الوطني الذي جاء بالأمس حلاً لمشكلة أصبح هو اليوم مشكلة والحلّ

الذي يتفق عليه اليوم يصبح غداً مشكلة تحتاج إلى حلّ إلى أن يزول لبنان السيّد الوطن الحر المستقل ويصبح جزءاً غير مستقل على الإطلاق من الوطن العربي.

والصمود أمام هذا الرمل المتحرّك والتمسّك بالميثاق هو الحلّ الحكيم الوحيد والتزحزح هو الخطأ لأنك إذا أعطيت المسلمين اليوم شبراً يطالبون غداً بمتراً.

خمس ملاحظات:

١- فضلاً عن تخصيص الرئاسة الأولى بالموارنة في الميثاق الوطني المتفق عليه سنة ١٩٤٣ أن الرئاسة حق مكتسب للموارنة منذ الفتح العربي وعهد المردة أي الموارنة الأولين بموجب موثيق مع الخلفاء المسلمين، حتى المتصرفية إذ كان المتصرّف مسيحياً كاثوليكيّاً، مروراً بعهد المقدمين فالأمراء الذين كان عظيمًا هم مارونيون أي فخر الدين وبشير الكبير.

٢- إن التمسّك بالقضية والحق الأساسي أي الرئاسي لا يعني العنف أو الفظاظة بالأسلوب، يجب اعتماد القدر الأكبر من اللباقة والنعمومة والحكمة والإقناع واللطف في الأسلوب عند المجاهرة بهذا الحق والتمسّك به بدون ضعف.

٣- يجب أن يكون الهدف مع التمسّك بالرئاسة كحق للموارنة، العمل الخيّر على لبننة الفريق العروبي غير المؤمن بلبنان كما فعل أجدادنا مع العشائر التي أرسلت من قبل الخلفاء والدول الإسلامية إلى لبنان للقضاء على استقلاله وعلى المسيحية فيه مثل بني أرسلان وحمادة وغيرهم منذ القرن الثامن. فهؤلاء بعد أن

ناصروا الموارد العداة قرونًا طويلاً تمورنوا أو تلبننوا أي اندمجوا في العقيدة والولاء للبنان. والعمل على لبننة الفريق الآخر اليوم خاصة بالاصلاحات الجذرية في الإدارة من حيث تطهيرها من الرشوة والفساد والكسل وسائر الآفات، وفي المجال الاجتماعي برفع مستوى المعيشة والرفاهية للطبقات الفقيرة وتلبية حاجات الشعب في الطب والعمل والخدمات الاجتماعية، وفي المجال الاقتصادي والأخلاقي والثقافي بتربية العقيدة اللبنانية في النشء والشببة خاصة، في مدارسنا الخاصة، وفي المجال الثقافي لا بد من التنويه بفضل الآداب اللبنانية والفلسفة اللبنانية والفنون وسائر فروع الحضارة عن الآداب والفلسفة العربية لإنهاء روح الولاء الوطني والتربية الوطنية ويمكن تدريس الآداب العربية كغيرها من الآداب الأجنبية كالفرنسية مثلاً.

٤- التذكير بأنه إذا افترضنا جدلاً أن المسيحيين أصبحوا أقليةً في لبنان بالنسبة إلى المسلمين، الأمر الذي يبدو بأن المعلومات الإحصائية تدحضه، فالرئاسة الأولى التي أُنقذ أن يكون ضماناً للمسيحيين عندما كانوا هؤلاء أكثريةً، يجب بأولى حجة أن تبقى الضمانة لهم وتُعزز بضمانات جديدة في حال يصبح هؤلاء أقليةً.

٥- إذا كان الذين ينادون باللائطائفية السياسية، فلماذا لا يبدؤون بالمناداة باللائطائفية السياسية في سائر البلدان العربية والإسلامية، حيث يشددون ويقيمون الثورات لينصّ الدستور على أن يكون دين الدولة الإسلام، لماذا الطائفية بنظرهم مدعاةً للتخلف واللاديمقراطية في لبنان بينما هي ملازمة للتقدم والتطور

والديمقراطية في سائر البلدان العربية والإسلامية؟

في الواقع أن المناذاة باللاطائفية في لبنان منطلق من وحي طائفي محض وغايتها انتزاع السلطة من الموارنة لتعريب لبنان وأسلمته.

فالخطة تدريجية وتقوم بتصفية حقوق المسيحيين أولاً وأهمها الرئاسة الأولى، ثم تصفية المسيحية والمسيحيين بالإبادة، كسب الرأي العام الدولي والعالمي قبل كل شيء يجب التخلص من الوهم المسيطر على بعض العقول والموحي بأن قضيتنا خاسرة حتماً على الصعيد الدولي والعالمي، لأن مصالح الدول مرتبطة بنفط العرب ولا نفط عندنا، لتبديد هذا الوهم يجب أن نأخذ بعين الاعتبار بعض الحقائق: من العوامل الرئيسية في العلاقات الدولية الصداقة، وقوة الحق إذا ظهرت بوضوح ومنطق، والقوة الذاتية في المجال العسكري والمصالح.

- الصداقة بين موارنة لبنان والدول الكبرى خاصة فرنسا والولايات المتحدة صداقة راسخة الجذور. أما مع الولايات المتحدة فصداقتنا متينة خاصة بسبب المهاجرين من الموارنة ولكن يجب أن نكون من هؤلاء المغتربين أداة فعالة لترسيخ هذه الصداقة بتمتين الروابط بينهم وبين الوطن الأم وتنظيمها. وما ينطبق على دور المهاجرين الموارنة في الولايات المتحدة من حيث تمكين الصداقة بيننا وبين هذه الدول الكبرى ينطبق على المهاجرين في كل أقطار العالم وخاصة في الدول اللاتينية الأمريكية.

- قوة الحق: النظام السائد في الدول الإسلامية والعربية هو نظام تيوقراطي إسلامي لا ديمقراطي والنظام التيوقراطي الإسلامي قائم على التمييز بين المسلم وغير المسلم وما يتبع ذلك من اضطهاد وظلم صامت أحياناً وصارخ أحياناً أخرى وتقصي الحقائق بصورة مجردة موضوعية تبين كم هو بالغ الإجحاف بحقوق المسيحيين وكرامتهم في الدول العربية والإسلامية. فهم مواطنون من الدرجة الثانية وبالأحرى ليسوا معترين كمواطنين، يُمارس ضدّهم التمييز في الوظائف والأشغال والمدارس وسائر المرافق العامة، والمضايقات مستمرة، وهذا ينطبق على الدول الإسلامية العلمانية كتركيا وغير العلمانية، وإجراء التحقيق والإحصاء بهذا الموضوع يثبت ذلك.

فلبنان هو في الشرق المعقل الوحيد للديمقراطية بسبب نظامه ذي الرأس المسيحي والأسس المسيحية، وتغيير هذا النظام هو تحطيم لأحد أهم مراكز الديمقراطية في العالم وخاصة في العالم الثالث المتخلف، وهذا ما يجب بيانه وإيرازه بالوقائع للعالم الحر وللأمم المتحدة وغيرها.

القوة الفكرية هي من أقوى المؤثرات في العلاقات الدولية:

- القوة الذاتية العسكرية- قوة الحق لا يمكن أن تأخذ المكانة اللائقة بها في العالم ما لم تدعمها القوة الذاتية العسكرية. لا يجب في هذا الموضوع أن نهمل الدفاع عن أنفسنا بسبب الاتكال على الحماية الأجنبية، التاريخ يثبت ذلك بصورة قاطعة،

وفي الأحداث الأخيرة لو لم نصمد ونحسن الدفاع عن أنفسنا لما تحرك العالم العربي لصالحنا في مؤتمر الرياض والقاهرة، لو كان سحقتنا الفلسطينيون والأعداء لما كان سأل عنا أحد على الإطلاق لا في الغرب ولا في الشرق ولكننا الآن في خبر كان.

القوة العسكرية ضرورية لكسب احترام الناس وللاستمرار في الوجود، كانت سوريا والعراق ومصر وآسيا الصغرى كلها مسيحية وكانت مسيحية على غاية الازدهار فيها، ولكن لأن هذه الشعوب لم تحسن الدفاع عن نفسها واتكلت في ذلك على الدولة البيزنطية فإنها انهارت حالاً أمام الاجتياح الإسلامي وانقرضت المسيحية والمسيحيون فيها مع أنها مهد المسيحية.

ولحيازة قوة عسكرية ذاتية تمكّنا من الاحتفاظ باستقلالنا وحقوقنا وكرامتنا يجب العودة إلى شعار الآباء والجدود في عهد المردة والوطن الماروني، وهذا الشعار هو "كلّ ماروني جندي".

في الواقع كان كلّ ماروني من سنّ ١٥ حتى يبلغ السبعين من العمر جندياً مدرباً مثل أحسن جندي في الجيوش الأوربية كما تقول تقارير القناصل الأوربية.

وبالإضافة إلى التدريب البشري، يجب وضع خطة شاملة أو استراتيجية كاملة تشمل الجبل اللبناني الماروني كلّه بشبكة من التحصينات والتجهيزات العسكرية، كما كانت الحال أيضاً في عهد الوطن الماروني المستقل. من النادر أن تجد قريةً مارونيةً ليس فيها محلّ يُدعى الحصن أو القلعة أو البرج، الكنائس والأديرة كانت

حصوناً تُبنى بشكل قلاع فيها الاستحكامات والمرامي والجدران الضخمة والأبواب الحصينة، يجب أن يعود الجبل كله كأنه حصن واحد منيع مجهز بأحسن الوسائل الحربية، هذا طبعاً يتطلب جهوداً وأموالاً ولكنه ليس مستحيلاً نظراً لطاقت المقيمين والمغتربين والصدقات الدولية، والتنفيذ يتم بموجب خطة طويلة المدى.

والاعتماد في ذلك على الجبهة والقوات اللبنانية إذا توسّعت بحيث تضمّ كلّ الموارد وفقاً للشعار "كلّ ماروني جندي".

دور الكنيسة:

- على الصعيد الدولي والعالمي - يجب أن تنصبّ جهود الكنيسة في الشرق عامة والكنيسة المارونية خاصة، على أن يبقى لبنان معقل الديمقراطية والحرية والإنسانية في هذه البقعة من العالم ببقاء نظامه ذي الرأس المسيحي وذي الأسس المسيحية وذلك صيانةً لا للحقوق والحريات والكرامة الإنسانية فحسب فلبنان بنظامه المشار إليه حصن وملجأ المسيحية في الشرق وبانهيار نظامه تنهار المسيحية ذاتها.

وكانت الكنيسة المارونية ولا تزال بنظر العالم الحر تُعتبر المركز الرئيسي والدعامة الكبرى للبنان ومن ثم للديمقراطية والحرية في هذا المكن من العالم.

مقاطع من الوثيقة المارونية:

١- في المصطلحات السياسية:

إن مصطلحات من نوع "الديمقراطية"، "الحرية"، "المساواة"، "العلمانية"، "البرلمانية"، "الحقوق القانونية"، وغيرها لا تعني في لبنان (وفي الشرق كله) ما تعنيه في الغرب. والشيء نفسه ينطبق على التشكيلات والتجمعات والزُمر التي يُطلق عليها للمبالغة اسم "أحزاب سياسية"، "اشتراكية"، "وشيوعية"، "وتقدمية"، "وليبرالية"، "وديمقراطية"، "وقومية"، "ودستورية"، إلى آخره. والحقيقة أننا نجد أنفسنا أمام تجمعات مسلّحة، إلى هذا الحدّ أو ذاك تركز إلى مصالح محلية وإقطاعية وقبلية وطائفية لا علاقة لها البتة بالمعنى السياسي الذي تكتسبه هذه المصطلحات والتسميات في الديمقراطيات الغربية.

٢- في الإسلام:

يقوم هذا الفصل على إثبات الفرضيات التالية:

١- أن الإسلام يقسّم العالم إلى دار الإسلام ودار الحرب، ولا سلام بين الاثنين وإنما هدنات مؤقتة، ولو استغرقت قروناً من الزمن.

٢- أن المسلمين جماعة وأمة واحدة، مهما تعدّدت الأوطان الظرفية التي يعيشون فيها، ولا بد لهذه الأمة من أن تتحد أخيراً.

٣- كلّ الدول العربية دول إسلامية ثيوقراطية، وهي تعامل المسيحيين كأهل ذمة محرومين من حقوق المواطنة الفعلية. وتستخلص المذكرة ما يلي: "يستحيل تحقيق المساواة الفعلية بين المسلم وغير المسلم في "دار الإسلام". والمسلم القح لا يقرّ عملياً ولا يعترف نظرياً بأن يكون لغير المسلم الحقوق المدنية التي يتمتع هو بها، بصفته المواطن الكلي الحقوق في دولته الإسلامية".

وإذا كان المسيحيون "واليهود" رعايا و "أهل ذمة" في الدول ذات الأثرية الإسلامية، فما شأن الدول التي يشكّل فيها المسلمون أقلية؟ تجيب المذكرة:

"... في دولة ذات أكثرية غير إسلامية، فإن الأقلية الإسلامية لن يكون لها الاطمئنان ولا الراحة إلا بعد أن تفصل عن تلك الدولة. وسوف يساعدهم جميع مسلمي العالم من أجل تكوين دولتهم الإسلامية، بصفته المخرج الممكن والمنطقي والطبيعي الوحيد في نظر الإسلام.

ولنتذكر هنا الحروب الانفصالية في الهند والفلبين وقبرص والحبشة التي يعتبرها العالم الإسلامي حروباً مقدّسة، وينظر إليها العالم كحروب مشروعة، بينما ينظر هذان العالمان إلى الحروب الانفصالية في نيجيريا وجنوب السودان على أنها حروب مستنكرة وملوثة بالخيانة، وزنان ومكيالان!".

٣- في لبنان:

١- ما ليس هو لبنان:

أ- لبنان ليس، ولا يمكنه أن يكون دولةً ديمقراطيةً بالمعنى الغربي للكلمة، "انظر الفصل الأول".

ب- لبنان ليس، ولا يمكنه أن يكون دولةً علمانيةً بالمعنى الغربي للكلمة.

ج- لبنان ليس أيضًا دولةً ثيوقراطيةً كما هي كلُّ دول الشرق الأوسط، "انظر الفصل الثاني".

د- ولا لبنان بلد تعايش إسلامي-مسيحي، يقوم على اتفاق بين ديانتين. إن الاعتقاد بأن لبنان مكوّن من نصفين وجناحين مسيحي وإسلامي، وفق سياسة النعامة الغبية خطأ فادح ستكون له عواقب وخيمة.

٢- ما هو لبنان:

لبنان فيدرالية طوائف (لا ديانات) يضمّ ١٦ طائفة. وكلُّ هذه الطوائف حرّة في ممارسة طقوسها تتساوى في المفاخرة بكرامتها الإنسانية وهي حريصة كلّها أيضًا على حقوق المواطنة الكاملة في الوطن المشترك.

وإذا كانت الطائفة المارونية قد احتفظت لنفسها - ليس عبر النص الدستوري،

وإنما عبر الأعراف التقليدية وموافقة الآخرين - بالمسؤوليات الأولى في الدولة (كرئاسة الجمهورية وقيادة الجيش) فلأنها تعذبت روحًا وجسدًا وبذلت الدم الكثير عبر القرون من أجل الحفاظ على لبنان حيث يبقى الموارد رغم كل شيء الطائفة الأهم من حيث العدد والثقافة والموقع الاقتصادي والسمعة وإمكانات التحرك الدولي بحيث لا يسعها أن تتحرك مصائر كل هذه بيد أناس لا يمكنهم أن يكتفوا للبنان الحب الذي يكتفه له الموارد ولا الحماس للذود، بسبب معتقدتهم الديني وعقدة التفوق عندهم وتطلعاتهم إلى السيطرة النهائية. والواقع أن لبنان بالنسبة للمسلمين، والسنة خاصة، لا يمكنه إلا أن يكون إلا مرحلة ووطنًا مؤقتًا صغيرًا وظرفيًا كغيره من الأوطان العربية "جزءًا لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير من المحيط إلى الخليج". والمؤكد أن المسيحيين والموارنة خاصة يفضلون أن يُذبحوا حتى آخر واحد منهم، على العيش كأهل ذمة (أي ذميين) في مثل هذه الامبراطورية الإسلامية.

هذا هو جوهر القضية اللبنانية لكل ما في الصراحة من حدة وشراسة. ولكنها صراحة تبتغي الإنقاذ. وجوهر القضية هو الاختلاف الأصلي - ونكاد نسميه اختلافًا وراثيًا وعضويًا - حول مفهوم لبنان بين الأطراف المشاركة والذي يولد بينها وبين الموارد والسنة خاصة حالة دائمة من الشك والريبة.

والحال هذه كيف تريدوننا أن نثق بحسن نية مقدمي النصائح وبصدق موزعي

صكوك الإحسان والإخوة والصلح؟

فلو قيل للقدّيس بولص أن يسمع اللفظية الديهاغوجية لإذاعة لبنان، فخرج عبر الأثير مع التآوهات والتنهدات المناسبة لكان اعتبر أن موعظته الشهيرة عن الإحسان قليلة النفع، تجاوزها الزمن بكثير والمحزن أن كل هذا نغم نشاز، فالشرط الأول لنجاح أي ممثل هو أن يكون مقتنعاً بالدور الذي يمثله، والحال أن عاقدى اجتماعات الحوار والمصالحة ليسوا مقتنعين بدورهم. وكلّ منهم على معرفة كاملة بعوطف الآخر الحميمة تجاهه، لهذا تجده يهوى خطة الهجوم الجديد خلال المعانقات الحارّة. ولهذا يصبح القول أنهم جميعاً متفقون على إخفاء جوهر المشكلة، أنهم يضعون المسكّنات حيث يحتاج الأمر إلى المبضع.

عندما يستشري وباء الريبة المتبادلة بين أعضاء جماعة معيّنة، يجب حلّ هذه الجماعة، وعندما تفتك "الغرغرينا" بعضو من الأعضاء فالعلاج الوحيد الذي ينقذ حياة المريض هو البتر. وعندما يستحيل التعايش بين زوجين، ولو كانا كاثوليكيين فالحل الوحيد هو انفصال الأجساد".

٤- في تكوين لبنان:

يكرّر هذا الفصل الرواية المزوّرة لتاريخ لبنان على أنه تاريخ لجوء الأقليات الدينية إلى جبل لبنان هرباً من الفتح العربي وتاريخ مقاومتها لـ "الغزو الإسلامي"، واستعادتها من الحملات الصليبية لـ "تدعيم موقعها في لبنان، ملجأ الأقليات، في مواجهة العالم السني" وما تعرّضت له من مجازر واضطهاد بعد انسحاب

الصليبيين. وتستطرد المذكورة هنا للحديث عن الفلسطينيين:

"ولكن حان الوقت لنشير إلى نوع آخر من اللاجئين هم في الأصل مصيبتنا الحاضرة، لقد اضطر لبنان، أرض الحرية، المسمّى "الشقيق العربي" منذ الاستقلال الشهر عام ١٩٤٣، لأن يستقبل بفتح ذراعيه عام ١٩٤٨ لـ "أشقائه العرب" الهارين من بلادهم أمام الزحف الإسرائيلي. وحصل البلد الصغير بين "البلاد العربية" على النصيب الأوفر من هؤلاء اللاجئين المعدمين.

وعوض أن تجمعهم في مكان واحد كما فعلت مصر وسوريا والأردن، عمدت الحكومة اللبنانية القصيرة النظر والخاضعة للجامعة العربية والعميلة الطيّعة للسياسة البريطانية، وبناءً على نصيحة من الأصدقاء البريطانيين، عمدت إلى توطينهم حول المدن الكبيرة. وهكذا زرعت البذور الأولى للخطر الفلسطيني.

وفي أحزمة البؤس التي تحيط بالمراكز اللبنانية الهامة، وبعد اكتشاف البترول وتوافد الأموال والسلاح والمرتقة من كلّ بلد عربي وكلّ اتجاه يساري متطرف، نشأت مخيمّات معزولة ومزوّدة بكلّ وسائل التدمير الحديثة تهدّد لا الازدهار والهدوء والاستقلال فحسب بل وجود لبنان الحقيقي نفسه.

إن الكارثة النادرة المثل الواقعة حاليًا على هذا البلد هي الثمرة الطبيعية، والنتيجة المنطقية واللازمة، للسياسة المؤيدة للعرب المعدّة في بريطانيا والمقدّمة على أطباق الفضة العراقية والليبية وتحت العين الماكرة الراضية للولايات المتحدة

الأمريكية ولصالح إسرائيل.

إن هذه السياسة التي افتتحت في لبنان عام ١٩٤٣ بفضل مأسوية الاستقلال المسرحي - الهزلي ذات "المئة فصل وفصل" التي لا تزال مستمرة منذ ٣٢ سنة، بالممثلين إياهم "عدا الذين توفاهم الله. فحلّ محلّهم أبناءهم وإخوتهم أو أنسابهم هذه السياسة جرى تنويعها بالانضمام إلى "الجامعة العربية" واستهلكت نفسها في أيامنا هذه بالغارات الهمجية التي نشهدها. وكلّ ذلك بسبب التواطؤ الغبي أو المقصود لجميع حكامنا المسؤولين الذين عملوا يداً بيد، منذ ذلك العهد المشؤوم، في رئاسة الجمهورية كما في رئاسة الوزراء.

ومجموعهم مجرمون وخونة ومرتكبوا مجازر الإبادة الجماعية، يجب اعتقالهم فوراً وتسليمهم للقضاء إذا كان قد بقي ثمة من قضاء.

٥- في التوازن اللبناني (١٨٦٤-١٩١٥):

إن لبنان الملجأ - الذي ينكر عليه بعض من أبنائه اللاجئين هذه الميزة، لم يعرف هدوءاً نسبياً وسط جيرانه المسلمين إلا بفضل اليقظة المستمرة لأبنائه المدججين بالسلاح. وهكذا يمكن القول أن لبنان عاش في ظلّ نظام السلم المسلّح طيلة الفترة المملوكية - العثمانية.

أما في بقية أرجاء الامبراطورية العثمانية فقد اضطر المسيحيون إلى العيش في

حالة من الخضوع أقرب إلى العبودية. إن نظام التمييز بين المسلمين والمسيحيين قد ارتقى بفضل الشرع الإسلامي إلى مستوى مؤسسة للحق العام كما بينا سابقاً.

وهكذا فإن أوروبا التي وافقت على دخول تركيا في "مؤتمر الدول الكبرى في العالم المتمدن" بعد حرب القوم متجاهلةً أحكام الشريعة، لم تستطع أن تقبل باستمرار نظام التمييز بين المواطنين الذي يتناقض بشكل صارخ مع المبادئ الأساسية للحق الطبيعي التي تحكم المجتمعات والدول. وهكذا اضطر السلطان عبد المجيد اضطراراً إلى إصدار تشريع "خطي همايون" الشهير في ١٨ شباط ١٨٥٦ الذي فرض المساواة في الضرائب والوظائف العامة على كل رعايا الامبراطورية بدون تمييز في العرق والدين.

ولقد أدى إصدار هذا القرار، الذي يبدو أمراً طبيعياً في البلدان الأخرى، إلى إثارة استنكار مسلمي الامبراطورية أيضاً إثارة وأخذ علماء الدين يذكرون أبناء دينهم بتقاليد السُّنة المطبقة منذ الغزو الإسلامي والتي لا يجوز مسّها والتي تقول إن أهل الذمّة هم جماعة يمكن التسامح معهم واستخدامهم ولكنهم ليسوا من الأمة ولا هم مواطنين يتمتعون بالحقوق المدنية والسياسية.

هذا التحريض الذي وقع على أرض صالحة آتى ثماراً دمويةً بعد وقت قليل، عام ١٨٦٠، حيث ذُبح مئتا ألف مسيحي في دمشق وزحلة وحاصبيا وراشيا ودير القمر، وكتب "رينان" الذي كان في زيارة لسورية آنذاك: "إن الشعوب التي

قهرها الإسلام لم يترك لها وطناً سوى الجامع والزاوية".

إذا كان الاضطهاد المستمرّ ضدّ مسيحي الشرق والذي تخلّته مجازر محلية لم يؤدّ عبر العصور إلى تدخّل قوي وجذري من جهة أوربا فإن العالم المتمدّن نهض مستنكراً المجزرة المتعمّدة المنظّمة عام ١٨٦٠. وكان هذا الانفجار الدموي نتيجةً لاختمار طويل غذاه ممثلو تركيا بعناية فائقة، على حدّ قول تشرشيل "شرشريك" كما كان يسمّيه لبنانيو ذلك الزمان.

ولقد رأت أوربا مدفوعةً بعاطفة إنسانية وبقية من الشهامة والفروسية أن التدخّل المسلّح بات ضرورياً، فأرسلت أساطيلها إلى مياه بيروت، واتفقت الدول الكبرى الأوروبية في اجتماع الثالث من آب ١٨٦٠ في باريس على إرسال فرق عسكرية فرنسية إلى لبنان. وصل ٦٠٠٠ جندي بقيادة "بوفور" فأعادوا الأمن وساعدوا على رفع الألقاض في القرى المدمّرة.

من جهة أخرى قامت لجنة تضمّ ممثلي إنجلترا وفرنسا وبروسيا والنمسا وتركيا، بعد سلسلة اجتماعات في بيروت، بوضع بروتوكول ١٨٦٤ الذي يعطي لبنان وضعاً مستقلاً حيال "الباب العالي" بضمانة "الدول الست" الكبرى التي أصبحت "الدول السبع" بعد انضمام إيطاليا. وأحد القرارات المهمّة في "البروتوكول" وأن يكون حاكم لبنان مسيحياً كاثوليكياً.

أمن استقلال لبنان نصف قرن من الهدوء والسلام والتوازن الاجتماعي في

الداخل، واستقرارًا سياسيًا في الشرق الأوسط كلّه وأصبح لبنان، أكثر من أي وقت مضى ملجأً للمسيحيين المضطهدين في كلّ مكان تقريبًا من الامبراطورية العثمانية.

وكفى المسيحيين إحساسهم بأنهم غير خاضعين لنظام الإرهاب والاضخاع المسلّح ليتفتق نبوغهم الأدبي. فأعادوا الاعتبار للغة القرآن التي كانت فُرِضت عليهم بالقوة والإذلال وأعطوها البريق الذي افتقدته طوال ٥ قرون من الانحطاط ويعود الفضل في وجود المطابع الأولى، والصحف الأولى، والمجلات الأولى، والكتب الكلاسيكية الأولى، والموسوعة الكبيرة الأولى، إلى مسيحي لبنان. وكلّ ذلك بفضل تعليم ثانوي في مؤسسات محترمة لا يهدف برنامجهما التعليمي الذي وُضع بمنأى عن أي قسر، إلا إلى تنشئة "الإنسان الشريف" بالاعتماد على الثقافة الكلاسيكية المتعدّدة، وكم من خيبة أمل تلقينا بعد ذلك! وكم من انتكاسة في هذا الميدان الثقافي! فمند أن بدأ التوازن الإسلامي المسيحي تحوّل إلى قاعدة في كلّ مؤسسات الدولة ونحن لا نزال نتقهقر في كافة الميادين. وهذا على كلّ حال أسلوب تحقيق المساواة بشدّ المجتمع إلى تحت. ولكن الأبع في كلّ هذه التخلّيات هو خيانة "الاكليركيين".

برامج التعليم الابتدائية والتكميلية، ولا نتكلم عن الثانوية لأنهما لم تعد موجودة! أصبحت نتاج التجاذب المستمرّ بين المسيحيين والمسلمين. وأصبحنا مضطرين لأن نتجنب، في كلّ المواد، كلّ ما يمكنه أن يثير حساسية أيّ من

الفريقين، حتى بالنسبة للأدب يجب على مشاعر وأفكار ومفاهيم الكاتب المرشح لأن يوضع على البرنامج أن تمر في الغربال. ألم نر منذ عدة أشهر كيف أن عضوًا مسلمًا في لجنة البكالوريا، وهو ذو لقب جامعي، رفض إدخال الشاعر اللبناني إلياس أبو شبكة في برنامج البكالوريا ولماذا؟ لأن له مفاهيم مسيحية! وباللإثم! مما يصدم على ما يبدو المسلم الطيب ولو كان دكتورًا في الأدب العربي. وما لا يصدمه إطلاقًا هو الموافقة على إدخال الشاعر العباسي الشهير أبو نؤاس إلى البرنامج مع أنه رائد الشعر الجنسي ولوطني معروف. وهكذا نرى في أية مدرسة يتربى أطفالنا وهكذا نرى إلى أية أمية يسير لبنان وهو مكتشف الأبجدية. فيا لسخرية القدر!

كيف تريدون منا، إذا كانت هذه تربيتنا، أن نستمر في لعب دورنا في العالم المتمدّن؟ كيف تريدون منا أن نستمر في خدمة العرب في نهضتهم الفكرية عندما تكون شهادتنا الجامعية المفرغة من كل مضمون إنساني بفضل هذه البرامج التافهة، مهددة بالسقوط إلى مستوى شهاداتهم؟ إنها نتيجة مؤذية جدًا، بين نتائج أخرى، لصفة "عربي" (مسلم) التي ألصقت باسم لبنان.

هذا التوازن الطائفي الغني في نتائجه وإمكاناته تحطّم فجأة عندما خرقت تركيا استقلال لبنان لتقرّمه وتدفعه نحو المجاعة: فقضى - جوعًا أكثر من ثلث السكان، حوالي ١٥٠ ألف لبناني بينهم "١٠٠ ألف ماروني" كانوا ضحايا الكراهية والانتقام.

٦- في خطى قيام "لبنان الكبير":

هَلَّل اللبنانيون لسقوط الامبراطورية العثمانية وأبدى المهاجرون اللبنانيون في مصر وفرنسا والأمريكيتين والذين كانوا شكّلوا روابط وأحزاباً سياسيةً حماساً في إعلان استقلالهم وتنظيم دولتهم أكثر من المقيمين.

وطالب كثير من المسيحيين والدروز والشيعية في وادي التيم، وجبل عامل وعكّار والبقاع بالانضمام إلى سكّان لبنان في ذلك الوقت وربط مناطقهم بلبنان الكبير للمتّبع بما كان يسمّى "الامتيازات" أي الحرية والكرامة وانعدام التفرقة الدينية والمساواة بين جميع المواطنين ولم يكن بوسع اللبنانيين في الجبل أو المهاجرين منهم في أوروبا وأمريكا بعد أن اعتادوا هذه المفاهيم، التفكير بإمكانية العودة إلى دولة ثيوقراطية، تركز إلى سيادة الإسلام مع كلّ ما يجزّه ذلك من نتائج معلومة، حتى ولو أصبح المسلمون ذات يوم هم الأكثرية في لبنان الجديد.

وهكذا قرّر المجلس التمثيلي للبنان في أيار ١٩١٩ أن يطلب من مؤتمر السلم المنعقد في فرساي "استقلال لبنان في حدوده الطبيعية" وطالب غبطة البطريك حويك بأن يرأس الوفد اللبناني إلى المؤتمر.

وتجدر الإشارة إلى أن الجمهور الأكبر من السُنّة، وقسمًا مهمًّا من الشيعة، وبعض الدروز والمسيحيين حاربوا فكرة لبنان الكبير وطالبوا الانضمام إلى سوريا.

وفي باريس حاول سياسي ماروني كبير خبير بسياسة الامبراطورية الإسلامية العثمانية وخبير جداً بالتطلعات الأبدية للعرب المسلمين في الشرق الأوسط، لفت انتباه غبطة البطريك إلى خطورة توسيع الحدود اللبنانية أبعد من المناطق المسيحية وضم شعوب أخرى إلى لبنان يهدد بإخلال التوازن فيه. وقال له أن مسلمي لبنان الجدد ما أن يظنوا أنفسهم أكثرية حتى يحاولوا تحويل لبنان، بمساعدة إخوتهم في الدول المجاورة، إلى دولة إسلامية ثيوقراطية حكماً يضعونها تحت حماية دولة إسلامية كبرى.

غير أن غبطته وقف ضدّ هذا الكلام، واضعاً ثقته مثل كلّ اللبنانيين الطيبين في ذلك الوقت في خلود وصدّاقة فرنسا وحمايتها، ولم يكن باستطاعة أحد أن يتخيّل في الواقع، أن يوماً سيأتي يقف فيه واحد مثل ميشال جوير، يحمل خرقة مغمّسةً بالوقود، ليحاول أن يمحي من تاريخ العلاقات الفرنسية - اللبنانية أسماء: سان لويس، وفرانسوا الأول، ولويس الرابع عشر، ونابليون الثالث، وكليمنصو، والجنرال ديغول.

"ستندم يا غبطة البطريك على هذه المبادرة في أقل من خمسين سنة".

ولكن لا البطريك والشخصية السياسية الشهيرة بقيا على قيد الحياة ويا للأسف، لرؤية هذه النبوءة تتحق. وهذا من حسن حظيها ومن سوء طالعنا! وهكذا ففي الأول من أيلول ١٩٢٠ أعلن الجنرال غورو قيام دولة لبنان الكبير

ضدّ إرادة جميع المتذمّرين.

وكان هذا انتصاراً للمسيحيين في نظر المسلمين أما بالنسبة للمسيحيين فلم يلبثوا أن لاحظوا بمرارة سخافة هذا الانتصار. إن فرنسا "القوة الإسلامية" (لنتذكر إفريقيا الشمالية) كانت دائماً تُعطي المسلمين وقد أعطتهم داخل الدولة الجديدة أكثر بكثير مما يحق لهم لكي تستميلهم إلى جانب القوة المتدبّة. ألم تذهب إلى حدّ تحويل موظف بسيط لدى المحاكم المختصّة "المفتي" إلى رأس الهرم الكليركي في الإسلام اللبناني، والزعيم الروحي للطائفة الإسلامية؟ وهذه هرطقة ضدّ روح الإسلام ونصّه. فهل سمعنا سابقاً عن مفتي الجمهورية السورية؟ أو عن الزعيم الروحي لمسلمي هذه البلاد؟ في مصر؟ أو العراق؟ إن للسياسة أسباباً لا يملكها العقل والمنطق. أكان يعقل يعطي الإسلام اللبناني هذا الامتياز العظيم والمفاجيء لو لم يكن في لبنان بطيريك، هو رأس الهرم الكليركي الماروني يعتبر عن حق، كزعيم للمسيحيين؟

وهكذا جرى تكريس انقسام لبنان رسمياً إلى طائفتين متنافستين. و عوض استلهاهم المثال السويسري (اتحاد الكانتونات - الطوائف) الذي يعكس تماماً الطبيعة المركبة للمجتمع اللبناني كاتحاد بين الطوائف، اختارت فرنسا لكي تحتل موقعها في لعبة التوازنات السياسية أن تؤسس في الواقع دولةً ثنائية الرأس. لقد كان ذلك تكراراً غير دستوري لمشروع تعيس ذي نتائج بائسة هو مشروع القائمقاميتين.

وأول من فوجيء بهذه البدعة هو المفتي نفسه الذي استمرّ يقبض معاشه المتواضع من خزينة الدولة كما كان الحال أيام العثمانيين باعتباره موظفًا مساعدًا للقضاء وذلك رغم الارتقاء غير المنتظر والاختصاص غير الطبيعي في الإسلام اللذين يدعيان جعله في أعين السلطة المدنية نداءً للبطيرك الماروني. فوجد نفسه ناطقًا رسميًا باسم الطائفة الإسلامية. يطالب بصوت عال بما يهمس به الزعماء السياسيون في أذنه ولو من دون أن يعتبروه زعيمًا لهم.

٧- في المسألة الهزلية لعام ١٩٤٣:

على رغم ذلك استمرّ الإسلام في مقاطعة لبنان والاعتراض على الدستور اللبناني الصادر عام ١٩٢٦، واستمرّ الحال على هذا الشكل حتى ١٩٤٣.

وشهد عام ١٩٤٣ منازعات سياسية وصراعات نفوذ بين القوتين الحليفتين فرنسا وبريطانيا. وشهدت الانتخابات التشريعية في العام نفسه، المنظمة تنظيمًا حسنًا، انتصار زبائن بريطانيا صديقة العرب الكبرى، أم العروبة ومريبتها وعرابة "الجامعة العربية".

وكان هذا العهد الجديد بمثابة النهاية للنفوذ الفرنسي وأعاد إلى بريطانيا هيمنتها على لبنان بعد ٨٠ سنة من الانتظار.

"... على الصعيد الداخلي، كان عام ١٩٤٣ المدعو بأبهة، عهد الاستقلال

مرسوماً باتفاق جديد مدعو، بأبهة مماثلة، الميثاق الوطني. وعملاً بهذا الميثاق يمتنع المسيحيون عن طلب العون والمساعدة من الأجانب - أي الفرنسيين - باعتبار أن الإنجليز كانوا موجودين وممسكين بكلّ شيء باستثناء بعض مناصب الدولة المحفوظة للمتفعين من الاستقلال والمسؤولين عن الميثاق الوطني. ويمتنع المسلمون بالمقابل عن العمل لإغراق لبنان في المحيط العربي. ومثل الاتفاقات الفاقدة الإخلاص والشرف كان هذا الميثاق حرفاً ميتاً. وإذا كان المسيحيون مُنعوا من طلب مساعدة القوى الأجنبية بفضل الحاجب البريطاني، فإن المسلمين استمروا في التحضير لقيام الوطن العربي (المسلم) الكبير، ويمكن القول أن عهد الاستقلال كان عهد الثأر الإسلامي.

"سنلحق بكم بعد أن سبقتمونا لمدة ٢٥ سنة"، هذا ما أعلنه أحد الزعماء المسلمين في بيروت (أصبح فيما بعد رئيساً للحكومة) لأصدقائه المسيحيين، أما أحد رؤساء المجلس، الأكثر واقعية والأقل حصانةً فأسرّ لأبناء دينه: "تسلّوا إلى المراكز المهمة في الدولة مثل البراغيث في ثنايا الجسم الإنساني".

وكان يمكن للبنان ألا يجد غضاضةً في كلّ ذلك لولا هذا الاتجاه إلى السيطرة ولولا هذه الإرادة والعناد في جعل الدولة الإسلامية تحت ذريعة تعريبها.

ويكفي التذكير بالإصرار العنيد من قبل الزعماء المسلمين على إصاق صفة "عربي" رسمياً باسم لبنان للتأكد من نوايا التوسّع الإسلامية لهؤلاء الزعماء

ورغبتهم في تحويل لبنان إلى مثل "لأشقاءه العرب" ومحو كل علاقة مميزة تعطيه مركزاً متميزاً على الصعيد الاجتماعي والسياسي والأدبي والفني.

في البدء كانت الحملة الخجولة والسطحية في ظاهرها التي نجح رياض الصلح في تمريرها في البيان الوزاري الأول للعهد المسمى العهد الاستقلالي وفي ظل الطبل والزمير للمأساة الهزلية الاستقلالية من شعار "لبنان ذو وجه عربي" دون أن يشعر به أحد. لكن هذا الكلام السخيف تحوّل فيما بعد إلى بقعة زيت أخذت بالانتشار على امتداد الجسم كله. حتى أنه بعد ١٥ عامًا وبعد التمرد المسلح ضدّ الشرعية ويهدف دمج لبنان في الوحدة السورية - المصرية، جاء البيان الوزاري الأول لرشيد كرامي ليتكلم بكلّ جرأة عن "لبنان العربي".

اعتقاداً منها بأنها ربحت، أو تظاهراً بالاعتقاد، توقفت الشهية العربية عند هذا الحدّ. ولم تطلب تحويل الاسم الرسمي للبنان إلى "الجمهورية العربية اللبنانية". والله وحده يعلم ما ينبغي لنا المستقبل. لكن هذه الصفة العربية المطلقة في نص رسمي تحمل النتائج الثقيلة الكافية.

فلنتناول واحدةً من تلك النتائج. تلك التي تخص اللاجئين الفلسطينيين والتي هي في اعتقادنا أساس مصائبنا.

ينظر العالم إلى الفلسطينيين على أنهم فقراء لاجئون سُرقَت منهم منازلهم

وأملاكهم، ومحرومون من الأرض والوطن.

في مواجهة اللبنانيين، على العكس، هؤلاء "اللاجئون الفقراء" يصبحون عرباً مثلهم، اضطرتهم الظلم العالمي إلى الجلاء عن فلسطين مؤقتاً لكنهم انتقلوا لحسن الحظ إلى الجوار، إلى لبنان، إلى بلد عربي آخر. فهم إذن في بلادهم، في الوطن العربي الكبير ليسوا لاجئين ولا غرباء.

هل يُعقل أن يُعتبر الفرنسي من "ستراسبورغا" أو "ليل" ابن مرسيليا الهارب من الزحف الألماني لاجئاً أو غريباً؟

الأمر نفسه ينطبق على العربي الفلسطيني الذي اضطره الزحف الصهيوني إلى الإقامة مؤقتاً في لبنان العربي. وهم يقولون: لا أهمية تُذكر إذا جزء من الوطن العربي الكبير قد سلب حالياً طالما يبقى لنا لحسن الحظ، بلد آخر، هو لبنان.

ونستطيع أن نبقى فيه حتى نسترجع بلدنا الآخر. فلماذا كل هذه الضجة؟ وكيف يجرؤ البعض على الكلام عن الغرباء في لبنان؟ أي غرباء؟ وأين هم؟ ومن يراهم؟ كيف يجرؤ الكهنة اللبنانيون الكفرة وكل اللبنانيين الأصليين المتفيعين على التقدّم والعاملين لعرقلة المسيرة العربية، كيف يجرؤ هؤلاء على الكلام عن سيادة لبنان؟ أو اقتراح تدويل الأزمة الداخلية الواقعة بين "الأشقاء العرب"؟

نحن متمسكون بلبنان، هكذا يقول، وبوجوده وسنحميه ضدّ الجميع ولا نقبل

أن يمسه أحد، وإذا كانت حكومته عاجزةً عن حفظ الأمن والنظام فنحن على استعداد لمساعدتها شرط ألا ينزل الجيش إلى الشارع فهذه مسألة لا تمهّمه. وها نحن استقدمنا لهذا الغرض فرقتين من الجيش السوري، تحت تغطية منظمة الصاعقة الفلسطينية.

فأي ضرر في هذا؟ ألسنا كلنا عرباً؟ وأبناء بلدان عربية؟ فأين هي إذن المشكلة اللبنانية؟ هذا هو الجوهر، وربما حتى في النص ما يعلنه القادة الفلسطينيون.. وعاش لبنان العربي.

نتيجة أخرى من نتائج تعريب لبنان:

إلى جانب مملكة الحرية غير المحدودة التي لا تمس، تضاف مملكة جديدة من نتائج "العروبة". وها هي أبواب لبنان مشرّعة، على مصراعيها لكلّ الأيديولوجيات الممنوعة في البلدان العربية، ولكلّ النشاطات المحظورة، طوعاً أو قسراً، في هذه البلدان ذات النظام الاستبدادي، وحكم الحزب الواحد. ومن الكنيسة للحرية، يتحوّل لبنان إلى سوق عكاظ حيث يجري تحريك المفارقات بمثل سهولة تحريك الأسلحة النارية. ويصبح لبنان معسكراً مقلّلاً يأتي إليه العرب من كلّ صقع وزاوية لتصفية حساباتهم وخلافاتهم الشخصية والقبلية والعشائرية والمتلبسة بالأيديولوجيات الحديثة: هذا الشكل المعاصر للقتال بين الأخوة الذي يميّز العرق العربي منذ أن وُجد العرب.

في ظلّ هذا الاضطراب العجيب بين الأيديولوجيات المستوردة والمطبوخة بالأفأوية العربية، في هذه الحلبة من السجال الحقود والساعي وراء الانتصار الشكلي أكثر منه وراء المنطق السليم، وفي ظلّ هذا المعرض الصحافي الذي لا أيمان له ولا قانون، حيث تُباع أفضل المواهب لمن يدفع أكثر في تعهير مخزن للكلمة والقلم، لم يعد يوجد صحيفة لبنانية واحدة.

فوراء كلّ صفحة تصدر في بيروت يطلّ الشريك القابع في هذه العاصمة العربية أو تلك، كما نجد وراء كلّ زعيم سياسي، أو برلماني، ووراء كلّ سفّاح صغير، شبح أحد مالكي البترول. وهكذا لم يعد للأمانة وللشرف الثقافية، أو للأمانة عموماً أي وجود إلا في الروايات القديمة. وماذا عن الشرف والاستقامة في الوظائف العامة؟

الابتزاز، الانحراف، السرقة، الرشوة، النفوذ، هي قواعد التعامل. كلّ شيء يباع وكلّ شيء يُسرق. والخير العام يصبح خيراً مستباحاً للأكثر شطارةً. ويلعب التناقض الإسلامي - المسيحي دوراً مهماً في إفراغ الدولة من الموظفين الجديرين والشرفاء. وبحجة التوازن الطائفي تُمنح أهم الوظائف لعناصر عديمة الكفاءة وتسود مملكة التفاهة في كلّ مكان. وتسيطر عملية المساواة بتخفيض المستويات على الإدارة. وفي هذا الوقت تهاجر النخبة: المثقفون، التقنيون، عناصر الخدمات، العمّال الاختصاصيون. فكيف يمكن العيش في بلد يقوده تطبيق الميثاق الوطني إلى الانهيار والإفلاس على كلّ الأصعدة.

وأكثر فأكثر تتحوّل المطالبات الطائفية، خاصة السُّنة منها، الضاغطة والوقحة، عاملاً يعرقل مسيرة الدولة. ويصبح كلُّ همّ الحكام قسمة المغانم.

ألم نر أحد رؤساء الوزراء وكان في الوقت نفسه وزيراً للهازية، يرفض دفع تعويضات شرعية لورثة أحد الموظفين المسيحيين بانتظار أن يموت، وفي ظروف مماثلة موظف مسلم، عندما يكون حصانان بالقوة نفسها ومشدودان إلى عربة واحدة باتجاهين مختلفين فإن العربة تراوح مكانها حتى التفكك الكامل.

لقد دفع المسلمون المدعومون بحوالي ٤٠٠ ألف فلسطيني وهو رقم أعلى من عدد السُّنة في لبنان -وبعد جذب الدروز، دفعوا التناقض الإسلامي-المسيحي إلى الذروة. وها هي المطالبات تتالى وتتحدّد أكثر فأكثر متصاعدةً نحو الهدف الحقيقي "أسلمة" لبنان وهذه المطالبات مدعومة بعدد كبير من التنظيمات اليسارية المدعوة زوراً "وطنية" و"شعبية" و"تقدّمية" وحتى "لبنانية"، والمسلّحة جميعها حتى الأسنان بالشعارات الملهية والأسلحة الفتّاقة. وإذا كانت هذه التنظيمات تتقاتل فيما بينها فإنها تتفق جميعها ضدّ لبنان التقليدي ذي الحضارة الإنسانية والوجه المسيحي التي لا تزال ملامحه ظاهرةً حتى الآن رغم كلّ التشويهات والأخايد.

ماذا يفعل زعماءنا المسؤولون أمام انفلات الشهيات المتوحّشة وأمام هذا الهجوم الحقود وماذا يفعل قادتنا الدينيون والمدنيون ضدّ هذه الحملة الصليبية المضادة، هذه الحرب المقدّسة (الجهاد) العائدة إلى القرون الوسطى؟ وماذا بوسعهم

أن يفعلوا بعد أن قبلوا بعروبة لبنان وعاشوا ٣٢ سنة من الخبث والتكاذب المتبادلين بهدف الحصول على انتصارات سياسية فثوية ومنافع تافهة وأرباح فانية.

وها هي السلسلة المتواصلة من التنازلات، والتراجعات، والتخليات، الرامية إلى محو أو على الأقل إخفاء كل أثر مسيحي في هذا البلد المسكين عبر استكمال عملية تعريبه الكاملة (أي أسلمته).

الأمثلة في الميدان السياسي سلسلة لا تنتهي. فالناس تردّد آلاف الأمثلة وتناقشها. ولنذكر فقط العلاقات اليومية الحاصلة مع المسؤولين، كبارًا أو صغارًا، حول تسرب الغرباء عبر الحدود السورية ومرور الشاحنات المحمّلة بالأسلحة من كل نوع. ردة الفعل؟ بضع ابتسامات وهزّات رأس... عجز؟ تواطؤ؟ خيانة؟ على كل حال وكنتيجة طبيعية لهذا الموقف المشبوه والخطير، ها هو لبنان يغرق في بحر الدم والله وحده يعرف متى ينتهي.

وثمة أمثلة أخرى ذات دلالة مأساوية ودموية حول تراجع السلطة أمام التصاعد الإسلامي. في الترجمة العربية. في التلفزيون اللبناني، لرواية البؤساء ليفكتور هوغو جرى إلغاء دور الراهب الشريف المونسنيور ميريل، الشخص الرئيسي في الرواية بعد جان فالجان ليحلّ محلّه رجل خير.

ولماذا أساءت الأمانة الأدبية؟ لأن ظهور رجل دين مسيحي، على شاشة التلفزيون، في دور طيّب قد يثير ردّة فعل عند المسلمين... أو هكذا قرّر بعض

موظفي وزارة الإعلام. هذه النفسية المريضة والانهزامية ليست من هذه الأيام، ولا هذا الكره الفطري لكلّ تفوّق مسيحي ولكلّ تقدّم على المسلمين ولو كان تاريخياً: إنها العقليات التي نعاني منها والتي تسمّم تعايشنا البائس منذ بدء مأساة الاستقلال.

في العام ١٩٤٨، واحتفالاً بالحدث الثقافي الكبير الذي مثله انعقاد مؤتمر الاونيسكو في بيروت، قرّرت اللجنة المعنيّة بالأمر إصدار أربع طوابع تذكارية بالمناسبة. وكان طبيعياً أن تحمل الطوابع صور أربعة لبنانيين من رواد النهضة الأدبية العربية. ووفقاً للقاعدة في التوازن الطائفي كان ينبغي اختيار شخصيتين مسيحيتين مقابل شخصيتين مسلمتين، فيما يتعلّق بالمسيحيين كان الاختيار سهلاً وقد تمّ بسرعة: بطرس الغالي وإبراهيم اليازجي يفرضان نفسيهما بدون منازع. غير أن اختيار المقابل الإسلامي كان صعباً. فليس من خطأ المسيحيين إذا كان "إخوانهم" المسلمون في القرن التاسع عشر يقاطعون المدارس الحديثة الأمر الذي أبقاهم، على الأقل، لفترة من الزمن على هامش حركة النهضة. باختصار جرى التوصل أخيراً إلى اختيار: أحمد فارس الشدياق، ويوسف الأسير، لكن الاختيار قابل بالرفض، لماذا؟ لأن أحمد فارس الشدياق يحمل عطلاً أصلياً، إنه من أصل ماروني! وكان مستحيلاً استبداله بآخر، نظرًا لانعدام وجود شخصية أدبية متميّزة في الوسط الإسلامي. إذن تباً للاونيسكو! فسوف يُحرم من طوابع تذكارية.

أما المعرض الزراعي والفن البيطري، فقد كان أوفر حظاً من الاونيسكو،

وكانت حيواناتنا الأليفة أكثر سعادةً من رواد النهضة الأدبية، إذ انتشرت صور الحمار والحصان والبغل والبقرة والشاة على الطوابع التي تحملها رسائلنا إلى العالم أجمع! هنا، يصبح الاختبار أكثر سهولة، فالتوازن الطائفي ليس مهددًا!

وحدثًا أيضًا وخلال الحوادث المؤسفة التي غطت كل ما يمكن أن يتصوره عقل جهنمي يحلم بالخراب، مشبع بالحقد والثأر السادي، قدّم التلفزيون اللبناني برنامجًا يجروء على الإشارة إلى وجود عدد كبير جدًا من الغرباء على أرضنا، استقبلناهم كضيوف وأخوة، ليتحوّلوا إلى مخربين بعد زمن يسير.. (إشارة إلى أحد برامج أبو ملحم).

وهذا البرنامج الذي تابعه بإعجاب ورضى اللبنانيون الحقيقيون، جرى توقيفه فجأةً بأمر من حكومة غيبية وعاجزة ومنخورة من الداخل بتناحر يسلّها الأمر الذي نعمله كلنا.

وهكذا يظهر إلى أي مدى يتّجه قادتنا في سياستهم المائعة الجشعة قصيرة النظر، مارسها جميع الساسة الذين تعاقبوا على الحكم منذ ١٩٤٣ وحتى اليوم، وبدون استثناء، إنهم مجرمون.

وإذا كانوا قد نجحوا في التهرب من غضبة الشعب فإنهم لن يفرّوا من عدالة الله، من حكم التاريخ، ومن لعنة آلاف القتلى، ضحايا خيانتهم، والذي سيتردّد صدهم كجرس كئيب في المؤلفات التي ستؤرّخ للبنان.

٨- في طريق الخلاص:

قبل أن يكون القارئ رأياً عند قراءة هذه المذكرة، من الضروري أن يعرف أن المسيحيين، الأسياد في بلادهم منذ بداية المسيحية، والذين ردّوا جميع الغزوات:

١- لا يطلبون شفقةً ولا رحمةً، فكم بالأحرى إذناً بالعيش!

٢- يرفضون كلّ فكرة تقول بالتعايش السلمي ضمن دولة إسلامية، على غرار أهل الذمة في الدول العربية (الأقباط في مصر، الآشوريون في العراق... الخ).

٣- المسيحيون يريدون المحافظة، بمختلف الوسائل، على خصائص ومميزات لبنان التقليدي، الفريد في هذا الشرق الثيوقراطي والعنصري، والذي تجلّى في كونه فيدرالية طوائف، كلّها متساوية وحرّة و متمتعة بالكرامة البشرية، وكلّها متساوية في الفخر، تحترم الواحدة منها الجميع ويحترمها!

٤- يريدون بمختلف الوسائل والتضحيات ومن ضمنها الاستشهاد، حماية هذا اللبنة المستقل والسيد، وطناً أبدياً أزلياً سرمدياً يشكّل كلاً بذاته وبغير حاجة إلى نعت من خارجه، وطناً هو موئل للروحانيات. للحضارة ولثقافة الإنسانية، يفتح على العالم بأسره في تلاقح متبادل للأفكار والمفاهيم، وتبادل في المنتجات المادّية والمعنوية وفقاً لشرط واحد: الاحترام المتبادل.

وحتى يكون الأمر كذلك، فإن لبنان يطلب إلى العالم تفهّم قضيته تفهّمًا

صحيحاً، صادقاً وخالياً من الأفكار المسبقة وتقديم الدعم في سبيل حلّها بصورة فعّالة، ومتحرّرة من كلّ شرط مسبق، ومنزّهة عن كلّ مصلحة شخصية.

إن لبنان يناشد القوى الروحية والمعنوية في العالم وعلى رأسها الكرسي الرسولي، والقوى الضامنة للحق والحرية، ومثقفي العالم، وفلاسفته، وشعراءه، وعلماءه وفنانيه، أن لا يسمحوا بانطفاء الشعلة الأصلية التي أنارت مهد الحضارة البشرية على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، بواسطة اللهب الحارق الآتي من الصحراء، أن لا يسمحوا أن تغرق في بحر البترول، تلك الجزيرة الفردوسية التي هي الملجأ الوحيد في الشرق بأسره، حيث يعيش الإنسان ويتنفس ويتحرّك، ويتاجر ويفكر ويتعبّد ويغني ويصلي في حرّية تامّة.

إن اللبنانيين ليسوا إذًا ضحايا بائسين يبحثون عن طعام أو كساء. إنهم رجال أحرار، وفخورون بأنفسهم، محبّون للسلام بطبعهم وثقافتهم الدينية والإنسانية. لكنهم مضطّرون لحمل السلاح دفاعاً عن استقلالهم في وجه الغازي الذي يهدّد حريتهم كمسيحيين، وكرامتهم كبشر، (اليوم كما في القرن الخامس والثامن والرابع عشر).

فيا أقوياء هذه الأرض، إزاء هذه الزوبعة الهمجية المسيطرة على لبنان بأكمله، وحيث يُذبح المسيحيون بالآلاف، ويجري اجتياح المدارس والأديرة، ويُخنق الرهبان في صوامعهم، وتُستباح الكنائس بالعشرات، وتُدنّس المقدّسات ويُرمى

بالبرشامات أرضاً، وحيث تنظّم الغارات على القوى المارونية والكاثوليكية والأرثوذكسية وبيروت تحترق.

- قفوا أمام هذه الإبادة الجماعية لأمة بأكملها الموقف الذي وفقتموه بالأمس
أمام نبأ صدور حكم بالإعدام من محكمة إسبانية على أربعة من المحرّضين
"الباسك" المتّهمين بالقتل.

فهل نكون وقحين أكثر من اللازم إذا طالبناكم -دون أي إخلال بسلم القيم
الذي به تتمسكون! إبداء الاستنكار نفسه الذي أبديتموه إزاء تلك الحادثة، من
روما إلى اسكندينايا ومن أميركا الشمالية إلى إفريقيا، واتخاذ موقف الإدانة نفسه
الذي اتخذتموه، وعبر عن نفسه دبلوماسياً باستدعاء ولو مؤقت! -للسفراء- هل
نكون وقحين إذا طالبناكم أن تتخذوا الموقف نفسه وربما بفاعلية أشدّ إزاء المحنة
العاصفة بلبنان؟

نرجو أن تعفونا من الشفقة الرومانطيقية، والنصائح الأبوية، والمناشدات
الأفلاطونية. واعملوا -إذا استطعتم وإذا كانت لديكم الشجاعة الكافية- دونها
أي تفريط بمصالحكم الأساسية في العالم العربي من أجل حقنا في حرية ابن الله وفي
كرامتنا كبشر أحرار. ساعدونا بدعمكم المعنوي وقوتكم المادّية للتوصّل إلى
المخرج الوحيد الممكن لأزمتنا، عند الضرورة.

المخرج الوحيد؟ لقد أكدناه أعلاه:

عندما يستشري وباء الريبة المتبادلة بين أعضاء جماعة معيّنة، يجب حلّ هذه الجماعة. وعندما تفتك "الغرغرينا" بعضو من الأعضاء فالعلاج الوحيد الذي ينقذ حياة المريض هو البتر. وعندما يستحيل التعايش بين زوجين، ولو كانا كاثوليكين، فالحلّ الوحيد هو انفصال الجسد.

إن المخرج الوحيد الممكن هو العودة إلى صيغة لبنان القديم، المستقل، الحيادي، بضمانه الدول الكبرى. عندما يخسر صور وصيدا وطرابلس وجزءاً من البقاع وعلّكار، وكلّها مناطق تحتلّها الآن زمر الغزاة المسلّحة، انحسرت عنها فعلياً السيادة اللبنانية، فإن لبنان الإنساني سيربح كثيراً من حيث الكرامة والاستقلال الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، ولكن ربحه الأكبر هو الحرية في تحركاته الدولية.

الأمم المتمدّنة، والأمم المسورة، والشعوب التي تمتلكها المشاعر الإنسانية، لا توفر جهداً ودعايةً لكي تشمل رعايتها العالم الحيواني، إضافةً لعالم الإنسان. لذلك تجدها تنشئ الحظائر وحدائق الحيوانات كملاجئ، حيث يمكن لبعض نماذج الحيوانات النادرة والغريبة والمهدّدة بالانقراض، أن تعيش في سلام، بمنأى عن هجمات الصيادين المتوحّشين.

فهل نتجاوز الحدّ إذا طالبنا أقوىاء هذا العالم، وجميع الذين مازالوا يؤمنون بقيمة الإنسان، أن يرفعوا من مستوى مثلهم العليا، باسم الأمم المتحدة، على ضمان لبنان كـ "ملجأ دولي" حيث يمكن لبعض النماذج النادرة والغريبة من بقايا

الكنائس الشرقية التي هربت من الأدغال الآسيوية أن تعيش بسلام وحرية وكرامة
بمنأى عن الصيادين الأشد همجية؟!!

الفصل الثالث

وثائق من تاريخ النصيريين المعاصر

- ثورة صالح العلي.
- سلمان المرشد إله النصيريين.
- عريضة الزعماء النصيريين إلى رئيس الحكومة الفرنسية.
- النصيريون في عهد الاستقلال.
- وحيد العين.
- بيان إلى أبناء الطائفة العلوية.
- كلمة حول وثيقة وحيد العين.

ثورة صالح العلي:

إن الأحداث السياسية التي شهدتها المنطقة الشمالية الغربية من سورية مشابهة في أصولها للأحداث التي شهدها جبل الدروز في جنوب سورية.

والبطل الذي سُلِّطت عليه الأضواء في جبال النصيرية "الشيخ صالح العلي" وهو من زعماء النصيرية كان مقيماً في بلدة الشيخ بدر من قضاء طرطوس. وساهم في هدم الخلافة الإسلامية عندما قام بقطع الطريق التي تصل طرطوس بحماة، فكانت خسائر الأتراك كبيرة نتيجة قطع الطريق عليهم^(١).

وأعلن ثورة على الفرنسيين في أواخر سنة ١٩١٨، واستمرت حتى نهاية سنة ١٩٢١، وعقد مع مصطفى كمال اتفافية في ٧/٩/١٩٢٠، وعلى إثرها أوفد مصطفى كمال أربعة ضباط مزودين ببعض السلاح وبرسالة إلى الشيخ صالح العلي.

وتوالت الوقائع إلى أن قلَّ ما عند "صالح" من ذخيرة، واشتدَّ المستعمرون في قتاله، فاستولوا على أكثر معاقله، واستسلم كثير من أنصاره، فأدركه اليأس، فأوى إلى بعض الكهوف، وأعلن الفرنسيون حكمهم عليه بالإعدام ولم يهتدوا إليه فأعلنوا له الأمان فظهر مستسلماً.

(١) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، د. أحمد قدرى ص ١٣٣.

واعتزل الشيخ صالح شؤون الحياة العامة بعد ذلك، وظلّ قابلاً في عزلته، حتى شهد عهد الاستقلال في بلاده، ووافاه أجله في قريته سنة ١٣٦٩ هـ الموافق سنة ١٩٥٠ م^(١).

وقفات:

١- ساهم صالح العلي في المؤامرة التي دبّها اليهود مع الحلفاء - الإنجليز والفرنسيين - وكان من نتائجها سقوط الخلافة الإسلامية، وكانت له صلوات مع أتاتورك، وعقد معه اتفاقية. وأتاتورك يهودي من يهود الدونمة كان له باع طويل في هدم الخلافة الإسلامية، ونشر الإلحاد والعلمانية في تركيا، و صلوات صالح العلي مع أتاتورك وغيره تدفعنا إلى وضع كثير من إشارات الاستفهام أمام اسمه!!!

٢- استمرّت ثورة صالح العلي ثلاث سنين، ثم اعتزل الحياة السياسية منذ نهاية ١٩٢١، وكأنه أنهى مرحلة، وسلّم زمام المرحلة التي تليها لغيره من أبناء طائفته، فهل كان قتال الفرنسيين مشروعاً ثم أصبح غير مشروع عنده؟!

وأين صالح العلي من البطولات والتضحيات التي قدّمها المسلمون في اللاذقية وبانياس وطرطوس بل وفي تل كلخ، وإدلب وجسر الشغور، ليس خلال ثلاث سنين ولكن طيلة عهد الانتداب الفرنسي.

(١) الأعلام، خير الدين الزركلي. اسم صالح ٣/ ٢٧٨، ٢٧٩، ونقلت كلام الزركلي عن

٣- الشيخ صالح العلي الذي قاد ثورةً في جبل النصيرية ضدّ الفرنسيين، لم يتعرّض له الفرنسيون بأذى عندما استسلم وألقى سلاحه، وكذلك شأن سلطان الأطرش ومن معه من الدروز.

أما المجاهدون المسلمون فكانت قلوب الفرنسيين لا تعرف الرحمة ولا العفو معهم كما وصفهم أحمد شوقي:

وللمستعمرين وإن ألانوا قلوب كالحجارة لا ترق

وموقف الفرنسيين من سلطان الأطرش وصالح العلي يذكّرني بالقصة التالية:

اتهم الفرنسيون رجلاً من أهل حوران اسمه سليم زعل الزعبي بالمشاركة في ثورة خربة الغزالة وألقي القبض عليه بعد الثورة بأيام، وقدم عمّه -أحد وجهاء قرية المسيفرة- رشاوى للسلطة فأطلقت سراحه ثم أُعتقل مرّةً أخرى، وبعد وساطات واحتجاجات كان ردّ المسؤولين الفرنسيين:

من أقدم أو شارك في قتل مسؤولين فرنسيين لن نتردّد في قتله مهما كانت الظروف، وتمّ إعدامه فعلاً، وهو الذي لم يفعل بعض ما فعله صالح العلي أو سلطان الأطرش.

سلمان المرشد إله النصيريين :

برز دور سلمان المرشد بعد انتهاء ثورة صالح العلي وتجمّع النصيريون حوله، وزعموا أنه إله لهم فعبدوه من دون الله. ولنترك الحديث للأستاذ خير الدين الزركلي: "سلمان بن مرشد بن يونس: علويّ متأله من النصيرية، من قرية -جوبة برغال- شرقي اللاذقية بسورية، تلقّب بالرّب!"

بدأت سيرته سنة ١٩٢٠م، وسُجن سنة ١٩٢٣ ونُفي إلى الرّقة حتى سنة ١٩٢٥ وعاد من منفاه، فترعّم أبناء نحلته -النصيرية- وكانت الثورة في سورية أيام عودته قائمّة على الفرنسيين، وانتهت بتأليف حكومة وطنية لها شيء من الاستقلال الداخلي، فاستماله الفرنسيون واستخدموه وجعلوا لبلاد -العلويين- نظامًا خاصًا. فقيوت شوكته وتلقّب برئيس (الشعب العلوي الحيدري الغساني).

وعين سنة ١٩٣٨ قضاة وفدائيين، وفرض الضرائب على القرى التابعة له، وأصدر قرارًا جاء فيه: (نظرًا للتعديات من الحكومة الوطنية والشعب السني على أفراد شعبي، فقد شكّلت لدفع هذا الاعتداء جيشًا يقوم به الفدائيون والقواد...الخ) وجعل لمن سّاهم الفدائيين ألبسة عسكرية خاصّة.

وكان في خلال ذلك يزور دمشق نائبًا عن -العلويين- في المجلس النيابي السوري، فلما تحرّرت سورية وجلا الفرنسيون عنها، ترك له هؤلاء من سلاحهم ما أغراه بالعصيان، فجرّدت حكومة سورية قوة فتكت ببعض أتباعه، واعتقلته مع

آخرين، ثم قتلته شنقاً في دمشق^(١).

ويقول الدكتور مصطفى الشكعة:

"وهؤلاء الغلاة المعاصرون من العلويين ينقسمون إلى فرق ثلاث هي: البناوية والمواخسة والكلازية. فأما البناوية فهم الذين ادّعى الألوهية بينهم شخص اسمه سلمان المرشد وآمنوا به، وكان سلمان هذا ذكياً، مثل الدور تمثيلاً جيّداً، فكان يلبس ثياباً فيها أزرار كهربائية ويحمل في جيبه بطارية صغيرة متّصلة بالأزرار، فإذا وصل التيار أضاءت الأنوار من الأزرار فيخترّ له أنصاره ساجدين.

ومن الطريف أن المستشار الفرنسي الذي كان وراء هذه الألوهية المزيفة كان يسجد مع الساجدين، ويخاطب سلمان بقوله: "يا إلهي". وقد اتّخذ سلمان المرشد رسولاً اسمه سلمان الميده، كان يشتغل جمّالاً عند أحد المزارعين في حمص، ومن الطريف أن سلمان المرشد -مدّعي الألوهية- كان راعي أبقار! وهكذا يكون الإله راعياً والرسول جمّالاً.

وأما المواخسة فقد انقسمت قسمين: قسمًا اتّبع سلمان المرشد، وقسمًا آخر ظلّ على حاله من السير على العقيدة العلوية العادية.

(١) مذكرات خير الدين الزركلي، وجريدة الجلاء، اللاذقية ٤/١٢/١٩٤٦، وكتاب مدّعي الألوهية في القرن العشرين لأمين حدّاد (عن كتاب الأعلام اسم سلمان ٣/١٧٠). ومن الجدير بالذكر أن خير الدين الزركلي مؤرّخ وساهم في الثورة ضدّ فرنسا ومعاصر لهذه الأحداث.

ومن الطريف أن البناوية وأنصارهم من المواخسة ظلّوا مخلصين لسلمان المرشد، فبعد أن قُتِل، أهُوا ابنه "مجيب"، وبالرغم من أن "مجيب" قُتِل هو الآخر فإنهم مازالوا يؤثّونه، وما زالوا يذبّون على اسمه فيقولون:

(باسم المجيب الأكبر، من يدي لرقبة أبي بكر وعمر). ويقال أن الأنظار متّجهة الآن إلى تأليه واحد من أخوة مجيب أي ولد آخر من أولاد سلمان المرشد، الذين لا يزالون يتمتّعون ببعض النفوذ عند بعض الجهلاء، أو ضعاف النفوس الذين لا يزالون يرتاعون فرّقاً كلما ذكروا ما أوقعه سلمان المرشد بالذين عصوا أوامره ولم ينصاعوا لدعوته من قتل ونهب وتعذيب في ظلّ الحكم الفرنسي^(١).

عريضة الزعماء النصيريين إلى رئيس الحكومة الفرنسية:

في سجلات وزارة الخارجية الفرنسية وثيقة تحت رقم (٣٥٤٧) تاريخ ١٥/٦/١٩٣٦ م. تتضمّن الوثيقة عريضة رفعها زعماء الطائفة النصيرية في سوريا يطلبون فيها عدم انتهاء الانتداب الفرنسي لسورية.

نص الوثيقة

دولة ليون بلوم رئيس الحكومة الفرنسية

إن الشعب العلوي الذي حافظ على استقلاله سنة فسنةً بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيرة في النفوس هو شعب يختلف في معتقداته الدينية وعاداته

(١) انظر كتاب (إسلام بلا مذاهب)، للدكتور مصطفى الشكعة، ص: ٢٢١ حتى ٢٣٨.

وتاريخه عن الشعب المسلم -السُّنِّي- ولم يحدث في يوم من الأيام أن خضع لسلطة من الداخل.

إننا نلمس اليوم كيف أن مواطني دمشق يرغمون اليهود القانطين بين ظهرانيهم على عدم إرسال المواد الغذائية لإخوانهم اليهود الطيبين الذين لجأوا إلى العرب المسلمين بالحضارة والسلام ونشروا على أرض فلسطين الذهب والرفاه ولم يوقعوا الأذى بأحد ولم يأخذوا شيئاً بالقوة ومع ذلك أعلن المسلمون ضدّهم الحرب المقدّسة بالرغم من وجود إنجلترا في فلسطين وفرنسا في سوريا.

إننا نقدر نبل الشعور الذي يحملكم على الدفاع عن الشعب السوري ورغبته في تحقيق استقلاله ولكن سورية لا تزال بعيدة عن هذا الهدف الشريف خاضعة لروح الإقطاعية الدينية للمسلمين.

ونحن الشعب العلوي الذي مثله الموقعون على هذه المذكرة نستصرخ حكومة فرنسا ضمناً لحريته واستقلاله ويضع بين يديها مصيره ومستقبله وهو واثق أنه لا بد واجد لديهم سنداً قوياً لشعب علويّ صديق قدّم لفرنسا خدمات عظيمة.

الموقعون: محمد سليمان الأحمد، محمود آغا حديد، عزي آغا غواش، سلمان المرشد، محمد بيك جنيد، سليمان الأسد.

أشهد أن الشعب النصيري يختلف في عاداته ومعتقداته الدينية عن الشعب المسلم -كما قال الزعماء النصيريون في عريضتهم-.

وأشهد أيضاً أن النصيريين منذ نشأتهم وحتى يومنا هذا يتعاونون مع جميع الغزاة الكافرين ضد الإسلام والمسلمين، فلا غرابة إذن أن يعبر النصيريون في عريضتهم عن تعاطفهم مع اليهود تارةً ومع الفرنسيين تارةً أخرى، ومن قبل تعاونوا مع النصارى الغربيين في الحروب الصليبية، ومع التتار خلال اجتياحهم للعالم الإسلامي.

وليست سياسة حافظ الأسد إلا صورةً طبق الأصل لآبائه وأجداده، وهو منفذ للمخططات الصهيونية مها ادعى الوطنية ونادى بالثورية.

النصيريون في عهد الاستقلال:

شكّل سلمان المرشد جيشاً نصيرياً سنة ١٩٣٨م، وأعلن العصيان المسلح سنة ١٩٤٦م، ورفض انضمام الجبل إلى سورية في عهد الاستقلال، فأين مواقف الشيخ صالح العلي من هذه الفتنة؟!

ولو فرضنا أنه كان يعلم أنه لن يتبعه أحد من النصيريين أما كان من الواجب عليه أن يلتجئ إلى الوطنيين من أبناء السُّنة في الساحل أو في حلب وشمالها، وسيكون لموقفه هذا أثر كبير في نفوس المواطنين من أبناء سورية؟!

صمت الشيخ صالح العلي، وكان صمته إقراراً، ووقف زعماء الجبل إلى جانب سلمان المرشد في العريضة التي قدّموها سنة ١٩٣٦م، وبرز من النصيريين من يقول للفرنسيين كلاماً مغايراً لما قاله قادة الجبل ولكن لم يكن لقولهم شأن، أو كانت مواقفهم وفق سياسة توزيع الأدوار بين أفراد الطائفة.

وبعد إخماد فتنة سلمان المرشد، انضمَّ معظم النصيريين إلى الحزب القومي

السوري، لأنهم يعرفون مدى ارتباطه بالمخططات التي يرسمها اليهود في المنطقة.

وكان للنصيريين باع طويل في كلِّ مؤامرة استعمارية تهدد استقلال سورية،

ونقلنا فيما مضى من هذا الكتاب دورهم في مؤامرة ١٩٥٦، وكان من أشهر

المتورّطين بهذه المؤامرة العقيد غسان شديد أحد ضباط الحزب القومي السوري،

وشقيق المقدم صلاح شديد حاكم سورية الفعلي في الستينات.

وركب النصيريون موجة حزب البعث الاشتراكي في أوائل الستينات، وبقدرة

قادر تحوّل القوميون السوريون من أبناء الطائفة إلى أعضاء عاملين في حزب البعث

العربي الاشتراكي وقويت شوكة الحزب بهم وكثر سواده.

وبعد انقلاب الثامن من آذار سنة ١٩٦٢ لعب النصيريون دورًا بارزًا في كشف

أسرار التنظيم الناصري من خلال انضمام بعضهم إلى هذا التنظيم ظاهريًا، ومن

أهم ضباطهم الذين قاموا بهذا الدور: العقيد محمد عمران، والنقيب محمد نبهان،

ودفع قادة التنظيم الناصري رقابهم جزاء ثقتهم بالنصيريين.

وبعد سحق الناصريين اشترك النصارى والنصيريون والدروز في حكم سورية

بيد أن النصيريين كانوا الأكثرية الساحقة في الحكم. وفي منتصف الستينات تمّ طرد

ميشيل عفلق والعيسمي، وتبعهم حاطوم، وفي نهاية الستينات كان الحكم في سورية

خالصًا للنصيريين الذين احتفظوا بستر كاذب تترسوا وراءه اسمه حزب البعث.

وفي ٢٥ / ١١ / ١٣٨٧ أصدر أحد أبناء الطائفة النصيرية بياناً كشف فيه المؤامرة التي دبّها زعماء الطائفة ننشره لأهميته.

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المسلمون في كلّ مكان:

إيضاحاً لحقيقة النصيرية في سورية، نقدّم إليكم هذا المنشور الهام، بقلم نصيري هداه الله بالإسلام.

كثير من قرّاء هذا المنشور سيقفون حيارى يتساءلون، أحقّاً هو من عمل (الشيخ عبد الرحمن خ)؟

ومن هذا الشيخ؟ ومن؟ وهل هو من مشايخ الرافضة الذين يفضحون عقائدهم ونواياهم؟ وكيف جرؤ على ذلك؟ وكيف سمح لنفسه أن يعرض كلّ هذه الحقائق عن قومه؟!

أما (نحن...) فلم تأخذنا الحيرة، لأننا بحكم اطلاعنا على حقيقة الروافض في سورية، والتطوّرات الفكرية التي بدأت تهزّ عقولهم وضمائرهم منذ ثلث قرن على الأقل، نعرف الجواب الصحيح لكلّ من هذه التساؤلات. فصاحب المنشور قد صرّح بأكثر من اسمه الحقيقي، وكلّ قارئ للمنشور من محافظة اللاذقية بسوريا يعرفه شخصياً، ويعرف ما ضيه وأسرته التي هي - كما أشار من كبار مشايخ هذه

النحلة - الذين يتوارثون أسرارها ويلقنونها من يرونها موضع الثقة لاحتماها. وقد كنا على علم بمواقفه من أهله وملتهم، ومحاولاته الإصلاحية بين قومه، حتى انتهى الأمر أخيراً إلى اعتزالهم، والكفر بمعتقداتهم السريّة، شأنه شأن الكثيرين من شباب الرافضة الذين رفضت عقولهم تلك العقائد الجهنمية، التي أساسها بغض المسلمين والحقد على الإسلام، والتواصي بكل ما هو ضارّ بالإسلام وأهله.

وأما جرّأتها في عرض هذه الحقائق الرهيبة عن مؤامرات أولئك الغاصبين للحكم في سورية فهي مثار للدهشة حقاً، ولكن لا ننسى أن تحرّر هذا الرجل من تلك العقائد الباطلة من شأنه أن يجعله حريصاً على مصلحة بلده وأمتة المسلمة، ولا سبيل للحفاظ على هذه المصلحة إلا بالإقدام على هذه الخطوة، التي يريد بها تنبيه الغافلين، وإيقاظ النائمين، وحشد القوى المؤمنة لتدارك الخطر الهائل الذي سيجرّه أولئك الغاصبون على الشام، إذا هم ظلّوا على رأس الحكم والجيش في سورية، ذلك الخطر الذي لا يقلّ عن تسليم بقيّة البلاد إلى اليهود، والتعاون معهم على استئصال شأفة الإسلام والمسلمين، من الأرض التي باركها الله، وسقاها بدماء مئات الألوف من شهداء الإسلام منذ عصر الصحابة إلى يومنا هذا، وكيف لا، وهم إنما ينفذون بذلك أوامر تلك العقائد الشيطانية التي تفرض عليهم كلّ هذه الخيانات، فيقدمون عليها وهم موقنون بأنهم يحقّقون أكبر الواجبات، ويتزلفون إلى شياطينهم بأقدس القربات، ولا غرابة في ذلك بعد أن شهدنا أجدادهم يفتحون أبواب بغداد لوحوش التتار قبل سبعة قرون، ليملكّوهم من تدمير الحضارة

الإسلامية، وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله، والقضاء على مليون وثمانمائة ألف مسلم ذهبوا طعامًا لل سيف خلال ثلاثة وثلاثين يومًا، ثم تتابعت جناياتهم على المسلمين فلم يدعوا عدوًّا إلا تعاونوا معه عليهم خلال هذه القرون، وليس تعاونهم مع الفرنسيين بسورية على المسلمين بالأمر البعيد.

أجل أيها المسلمون إن صاحب هذا المنشور قد آثر أن يعرّض حياته للخطر بصراحته هذه، لكي ينبهكم إلى ما يُراد بدينكم ووطنكم، ولكي يذكركم في الوقت نفسه أن أولئك الغاصبين لا يمثلون مجموع النصيرية، بل إن بينهم غير قليل من أمثاله قد هداهم الله إلى الحق، فهم كفرون بتلك التعاليم الحاقدة، مؤمنون بالإسلام الذي لا سعادة ولا هداية ولا عزة إلا به، ولقد والله عرفنا الكثيرين منهم قد شرح الله صدورهم للإسلام، فانقضّوا على طواغيتهم، وفضحوا خفيات أسرارهم، ولولا وثوب هذه الفئة الباغية إلى زمام الحكم بسورية، ولولا الإلحاد الذي جرف الكثيرين من أبناء المسلمين أنفسهم فألقى بهم في أحضان الحزبيات الهدّامة، لكان المتوقع أن تأخذ هذه الصحوة بالانتشار في ظلمات القوم حتى يعمّمهم جميعًا نور الإسلام. وأي دليل على صدق هذا الرجل في منشوره أوضح من عرضه للخفي الدقيق من أسرار ملّتهم الضالّة، تلك الأسرار التي لا يملكها إلا كبار الطواغيت من وارثي ديانتهم ومبلّغيها. ولا مجال لاتهمه بالتقيّة التي هي من أسس تلك النحلة، لأن مجرّد فضحه لأسرارها، برهان قاطع على خلاصه من أسارها، وهل من التقيّة أن يكشف الرجل عن تلك الرموز اليهودية في ديانة القوم؟ إذ يعمدون

إلى الربط بين أنواع الحروف لتوجيه المضللين إلى ضرب جديد من المؤامرات؟ وهو فن من الاحتيال لا يعرفه إلا طواغيتهم، الذين يؤلفون لهم هذه الأحاجي كلما وجدوا مناسبةً لقيادتهم إلى أمر خطير، زاعمين أنها من أسرار الغيب التي ائتمنهم عليها أئمتهم، فهم لا يكشفونها إلا بمقدار، وفي المناسبة التي تتطلب إزاحة الستار عن بعض الأسرار!! فيقبلها جهلتهم بالتسليم المطلق، ويندفعون لتحقيق رغباتهم على العمياء.

وأخيراً، ما أجدركم أيها المسلمون أن تنتفعوا بهذه النصائح المخلصة، التي ستقرؤونها في هذا المنشور، وما أجدركم بأن تهبوا للوقوف بوجه البلاء الماحق، الذي يهدد دينكم وإخوانكم وأوطانكم، من هذه الطغمة التي تدفعها أحقاد عشرة قرون إلى التعاون عليكم مع أعدائكم!

وبعد فإليكم المنشور المنشود: فاقروا وتدبروا.

(مسلم)

بسم الله الرحمن الرحيم

- وحيد العين -

بيان إلى أبناء الطائفة العلوية

إخواني في العقيدة أبناء الطائفة النصيرية في كل مكان:

في هذه الفترة التي تسير فيها سورية الحبيبة المناضلة المجاهدة بخطى سريعة نحو الموت والفناء. أبت عليّ كرامتي ووطنيتي وإخلاصي لطائفتي وأمتي العربية أن أقف مكتوف اليدين والألم الممض يهصر قلبي لما آل إليه وضع البلاد التي تتخبط بالفوضى والاستتار، والخianات والسراقات، وبذر بذور الطائفية الرعناء، وكبت الحريات بشكل تأباه العدالة والكرامة الإنسانية حيث لم يبق قانون ولا حق ولا دين، بل تصرفات صبيانية رعناء يرتكبها صلاح جديد وحافظ أسد باسم "حزب البعث" من حيث الظاهر، وباسم الطائفة النصيرية العلوية المسلمة من حيث الباطن.

لذلك رأيت من واجبي، بعد أن لمست تلاعب الطغمة الخقيرة بعقول السذج من مشايخ وأبناء الطائفة أن أضع النقاط على الحروف مبيناً أوجه الخطر المحدق الذي يهدد كيان الطائفة ويمرغ سمعتها في الأوحال.

وأنا لا أقصد من وراء عملي هذا الطعن في شخصية الطائفة النصيرية المسلمة التي يشرفني الانتماء إليها، بل إثبات الوقائع وإظهار الحقائق لتلاقي الكارثة قبل

وقوعها، ولأطمئن على مصير الطائفة بعد أن تتخلص سورية من هذه الطغمة الحقيرة السادرة في غيها. إذ لا بد أن يأتي اليوم الذي سيطوح الشعب بغاصبيه الذين جرّوا البلاد إلى شفا الخراب والدمار بوحى من الصهيونية والاستعمار.

أخي العلويّ:

أستصرخ ضميرك الحيّ يا من كنت عبر التاريخ رمزاً للسموّ الخالد ومثالاً للكفاح المرير لتعلن تنصّلك ممن جعلوا طائفتك مضغّة في الأفواه. وأبرأ إلى الله من مسؤولية هؤلاء وأعتبرهم مسؤولين عما يحدث لإشباع شهواتهم المتعطّشة إلى التسلّط.

كان لا بد من توجيه هذا النداء الحارّ قبل الدخول في صميم الموضوع كواجب لا بد من أدائه باعتباري أحد أبناء الطائفة العلوية، وأنا أتطلّع بألم وحزن إلى موقف الطائفة العلويّة الحرج حيث راح أعداؤنا يرموننا بعين النقد بالرغم من أعمالنا المسجّلة في تاريخ الكفاح السوري بمداد من الفخر والشرف والمجد ومناهضة الاستعمار وحب الحرّية.

تأثير الفرق الغالية في الإسلام على وحدة الصف العربي:

ليس بمقدور الإنسان المدرك والمواطن الصالح الذي ينهد إلى الكمال والمثالية متجرّداً جهد الطاقة من التعصّب الديني، متمسّكاً بحرية التفكير، معتمداً على العقل والمنطق للاهتمام إلى الحق والوصول إلى الحقيقة الخالصة من التعصّب، إلا أن يطلق كلمة الصدق عاليةً مجلجلةً لسمعها القاصي والداني.

أخي في العقيدة والوطنية والعروبة:

لا تعتب عليّ ولا تكلم لي الاتهامات جُزأً إذا كنتُ صريحاً معك إلى هذه الدرجة من الصراحة، لأنني أشعر وأنا أضع بين يديك هذه الحقائق بأنها ستكون لك مشعلاً ينير لك الطريق ويرشدك إلى سواء السبيل، وتسهّل لك نبذ الترهات والسفاسف إذا ما رجعت إلى ضميرك الحي وعقلك السليم بإرادة قويّة وعزيمة ثابتة وإيمان مكين بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد.

أخي في العقيدة:

تعال معي لنُعد قليلاً إلى الوراء، إلى ذلك اليوم الذي بُعث فيه رسولنا الكريم ونبينا العظيم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس بإذن الله إلى صراط العزيز الحميد. بعثه الله رحمةً للعالمين، لينشر دين التوحيد في العالم كلّ، ويُصلح العقائد الفاسدة، ويدعو الناس إلى المثل الأخلاقية العليا، والمساواة والحرية، ومناصرة الفضيلة، في ضوء العقل والمنطق.

ولقد طالب النبي المختار ﷺ الناس كافةً بالإيمان وحده لا شريك له، والإخلاص في عبادتهم، والتعاون على البرّ والتقوى، والامتناع عن الإثم والعدوان بعد أن أعلن بأن الدين لله.

ولم يعتمد عليه الصلاة والسلام في أداء رسالته إلا على العقل والحجة والتفكير المنطقي السليم ولم يكن لديه من المعجزات إلا كتاب الله.

ولما كان العرب قبل ظهور الإسلام متفرقي الكلمة، مضطرب الأحوال، فقد استطاع الرسول الكريم أن يجمع كلمتهم ويوحد بينهم، ويزيل الخصومات ويؤلف بين القلوب، فأصبحوا إخواناً متحايين متعاونين بعد أن كانوا أعداءً متقاتلين.

نعم يا أخي في العقيدة تمكّن البشير النذير والسراج المنير أن يجمع العرب على دين واحد هو توحيد الله، وعلى رئيس واحد هو رسول الله وقانون واحد هو كتاب الله.

وبذلك استطاعوا أن يفتحوا العالم، وورثوا مجد الفرس والروم في أقل من قرن. ولكن العناصر الشعبوية التي دخلت الإسلام واستطاعت أن تتسلل إلى المراكز الدينية الحساسة هالهم عندما لمسوا تضامن العرب واتحادهم وما وصلوا إليه من أمجاد، فراحوا يثنون روح التفرقة والتنازع ويبذرون الاختلافات باسم الغيرة على الدين والحفاظ عليه.

ومما لا يقبل الشك أن هؤلاء قد استطاعوا أن يتلاعبوا بعقول بعض السذج من الموتورين والحاقدين والغلاة الذين التفوا حولهم بعوامل الحب والولاء لآل بيت رسول الله ﷺ.

وأول خطوة اتخذت لزلزلة أركان الدين الحنيف هي الخطوة التي ابتدعوا فيها فكرة الإمامة وأنها حق مفروض على الأمة الإسلامية من عند الباري عز وجل، ولقد أعطوها صفات قدسية روحانية لا تمت إلى الإسلام بأية صلة، وقالوا إنها حق

مكتسب لآل بيت الرسول جاءتهم من عند الله، وأن الشمس تستحق التقديس عند شروقها ومغيبها.

ومع مرور الزمن تطوّرت هذه الفكرة فوُضِع لها أصول وأحكام وشروط أوصلت الإمام إلى مرتبة الألوهية، والشمس إلى العبادة.

والخطوة الثانية التي اتُّخذت في هذا المجال كانت إيجاد التأويل الباطني والقول بالباطن والظاهر وذلك لتقويض دعائم الدين واستئصال شأفته، وما عتموا بعد ظهور هذه الأفكار أن تفرّق المسلمون أصحاب الدين الواحد إلى فرق ومذاهب شتى متناحرة متنازعة يلعن بعضهم بعضاً ويكفّر أحدهم الآخر، مما أدّى بالتالي إلى إزهاق الملايين من النفوس البريئة على مذابح النعرات الدينية.

أخي في العقيدة:

أراك بعد كلّ هذا وقد أصبحت في غاية الشوق إلى معرفة بعض الحقائق عن مذهبك وعقيدتك الباطنية لتعرف إلى أي مدى تنسجم مع الدين الإسلامي ولتتأكد بنفسك الخيرة نوعية الأمور الدخيلة عليه.

هلمّ معي لندرس سوياً بعض النصوص الخطية التي زرعتها في كتبنا الدينية السرية من يسمونهم الحجج والأبواب والنجبا والنقبا أمثال: المفضّل الجعفي وميمون القدّاح، وأبو شعيب النميري، وأبو الخطّاب وغيرهما.

لنرى إلى أي حدّ تنسجم مع الإسلام وإلى أي مدى تخدم الصهيونية:

كيف أُسس المذهب النصيري؟:

تاريخ الباطنية في الإسلام يرمز من طرف خفيّ إلى أولئك الغلاة أصحاب البدع الذين تبرّأ منهم جعفر الصادق (ع) استطاع هؤلاء أن يتلاعبوا في صفوف الشيعة ففرّقوا شملها وجعلوها فرّقاً وأحزاباً يتزعم كلّ منهم إحداها ويضع لها الأسس والمبادئ التي تتفق مع ميوله والغاية التي ينتهي إليها والهادفة إلى تقويض دعائم الدين، ومن هؤلاء:

١- ميمون القدّاح الديصاني اليهودي الفارسي مؤسس الفرقة الميمونية وواضع المبادئ القرطية الهدامة.

٢- المفضل الجعفي أصل كلّ رواية باطنية ومؤسس الفرقة المفضّلة الغالية.

٣- أبو الخطاب المجوسي الذي يمتّ بصلة القربى لأحد الكهّان اليهود في البصرة، ولما شعر الإمام الصادق (ع) بأنه استطاع أن يغوي ولده إسماعيل بن جعفر تبرّأ منه ونزع ولاية العهد عن ولده إسماعيل. وبالرغم من كلّ هذا تمكّن من إيجاد الفرقة الخطّابية، وساهم بوضع مبادئ الإسماعيلية والقرامطة.

٤- محمد بن سنان خازن علم الباطن ومؤسس الفرقة السنانية.

أخي العلويّ في كلّ مكان: لا تتسرّع في الحكم قبل أن تنتهي من مطالعة كلّ الحقائق التي سأسردها عليك لتعرف مواطن الداء ومن هم أصل البلاء.

أما أنا فأقول لك بأن أصل الغلوّ والزندقة والتطرّف هؤلاء الأربعة مجتمعون لأنهم كما يشتمّ من تاريخهم الأسود اعتنقوا الإسلام وافتعلوا الولاء لآل بيت رسول الله للتغطية، ولتتمكّنوا من تنفيذ المخطّط اليهودي الهادف إلى تحطيم الدين الإسلامي. هؤلاء هم الذين وضعوا الأسس والمبادئ العقائدية الباطنية الغالية، وظلت الفرق التي نوهنا عنها آنفًا تعمل بموجبها حتى عام ٢٦٠ هجرية حيث أعلنت غيبة الإمام الثاني عشر محمد بن حسن العسكري (ع) عندما ظهر من أحفاد هؤلاء شيخ آخر (وحيد العين) يتمتّع بذكاء خارق ودهاء منقطع النظير هو (أبو شعيب بن نصير البصري النميري) الذي عكف على دراسة المبادئ والأسس لكافة الفرق الشيعية المتطرّفة فصهرها في بوتقة واحدة وصاغ منها المعتقدات النصيرية السريّة التي لا يزال حتى يومنا هذا القسم الأكبر من المشايخ السذج يطبّقونها وينطلقون منها في وعظهم وإرشادهم، ولقد جعل (أبو شعيب) أو سيدنا (وحيد العين) (قدّس الله سرّه) المحور الرئيسي الذي تدور عليه العقيدة إطلاق صفة الألوهية على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتسميته (بأمر النحل) حيث شبّه المؤمنين بالنحل وهو أميرهم، كما منح نفسه لقب الباب الذي يحلّ محلّ (أمير النحل) ويمثّله.

ثم جاء بعده الشيخ الجنبلائي، والجلي، والزهري، وجين المذهب الشيخ علي الصوري، والخصيبي، فأوجدوا المراتب والحجج والأظلة والقباب، والنقبا والنجبا.. الخ، ودعوا إلى عبادة الشمس والقمر والحلول أي حلول (الألوهية) في

(أمير النحل) وبابه سلمان الفارسي وأن سلمان خلق المقداد، والمقداد خلق الناس، لذلك فهو ربّ الناس، وأوجدوا الاجتماعات السريّة والقّداسات والصلوات التي نذكر بعضًا منها لنرى إلى أي مدى تنسجم مع الدين الإسلامي الحنيف.

مقتطفات من صلاة الترابية: (قد فاز وأفلح من أمسى وأصبح بمعنوية مولاي علي أمير المؤمنين الأنزع الأصلع والأجلح، ابتديت بأول إجابتي بالإقرار لقدس معنويته مولاي (أمير النحل) علي حيدرة أبي تراب، منه أستفتح وفيه أحيا وأنجا وفيه أفوز وفيه أستغني وفيه أختم وهو ربي ورب آبائي الأولين ورب الآخرين ورب الخلائق أجمعين، وأقول كما قال (وحيد العين) سيدي (أبو شعيب) محمد بن نصير إلى يحيى بن معين السامري قال: (إذا دعت بك داهية في الحياة ونزلت بك نازلة في الممات فقل يا مولاي يا علي بك استعنت وعليك توكلت يا دليل الأدلة. ونقول كما قال شيخنا وسيدنا (أبو عبد الله الحسين ابن حمدان الخنصبي) شرف الله العلي مقامه ونزه الله شخصه، وها هي فقرات من صلاة (الجليّة):

اللهم إني أسألك يا مولاي يا علي يا نور الأنوار يا رب الأستار عزيز يا غفار يا واحد يا قهار يا حيدر يا كزار يا خالق الليل والنهار يا من تتوجت بالأنوار يا منزل الكتاب يا مظهر الحجاب، يا من تجلّيت بنورك العجيب، وتراءيت لخلقك بنور ذاتك وتجلّيت لهم بنور مقامك، يا من تسمّيت بالعلويّة واحتجبت بالمحمّديّة، واستويت بالسلسلة، أن تحيرنا وإخواننا المؤمنين من سائر الفتن ما ظهر منها وما بطن حتى نذكر الوليّ ابن الوليّ أبي الحسين (محمد ابن علي الجلي) عليه وعلى إخوانه

الرضا والرحمة سر الشيخ التقي وإخوانه، يا مولاي يا أمير النحل يا علي .

مقتطفات من صلاة "الفتح": قوله تعالى: (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) أمنتُ و صدقتُ وبالْحَقِيقَةُ نطقت ونطق لساني، وأقرت جوارحي بشهادة أن لا إله إلا مولاي علي أمير المؤمنين فتح لنا فتحًا مبيّنًا وثبتنا على الحق إلى صراط مستقيم وأشهد أن مولاي أمير المؤمنين اخترع السيد (محمد) من نور ذاته وغايته متجليًا منه كالفتق من الرتق وكالحركة من السكون وكشعاع الشمس من الشمس .

وأشهد أن السيد محمدًا خلق السيد سلمان بأمر باريه وغايته ومبديه ومخترعه وخالقه، وجعل باب وسبب أسبابه وغايته طلابه لا يدخل إلا منه وأشهد أن السيد سلمان اختص لنفسه الخمسة الأيتام الكرام الذين ما ضمّهم ضمّ وسّمّاهم وكنّاهم وجعلهم رؤساء العلم والإيمان أولهم وأعلامهم يتيم دين الله الأكبر والمسك الأزفر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر الألف أول سيدنا المقداد وأبو الذرّ وعبد الله بن رواحة طريق الهدى للندمان و... يا أمير النحل يا علي يا عظيم .

أخي المسلم في كلّ مكان:

هذا غيظ من فيض من الإلحاد والغلو والحلولية حُشد في كلّ ما يمتّ بصلة إلى المعتقدات النصرانية السرية رأينا أن نضعها أمامك لتقول كلمتك فيها، فهل يا أخي بعد هذا الكفر كفر .

ولا تحمّل مسؤولية الإلحاد والكفر للمغرّر بهم والمضللين والمخدوعين من أبناء الطائفة بل حمل المسؤولية وكلّ المسؤولية للمشايخ الذين يتّخذون من هذه الصلوات والدعوات وسيلةً للارتزاق والعيش في بحبوحة بينما العامة يتضوّرون جوعاً وحرماناً ويحظر عليهم الاطّلاع على ما جاء في الدين وما عليهم إلا الطاعة العمياء.

أخي العلوي..أخي المسلم:

عندما تفتّحت مداركي على الحياة في أسرة عريقة المشيخة وزعامة الدين بدأت أقرأ كلّ ما تصل إليه يدي من الكتب السرية فأخلو مع نفسي وأنا أقف مشدوهاً أمام الرموز والإشارات الإلحادية التي لا تمتّ إلى الإسلام بأية صلة وكنت كثيراً ما أناقش والدي في أكثر هذه الأمور فكان يزجرني ويوبخني وأخيراً حظر علي لمس أي كتاب.

وهنا تولّدت في مخيلتي الشكوك فأخذت أبحث وأنقب وأدرس حتى استنرت روحياً وفكرياً فبدأت أحمل لواء المعارضة وأطالب بوجوب غرابة كافّة المعتقدات النصيرية العلوية وتشذيبها مما علق بها من أدران لتأتي منسجمةً مع الدين الإسلامي الحنيف.

ولكن المشايخ الذين اتّخذوا من هذه الأراجيف وسيلةً للخداع والنصب وابتزاز الأموال وقفوا سداً منيعاً في وجهي ولكنهم بالرغم من قوة نفوذهم وسيطرتهم على العامة لم يتوصّلوا إلى إطفاء شعلة الحق في نفسي التي لا تأخذها في

الحق لومة لائم.

موقفي من المؤتمرات والمنظمات النصيرية:

هذه الوقائع الخطيرة والمؤامرات الحقيرة على الوطن الأم لا بد لي من إطلاع الرأي العام العربي والإسلامي عليها وعلى تفاصيلها وما دار فيها من نقاش مهمها كانت النتائج وذلك لأن الديانة بمفهومها تأمر بقول كلمة الحق وتحض على الأخوة، وفي عرفي من ينهد إلى إيقاع الشقاق بين المسلمين ليس بعربي ولا مسلم.

الاجتماع الأول في القرداحة:

في عام ١٩٦٠ تنادى مشايخ النصيرية سرًا لعقد اجتماع لهم في قرية القرداحة يحضره كبار الضباط النصيرية وعلى رأسهم كل من محمد عمران ومحمد نبهان وصلاح جديد وحافظ أسد. وكان الهدف الرئيسي من هذا الاجتماع التداول والاتفاق على كيفية انخراط الضباط النصيريين في صفوف حزب البعث لاستغلاله وجعله سلمًا للوصول إلى الحكم. وفي نهاية الاجتماع اتُّخذت القرارات السرية التالية:

- ١- منح محمد عمران رتبة (البابية) وتكليفه بالتخطيط للمنظمات العسكرية وكيفية توزيعها على المنظمات الوطنية لاستغلالها والتستر بها.
- ٢- الموافقة على بقاء عمران في صفوف الوجوديين من ناحية التظاهر.
- ٣- التغيرير بالضباط الدروز والإسماعيلية للتعاون معهم.

٤- منح عزة جديد رتبة (نقيب) في المذهب.

٥- الموافقة على إحلال (إبراهيم ماخوص) محل والده في رتبته الدينية.

٦- تكليف المشايخ دعوة أبناء الطائفة للتضامن والتعاون وتشجيعهم للانخراط في الجيش.

هذه هي قرارات المؤتمر النصيري الأول الذي مهّد للمؤتمر الثاني الذي عُقد في حمص بعد ١٨ تموز ١٩٦٣م لدراسة النتائج المتأتية عن الدور الذي لعبه محمد نبهان في حوادث ١٨ تموز وأدى إلى تسريح أكثر من ٤٠٠ ضابط من أنصار عبد الناصر.

الاجتماع الثاني في حمص:

ومن البديهي أن يضمّ الاجتماع الثاني عددًا أكبر من المشاريع بالإضافة إلى كل من الضباط الآتية أسماؤهم: عزت جديد، ومحمد عمران، وحافظ أسد، وإبراهيم ماخوص:

وفي نهاية الاجتماع اتُّخذت القرارات التالية:

١- ترفيع نبهان إلى رتبة (نجيب) تقديرًا لدوره الفعّال في ١٨ تموز.

٢- منح محمد عمران الوشاح البابي الأقدس وتكليفه بمتابعة نشاطه في حقل النصيريين.

٣- إعادة النظر بالتخطيط الموضوع بشأن انضمام المزيد من أبناء الطائفة المثقفين إلى حزب البعث والدخول باسم الحزب في الكليات العسكرية ومؤسسات الجيش.

- ٤- التخطيط البعيد لتأسيس الدولة النصيرية وجعل عاصمتها حمص.
- ٥- تكليف صلاح جديد بقيادة وتوجيه العناصر النصيرية ومنحه أرفع رتبة عسكرية (مقدّم).
- ٦- مواصلة نزوح النصيرية من كافة قرى الريف إلى المدن وخاصة إلى حمص واللاذقية وطرطوس.
- ٧- منح حافظ أسد رتبة (نجيب) وهي تلي رتبة (جديد).
- ٨- منح عزت جديد وعلي حمّاد رتبة (المختص).
- ٩- السعي لاستئصال العناصر الدرزية والإسماعيلية الموجودين في صفوف الجيش والعمل على إحلال العناصر النصيرية محلّهم.
- ١٠- تسليم القيادة المدنية السياسية إلى إبراهيم ماخوص وإعداده ليكون رئيساً للوزارة النصيرية المنشودة. وافق الجميع على هذه القرارات التي قدّمها الشيخ علي ضحية بإيعاز من الباب محمد عمران، ولكنني استهجنّت استغلال الدين والطائفة من أجل أمور دنيوية بحتمّة وحدّرت المؤتمّرين من مغبّة هذا العمل اللاوطني، وذكرت لهم بأن العرب والمسلمين سيتألّبون عليهم في كلّ مكان، ونوّهت لهم بأنهم مهما أوتوا من قوّة لن يستطيعوا الصمود في وجه الشعوب عندما يعلنون صراحةً قيام الدولة النصيرية المنشودة.

أما منح الرتب الدينية المقدّسة لأشخاص لا علاقة لهم بالدين فمخالفة للأصول والأحكام ولن أوافق عليه مطلقاً، وأفهمت المشايخ بأنهم إذا كانوا يرغبون في الحفاظ على الطائفة يجب أن يكونوا أوفياء لبلادهم فيعملوا لإبعاد الدين والطائفة عن سياسة الاستغلال والتآمر. وبالرغم من هذا الموقف فقد أُقرّت المقترحات وانتخبوا وفداً يضمّ ثلاثة مشايخ هم: الشيخ علي ضحية، والشيخ أحمد سلمان الأحمد، والشيخ سليمان العلي لنقل قرارات الاجتماع وليقدّموا التهاني لأصحاب الرتب الجديدة.

وفي اليوم التالي لوصول الوفد إلى دمشق استدعاني جديد وأسد إلى دمشق حيث تقابلنا في بيت العميد علي حمّاد وجرى نقاش حادّ كشفت فيه كل شيء.

وبالفعل اقتنع العميد حمّاد بوجهات نظري وقال: إن مجرد التفكير الآن بإعلان الدولة (النصيرية) سيقرب الدنيا على الطائفة، لذلك أرى حرصاً على كيان الطائفة أن يستمرّ الوضع كما هو ظاهراً الحكم بعثي عربي وباطناً نصيري علوي، مع ضرورة الاهتمام بالمراكز الحيوية في الجيش وكافة مرافق الدولة وعدم إسنادها إلا لمن يكون منا.

أخي العربي المسلم في كلّ مكان:

إن الصراع الذي يدور اليوم من خلف الستار في سورية لتأسيس دولة نصيرية فيها يهّمك ويهّم كلّ عربي ومسلم، وحتى يهّم البسطاء الكادحين من أبناء الطائفة النصيرية الذين لا يزالون كما كانوا في فقرهم وعوزهم وجهالتهم، تتاجر بهم هذه

الطبقة المستغلة من الضباط المتأمرين والمشايخ الرجعيين النفعيين.

وبصراحة أقول لقد استطاعت هذه الطغمة أن تصوّر للسذج من أبناء الطائفة بأن أو ضاعهم ستتحسن عندما يتحقق الحلم المنشود، بدون أن يدور بخلدكم بأن النتائج ستكون خطيرة... وخطيرة جداً!!

فيا أخي العلوي الكادح:

عُدْ إلى ضميرك النقي الطاهر وفكّر بمصيرك ومصير عائلتك إذا تألب عليك الرأي العام العربي والإسلامي من كلّ حذب و صوب!!
وتنحّي عن هذه الفئة الضّالة المضللة!!

وأنت يا أخي العربي المسلم:

ارحم البسطاء المغرورين من أبناء الطائفة فلا تحقد عليهم عندما تدق ساعة الصفر وتعال معي لنقرأ سويةً هذه النبوءة التي يستغلّها المشايخ ويخطّط لها العسكريون من أبناء الطائفة وكان أولى نتائج هذا التخطيط تسليم منطقة القنيطرة والجهة الجنوبية كمرحلة أولية تمهّد لالتقاء الأعورين وتحقيق النبوءة:

عندما يلتقي الأعوران: هذه النبوءة الخطيرة جداً التي أروها ليست أسطورةً خرافيةً يا أخي في العروبة والإسلام بل إنها نصّ رمزي وإشارة باطنية موجودة في كتاب الأسوس من كتبنا التأويلية وإليك النص الحرفي:

(... عندما يبلغ المريخ إلى مرتبة الأوتاد الأربعة ويكون بهرام في الطالع يظهر من الجنوب وحيد العين الذي يكون مجتمعاً فيه حدث الميم وقدم الدال عندما يصبح بهرام في الوتد بمقدار عشرين درجات يكون وارد الوقت وحيد العين قد ظهرت أعلامه الخضراء من الشرق راكباً الميمون وبيمينه ذو الفقار المسنون فيطهر البلاد ويقضي على الفساد، وينصب الخيام على العاصي وينهى الناس عن المعاصي ويطعم الجائع وعندما يصل بهرام إلى المغرب في تلك السنة يكون صاحب حدث الميم وقدم الدال قد وصلت راياته إلى دمشق واتجهت جيوشه إلى الشمال لتلتقي مع جيوش وارد الوقت وحيد العين فتتألاً الأنوار القدسية وتظهر الأظلة والأشباح والأيتام من خلف القباب لتؤدي الطاعة إلى وارد الوقت سيدنا وحيد العين ويدوم العز في رؤوس العوالي وترفرف الأعلام فوق الجبال، مدة سبعين عاماً بالتقريب تكون كلمة وارد الوقت واحد العين هي السائدة يخدمه وحيد العين صاحب حدث الميم وقدم الدال والله أعلم).

هذا النص الخطير موجود في كتاب الأسوس صفحة (٢١٣) والمشايخ الآن يطبقون هذه الإشارات ويفكّون رموزها بشكل يخدم الصهيونية خدمة عظيمة للغاية، ولا شك أن الأيدي الصهيونية وراء هذه الحكاية من أساسها والمشايخ يطبقون هذه النبوءة في الوقت الحاضر كما يلي:

إن السيد أو شعيب الذي كان وحيد العين أي أعور سيحتجب عن طريق التناسخ ويظهر من الجنوب فيحتل دمشق ويتجه نحو الشمال ليؤدي الطاعة إلى

وارد الوقت وحيد العين، أعور، وعندما يلتقي الأعوران سيديوم حكمهما مدة (٧٠) عامًا - وأبو شعيب يفسّرونه مشايخنا اليوم هو موشي ديّان - حدث الميم وقدم الدال، ولهذا السبب تنازل المقدّم جديد والنجيب أسد عن جنوب سورية لوحيد العين صاحب حدث الميم وقدم الدال تسهياً لالتقاء الأعورين على نهر العاصي حيث سيديوم ملكهما (٧٠) سنة. لأن النصوص المتعلقة بقيام دولة العلويين مرهون بقيام سيطرة وحيد العين على دمشق وحتى نهر العاصي، وبعد هذه السيطرة يكون الوقت لإقامة الدولة العلوية وظهور أبو شعيب.

أخي العربي المسلم:

هذا واقع، وإني أقول مرّة أخرى إني أتحدّى المنظمة العلوية، وما أتيتُ بهذا البيان إلا لأظهر للعالم العربي والإسلامي أن دمشق ستسلم إلى إسرائيل إن بقي صلاح جديد وزبانيته، وما عليك إلا أن تتضامن مع رفيقك في جهاد مقدّس لا ستتصل شأفة هذه العصابة الخائنة التي تسعى لتحقيق هذه النبوءة. وقد سبق تسليم دمشق تسليم جنوبها دون حرب فعلية بل بكلام صدر عن مذيع مريض لا يعرف شيئاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

الشيخ عبد الرحمن . خ

جبلّة في ٢٥ ذو القعدة ١٣٨٧ هجرية

كلمة حول وثيقة وحيد العين:

١- أطلعت على هذا البيان بعد هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧، وكنت أسمع ثناءً على هذا الشيخ النصيري من أصدقائي الذين أثق بهم في الساحل السوري ولعل اسمه الكامل (عبد الرحمن الخير) من مدينة جبلة التي تبعد بضعة أميال عن مدينة اللاذقية.

أما غرض الشيخ من هذا البيان وهل هو أسلم فعلاً وكيف عرض نفسه للخطر، وهل كان سيترك طليقاً بعد فضح مخططات الطائفة. ليس عندي إجابات عن هذه الأسئلة، ولذلك نشرت في مقدمة البيان كلمة لأحد أصدقاء الشيخ النصيري والذي أثر عدم ذكر اسمه، واكتفى بتوقيع (مسلم)، وهو فعلاً مسلم ثقة.

٢- لم تأخذ هذه الوثيقة حجمها الطبيعي في مجال الإعلام، لأنها تمس نظاماً يُحسب حسابه وبشكل أخص في العالم العربي، ولأن الإسلاميين مقصرون في هذا الجانب وفي غيره.

وقام الأستاذ سعد جمعة رحمه الله بنشر وثيقة وحيد العين في كتابه (مجتمع الكراهية من صفحة ٦٢ وحتى صفحة ٧٥)، غير أنه حذف من الوثيقة كل ما يتعلق بحافظ الأسد رئيس النظام النصيري الحاكم في سورية وصاحب بلاغ سقوط القنيطرة المشهور عندما كان وزيراً للدفاع.

والأستاذ سعد جمعة رئيس وزراء الأردن السابق انتقل إلى رحمة الله ولا ندرى بالتأكيد هل هو الذي حذف اسم حافظ أسد أم الجهة التي نشرت الكتاب، غير أن

الذي نرجّحه أن سعد جمعة هو الذي حذف اسم حافظ الأسد لاعتبارات ليس هذا موضع شرحها وبالمناسبة فإن له كتباً مهمةً منها:

مجتمع الكراهية، المؤامرة ومعركة المصير، أبناء الأفاعي، الله أو الدمار.

وأجاد في كتبه في كشف واقع بعض الطواغيت، غير أنه أثنى على بعضهم وهم لا يستحقّون مدحاً ولا ثناءً، ولا يُنتظر من الرسميين غير هذا بكلّ أسف لأنهم يسировن على مبدأ من يقول: (دارهم ما دمت في دارهم).

وهناك ملاحظات أخرى على وصفه اليهود بقتلة السيد المسيح - المؤامرة ص: ١٩٧ - وكثير غيرها وربما كان السبب لقصر باعه في العلوم الإسلامية، ومع هذه السلبيات فكتبه تستحق القراءة، وتسدّ ثغرةً في مجال التوعية السياسية.

٣- وثيقة وحيد العين ليست أول وثيقة تكشف سعي النصيريين من أجل إقامة دولة خاصة بهم. لقد أقامت فرنسا لهم دولةً في أول أيلول سنة ١٩٢٠ اسمها (دولة العلويين) وعيّن لها حاكم فرنسي. ورفض زعماء الجبل وحدة سورية سنة ١٩٣٦، كما أعلنوا العصيان المسلّح سنة ١٩٤٦، وقد نشرنا فيما مضى العريضة التي قدّموها إلى الحكومة الفرنسية.

ويسعى النصيريون منذ القديم إلى النزوح إلى الساحل وإلى مدينة حمص التي يعتقدون أنها مدينة سيدهم وحيد العين.

حدّثني رجل ثقة من أهل حمص توفاه الله في الشهر السادس من سنة ١٤٠٢،

قال رحمه الله: منذ خمسين سنة سمعتُ النصيريين يغنون في أعراسهم الأغنية التالية:

عيني عيني الشيخ صالح المجيدل صارت ضيعتنا

وبكرة بنوخذ فيروزة وحمص مدينة سيدنا

الكلمات :

الشيخ صالح : أي صالح العلي .

المجيدل : قرية بين حمص والجبل سيطر النصيريون عليها وطردها منها أهلها .

فيروزة : قرية تقع في وادي النصارى القريب من حمص ، ويعنون أنهم سيحتلّون فيروزة بعد أن احتلّوا المجيدل .

وحمص مدينة سيدنا : أي سيدهم وحيد العين ، وهي عاصمة دولتهم التي يتطلّعون إليها ويعملون من أجل إبرازها إلى حيز الوجود .

وإذن منذ خمسين سنة وعامة النصيريين يعلمون بمخططات قيادتهم ، وقد ذكرت هذه الأغنية لبعض أصدقائي والذين يسكنون المدن والقرى المجاورة لجبال النصيرية فأكدوا صحتها ... وإلى الله المشتكى من كيد الكافرين وضعف المؤمنين المسلمين.

٤- ورد اسم حافظ أسد في الوثيقة، وأنه أحد المسؤولين عن تنفيذ المخطّط النصيري، ولعب الأسد دورًا رهيبًا في تاريخ بلاد الشام المعاصر بل وفي تاريخ العالم الإسلامي المعاصر، وأتقن أساليب المناورات السياسية، وأجاد فن التمثيل

والتضليل، ويبدو أنه المكلف بتنفيذ مؤامرة الدويلات الطائفية في بلاد الشام. ونظرًا للدور الخطير الذي يضطلع به الأسد فسوف نخصّه بفصل مستقل من هذا الكتاب، ونربط بين سياسته وسياسة آبائه وأجداده.

وللأكراد دور في المؤامرة

- البرزاني لا ينسينا صلاح الدين.
- السكان والأرض.
- البرزاني وأسياده.
- تورط الولايات المتحدة الأمريكية.
- هل انتهت الثورة الكرديّة.
- واجبنا نحو إخواننا الأكراد.

البرزاني لا ينسينا صلاح الدين:

الأكراد شعب متدين بالفطرة، ولقد كانوا منذ القديم درع الإسلام، وحصنه الحصين، وبرز منهم رجال أفذاذ أمثال صلاح الدين الأيوبي الذي هزم جموع الصليبيين، وحطّم دولة العبيديين المجوسية.

ولن ينسى المخلصون من أبناء الأمة الإسلامية وقفة الأكراد التاريخية إلى جانب العثمانيين ضدّ الصفويين الذين حاولوا هدم الخلافة الإسلامية، وإقامة امبراطورية مجوسية وثنية، ولكن الله سبحانه وتعالى كان لهم بالمرصاد فأحبط عملهم وأضلّ سعيهم.

وإننا إذ نتحدّث في هذا الكتاب عن دور الأكراد في مؤامرة الدويلات الطائفية فإننا نعني الأكراد العلمانيين الذين باعوا أنفسهم للشيطان وأعرضوا عن ذكر الرحمن.

ولا ينقضني عجبني من الذين يلمزون الإسلام بأمثال البرزاني والطالباني، فلهؤلاء نقول: لقد جاء حين من الزمن تنكّر فيه بعض الزعماء العرب للإسلام، ورفعوا عقيرتهم منادين بالوطنية، والقومية، والاشتراكية، والعلمانية، فظهر زعماء من الأكراد يردّون على صاع العرب بصاعين. وكان من هؤلاء الزعماء مصطفى البرزاني الذي راح يطالب بدولة - كردستان -، ويدعو الناس إلى تعظيم وتقديس الآثار القومية الكرديّة.

وحقيقة الأمر أن بُعدنا عن الإسلام هو الذي أوصلنا إلى هذه النتائج المؤسفة. وليس هناك من فرق عندنا بين البرزاني ونوري السعيد أو بين مصطفى كمال - أتاتورك - وميشيل عفلق، أو بين جمال عبد الناصر والطالباني، إنهم جميعاً طواغيت ظلمة، استخدمهم أعداء الإسلام من أجل نسف وحدة الأمة الإسلامية، وإذكاء روح العصبية الجاهلية فكانوا رموز ضلالة ودعاة فرقة.

وسيقى الإسلام كما بشر سيد الخلق ﷺ دين وحدة وإخاء ومساواة، لا فرق فيه بين أعجمي أو بين أسود وأبيض فكل الناس لآدم وآدم من تراب.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ ﴾^(١).

ولن أطيل في عرض دور المتآمرين من الأكراد ذلك لأن تاريخ الدروز والنصيريين والنصارى تاريخ تأمر وكيد، أما الأكراد فتاريخهم تاريخ جهاد وصدق، والانحراف عندهم محدود وطارىء إن شاء الله.

السكان والأرض:

يتوزع الأكراد في المناطق التالية:

١- شمال العراق: وفيها مليوناً كردي.

٢- إيران: وفيها من ٤ ونص إلى ٥ مليون نسمة.

٣- سورية: وفيها نصف مليون نسمة.

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣.

٤- تركيا: وفيها [من ٧ إلى ٨] مليون نسمة.

٥- الاتحاد السوفياتي: وفيه ربع مليون نسمة^(١).

وتشكّل هذه المناطق وحدةً جغرافيةً متكاملةً، ومعظمها عبارة عن جبال وكهوف يصعب السيطرة عليها، ويتطلّع معظم الأكراد إلى إقامة دولة [كردستان]. ولهذا فقيادتهم تعمل على إحياء تراثهم الجاهلي، وتحاول عزلهم عن العرب المسلمين.

البرزاني وأسياده^(٢):

هناك اتجاهات كثيرة في صفوف الحركة القومية الكردية أبرزها وأهمها [حركة الملا مصطفى البرزاني]. وكانت أول ثورة سنة ١٩٤٦، وبعد أن مُنيت حركته بالفشل هرب من العراق إلى إيران، ثم غادر إيران إلى الاتحاد السوفياتي حيث ألقى عصا التسيار هناك، وكافأته السلطات الشيوعية على خدماته التي قدّمها لهم في كل من العراق وإيران، فعيّنته جنرالاً في الجيش الأحمر، وادّخرته للمهمات.

ومن الغرائب -والغرائب كثيرة- أن يكون الملا [والملا تعني الشيخ] جنرالاً في

(١) القبس الكويتية ٢٤/٢/١٣٩٤ هـ.

(٢) كُتِبَ هذا البحث قبل خمس سنين أي قبل هلاك مصطفى البرزاني، وكان ضيفاً على الولايات المتحدة الأمريكية، وموته لن يثني عزيمة المتآمريين، وليس البرزاني إلا أداة من الأدوات التي استخدمها الاستعمار وربّاه على عينه، وسيمضي أحفاده ومحبوه من بعده. لذلك رأيت أن لا ضرورة لتغيير أو تعديل ما كُتِبَ والبرزاني على قيد الحياة.

جيش شيوعي .

وفي سنة ١٩٥٨ عاد مصطفى البرزاني إلى العراق ليقود ثورةً كرديةً جديدةً فيها، وكان الخلاف بين جمال عبد الناصر وعبد الكريم قاسم على أشده، وعرف البرزاني كيف يستعين بالأول ضد الثاني، وهذا ديدنه فكان يستعين تارةً بالاتحاد السوفياتي وتارةً بالغرب، لكن إسرائيل بقيت أهم ممول له في حروبه ضد النظام العراقي .

والأدلة على ذلك كثيرة ومن أهمها:

١- نشرت صحيفة (يديعوت أحرنوت) الإسرائيلية الصادرة بتاريخ: ١٠/٥/١٩٧٨ مقالاً تحت عنوان: "بعثة سرية إلى مصطفى البرزاني في عشر السور في كردستان عام ١٩٦٦".

قال كاتب المقال "آريه لوبا إليف" عضو الكنيست الإسرائيلي السابق: إن رئيس الوزراء الإسرائيلي "ليفني أشكول" كلّفه عام ١٩٦٦ بزيارة البرزاني وتقديم العون له.

وقام "إليف" بالمهمة وقدم المساعدات للبرزاني الذي كان يقيم في شمال العراق. وعند وداع البرزاني لضيفه الزائر قال له: بلغ الحكومة الإسرائيلية والوزراء أننا نحن [البردن] أي الأخوة والكلمة كردية. وقدم له سيفه كهدية خاصة، وقدم سيفاً آخر كهدية لرئيس الكنيست.

وختم إليف مقاله بقوله: "البرزاني موجود الآن في الولايات المتحدة الأمريكية، وقبل بضعة أشهر وصلني منه سلام خاص مع عضو الكونغرس الأمريكي - ستيفن سولارتس - اليهودي الأصل وأحد أصدقاء إسرائيل الحميمين في الكونغرس الأمريكي".

٢- نشرت مجلة "نيوز ويك" في ٧ / ٤ / ١٩٧٥ الخبر التالي: "منذ أكثر من خمس سنوات والمساعدات الإسرائيلية تتدفق على البرزاني، وقالت المجلة الأمريكية: إن هذه المساعدات عبارة عن خبراء عسكريين وشحنات من الأسلحة الأمريكية التي كانت تُنقل إلى إسرائيل ومن هناك تُشحن إلى البرزاني".

٣- كتب "جاك أندرسون" في صحيفة "واشنطن بوست" في عددها الصادر بتاريخ ١٧ / ٩ / ١٩٧٢ فقال: "هناك بعثة سرية إسرائيلية في شمال العراق تقدّم شهرًا مبلغ خمسين ألف دولار للبرزاني. كما أن رئيس المخابرات الإسرائيلية الجنرال "زفي شمير" زار شمال العراق أكثر من مرّة^(١).

تورط الولايات المتحدة الأمريكية:

لا نقول إن دور الولايات المتحدة يأتي في الدرجة الثانية بعد إسرائيل، وإنما يختلط دورها مع دور إسرائيل، ففي الخبر الذي نقلته -نيوزويك- قبل قليل نجد أن مساعدات الولايات المتحدة تُقدّم عن طريق إسرائيل.

(١) انظر مجلة الدستور الصادرة في فرنسا العدد ٣٨١.

وذكر "جون كروودسين" في صحيفة "هيرالد تريبيون" في عددها الصادر بتاريخ ٣/١١/١٩٧٥ أن وكالة المخابرات المركزية الأميركية قدّمت ملايين الدولارات ثمنًا للأسلحة والذخيرة التي سُحنت إلى المتمرّدين الأكراد في شمال العراق عام ١٩٧٢ وأضاف "كروودسين" قائلاً: إن "هنري كيسينجر" مساعد الرئيس الأميركي "نيكسون" لشؤون الأمن القومي وافق على صرف الأسلحة والأموال للبرزاني.

وفي ٥/٣/١٩٧٥م وقّعت العراق اتفاقيةً مع إيران في الجزائر أنهت بموجبها حالة التوتر بين البلدين، وبموجب هذه الاتفاقية تحلّت إيران عن تقديم المساعدات للبرزاني، ووجد زعيم الثورة الكرديّة نفسه وحيداً فراح يندّد بالدول الكبرى التي تحلّت عنه بعد اتفاقية الجزائر، وهاجم بشكل خاص الدكتور هنري كيسينجر الذي نكث بوعوده.

وتمكّن النظام العراقي من عقد معاودة مع بعض زعماء الأكراد في الشمال أعطت لهم حقوقاً جديدةً، وانتهت حالة الحرب في العراق، واضطر الملا مصطفى البرزاني إلى مغادرة المنطقة كلّها، واتّخذ من الولايات المتحدة مقراً له. وهكذا تُشن الحروب في بلدنا تأديباً للمشاغبين، وتنتهي عندما يدعون لأوامر قادة البيت الأبيض أو الكرملين.

تُرى هل كان العميل اليهودي الملوّث أنور السادات يتحرّك للتوسّط بين شاه إيران والنظام العفلقلي، لولا أن تلقى الأوامر من أسياده الذين قدّموا للبرزاني

السلاح والمال؟!!

أما قادة البيت الأبيض فقد احتفظوا بالملا مصطفى البرزاني كورقة يهددون بها إذا اقتضت الضرورة.

هل انتهت الثورة الكرديّة:

توقّفت الثورة الكرديّة بعد اتفاقية الجزائر، لكنها لم تنته، ومنذ الأربعينات والثورة تشتعل أحياناً وتتوقّف أحياناً أخرى. كانت الثورة تنفجر إذا أراد الإنجليز أو السوفييات أو الأمريكان واليهود أو إيران الشاه، وكانت تتوقّف إذا سُوّيت أمور الدول الأجنبية مع النظام العراقي.

والدول الأجنبية المعنية لها مصالح أكيدة من استمرار ثورة الأكراد وغير الأكراد من الأقليات الطائفية والعرقية، ولا يهدأ للدول الكبرى بال ولا يستقر لهم قرار إلا إذا كانت بلادنا ممزّقة، ومقسّمة بين السوفييات والأمريكان.

ومن الجدير بالذكر أن وكالات الأنباء نشرت خبرين فيها دليل على إمكانية عودة الثورة:

الخبر الأول: نشرت مجلة الحوادث اللبنانية في عددها رقم ١١٢٦ ما يلي:

في تاريخ ٢٤ / ٤ / ١٩٧٨ فوجئت السلطات العراقية بهجوم شنته وحدة من المتمردين العراقيين على مراكز الجيش، وتبيّن للسلطات العراقية أن عناصر كرديّة كانت وراء الحادث وأن مصالحةً بين الزعماء الأكراد: مصطفى البرزاني، جلال

الطالباني، علي عسكر، قدّمت وتوحّدت القيادة الكرديّة على إثرها، وأنّ الأتّحاد السوفياتي كان وراء هذه المصالحة، وقدّم مساعدات مجزية من الأموال والأسلحة للقيادة الكرديّة الجديدة.

واستشّاط غيظ حكّام بغداد من موقف الأتّحاد السوفياتي فأعدّوا عددًا كبيرًا من الشيوعيين العسكريين، وشنّوا حملة اعتقالات واسعةً في صفوف الشيوعيين العراقيين، وتردّت على إثر ذلك علاقات السوفيات مع النظام العراقي، وتبادلوا الشتائم والاتّهامات عبر أجهزة إعلامهم.

الخبر الثاني: قالت مجلة "جون افريك" الصادرة في الأسبوع الأول من شهر شباط سنة ١٩٧٧: إنّ جلال الطالباني يتّخذ من الأراضي السورية مركزًا في هجماته ضدّ النظام العراقي، وأنّ النظام السوري يعمل من جهته على تفجير القضايا الداخلية في العراق.

وقلت في نفسي تعقيبيًا على خبر مجلة جون افريك الفرنسية: وليست مباحثات الوحدة بين النظامين العراقي والسوري إلا لعبةً سياسيّةً يدبّرها كلّ نظام ضدّ الآخر.

وحدّثني من لا أتّهم أنّ أحد الشباب المتديّنين من الأكراد طلبت منه والدته أن يتصل بأخيه الذي يعمل في صفوف الثوّار الأكراد، فزاره في معقلهم، وسمع من أخيه أنّ كميات كبيرة من الأسلحة وصلت لهم من النظام السوري فقال الشاب الطيّب: لقد غادرت العاصمة العراقية والحزبيون فيها يعيشون فرحةً عارمةً لأنّ

سوريا والعراق سيندمجان في وحدة، وها هو حافظ الأسد يتأمر على رفاق الحزب! حقاً إن هؤلاء القوم ليس لهم عهد ولا أمانة، وإن من خُلِقهم الغدر والخيانة.

كان ذلك قبل أن يكتشف بعث العراق مؤامرة حافظ الأسد مع عبد الحسين المشهدي أمين سر حزب البعث وزملائه الذين تمّ إعدامهم في بغداد.

واجبنا نحو إخواننا الأكراد:

لو كان الحكم في بلادنا للإسلام لما وجد البرزاني أو الطالباني استجابةً في صفوف الأكراد المسلمين.

ومن قبل حاول القياصرة الروس استغلال الأكراد، والاستعانة بهم ضدّ العثمانيين، ولكن محاولات القياصرة تحطّمت على قلعة الإسلام الذي عَضّ عليه الأكراد بنواجذهم طوال تاريخهم في الإسلام.

إن غياب الإسلام عن الحكم جعل بغاث الطير تستنسر في أرضنا، ووجد الشيطان أعواناً وأنصاراً في كلّ بقعة من بلاد المسلمين.

أليس من المخجل أن يسبقنا الشيوعيون والعلمانيون واليهود والصليبيون إلى إخوان لنا عاشوا بالإسلام وللإسلام وكانوا قذياً بأعين الكافرين وشجياً في حلوق المتأمرين؟!!

أين الدعاة إلى الله في مناطق الأكراد؟!!

أين الطلاب الأكراد في المعاهد والجامعات الإسلامية؟!!

أين الكتب والصحف والرسائل التي تكشف المؤامرات التي يدبرها أعداء الإسلام بين أبناء أمة محمد ﷺ؟!!

ليت الدعاء إلى الله يدركون خطورة الموقف ويفتحون قلوبهم لإخوانهم الأكراد.

ليت التجار وأصحاب الأموال يتنادون إلى فتح المدارس والمستشفيات والمساجد في مناطق الأكراد قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم.

ليت العلماء يبيّنون للأكراد أن السلاح يجب أن نوجّهه إلى أعداء الإسلام: إلى اليهود والأمريكان والسوفيات، وإلى قلب عفلق والطالباني وأسد وأتباع البرزاني. حقًا إن قضية الأكراد مشكلة تحتاج إلى حلّ سريع. اللهم إني قد بلّغت، اللهم فاشهد.

توزيع الأدوار:

إذا نظرنا إلى تركيبة الحكم في بلاد الشام منذ هدم الخلافة الإسلامية وحتى يومنا هذا، نرى مساهمة غير المسلمين في كلّ نظام، بل وسيطرتهم عليه في معظم الأحيان.

لقد تسلّم مقاليد الحكم في سورية ضباط عسكريون، فكان معظمهم من غير المسلمين - اللهم إلا عهد أديب الشيشكلي -، ثم توالى الانقلابات العسكرية فكان لغير المسلمين نصيب الأسد فيها، وبين الحين والحين كانت تأتي أنظمة ديمقراطية

برلمانية، فإذا مركز الثقل فيها لغير المسلمين.

وفي تعليل هذه الظاهرة نلاحظ التزام غير المسلمين بالخطة التالية:

يتسلّلون إلى قيادة كافّة الأحزاب الجاهلية الحائدة عن منهج الله، ويقفون من النظام الحاكم مواقف مختلفة:

- فقسم منهم يؤيد النظام، ويشارك في اقتسام الغنائم.

- وقسم ثان يعارض النظام القائم، وهؤلاء قلة، ويعرفون من أين تُؤكل الكتف، أعني أنهم يعارضون من منطلق قوي ومن أحزاب وتنظيمات مرشحة لوراثة الحكم القائم.

- وقسم ثالث يصفّقون لأي حكم ويدعمون أبناء طائفتهم المشاركين في الحكم، وهي أكثرية الطائفة.

وهذه الخطة حققت لغير المسلمين الفوائد التالية:

١- يجد كلّ نظام نفسه أسيراً لغير المسلمين، فهم الذين يصفّقون له، وبهم يبطش، ومنهم يستمدّ قوته وديمومته.

٢- يتوسّط أبناء الطائفة المشاركون في النظام لأبناء طائفتهم من أقطاب الحكم المنهار فلا يصابون بأذى، وقد يعلّلون توسّطهم بقولهم: ليس من المصلحة إثارة حساسية الطائفة من أجل حفنة من الانتهازين.

٣- تشارك كل طائفة في قيادة الجيش وفي الوزارة ومختلف أجهزة الأمن والإعلام والتخطيط والتعليم والاقتصاد.

٤- يستخدم غير المسلمين كل نظام في حرب الدعاة إلى الله، والتنكيل بهم ومتابعة تجمعاتهم. ورغم العداوة الشديدة التي يكنّها النصيريون للدروز فهم يعتمدون عليهم، وعلى النصارى في أجهزة الأمن والمخابرات المكلفة بتتبع الإسلاميين.

وفي حالات قليلة تصطدم طائفة من الطوائف مع النظام، فيهبّ لنجدها معظم الأحزاب والطوائف الأخرى والشخصيات السياسية التي دأبت على النفاق، فيسقط النظام، ويتحوّل النظام الجديد إلى دمية بيد الطائفة المنتصرة، وما مثال أديب الشيشكلي عنا ببعيد.

وقد يظن السذج من الناس في بلادنا -وما أكثرهم- أن مثل هذه الأمور تتم مصادفةً ومن غير تخطيط مسبق، غير أن تاريخ غير المسلمين وواقعهم يؤكّدان أن لهم قيادة، وتتألف قيادة كل طائفة من رجال الدين ومن زعماء العائلات المشهورة فيها، وهذه القيادة مسؤولة عن جميع أبناء الطائفة.

وقد مرّ معنا عند حديثنا عن الدروز أن حسن الأطرش زعيم الجبل سنة ١٩٣٦، كان على صلّة مع سلطان الأطرش المنفي في الأردن -الكرك- وكان لا يقطع أمرًا مهمًّا دون أن يسأل ابن عمه عنه ويأخذ رأيه فيه، كما مرّ معنا أن الدروز ثاروا سنة ١٩٢٥ من أجل إقدام الفرنسيين على نفي زعماء آل الأطرش

—عبد الغفار وحمد ومتعب— رغم كونهم عملاء للفرنسيين، والذي قاد هذه الثورة ابن عمهم سلطان، وكانوا يتعاونون حيناً، ويفترقون حيناً آخر دون إراقة دماء أو دون أن يعلن أحدهما الحرب على الآخر.

ويشاركنا الرأي الكاتب الدرزي "فؤاد الأطرش" فيقول عن توزيع الأدوار بين أبناء الطائفة:

"... ومن الخطأ أن نحلل الموضوع تحليلاً خاصاً فنضفي على ثورة سلطان باشا صفة التقدمية، وعلى رسالة الأمير سليم صفة الرجعية، والحقيقة أن الرسالتين لهما معنى واحد هو الحفاظ على الدروز في مجتمع الحقد والكرهية، وبهذا المعنى التوحيدي يمكننا أن نفهم اشتراكية كمال جنبلاط الذي جسّد مبادئ التوحيد في أنظمة سياسية محاولاً إخضاع الفكر لتلك القوانين الروحية العامة".

وبناءً على اتفاق وجهة نظري مع رأي أحد أبناء قادة الطائفة نذكر فيما يلي أسماء أبرز زعماء الدروز ودور كل منهم الذي مثله أو ما زال يمثله:

— سلطان باشا الأطرش: قائد الثورة السورية ورمز الوطنية والتضحية، والرجل الذي قدّم كل ما يملك في سبيل استقلال بلاده، ولم يشارك غيره في اقتسام الغنائم بعد جلاء الفرنسيين عن البلاد.

وقد بينا فيما مضى زيف هذا الادّعاء، وسلطاناً الأضواء على ثورة سلطان المشبوهة.

- حسن الأطرش، مجيد أرسلان، فضل الله جربوع، وهؤلاء من زعماء الأحزاب اليمينية الديمقراطية كحزب الشعب في سورية، والأحزاب النصرانية في لبنان.

- برز في الحركة الناصرية: جادو عز الدين، وفهد الشاعر، والأخير أصبح بعثياً بعد إعدام زملائه الناصريين في ١٨ تموز عام ١٩٦٣.

- من أشهر الذين لعبوا دوراً مهماً في جميع أجنحة حزب البعث: منصور بن سلطان الأطرش، شبلي العيسمي، حمود الشوفي، العقيد حمد عبيد - قائد القوات المسلحة التي فتكت بمدينة حماة عام ١٩٦٤ -، الرائد سليم حاطوم - قائد القوات المسلحة التي هدمت جزءاً من مسحد بني أمية، وقتلت بعض المصلين في داخله -.

- الزعيم شوكت شقير الذي خلف الشيشكلي في تموز ١٩٥٣، ثم أُقيل من منصبه بتاريخ ٨ حزيران ١٩٥٦.

- كمال جنبلاط: زعيم دروز لبنان، وعميد الجبهة الوطنية التقدمية التي تضم كافة الأحزاب القومية واليسارية. ورئيس حزب اشتراكي علماني، وهكذا صنع الدروز منه صنماً في لبنان كما صنعوا من سلطان الأطرش صنماً في سورية.

- الأمير عادل أرسلان: أحد أعمدة نظام الزعيم حسني الزعيم عام ١٩٤٩.

- سليمان كنج زعيم الدروز في الجولان، وجبر معدي داهش زعيم الدروز في فلسطين المحتلة وشيخ عقل الدروز - أمين طريف - ويتعاون هؤلاء مع اليهود.

وهكذا يتعامل الدروز مع جميع الأنظمة: اشتراكية كانت أو ديمقراطية، يهودية أو عسكرية، والغاية عندهم كما وصفها فؤاد الأطرش^(١): "الحفاظ على الدروز في مجتمع الأحقاد والكراهية".

ومغرق في الخطأ من اعتقد أن للدروز عقيدة غير العقيدة الطائفية. وما قلناه عن الدروز ينطبق على بقية الطوائف، فجميع الأحزاب التي حكمت سورية منذ أيام الانتداب أسسها النصاري.

أما النصيريون فلقد انكشف أمرهم، وهتكت أسرارهم، ويكفي ما ذكره الدكتور منيف الرزاز في تجربته المرة.

تحدّث أمين عام حزب البعث السابق -الرزاز- عن زعماء الطائفة النصيرية في الحكم البعثي ووصمهم بالطائفية، والمراوغة، والانتهازية. انظر إلى كلامه عن القيادة القطرية التي يتزعمها صلاح جديد:

"ثم تقرّر القيادة القطرية إلقاء القبض على الحورانيين -أي جماعة أكرم الحوراني- وتتهمهم بشتّى التّهم، ومنها الاشتراك مع جهات أجنبية في تأمر على العهد، وتنشر مقالات متتابعة في جريدة -الثورة- تهاجم فيها الحورانيين، وقيادات الحزب، وصلاح البيطار، وميشيل عفلق، وتبرّئ القوميين السوريين من دم عدنان المالكي، وتهاجم اللقاء الثوري، وروح التقارب مع عبد الناصر، في حملة

(١) الدروز مؤامرات وتاريخ وحقائق، فؤاد الأطرش ص ١١٧.

مسعورة محمومة ليس لها مثيل" (١).

وفي موضع آخر يتحدث عن استهتار حافظ الأسد وإبراهيم ماحوس بالقيادة القومية، وفي موضع ثالث يتكلم عن محمد عمران وكيف كان ينتقد القيادة القطرية، ولكنه في الخفاء طائفي متعصب، يتفق مع جديد حيناً، وينافسه في زعامة الطائفة أحياناً أخرى.

وقد اقتصرنا في هذا المقام على كتاب "التجربة المرّة" لأن مؤلفه يتكلم عن مرحلة كان فيها المسؤول الأول عن حزب البعث، ومن موقع المسؤولية يعترف -الرزاز- بأن الجناح النصيري في الحزب الأسد، وجديد، وماحوس، وعمران لم يكونوا في يوم من الأيام بعثيين ولم تكن خلافاتهم إلا تمثيلاً وتضليلاً للآخرين (٢). لقد كانوا وما زالوا طائفيين اتخذوا من البعث سُلماً لتحقيق آمال وتطلّعات قيادة الطائفة.

وبعد الإطاحة بالرزاز وسائر كبار أعضاء القيادة القومية أصبح الحكم نصيرياً طائفيّاً، وكان نصيب أعضاء حزب البعث من التنكيل والتعذيب كنصيب

(١) التجربة المرّة، د. منيف الرزاز، دار غندور للطباعة والنشر ص ١٥٦، وانظر كذلك ص: ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٩، ١٥٨، ١٦٣، ١٨٥، ١٨٨. أما سبب تبرئة جديد للقوميين السوريين من دم المالكى فلأن أخاه غسان كان من زعمائهم كما كان للحزب نفوذ واسع بين أبناء الطائفة.

(٢) الحديث قاصر على المرحلة التي سبقت ٢٣ شباط ١٩٦٦، وبعد هذه المرحلة حدث فعلا خلاف بين جديد وأسود من جهة وعمران من جهة أخرى، ثم وقع خلاف بين أسود وجديد، ولكن هذه الصراعات بقيت داخل إطار الطائفة.

الإسلاميين سواء بسواء.

ومن خلال مذكرات منيف الرزاز "التجربة المرة" يتبين لنا سخافة أعضاء القيادة القومية الذين هم من أصول سُنيّة، فبعضهم كان نفعياً انتهازياً يمشي مع من يقدم له عرضاً أفضل، وبعضهم -أمين الحافظ- كان أحمق مغفلاً يتوهم أن هناك حزباً وما عليه إلا أن يكون وفيّاً مطيعاً لقيادة هذا الحزب.

إلا أن الرزاز لم يكشف التكتل الدرزي الذي كان يمثله: حاطوم وحمد وعبيد وفهد الشاعر من العسكريين، ومنصور الأطرش وشبلي العيسمي وحمود الشوفي من المدنيين، كما أنه لم يكشف التكتل الصليبي الذي يمثله: الرزاز، وميشيل عفلق وطارق حنا عزيز الذين كانوا أعضاء في القيادة القومية في تلك المرحلة.

وما يزال التكتلان: الدرزي والصليبي يلعبان دوراً مهماً في قيادة البعث -الجنح العراقي-، وسيأتي ذلك اليوم الذي يُكشف فيه دور العيسمي كما كُشف دور جديد أو الأسد وسيبقى أمين الحافظ وأمثاله خداماً أمناء للطوائف المتسلطة على حزب البعث، إلا أن يتوبوا من الحزب وأفكاره ويدخلوا في دين الله.

العقل من اتعظ بغيره:

سمعنا أن بعض الإسلاميين مدّ يد التعاون إلى بعض زعماء الطوائف غير الإسلامية ممن كانوا شركاء لطاغوت سورية -حافظ الأسد- قبل سنوات، وأسفر هذا التعاون عن قيام جبهة وطنية هدفها الإطاحة بنظام أسد وإقامة حكم ديمقراطي يمثل مختلف فئات الشعب وطوائفه.

وقد تأثر بهذه الدعوة جمع كبير من الدعاة الشباب، وظنوا أن هناك مصلحةً إسلاميةً من قيام الجبهة الوطنية، ولما كان الدين النصيحة، ومن منطلق حبنا للدين تأثروا بهذه الدعوة وغيرتنا عليهم نقول:

إن ما عرضناه في الصفحات الماضية من هذا الكتاب يؤكد أن الدروز والنصيريين والنصارى مع الشيطان ضد الإسلام والمسلمين، ولم يحدث ولو مرةً واحدةً تغيير في موقفهم أو تعديل لخطتهم:

- لقد رأينا كيف كان الأمير يحيى الأطرش يبرم الاتفاقات السرية مع الفرنسيين في الوقت الذي يؤكد فيه وفاءه للأتراك ويرجو السلطان عدم الإصغاء للإشاعات التي يروجها الفرنسيون عن ارتباطه بهم وتعاونه معهم.

- والأمير سليم بن يحيى كان قائداً عسكرياً من قادة الأتراك، وكان يعلن في كل مناسبة عن ولائه لهم وتعلقه بنظامهم ثم أصبح أميراً من قبل الفرنسيين على جبل الدروز، وصار لا يخفي التزامه بأوامرهم.

- وكذلك شأن عبد الغفار وحمد وامتعب وحسن الأطرش، وسائر قادة وزعماء الدروز والنصيريين والنصارى.

ومن تاريخنا القريب جداً أن حافظ الأسد وصلاح جديد ومحمد عمران بدأوا بتنظيم العسكريين السوريين فيما يُسمى بحزب البعث منذ انتقلهم إلى مصر في بداية الوحدة - حسب رواية منيف الرزاز في تجربته المرة - ويقول الرزاز عن هذا التنظيم: لقد كان بعثاً آخر لا يمتّ إلى حزب البعث بصلة.

وفي هذا دليل على أنهم كانوا يخططون للإطاحة بالوحدة في الوقت الذي كانوا يعربون فيه عن إعجابهم بالزعيم عبد الناصر ومبادئه التي هي نفس مبادئ حزب البعث.

وبعد ٢٨ أيلول ١٩٦١ نجحوا في ركوب موجة المدّ الناصري الذي حملهم إلى الحكم في الثامن من آذار سنة ١٩٦٣، ونجحوا في ١٨ تموز ١٩٦٣ في جرّ شركائهم الناصريين إلى مذبحه رهيبة حيث تمّ إعدام بعض قادتهم وسجن وتسريح الآخرين.

وراء مجزرة ١٨ تموز قصة نوجزها فيما يلي:

أخذ الناصريون يجمّعون صفوفهم عندما لمسوا نوايا البعثيين، وتمكّن الناصريون من اختراق التنظيم الناصري عن طريق النقيب النصيري محمد النبهان. وبكى هذا الضابط المراوغ دموع التماسيح على عهد الوحدة وزعامة عبد الناصر، ووثق البلهاء الناصريون منه كما وثقوا بقاءه محمد عمران من قبل، وأصبح محمد النبهان من قادة التنظيم الناصري، وتبيّن أنه كان ينقل أسرار التنظيم لقيادة طائفته "جديد - أسد" وأتقن الناصريون فنّ التمثيل عندما قدّموا النبهان إلى محاكمة مع زملائه في قيادة التنظيم الناصري ثم حكموا عليه بالإعدام ثم خُفّف الحكم وهكذا. وهكذا لدغ الناصريون مرات ومرات من جحر النصيرية، كما لدغوا من جحر الدروز على يد الذي كان يطلق عليه عبد الناصر لقب الأخ - فهد الشاعر - والذي كان من أكثر الناس إعجاباً بعبد الناصر والناصرية.

ورغم ما فعله عبد الناصر بالدعاة إلى الله، وما فعله من بعده أمين الحافظ، وصلاح البيطار من هدم للمساجد، وتنكيل بالدعاة، وإفساد في الأرض، رغم هذا كله لم يحوزوا على ثقة شركائهم من غير المسلمين لأن آباءهم وأمهاتهم مسلمون وقد يعودون إلى الإسلام كما خرجوا منه.

وهؤلاء الذين اتفق بعض الإسلاميين معهم هم من أعلام الغدر والخيانة، ومن أبرزهم الزعيم الدرزي "حمود الشوفي"، وكان قبل ثلاث سنوات ممثلاً للطاغية حافظ الأسد في الأمم المتحدة، وهو بحكم وظيفته من أعلم الناس باتصالات حافظ الأسد مع اليهود ومع الإدارة الأميركية في واشنطن فكيف قبل أن يكون ممثلاً له؟!

وهل من المعقول أن تكون جميع اتصالات أسد الخيانية قد تمت عن غير طريق حمود الشوفي؟! والشوفي ليس قليل الخبرة في الشؤون السياسية، فهو من الأعضاء القياديين في حزب البعث، ومن الذين عاصروا وشاركوا في صفقة بيع الجولان، ودخول القوات السورية إلى لبنان، كما أنه من القيادة السياسية التي كانت تفاوض كيسينجر ونكسون وفق سياسة الخطوة خطوة.

ولا شك أنه أحسن اختيار الوقت المناسب الذي يفجر فيه معارضته لحافظ الأسد.

ويقول أكرم الحوراني بأنه لا يشك لحظة واحدة أن حمود الشوفي جاسوس لإسرائيل. وكان الحوراني قد أدلى بتصريحه هذا في مجلس خاص قبل إعلان الجبهة الوطنية بسنة ونصف السنة، وأصبح الآن زميلاً للشوفي في قيادة الجبهة، وسوف

يزعم أن هذا التصريح لا أصل له، لكننا نؤكد أنه صحيح، لأنه نُقل إلينا عن طريق ثقة، والحواراني انتهازي ولا يتردد في التعاون مع الجواسيس إذا كان له الصدارة بينهم.

ومهما بالغنا في حسن الظن، فلن يكون حمود الشوفي أفضل من يحيى وسليم ومتعب الأطرش، ولن يكون شبلي العيسمي أحسن حالاً من سليمان الكنج وجبر معدي داهش، وتاريخ غير المسلمين في بلادنا يعيد نفسه والعاقلة من اتعظ بغيره.

القسم الثاني

الفصل الأول: إسرائيل ومؤامرة الدويلات الطائفية.

الفصل الثاني: أطراف المؤامرة.

الفصل الأول

إسرائيل ومؤامرة الدويلات الطائفية

أولاً- مطالب اللجنة الصهيونية البريطانية.

ثانياً- مذكرات بن غوريون.

ثالثاً- خنجر إسرائيل.

رابعاً- الوثيقة التي سرّبتها السفارة السوفياتية إلى بيروت.

خامساً- الرسائل المتبادلة بين إده وكيسينجر.

سادساً- اتصالات درزية يهودية يكشفها كمال كنج.

سابعاً- المعتدلون اليهود.

تعلم إسرائيل علم اليقين أنه لا يمكن لها أن تعيش في فلسطين، والمسلمون يحيطون بها إحاطة السوار بالمعصم، وانطلاقاً من هذا الشعور يرى قادتها أنه لا حياة لهم في بلاد الشام إلا إذا تمكّنوا من إقامة دويلات طائفية تعزل الكيان الصهيوني عن البلدان التي يشكّل فيها المسلمون أغلبيةً مطلقةً.

إن تمزيق العالم الإسلامي -إلى دويلات طائفية وأخرى عرقية- حلم طالما داعب عقول القادة اليهود منذ القديم، وأصبح الحلم حقيقةً عندما تمكّن اليهود من هدم الخلافة الإسلامية وصار في كلّ قرية أمير للمؤمنين ومنبر.

وسوف نستعرض فيما يلي آراء ومخططات الزعماء اليهود التي تؤكّد سعيهم من أجل إقامة دويلات طائفية، وفي مرحلة أخرى تبسط إسرائيل نفوذها على هذه الدويلات الضعيفة، وتضمّ جزءاً من أرضها إلى أرض إسرائيل وهكذا يستمرّ توسّعها حتى تبلغ حدودها من النيل إلى الفرات:

أولاً - مطالب اللجنة الصهيونية البريطانية:

كتب اليهودي "إسرائيل سيف" الذي كان الذراع اليمنى لحاييم وايزمان وممثل هذه اللجنة مقالاً في عدد مجلة "فلسطين" الصادر يوم ١٥ شباط ١٩١٧ قال فيه:

"قمتُ بدراسة مستفيضة للمشكلة السياسية الجغرافية في فلسطين، واسترشدت في هذا الصدد بآراء "سايد بوتام" -يعني هربرت سايد بوتام- وهو من زعماء الصهاينة البريطانيين وكان يعمل في صحيفة -مانشستر غارديان- الذي يتمتع بآراء غريزية صائبة تجاه تلك الموضوعات. وقد توّصلنا إلى نتيجة مفادها أن

الحدود الشمالية لفلسطين يجب أن تمتدّ إلى شمال صيدا ثم تتحرّك بعيداً عن البحر لتتضمن حوران وتلال الجولان، ويجب أن تمتد الحدود الشرقية بمحاذاة خط الحجاز للسكك الحديدية، على أن تكون على مسافة تتراوح بين عشرة كيلو مترات وعشرين كيلو متراً شرق الخط.

وهذا تشمل حدود فلسطين أفضل مناطق تساقط الأمطار، والتي اصطلح على تسميتها بعد ذلك باسم شرق الأردن.

وفي خطاب لوايزمان شرح إسرائيل سيف وجهة نظره فكان مما قاله:

"إنني متأكد أنك ستوافق على أن فلسطين بدون حوران وخط الحجاز للسكك الحديدية، لن تعني بالنسبة إلينا -نحن اليهود- مجرد فلسطين محدودة وضيقة، بدون أي أمل في التوسّع، ولكنها تعني أيضاً فلسطين مهدّدة من جانب مجموعة عربية قوية ستجعل موقفنا شرق الأردن دقيقاً باستمرار".

وإذن كان اليهود في عام ١٩١٧ جادّين في محاولة إقامة دولة يهودية تضمّ فلسطين وجنوب لبنان والجولان وحوران -أي جنوب سورية- وشرق الأردن، ولم يكن ما ذكرناه مجرد رأي نادى به أحد زعماء اليهود. وفي مؤتمر باريس للسلام سنة ١٩١٩ اقترح الوفد الصهيوني حدوداً لفلسطين مشابهة للحدود التي اقترحها "إسرائيل سيف" (١).

(١) المجلة العدد ١٢٥ تاريخ ٣/٧/١٩٨٢. بيترمانسفيلد خبير بريطاني بارز في الشؤون العربية.

ثانياً - مذكرات "بن غوريون":

شارك الزعيم اليهودي "بن غوريون" في المؤتمر الذي عقده المجلس العالمي لعمال صهيون في زيورخ بسويسرا سنة ١٩٣٧، وأدى خلال المؤتمر بالتصريح التالي:

"... إن واحداً من الامتيازات الأساسية التي أراها في مقترحات اللجنة الملكية هي رسم الحدود الشمالية للدولة بمحاذاة لبنان، فإلى جانب القيمة التاريخية لجبال الجليل وأهميتها العملية للأمة يشكّل جوار لبنان دعماً سياسياً هائلاً للدولة اليهودية.

لبنان هو الحلف الطبيعي لأرض إسرائيل اليهودية فإن شعب لبنان المسيحي يواجه مصيراً مشابهاً لمصير الشعب اليهودي في هذا البلد!! مع فارق واحد هو أنه ليس بإمكان مسيحيي لبنان التزايد بواسطة الهجرة الآتية من الخارج، سيقوم جوار لبنان للدولة اليهودية حليفاً مخلصاً من اليوم الذي ستأسس فيه وليس من المستبعد أن تُتاح لنا الفرصة الأولى للتوسع -عبر الحدود الشمالية- في منطقة جنوب لبنان المتاخمة للدولة اليهودية وذلك بالاتفاق الكامل مع جيراننا وبركتهم لأنهم بحاجة إلينا"^(١).

وجاء في مذكراته ٢١ مايو ١٩٤٧:

"إن نقطة الضعف في التآلف العربي هي لبنان، وإن السيطرة الإسلامية في هذه

(١) كتاب الأرشيف الصهيوني. المؤلف "إسرائيل شاحك" عن الغرباء الصادرة في لبنان.

الدولة مصطنعة، ويمكن الإطاحة بها بسهولة، ويجب إنشاء دولة مسيحية هناك، تكون حدودها الجنوبية على نهر الليطاني، وسوف نوقع معاهدة تحالف مع هذه الدولة.

وهكذا سوف نتمكّن من القضاء على شرق الأردن بعد أن نحطّم الفرقة العربية ونقصف عمّان بالقنابل، وبعد ذلك ستسقط سورية، وإذا تجرّأت مصر بعد ذلك على شنّ حرب ضدّنا، سنقصف بورسعيد والإسكندرية والقاهرة. وهكذا ستمكّن من إنهاء الحرب، ومن الانتقام من مصر عن أجدادنا الآشوريين والكلدانيين".

"وفي حرب ١٩٤٨ لم يتمكّن بن غوريون من تحقيق أهدافه في لبنان، لأنّ الصهاينة اضطروا إلى التركيز على الاستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من فلسطين. ومع ذلك لم يتخلّ بن غوريون عن الفكرة ففي شباط ١٩٥٤ كان يناقش مع "موشي شاريت وموشي دايان" أفضل توقيت لغزو مصر وجنوب سورية بهدف توسيع نطاق الحدود الإسرائيلية.

وبعد ذلك تحدّث بن غوريون عن لبنان قائلاً: "هذا الوقت المناسب لدفع لبنان، أعني لدفع الموازنة في تلك الدولة، إلى إعلان دولة مسيحية"^(١).

(١) كتاب يوميات راکاح - الإرهاب الإسرائيلي السري - دراسة مستوحاة من المذكرات الشخصية لموسى شاريت ووثائق أخرى ص ٢٤ (عن المجلة العدد ١٢٥ تاريخ ٣/٧/١٩٨٢).

واعترض شاريت على رأي بن غوريون قائلاً: "إن المؤيدين لقضية الانفصال المسيحي ضعفاء ولن يجرأوا على القيام بأي شيء، وإن إعلان دولة مسيحية في لبنان سيعني تخليهم عن صور وطرابلس والبقاع، وليست هناك قوة تستطيع إعادة لبنان إلى حدود ما قبل الحرب العالمية الأولى، والأهم من ذلك أن التقسيم سيقضي على قدرة لبنان على البقاء من الناحية الاقتصادية".

وغضب بن غوريون على شاريت لمعارضته، واتهمه بالافتقار إلى الشجاعة، ويتسم بضيق الأفق. وفي اليوم التالي ٢٧ شباط عاد بن غوريون لفتح الموضوع بخطاب طويل قال فيه:

"إنهم -أي المسيحيون اللبنانيون- يمثلون الأغلبية في لبنان القديم، وهذه الأغلبية تختلف من ناحية الثقافة والعادات والتقاليد عن سكان بقية الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية. وحتى في لبنان بحدوده الواسعة الحالية - كان أكبر خطأ ارتكبه فرنسا توسيع نطاق الحدود اللبنانية - لا يتمتع المسلمون بحرية أن يفعلوا ما يشاءون، حتى إذا كانوا يشكلون الأكثرية هناك - وإنني لست واثقاً بأي حال من الأحوال من أنهم يشكلون أغلبية السكان - ويرجع عدم تمتعهم بالحرية إلى خوفهم من المسيحيين، ولهذا الأسباب تصبح إقامة دولة مسيحية هناك أمراً طبيعياً، فإن لها جذوراً تاريخية، كما أنها ستتمتع بتأييد دوائر واسعة في العالم المسيحي، الكاثوليكي والبروتستانتي.

وفي الأحوال العادية يكاد تحقيق ذلك يكون أمراً مستحيلاً، وذلك بسبب افتقار المسيحيين أساساً إلى الشجاعة وروح المبادرة. ولكن عندما تسود الفوضى أو القلاقل أو الحرب الأهلية، تتخذ الأمور شكلاً آخر، حتى يعلن الضعيف نفسه بطلاً...".

وتستمرّ المناقشة، ويعترض شاريت على ذلك بحدّة قائلاً:

"إن العودة إلى الماضي -يعني العودة إلى إقامة دولة مسيحية في جبل لبنان- لن تعني مجرد عملية تغيير بسيطة، ولكنها ستعني تفسّخاً يؤدي إلى نهاية لبنان".

وفي هذه المناقشة كان دايان يؤيد بن غوريون. وفي أيار ١٩٥٥ كتب شاريت في مذكراته قائلاً:

"طبقاً لما يقوله دايان، فإن الشيء الوحيد الذي يجب عمله هو العثور على ضابط، حتى إذا كانت رتبته العسكرية لا تتجاوز -رائداً-. وسيتعيّن علينا أن نثير حماسه أو نشتره بالمال، لدفعه إلى الموافقة على إعلان نفسه منقذاً ومخلصاً للموارنة. وبعد ذلك سيدخل الجيش الإسرائيلي لبنان، ويحتلّ الأراضي اللازمة، ويشكّل نظام حكم مسيحي يتحالف مع إسرائيل" (١).

(١) المصدر السابق، الكاتب بيتر مانسفيلد خبير بريطاني في الشؤون العربية.

ثالثاً - خنجر إسرائيل:

في عام ١٩٥٧ أصدر الكاتب الهندي " ر.ك كارانجيا " - صاحب مجلة [بليتز] الهندية - كتاباً أسماه "خنجر إسرائيل"، وقد تضمّن الكتاب وثيقة سرّية أعدتها الأركان العامة الإسرائيلية ننشر فيما يلي بعضاً مما جاء فيها:

"... لتقويض الوحدة العربية وبثّ الخلافات الدينية بين العرب يجب اتّخاذ الإجراءات منذ اللحظة الأولى من الحرب لإنشاء دول جديدة في أراضي الأقطار العربية:

١- دولة درزية [منطقة الصحراء وجبل تدمر].

٢- دولة شيعية، تشمل قسماً من لبنان - أريتز آش - أي منطقة جبل عامل ونواحيها.

٣- دولة مارونية تشمل جبل لبنان حتى الحدود الشمالية الحالية للبنان.

٤- دولة علوية - أي نصيرية - وتشمل اللاذقية حتى الحدود التركية.

٥- دولة أو منطقة ذات استقلال ذاتي قبطي.

" وستوزّع الأراضي العربية بما في ذلك المنطقة الصحراوية بين الدول الجديدة. تبقى المناطق العربية التالية: دمشق، جنوب العراق، مصر، وسط العربية السعودية وجنوبها. ومن المرغوب فيه إنشاء ممرات غير عربية تشقّ طريقها عبر هذه المناطق العربية".

وجاء في الوثيقة أيضًا:

"ويجب علينا أن نظهر الودّ للدروز والموارنة ونحرّضهم على إنشاء دولة مستقلة. إن احتلال الجليل حتى نهر الليطاني سيسهّل الدفاع عن الحولة، وسيعزل كذلك لبنان عن سورية"^(١).

وفي تعليقنا على هذه الوثائق نقول:

١- منذ أكثر من ستين عامًا واليهود يخطّطون من أجل احتلال جنوب لبنان، وجنوب سورية، والأردن وسيناء. ولقد استهانوا بالطواغيت العرب من عبّاد القومية والوطنية فأعلنوا خططهم، ولم يجدوا حاجةً تدعو إلى سترها وعد البوح بها.

وسئل ذات مرّة أحد الزعماء اليهود كيف تنشرون مثل هذه الوثائق السرية فقال: "العرب لا يقرأون".

ومن الجدير بالذكر أن الصحفي الهندي "كارانجيا" كان صديقًا لجمال عبد الناصر، وعرض عليه الوثيقة السريّة التي أعدّها الأركان العامة الإسرائيلية، ورغم ذلك ترك هُبل الحبل أمام إسرائيل على غاربه، وتشاغل عنها بجرائمه التي ارتكبها داخل مصر وخارجها، وزعم أن الطريق إلى فلسطين يمرّ من دمشق وعمّان وصنعاء والرياض، أما إسرائيل فطريقها إلى سيناء كان من غزّة وليس من صنعاء أو

(١) خنجر إسرائيل، كارانجيا، ص: ٥٨-٦٩-٧٢.

الرياض، وهلك فرعون بعد أن مكّن إسرائيل من تحقيق أهدافها.

٢- العدو الإسرائيلي لا يحارب قومية عفلق واشتراكية عبد الناصر، وإنما يحارب المسلمين، وفي كلّ وثيقة من وثائقه دعوة إلى التقارب مع الدروز والنصارى والنصيريين.

أما المسلمون فمن أجل قهرهم يخطّط ويحيك المؤامرات، ويصنع عن طريق إعلامه الزعامات، وإذا كنا نحن المسلمين لا نجهل هذه الحقيقة لأننا نقرأ في كتاب الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ المائدة: ٨٢.

ومع ذلك فكم نتمنى أن تعمّ هذه القناعة التي مصدرها كتاب الله وسنة رسوله ثم التاريخ والتجارب. كم نتمنى أن يفهم عامة المسلمين أن المشركين لا يمكن أن يوادوا المسلمين، انظر إلى قول "بن غوريون":

"... وإن نفوذ المسلمين هناك يمكن إسقاطه بسهولة"، فالمسلمون هم المستهدفون وليس غيرهم، أما دروز كمال جنبلاط فلقد جاء في الوثيقة التي نشرها "كارانجيا": "ويجب علينا-أي اليهود- أن نظهر الودّ للدروز والموارنة ونحرّضهم على إنشاء دولة مستقلة".

٣- منذ ١٩٥٥ ووزير خارجية إسرائيل السابق موسى شاريت يرى أنه لا بد من دفع ضابط ماروني ليكون منقذًا ومخلصًا للموارنة في لبنان، وبعد ذلك سيدخل

الجيش الإسرائيلي لبنان، ويحتل الأراضي اللازمة، ويشكل نظام حكم مسيحي يتحالف مع إسرائيل.

ولقد تحققت أفكار شاريت ورؤيته المستقبلية ففي سنة ١٩٧٦ ظهر الضابط الرائد سعد حدّاد، وأعلن أنه منقذ للموارنة، وما كان له أن يظهر لولا دعم إسرائيل والولايات المتحدة وتواطؤ سورية الأسد.

وما كان شاريت من المنجّمين أو السحرة عندما تكلم عن درو الرائد المسيحي قبل أكثر من عشرين عامًا. ولكن الميدان أقفر من أبطاله، فصال اليهود وجالوا دون أن يجدوا من يقف في وجه مؤامراتهم ويحبط كيدهم.

رابعاً – الوثيقة التي سرّبها السفارة السوفياتية في بيروت:

سرّبت السفارة السوفياتية في بيروت إلى بعض الصحف اللبنانية تقريراً سرياً جاء فيه أن سليمان فرنجيّة، وكميل شمعون، وبيّار الجميل، وحلفاءهم اتفقوا على تقسيم لبنان إلى دويلات يدخل ضمن مخطّط شامل يرمي إلى إنشاء دويلات متعدّدة في العالم العربي وبالتحديد في الدول المواجهة لإسرائيل تشكّل بمجمّلها حزام أمن دائم للدولة الإسرائيلية من جهة، وتُسقط من جهة ثانية الشعار الذي رفعته المقاومة الفلسطينية بإقامة دولة علمانية ديمقراطية فوق تراب فلسطين يتعايش فيها الفلسطينيون والإسرائيليون. والتقسيم الذي اتفقوا عليه يشير إلى الدويلات التالية:

١- دولة مارونية في جبل لبنان، وحدودها هي حدود دولة لبنان الصغير قبل

ضمّ البقاع والشمال والساحل إليه.

٢- دولة إسلامية في الشوف وفي الساحل والجنوب تضمّ المسلمين في لبنان والفلسطينيين.

٣- ضمّ البقاع وقسم من شمال لبنان إلى سورية.

٤- دولة درزية في الجولان تكون فاصلاً بين إسرائيل والدولة السورية.

ومن الجدير بالذكر أن البند الأول من هذه الوثيقة -الذي يخص الموارنة- يتفق تماماً مع مضمون المذكرة التي قدّمها موارنة لبنان إلى المبعوث الفرنسي "كوف دي مورفيل" ^(١).

خامساً - الرسائل المتبادلة بين إده وكينجر:

لبس "ريمون إده" لبوس الوطنية، وراح الخائن ابن الخائن يذرف دموع التماسيح على لبنان الجريح ويشنّ حملةً شعواء على دعاة الطائفية الذين يعملون من أجل تقسيمه.

وقام ريمون إده بنشاط واسع زعم أنه للحيلولة دون تقسيم لبنان وكان من أبرز نشاطه زيارته للولايات المتحدة الأمريكية ومعظم العواصم الأوربية، وختم جولاته برسالة بعثها إلى وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية وصفه فيها بأنه مهندس الحرب اللبنانية بتكليف من إدارة البيت الأبيض، ونقل فيما يلي ما يخصّ تقسيم لبنان في الرسالة:

(١) نشرت الصحف اللبنانية هذه الوثيقة في نهاية الشهر التاسع من عام ١٩٧٦. انظر القبس

"... إن المخطّط يقتضي إعطاء البقاع وطرابلس وعكار - أي المنطقة التي اقتطعت من سورية عام ١٩٢٠ وضمّت إلى لبنان - وتكون هذه الأراضي بدلاً عن الجولان التي لن تتنازل إسرائيل عنها وما تبقى من لبنان يقسم ثلاثة أقسام: الأول: شمال طريق بيروت شتورة للمسيحيين.

والثاني: ويقع جنوب الطريق المذكورة حتى نهر الليطاني يعطي للبنانيين المسلمين وللفلسطينيين.

والثالث: ويقع بين الليطاني والحدود اللبنانية الإسرائيلية تحتله إسرائيل من أجل تأمين المياه اللازمة لها".

وردّ كيسنجر برسالة بعث بها إلى إده جاء فيها:

"إن الزلازل لا تحدث إلى في الأرض المشقوقة، ولا أكتمك أن لبنان هو بلد مثالي لتحقيق المؤامرات، ليس ضده فقط، وإنما ضدّ العالم العربي ككلّ. ومن هنا اكتشفت في تناقضاته عناصر جديدة لنصب فخ كبير للعرب جميعاً.

وأضاف قائلاً:

"إن التناقضات اللبنانية هي التي كانت تؤمن لنا الخطة وسلامتها، مرّة واحدة حدث خطأ عربي - أوروبي كاد يجمّد الحركة العملية، وسارعت بإرسال "دين براون" وهو مهندس سياسي اختصاصي بعمليات الشرق الأوسط. ولقد اكتشف بسرعة موضع الخلل، ثم أعاد ضبط الجهاز الكبير الذي يحرّك الأمور حسب الأهداف المطلوبة والخطة المرسومة.

وقد تسأل "مستر إده" عن طبيعة هذه الخطة! لا أكتمك أنني بدأت بشيء ثم انتهيت بشيء آخر. كان همي الوحيد أن أبعث الاتحاد السوفياتي عن مجال التدخل والحسم والمشاركة في حل أزمة الشرق الأوسط. كما أسعى إلى تأجيل مؤتمر جنيف والاعتراف بمنظمة التحرير إلى ما بعد انتخابات الرئاسة أي مدة سنتين على الأقل، ثم تشعبت مطامحي بعد ما رأيت أن خصوبة الأحداث الدامية في لبنان قد أسقطت صيغة التعايش المطروحة، وبعد أن بدا لي أن ما كان يحلم به "موشي شاريت" عندما كتب رسالته الشهيرة إلى [بن غوريون] في ١٨ / ٣ / ١٩٥٤ أصبح سهل المنال.

فقد تحدّث الرجلان الإسرائيليان يومها عن وجوب تقسيم لبنان إلى دولتين طائفتين. وإنما دعني أستعمل عبارة شاريت حرفياً:

"لا جدوى ولا فائدة في محاولة إثارة حركة من الخارج إذا لم يكن لهذه الحركة وجود في الداخل. ومن الممكن تعزيز روح حية إذا كانت تنبض من تلقاء نفسها وليس من الممكن بعث الروح في جسد لا تبدو عليه دلائل الحياة.

هذا ما قاله شاريت حرفياً عن لبنان. لذلك أريدك أن لا تجعلني مسؤولاً عن خطة كانت إسرائيل تمهد لها منذ عام ١٩٥٤. صحيح أنني أفكر بخلق دويلات شبيهة بإسرائيل بعدما فشلت في إقناع الدول العربية بفكرة الصلح الانفتاحي، وفي قبول هذه الدولة الجديدة جزءاً من المنطقة. ولكن الصحيح أيضاً أن الأحداث الدامية التي افتعلناها أمنت لنا أرضية مثالية لتقسيم النفوس الموحدّة، وتدمير

صيغة التعايش، وإحداث خلل أساسي في النظام الديمقراطي الوحيد في المنطقة". انتهى^(١).

والذي نعتقه أن الرسالتين صحيحتان لأن أحداث لبنان جاءت ترجمة واقعية لمضمون رسالة كيسنجر، ومن جهة أخرى لم يصدر عن الرجلين أي تكذيب لما نشرته الصحف عن الرسالتين علمًا بأن رسالة كيسنجر فيها تجريح لريمون إده ومن مصلحته لو كانت الرسالة غير صحيحة أن يصدر بيانًا ينكر فيه اطلاعه على مثل هذه الرسالة.

سادساً - اتصالات درزية يهودية يكشفها كمال كنج:

كمال كنج أحد كبار زعماء الدروز في هضبة الجولان وكان يمثل دور المناضل القومي الاشتراكي في الطائفة قبل سقوط الجولان في حين كان ابن عمه سليم - الزعيم التقليدي لدروز مجدل شمس وما حولها - يحتفظ بعلاقات متينة مع اليهود سرًا، ومع زعماء القبائل والإقطاع في المنطقة.

وكان لكمال كنج دور في التنظيم الناصري، ثم أصبح بعثيًا، وكان يحتفظ بعلاقات قويّة مع كلّ جناح من أجنحة البعث التي تتوصل إلى الحكم. وهو يحدثنا فيما يلي عن اتفاق تمّ بين دروز الجولان واليهود:

(١) رسالة كيسنجر نشرتها أكثر من صحيفة عربية. انظر الوطن الكويتية الصادرة بتاريخ

١٩٧٧/٨/١٩. ورسالة ريمون إده نشرتها السياسة في العدد الصادر بتاريخ ١٩٧٦/٦/١٢.

مشروع الدولة الدرزية والدور الأمريكي الإمبريالي^(١) :

لم يكن العمل الصهيوني الدؤوب للإبقاء على تخلف الدروز ثم تفتيت المجتمع العربي الدرزي وتمزيقه، وخلق التناقض بين الدروز وغيرهم من العرب، ثم تشويه تاريخ الدروز النضالي، إلا مقدّمةً ضروريةً لخلق كيان سياسي خاص بالدروز خاضع للصهيونية والإمبريالية الأمريكية معاد للعرب يضمن استمرار السيطرة الصهيونية والهيمنة الأمريكية على المشرق العربي.

والمشروع الصهيوني الأمريكي هذا لا يكتفي بخلق دولة درزية فقط، بل يشمل خلق دولة مسيحية، وأخرى علوية، وأخرى كردية، بغية القضاء على عروبة المشرق العربي. فبعد هزيمة حزيران، ألصق الكثيرون مسؤولية احتلال الهضبة السورية بالدروز، عازفين على الوتر الإسرائيلي الاستعماري ذاته، ومساهمين في تخضير المسرح لمؤامرة قديمة جديدة.

بدأ تنفيذ المؤامرة هذه بعد سقوط الهضبة السورية في أيدي القوات الإسرائيلية. "بتاريخ ١٦ / ١٠ / ١٩٦٧"، اتصل كمال كنج هاتفيًا من روما بكمال أبو لطيف (المحامي) في منزله في عيحا-راشيا، وطلب إليه أن يوافيه إلى روما لأمر هام، اعتذر أبو لطيف لأنه كان قادمًا حديثًا من أمريكا اللاتينية حيث زار إخوته هناك، وأن الناس يأتون للسلام عليه، ووعدته بالسفر بعد حوالي أسبوعين.

(١) رواية كمال كنج سردها الكاتب الدرزي غالب أبو مصلح في كتابه [الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي] من صفحة ٢٤٨ حتى ٢٥٣، ونقلناها كما وردت في الكتاب مع التعليق عليها.

"اتّصل الكنج عدّة مرّات هاتفياً بأبي لطيف على رقم مكتبه أو منزله في بيروت يلحّ عليه أن يحضر روما. فتذرّع أبو لطيف بضيق الوقت لاسيما وأن السنة القضائية كانت في مطلعها، فظن الكنج أن نفقات السفر هي التي تعيقه، فقطع لأبي لطيف تذكرة سفر من روما، وأبلغت لشركة الإيطالية برقيّاً، وهذه اتّصلت بأبي لطيف وأخبرته بالأمر، فعين أبو لطيف موعداً للسفر بعد أن أطلع على بطاقة سفره من بيروت إلى روما وبالعكس.

"استقبل الكنج أبا لطيف في مطار روما، ثم انتقلا معاً إلى "بانسيون فرانسيسي" في شارع "فينيتو" قرب متحف "بوركيزي" حيث حُجزت غرفة لكمال أبي لطيف بينما كان الكنج يمكث في فندق أقل شأناً من البنسيون".

"(أقوال الكنج لأبي لطيف): قال الكنج لأبي لطيف إن اليهود منذ احتلّوا محافظة القنيطرة وهم يحاولون بثّتي الوسائل التقربّ من الدروز في الجولان، وخاصة مع بيت كنج في مجدل شمس، باعتباره البيت المتنفّذ الأول في المنطقة. وكان أكثر وجهاء المنطقة سلبيين من اليهود، مما حملهم على السعي لمعاملتهم أحسن معاملة بغية جذبهم نحوهم. وقد قام عدد من الضباط اليهود بزيارة كمال كنج في منزله وكذلك زاروا الشيخ سليمان كنج، ابن عمه.

"و ذات يوم حضر عدد من الضباط اليهود إلى منزل سليمان كنج وتظاهروا بجهلهم اللغة الإنجليزية، وطلب أحدهم "بلغة عربية مفكّكة" استدعاء من يتقن اللغة الإنجليزية، ليترجم لهم. فاستدعي كمال كنج فرفض ثم توجه الضباط اليهود إلى منزله فاستقبلهم، وطلبوا إليه أن يتجاوب مع الحكم ويرضخ للأمر الواقع،

لاسيما وأن اليهود لا يضمرون إلا كل خير للدروز؟ فاستجاب (ظاهرياً) شرط استشارة أقاربه. وتردد عدد آخر من الضباط، من نساء ورجال، على مجدل شمس، وكانوا يجلّون في دار الشيخ سليمان كنج - باعتباره ابن دار زعامة المنطقة و صاحب العباء التقليدية - في كل مرة كانوا يجتمعون بكمال أيضاً، وكانوا يتظاهرون باللطف الجَمّ.

"كما بقيت مجدل شمس مدّة شهرين لا تخلو يوماً من عشرات الزائرين من دروز فلسطين. كما أن شيخ عقل الدروز في فلسطين "الشيخ أمين طريف" زارهم أكثر من مرّة وأفهمهم بأنه أوصى موشي دايان خيراً بالدروز وأن "دايان وعده بتنفيذ كافة مطالب دروز الجولان".

"وقام عدد من الوزراء بزيارة مجدل شمس أيضاً، منهم "موشي دايان" و "ألون" وكان موشي دايان يتكلم العربية بطلاقة ويقبل أيدي بعض مشايخ دروز فلسطين على مرأى من دروز المجدل، وكان دوماً يرتدي لباس الميدان.

"ثم بدأ يقبل عليهم ضباط من المخابرات الإسرائيلية، بدأ ضباط المخابرات الإسرائيلية ببحث مشروع خطير، ألا وهو إيجاد دولة درزية مستقلة تمتد من محافظة السويداء في سورية حتى البحر الأبيض المتوسط عند قرية خلدة، تضمّ دروز جبل العرب وبعض قرى الغوطة الدرزية، والجولان، فمنطقة قطنا، فقضائي حاصبيا وراشيا، والشوف وقضاء عاليه وأن الغاية من ذلك فصل الدروز عن الإسلام لأنهم لا يمكن "أن يتعايشوا وإياهم" (هكذا)، وجعل كيان خاص للطائفة الدرزية مدعومة من عدّة دول كبرى، ومن جارتها "إسرائيل" وغير ذلك من "المغربيات".

"ركّز اليهود كثيرًا على هذا الموضوع، حتى إنهم أخذوا يمارسون نوعًا من الضغط الممزوج باللين والحزم، الذي تتخلّله بعض الابتسامات. وجاهرُوا بأن هذا الموضوع هو الأساس لاستمرار العلاقة الحسنة بين السلطة ودروز المنطقة، فإذا لم يكن المسؤولون إيجابيين، فالسلطة الإسرائيلية هي في حلّ من أي تدبير قد يتّخذ في المنطقة المحتلّة... الخ. كان البعض يقولون ذلك ويأخذ آخرون الحديث فورًا، وينقلون السامعين من جوّ مكهرب إلى جوّ آخر فيه نوع من الاطمئنان. أي إنهم كانوا يستعملون طريقة "ضربة على الحافر وضربة على المسار" حسب تعبير كمال كنج".

ويقول التقرير الذي رفعه كمال أبو لطيف إن بعض وجهاء المنطقة تظاهروا بقبول التعاون مع الإسرائيليين، واتفقوا على فضح هذا المخطّط عن طريق الاتصال بالجهات العربية المعنية.

وعندما أبلغت المخابرات الإسرائيلية بقبول بعض الوجهاء الدروز بالتعاون معهم سرّ اليهود لذلك كثيرًا وأخذوا يكثرون من التردّد على مجدل شمس ويُسدون الخدمات للناس وينفّذون المطالب بسرعة مذهلة. وبدأ تنفيذ المخطّط إذ انتدب كمال كنج للاتصال بدروز سوريا ولبنان، بعد أن وُضعت قوائم بأسماء الوجهاء الدروز الذين يمكن التعاون معهم وطريقة اصطيادهم وأعطى كمال كنج حريّة التصرف ضمن المخطّط، ولذلك ذهب إلى روما "بمهمة كعضو في لجنة إسرائيلية تدرس مع السلطات الإيطالية موضوع تصريف الفاكهة من إسرائيل، متّخذين من كون مجدل شمس بلدة غنية بالفواكه ذريعةً لوجود كمال في اللجنة. كما أشاع كمال

قبل مغادرته مجدل شمس أنه سيداوي عينيه لدى أطباء في تل أبيب، وقد يضطر لعرضها على اختصاصيين خارج إسرائيل".

وبذلك حضر كمال كنج إلى روما برفقة ضابط مخبرات إسرائيلي (من الشين بت)، تحت اسم "يعقوب". ويصف كمال أبا لطيف يعقوب هذا، فيقول أنه رجل متوسط القامة، أحذب، يتقن اللغة العربية. وكان كمال كنج قد اقترح الاتصال بكمال أبي لطيف وهو ضابط سابق في الجيش السوري، وقريب له. ووافقت المخبرات الإسرائيلية على ذلك بعد أن قامت بجمع المعلومات عنه.

ولذلك استدعي أبا لطيف إلى روما واجتمع مع كمال كنج الذي أخبره بالمخطط، واتفقا على إبلاغ الجهات العربية المعنية بالطريقة التالية:

١- يقوم كمال أبو لطيف بإعلام كمال جنبلاط بالأمر، ليقوم بدوره بإعلام السلطات اللبنانية وغيرها من السلطات العربية التي يجد من المناسب إعلامها.

٢- يقوم كمال أبو لطيف بعد أخذ موافقة جنبلاط بإعلام السلطات السورية. وبعد أن عاد كمال أبو لطيف ونقذ ما اتفق عليه، طلب منه متابعة الاتصال مع المخبرات الإسرائيلية. فسافر مرةً ثانيةً إلى روما واجتمع بيعقوب وكمال كنج. وكان أن قدّم الكنج أبا لطيف إلى يعقوب بعد وصوله إلى روما بعدة أيام بذريعة أن الكنج يسعى إلى اقناع أبي لطيف بالتعاون، وأن أبا لطيف مازال متردداً.

ولذلك كانت الأيام الأولى من الزيارة الأولى إلى روما تقتصر على اجتماع أبو لطيف بالكنج فقط دون وجود يعقوب، بغية دراسة الأمر وطريقة فضح المخطط الإسرائيلي الاستعماري. وعند اجتماع أبو لطيف بيعقوب، تظاهر بعدم الاقتناع

بإمكانية تنفيذ المخطط، واستمرّ النقاش طويلاً بينهما ليستخلص أبو لطيف جميع المعلومات عن هذا المخطط. وكان أن اتضح له المخطط على الشكل التالي:

الإمارة الدرزية:

١- حدود الدولة الدرزية: تمتدّ هذه الدولة أو الإمارة الدرزية، من جبل الدروز إلى الشاطيء اللبناني محيطةً بإسرائيل، وتشمل محافظة القنيطرة، وقضاء قطنا، وضواحي دمشق (بعض قرى الغوطة الدرزية)، فقضائي حاصبيا وراشيا، ثم الشوف وقضاء عاليه حتى خلدة، بما في ذلك بلدة الشويفات.

عاصمة الإمارة: ومن المقرر أن تكون السويداء أو بعقلين عاصمة هذه الإمارة، وذلك حسب أي من دروز لبنان أو سوريا يكونون أكثر تعاوناً مع إسرائيل.

علم الدولة: علم الدولة هو العلم ذات الألوان الخمسة التي وضعتها فرنسا للدولة الدرزية بعد تقسيمها لسورية.

السكان: يكون المسلمون السنّيون والشيعة في لبنان الجنوبي (المشمول في الإمارة) وكذلك في حوران والبقاع الغربي، مخيرين بين البقاء كأقلية لا شأن لها ضمن الإمارة الدرزية أو الرحيل. أما المسيحيون فلا ضير من بقائهم، ويمكن إشراكهم في الحكم كأقلية.

المقومات الاقتصادية: المقومات الاقتصادية للإمارة مضمونة من قبل إسرائيل بتعهدات أمريكية. يصبح ميناء صور - بعد تطويره - الميناء التجاري للإمارة ويبقى ميناء صيدا لتصدير النفط. رصدت أمريكا مبلغ ٣٠ مليون دولار للبدء بتهيئة الأجواء لتنفيذ المخطط.

طريقة التنفيذ:

١- تحت ستار مقاتلة الفدائيين الفلسطينيين، تقوم القوات الإسرائيلية باقتحام واحتلال المناطق التي يتواجد فيه الفدائيون. ثم تقوم قوات أخرى باحتلال جنوبي لبنان حتى صيدا. وتتوجّه في الوقت ذاته قوات مدرّعة إسرائيلية خارقة الجبهة السورية على محور درعا-ازرع-السويداء.

وعلى محور القوى المتاخمة للحدود السورية الأردنية.

٢- تقوم حركات "سلفية" ضدّ الجيش الإسرائيلي المحتلّ، فيشجعها اليهود سرّاً ولا يقيمونها بعنف، إلى أن تبلغ من القوّة ما يكفي ظاهرياً لنشوب معارك بين الفريقين، يكون النصر فيها للدروز المحتلّة مناطقهم.

٣- في تلك الأثناء يكون الاتفاق قد تمّ مع عدد من زعماء الدروز على الصمود في مناطقهم والمحافظة عليها كي لا تُعاد إلى سورية ولبنان، تمهيداً لإنشاء كيان سياسي مؤلف من هذه المناطق "المحرّرة" يتمتّع باستقلال تام.

٤- تتكفّل أمريكا بحماية هذا الكيان عن طريق إسرائيل، كما تتكفّل أمريكا بالاعتراف فوراً بهذا الكيان السياسي، وبأن تدفع الأمم المتحدّة والدول الغربية السائرة في فلكها، للاعتراف به. وتكون إسرائيل بذلك قد كسبت "حزاماً واقياً لها" (حسب تعبير يعقوب)، يقيها شرّ الاعتداءات العربية، إن من الجيوش النظامية أو الفدائيين.

٥- بعد إنشاء الدولة الدرزية، تقوم أمريكا بالعمل لجعل لبنان وطناً قومياً مسيحياً، وتقيم دولةً علويّةً في اللاذقية، ودولةً كرديةً في شمال سورية تتعاطف مع

حركة البرزاني، فتقلص الجمهورية العربية السورية إلى سورية الداخلية وتشل قدراتها.

ونفذ كمال أبو لطيف المهمة فتم إبلاغ كمال جنبلاط وشوكت شقير والسلطات اللبنانية والسورية، ونقلت المعلومات إلى الجمهورية العربية المتحدة (إلى عبد الناصر مباشرة) وكلف عبد الناصر الضابطين، أكرم صفدي وهيثم الأيوبي، بنقل هذه المعلومات إلى السلطات العراقية، بغية حثها على تكوين الجبهة الشرقية. ثم استدعي أبو لطيف إلى بغداد للاستفسار منه على بعض التفاصيل.

ونتيجة التحركات العسكرية العربية السريعة علمت إسرائيل بانكشاف المخطط، وأجلت تنفيذه وقطع أبو لطيف اتصاله بالمخابرات الإسرائيلية خوفاً على سلامته. ومعلوم أن كمال كنج قد أُلقي القبض عليه وحُكم بـ ٢٠٨ سنوات سجن خفّضت إلى ٢٣ سنة ثم بادلته الجمهورية العربية السورية بأسرى من الطيارين الإسرائيليين. وبعد خروجه من السجن، اختار البقاء في بلده في الهضبة السورية المحتلة، ولم تسمح السلطات الإسرائيلية "للزعامات الدرزية" في الأرض المحتلة والمتعاونة معها بزيارته. فزاره وفد من لجنة المبادرة الدرزية على رأسه الشيخ فرهود قاسم فرهود، محيياً ومهنئاً. ولكن هذا المخطط الاستعماري الشامل لم يتم التخلي عنه بعد افتضاحه.

فعقد عضو الكنيست جبر معدي اجتماعاً صحفياً بمفرده، دعا فيه إلى ضم هضبة الجولان لإسرائيل. واعترف أنه لا يحمل أي تفويض من دروز الجولان أو من دروز إسرائيل في هذا الموضوع. وقال: "إن أمنيته هي أن تقوم دولة درزية تضم

كلّ الدروز، وتكون عاصمتها السويداء". وحينما استهزأ الصحفيون بأقواله هذه "أعلن أن اليهود أيضًا أرادوا قبل مئة سنة أن تكون لهم دولة، وإذ ذاك ضحك منهم أيضًا"^(١).

وفي اجتماع "للحركة الإسرائيلية العربية" عُقد في قرية فسوطه، قال سليم جبران -وهو أحد العملاء العرب المسيحيين- "قيام لبنان كدولة نصرانية مرتبط بقيام إسرائيل. ويهمننا نحن النصاري في البلاد، ما يجري في لبنان. لا يمكننا أن نوافق على إزالتها. لا يمكن للبنان اليوم أن تعتمد على مساعدة الـ "مرينز" الأمريكية. يتوجب علينا نحن النصاري، أن ندرك أنه ليس إلا الجيش الإسرائيلي يستطيع المحافظة على سلامة لبنان".

كما طالب بعض المتكلمين بإبراز كلمتي عربي-مسيحي في هويات المواطنين المسيحيين في إسرائيل، بدعوة أن "النضال في لبنان ضدّ دولة إسرائيل، هو نضال ضدّ المسيحيين. وكما أن دولة إسرائيل تحارب عن كيانها، كذلك في لبنان، يحارب المسيحيون دفاعاً عن كيانهم وكيان دولتهم. (وإنه) يتوجب على كلّ مسيحي أن يدافع عن إسرائيل لأنه بذلك يدافع عن إخوانه النصاري في لبنان"^(٢).

(١) الاتحاد، ١٦/٨/١٩٦٨.

(٢) الاتحاد، ١٠/٧/١٩٧٠.

ملاحظات على وثيقة كنج:

١- وثيقة "كنج" جاءت ردًا على اتّهام عام للدروز بالعمالة لإسرائيل، وهذا الاتّهام يردّه كلّ مواطن في بلاد الشام. انظر إلى قول المؤلف: "... فبعد هزيمة حزيران، ألصق الكثيرون مسؤولية احتلال الهضبة السورية بالدروز، عازفين على الوتر الإسرائيلي ذاته، ومساهمين في تحضير المسرح لمؤامرة قديمة جديدة".

وفي عرض المؤلف لوثيقة كنج براعة، فهو من جهة لم ينكر صلات الدروز مع المخابرات الإسرائيلية كما اعتاد أبناء طائفته، ومن جهة أخرى زعم أن هذه الاتّصالات صفحات مشرقة في تاريخ الدروز لأن كمال كنج نقل دقائق المؤامرة إلى الجهات الرسمية العربية مما أدّى إلى فشلها -هكذا زعم!!-.

٢- من خلال الوثيقة نعلم أن كمال كنج قام بدور "عميل المخابرات المزدوج"، فهو من جهة قبل التعاون مع المخابرات الإسرائيلية من أجل إقامة دولة درزية، ومن جهة أخرى كلفه أبو لطيف بمتابعة الاتّصال مع المخابرات الإسرائيلية، وتكليف أبو لطيف لكنج فيه إشارة على أنه جاء بناءً على رغبة بعض الحكومات العربية.

وعميل المخابرات المزدوج من أخطر أنواع الجواسيس لأنه يوهم كلّ جهة بأنه معها ضدّ الأخرى إلا أن وجوده بعد اكتشاف المؤامرة في "مجدل شمس" حرّاً طليقاً دليل على رضاء إسرائيل عنه، أما قضية اعتقاله وإطلاق سراحه بعد أن بادلته سورية بطيارين إسرائيليين فليست أكثر من تمثيل على العرب ليستمرّ كنج في أداء الدور المرسوم له، ولو كانت إسرائيل تعلم أنه حقاً كشف سرّاً خطيراً من أسرارها

لما تركته يعيش يوماً واحداً في قريته في هضبة الجولان، وكيف تتركه آمناً وهي التي طردت رئيس بلدية الخليل وحاولت اغتيال رئيس بلدية نابلس، بل وهي التي تنفذ أبشع أنواع الإرهاب والاعتقالات في العالم.

٣- يقول المؤلف:

"ونتيجةً للتحركات العربية السريعة علمت إسرائيل بانكشاف المخطط وأجلت تنفيذه، وقطع أبو لطيف اتصاله بالمخابرات الإسرائيلية خوفاً على سلامته".

لم يقل الكاتب الدرزي شكل هذه التحركات العسكرية السريعة واكتفى بالتعميم، ومن المعلوم بالضرورة أن دول المواجهة بعد الخامس من حزيران بشهرين أو ثلاثة لم تكن قادرة على اتخاذ أي موقف إيجابي ضد إسرائيل، وبسبب عجزها التام سمحت لمنظمة التحرير أن تمارس عمليات عسكرية ضد اليهود، ثم قامت بتضخيم دور هذه العمليات إعلامياً.

بل ومما صرح به بعض المسؤولين العرب بعد حرب حزيران أن إسرائيل كانت قادرة على احتلال دمشق وعمّان والقاهرة، ولكنها لا تملك طاقةً بشريةً تحوّها السيطرة على هذه المنطقة. وإذا كان الأمر كذلك فأين هذه التحركات السريعة المزعومة التي أراد أن يغطي من وراء ذكرها دور الدروز الخياني وهو يعلم أن أي نظام عربي لن يردّ على أكاذيبه خوفاً من إثارة حساسية الدروز.

٤- زعم المؤلف أن "كمال كنج" خدع المخابرات الإسرائيلية، وفي موضع آخر صوّر لنا دور المخابرات الإسرائيلية -يعقوب- بأنه كان هامشياً، وتمكّن كنج من

تضليله عندما تركه في الفندق وجلس يحاور أبا لطيف في "بنسيون فرانسيسي" وكان ينقل له معلومات عما دار بينه وبين قريبه ليست صحيحةً.

والمخابرات الإسرائيلية ليست بهذه البساطة، ولا يمكن أن تكون رواية كنج صحيحةً. فالمخابرات كانت تعرف من هو كمال كنج قبل أن تتصل به ابتداءً، تعرف انتسابه للناصرية ثم لحزب البعث، ولو كانت تعلم عدم إمكانية تعامله معها لما عرّضت قضية خطيرة كقضية إقامة دولة درزية، ومن ثم كانت تعلم من هو "كمال أبو لطيف" انظر إلى قول المؤلف: "... وكان كمال كنج قد اقترح الاتصال بكمال أبو لطيف وهو ضابط سابق في الجيش السوري، وقريب له. ووافقت المخابرات الإسرائيلية على ذلك بعد أن قامت بجمع المعلومات عنه".

إذن كان أبو لطيف ضابطاً في الجيش السوري وهو قريب لكنج ولعله من سكان هضبة الجولان، ثم أصبح محامياً في لبنان ومما لا شك فيه أن موافقة إسرائيل على الاتصال به جاءت بعد جمع معلومات دقيقة عنه ولا بد أن هذه النتيجة كانت إيجابيةً، وبعد هذه المعلومات جاء دور "يعقوب" ضابط المخابرات الإسرائيلي، وهو ليس أحمق حتى يرافق رجلاً قومياً عربياً - كما يصور الدروز كنج - دون أن يكون مطمئناً على حياته على الأقل. والذي أجزم به أن ضابط المخابرات الإسرائيلي "يعقوب" كان خلال إقامته في إيطاليا على صلة برجال المخابرات الإسرائيلية الذين ينشطون هناك، وبالتنسيق معهم حدّد الفندق الذي سينزل به مع كنج، كما حدّد المكان الذي سينزل به كمال أبو لطيف وأجهزة التنصت اللازمة.

٥- اعترف كنج أن زعماء هضبة الجولان وافقوا على إقامة دولة درزية، وأن شيخ عقل الدرور "أمين طريف" ساهم في المؤامرة، غير أنه يزعم أن الدرور تظاهروا بالموافقة وقبول التعاون مع إسرائيل.

وفي القسم الأول من هذا الكتاب بينا تعاون دروز هضبة الجولان مع اليهود قبل حرب حزيران بل نقلنا اعتراف مؤلف الكتاب الذي نقلنا منه وثيقة كنج بأن سليمان الكنج صاحب العباءة التقليدية في الهضبة من عملاء إسرائيل.

٦- اعترف المؤلف بأن المخطط اليهودي لم يتمّ التخلي عنه بعد افتضاحه. ومن الجدير بالذكر أن هناك تشابهاً كبيراً بين طريقة التنفيذ التي تحدثت عنها الوثيقة وما يجري في هضبة الجولان منذ بضعة أشهر.

سابعاً - المعتدلون اليهود:

يقسم الساسة العرب اليهود إلى متطرفين ومعتدلين أو إلى حمائم وصقور، ويرون أن المعتدلين منهم يطالبون بالتعايش السلمي العادل مع العرب، وينددون بسياسة التوسع والتآمر التي يمارسها بيغن وكتلة الليكود.

ويذكر الساسة العرب "ناحوم غولدمان" رئيس المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية العالمية كرمز للاعتدال.

وسبق أن زار "غولدمان" جمال عبد الناصر قبل هلاكه، كما أنه يحتفظ بعلاقات جيّدة مع عدد من الزعماء العرب.

ومن المفيد أن نسوق لهؤلاء رأي "ناحوم غولدمان" في الدويلات الطائفية:
 "إذا أردنا لإسرائيل البقاء والاستقرار في الشرق الأوسط فعلينا أن نفسخ
 الشعوب المحيطة بها إلى أقليات متنافرة تلعب إسرائيل من خلالها دورًا طليعيًا،
 وذلك بتشجيع قيام دويلة علوية في سورية، ودويلة مارونية في لبنان، ودويلة كردية
 في شمال العراق"^(١).

أرأيتم أنه ليس هناك من فرق بين [غولدمان] و [بن غوريون] أو [بيغن]، كما
 أنه ليس هناك من فرق بين اليهودية والصهيونية، وهذا الذي يسمونه اعتدالاً يهودياً
 لا يختلف عن الاعتدال الذي يتظاهر به بعض المستشرقين، والفرق بينهم وبين غلاة
 المستشرقين حُسن الأسلوب وإجادة وضع السم في الدسم أما النتائج عن الطرفين
 فواحدة.

ورغم وضوح موقف [غولدمان] وأمثاله، نرى أن بعض زعماء العرب يعلّق
 عليهم أملاً عريضة، وحتى منظمة التحرير فمنذ عام ١٩٧٥ وهي تعقد المؤتمرات
 مع منظمات وشخصيات صهيونية يقول قادة المنظمة: إنهم ينادون بالسلام،
 ويعارضون سياسة التوسع، ويطالبون بدولة علمانية تضم اليهود والفلسطينيين،
 وإذا كان قادة المنظمة جهلة لا يعرفون تاريخ اليهود وواقعهم فحرام على الشعب
 الفلسطيني أن يقبل بقيادة جهلة، وإن كان هذا الحوار ترويضاً للشعب الفلسطيني

(١) قال "ناحوم غولدمان" هذا الكلام في خطاب ألقاه عام ١٩٦٨ في مؤتمر لليهود المثقفين،

نقلته [لوموند] الفرنسية [عن المجتمع العدد ٢٤٦].

ليقبل بمبدأ الحوار مع منظمة ليكود وحزب العمل - إن تفضّل هؤلاء بقبول الحوار مع الفلسطينيين - فالمصيبة أعظم.

وفي الجزء الثاني من هذا الكتاب سندرس - إن شاء الله - تاريخ المنظمة وواقعها بما في ذلك صلاتها مع بعض المنظمات الصهيونية، وفي ذلك ما يغني عن الإطالة وذكر الشواهد في هذا الموضوع.

الفصل الثاني

أطراف المؤامرة

أولا - أسباب اختلاف الوثائق الإسرائيلية.

ثانيا - النظام النصيري وفكرة الهلال الخصيب.

ثالثا - الموارنة.

رابعا - الدرروز.

خامسا - الولايات المتحدة الأمريكية.

أطراف المؤامرة

تكلمنا في الفصل السابق عن دور إسرائيل في مؤامرة الدويلات الطائفية، وسردنا الأدلة التي تؤكد سعي إسرائيل المتواصل من أجل إقامة دولة درزية، وأخرى مسيحية، وثالثة نصيرية.

وسوف نناقش فيما يلي ما بين الوثائق من اختلافات، ثم نعرض آراء ومواقف بقية أطراف المؤامرة.

أولاً - أسباب اختلاف الوثائق الإسرائيلية:

١- في معظم الوثائق تصميم على ضمّ جنوب لبنان، وجنوب سورية- أي حوران- وشرق الأردن إلى إسرائيل، أو إقامة كيانات طائفية فيها إلى حين من الزمن.

أما جنوب لبنان فضمه إلى إسرائيل لا يحتمل النقاش عند القادة اليهود، فعندما دخلت سورية إلى لبنان سنة ١٩٧٦ حدّدت لها إسرائيل خطاً أحمر لا يجوز لها أن تتجاوزه- والخط الأحمر هو نهر الليطاني-، والتزمت سورية الأسد بأوامر إسرائيل ووقفت قواتها دون الخط الأحمر الذي رسمته إسرائيل على أرض عربية.

وفي سنة ١٩٧٦ تمكّنت- بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية ونظام حافظ الأسد- من إقامة دويلة الرائد "سعد حداد" المسيحية في جزء من جنوب لبنان، وزعمت الحكومة اللبنانية بعد انتخاب سركيس رئيساً للجمهورية أنها سترسل

قوات إلى جنوب لبنان لإنهاء دويلة سعد حداد ومحاكمته بتهمة الخيانة.. ولكن الأيام أثبتت أن حديث الحكومة كان تحذيراً للمسلمين وتضليلاً للسذج المغفلين، وما سر كيس و حداد وشدياق والجميل و... إلا وجوهاً متعددة تمثل دوراً خيائياً واحداً ولكل منهم فصل في هذه المسرحية.

ولقد اعترف "إسحاق رابين" رئيس وزراء إسرائيل السابق أنه أقام علاقات خاصة مع الزعماء المسيحيين في لبنان خلال وجوده في الحكم، وزعم أنه أقام هذه العلاقات الخاصة لإنقاذ حياة الآلاف من المسيحيين اللبنانيين المهتدين من قبل الفلسطينيين!!^(١)

وفي شهر أكتوبر سنة ١٩٧٧ توجه وزير الدفاع الإسرائيلي "عيزر وايزمن" على رأس وفد صهيوني، وقّلد الرائدتين - حداد وشدياق - أرفع الأوسمة الإسرائيلية.

وخلال احتلالها السابق لجنوب لبنان أقامت إسرائيل مراكز تجمع طائفية تتمتع بالحكم الذاتي، كما أنها أقامت محوراً مارونياً شيعياً ضد الفلسطينيين المسلمين المقيمين في جنون لبنان. وقد اجتمع المجلس الشيعي الأعلى في بيروت لمناقشة تعاون شيعة الجنوب مع إسرائيل وسعد حداد، وأصدر بياناً نقلته وكالات الأنباء في ٢٠ / ٤ / ١٩٧٩ قال فيه: إن أعيان الشيعة في الجنوب لم يتعاونوا مع اليهود]

(١) اعتراف رابين نشرته مجلة باري ماتش الفرنسية الأسبوعية بمناسبة مرور ثلاثين سنة على

وهو الأمر الذي كان مكشوفاً لجميع الناس وكانت تشتكي منه منظمة التحرير، ولكن مرد الرفض على الكذب [، ولكن التزموا الصمت خوفاً من التعرّض لعمليات القمع.

وجملة القول: فإن جنوب لبنان مركز حربي مهم، ولهذا ترى إسرائيل أنها ستبقى مهددة بالمخاطر مادام الجنوب تحت سيطرة غير اليهود، وفوق ذلك فهي بحاجة إلى مياه الليطاني، وقد حدثني شيخ فاضل زار الولايات المتحدة الأمريكية في أوائل السبعينات أن بعثةً إسرائيليةً تدرس هناك كيفية الاستفادة من مياه الليطاني قبل أن تندلع حرب لبنان الأهلية سنة ١٩٧٥.

وهضبة الجولان لا تقل أهميةً عن جنوب لبنان، بل كلاهما منطقة واحدة، والسيطرة على إحدهما دون الأخرى لا يحقق الهدف الذي تتوخاه إسرائيل، ومن الجدير بالذكر أن الجولان جزء من حوران ولهذا فمعظم الوثائق الإسرائيلية نصّت على ضرورة السيطرة على هذه المناطق.

٢- ليس هناك تعارض بين قولنا: إن إسرائيل مصمّمة على احتلال جنوب لبنان، وجنوب سورية- حوران-، وشرق الأردن. وقولنا إن إسرائيل تعمل على إقامة دويلات طائفية في المناطق الآنف الذكر.

لا تعارض بين القولين لأن إسرائيل لا تحب الدروز والنصارى والنصيريين ولا تعطف عليهم، وهي تهدف من وراء إقامة هذه الدويلات تفتيت وحدة العالم

الإسلامي، والدويلات في نظر إسرائيل قضية مرحلية لا تتعارض مع سياستها التوسعية، وأشار " بن غوريون " إلى ذلك بقوله:

"... وليس من المستبعد أن تُتاح لنا الفرصة الأولى للتوسع - عبر الحدود الشمالية- في منطقة جنوب لبنان المتاخمة للدولة اليهودية وذلك بالاتفاق الكامل مع جيراننا- أي الموارنة- وبركتهم لأنهم بحاجة إلينا".

ففي هذا التصريح ما يؤكد أن الدويلات الطائفية ليست شكلاً نهائياً، وإنما هي- كما قلنا أكثر من مرّة- خطوة مرحلية في سياسة إسرائيل التي ترى أن حدودها من الفرات إلى النيل.

وفي قول بن غوريون "لأنهم بحاجة إلينا" دليل على أن إسرائيل تخطّط من أجل أن تكون هذه الدويلات ضعيفةً متانحرةً، وكل منها يشعر أنه لا يستطيع الحياة دون مساعدة إسرائيل، وهكذا تصبح إسرائيل الدولة العملاقة في المنطقة، لأن الحكم في شريعة الغاب للأقوى.

٣- فيما عدا النقطتين السابقتين لا قيمة للخلافات والتناقضات الواردة في الوثائق.

- فتصريحات ريمون إده أراد أن يوضّح من خلالها أن هناك مؤامرةً تستهدف إقامة دويلات طائفيةً، وأن لبنان مسرح تنفيذ المؤامرة، وليس في تصريحاته صورة دقيقة عن شكل الدويلات الطائفية.

- والخلاف بين غوريون وشاريت خلاف في وسائل تنفيذ المؤامرة، وفضلاً عن ذلك فهو خلاف شخصي حول الأفضل.

- ووثيقة كنج تتحدّث عن دولة درزية، وكلّ ما ورد ذكره عن غير الدولة الدرزية جاء عرضاً.

ومن أهم هذه الوثائق: الوثيقة التي أعدتها الأركان العامة الإسرائيلية التي ذكرها كارانجيا في كتابه خنجر إسرائيل، ومطالب اللجنة الصهيونية التي ذكرها "إسرائيل سيف"، ومذكرات بن غوريون. والخلافات البسيطة بين هذه الوثائق ضرورة يقتضيها اختلاف الزمن والأحوال.

ثانياً- النظام النصيري وفكرة الهلال الخصيب:

مرّ معنا في القسم الأول من هذا الكتاب أن وحدة الهلال الخصيب فكرة إنجليزية، نشط في الدعوة لها النصارى البروتستانت، والحزب القومي السوري، والهاشميون، والدروز، والنصيريون، ومرّ معنا أيضاً أن دعاة الهلال الخصيب دبروا مؤامرة سنة ١٩٥٦، وكان على رأس المتآمرين العقيد- غسان جديد- أحد الزعماء النصيريين-.

ومما هو معلوم لدى المطلعين على الأمور في بلاد الشام أن الغالبية العظمى من النصيريين كانوا ينتسبون إلى الحزب السوري القومي، وبعد مقتل عدنان المالكي كانت منطقة جبال النصيرية من المناطق الموبوءة سياسياً في سورية.

وفي الثامن من آذار سنة ١٩٦٣ تخلّى النصيريون عن قوميتهم السورية، واعتنقوا القومية العربية وانتسبوا جملةً وتفصيلاً إلى حزب الأقليات الحاكمة، أعني حزب البعث العربي الاشتراكي تنفيذاً لوصايا ومقررات مؤتمر القرداحة سنة ١٩٦٠، ونجحوا فيما بعد في الإطاحة بشركائهم الناصريين والبعثيين من غير أفراد الطائفة، وانفردوا في حكم سورية.

ومن أجل وحدة الهلال الخصيب تسلّل النصيريون إلى العمل الفلسطيني عن طريق منظماتهم "الصاعقة"، وصاروا أوصياء على منظمة التحرير، لا يستطيع قادتها أن يتخذوا قراراً دون أن يأخذوا رأي نظام أسد في دمشق.

وأقام النظام النصيري أوثق العلاقات مع النظام الهاشمي في عمّان، وبعد عقد عديد من الاجتماعات بين النظامين قرّروا توحيد مناهج التعليم وبعض الأمور الاقتصادية والأمنية، ثم أعلنوا أنهم سيعلمون وحدةً بين البلدين.

وكانت الحرب الأهلية اللبنانية فرصة الجيش النصيري الذهبية لدخول لبنان وإنجلترا، وفرنسا، والاتحاد السوفياتي، والدول العربية، ومعظم دول العالم.

وجاء التدخل بعد أن دارت الدائرة على الموارنة، وصاروا هدفاً للقوات اليسارية والوطنية التي نجحت في السيطرة على معظم لبنان، وراحت القوات الوطنية تدك تحصينات الموارنة في عقر دارهم في جونبة وبعبداء والدامور.

وساهمت القوات النصيرية في مذبحة "تل الزعتر، وجسر الباشا" ونجحت في تفريق صف القوات الوطنية، وتقليم أظافر القوات الفلسطينية وتحت حماية القوات النصيرية شق "بيار الجميل" مطاراً دولياً على بُعد عشرة أميال إلى الجنوب من طرابلس، وأشاد حليف النظام النصيري "سليمان فرنجية" إذاعةً أضخم من إذاعة الجمهورية اللبنانية، وتحولت الحركة الاقتصادية من ميناء بيروت إلى ميناء جونبة الذي يسيطر عليه الكتائبون، وفوق ذلك كله أقام النصاري واليهود دولة "سعد حداد".

وخلاصة القول: شهدت سورية تحركاً مريباً في عهد حافظ أسد، كان الغرض منه السيطرة على دول سورية الكبرى... وننقل فيما يلي مجموعةً من الأدلة التي صدرت عن مسؤولين عرب تدعم وجهة نظرنا.

- قال ريمون إده-أحد أقطاب الموارنة في لبنان:-

إن سورية والولايات المتحدة يعملان من أجل دويلات طائفية، وقال أيضًا: إن السفير الأمريكي "دين براون" طلب منه أن يقبل دعوة قوات سورية إلى لبنان إذا فاز برئاسة الجمهورية^(١).

- وقال جنبلاط:

"قال حافظ الأسد لياسر عرفات: إنكم تحقدون كثيرًا على سليمان فرنجية، لكن فلتعلموا أنه الرئيس اللبناني الوحيد الذي يقبل بتوحيد بلاده مع سورية فورًا إذا ما طلبت إليه ذلك"^(٢).

وفي شهر رجب من عام ١٣٩٦ هـدّ رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر بكشف أوراق مازالت مطوية... وتساءل الناس في العالم العربي عن أسرار قبلة عرفات السياسي التي فجّرها في اجتماع سري لوزراء خارجية الدول العربية. وبعد أيام لجأت منظمة التحرير الفلسطينية إلى تسريب بعض ما قصده عرفات، قال أصدقاء المنظمة: لقد صرّح حافظ أسد في اجتماع له مع الرئيس الجزائري السابق هواري بومدين، وفي اجتماع آخر له مع رئيس الوزراء الليبي الرائد عبد السلام

(١) نشرت الصحف اللبنانية تصريح إده في ٢٢-٥-١٩٧٧. والدويلات الطائفية التي أشار

إليها إده تكون ضمن وحدة سورية الكبرى كما سيأتي بعد قليل.

(٢) هذه وصيتي، كما جنبلاط، ص ٢٠.

جلود... قال الأسد في هذين الاجتماعين:

إنه عازم على ضمّ لبنان إلى سورية كخطوة أولى من أجل تحقيق سورية الكبرى. ولعل تصريح الأسد هو الذي دفع جلود- أثناء حصار تل الزعتر- إلى الإدلاء بالتصريح التالي:

"إن لبنان يتعرّض لمؤامرة تتجاوز بكثير النطاق اللبناني، وهذه المؤامرة ذات طابع دولي يشترك فيها جميع العرب، واختير لبنان ليكون مسرحاً تجري فوق أرضه هذه المؤامرة، واختير الجيش السوري لتنفيذها بعد أن اتضح فشل القوى الانعزالية في إنجازها"^(١).

وبعد مذبحه تل الزعتر قام وزير خارجية نظام "أسد" بزيارة إلى الكويت، وأجرى لقاءً فيها مع الصحف قال فيه:

"إن لبنان جزء من سورية والحلّ الأمثل أن يعود كما كان."

وبعد هذه التصريحات نأى إلى استقصاء رأي الدوائر السياسية في بلاد الغرب، وقديماً قيل:

(١) كفانا «عبد السلام جلود» مؤونة الرد عليه عندما قال عن المؤامرة «يشترك فيها جميع العرب» والنظام الليبي جزء من العرب، ولقد كان لنظام جلود- أوثق العلاقات مع نظام دمشق الذ وصفه بمنفذ المؤامرة... ومما يجدر ذكره أن الأيام التي تلت تصريح جلود كشفت كثيراً من مؤامرات وجرائم هذا النظام.

"وعند جهيئة الخبر اليقين".

- كتبت "الفايننشال تايمز" البريطانية بتاريخ ١٩ فبراير ١٩٧٦ تحت عنوان [خطوة دمشق نحو سورية الكبرى]:^(١)

"نفيد الأنباء الواردة من واشنطن أن دمشق تقترح إقامة اتحاد سورية الكبرى كحل محتمل للنزاع الدائر حالياً في الشرق الأوسط، وقد أكبّ المسؤولون في واشنطن على دراسة هذه التقارير رغم اقتناعهم بأن ردود الفعل إزاء هذه الاقتراحات لن تجد فرصةً كبيرةً للظهور.

وتقول التقارير المذكورة أن سورية وضعت في اعتبارها إقامة اتحاد تتزعمه بنفسها ويضمّ كلاً من سورية والأردن والدولة الفلسطينية الجديدة في الضفة الغربية.

وتساور الشكوك نفوس العاملين في وزارة الخارجية الأمريكية حول إمكانية وجود تفاهم بين هذه الجهات الثلاث إلى درجة تنفيذ مثل هذه الخطة بعد تجاوز المراحل الأولية لها".

(١) كبريات الصحف عندما تنقل معلومات عن تقارير واردة إليها من واشنطن يعني أنها تنقل معلومات واردة من مصادر مطلعة في المخابرات الأمريكية لا سيما إذا كانت التقارير تتحدث عن الإدارة الأمريكية وعن تقارير واردة إليها... وهذا نوع من الأنواع التي تتعامل المخابرات بها مع الصحف في أمريكا وغيرها، ويكفي أن نعلم أهمية الصحف والجهة الرسمية التي تتعامل معها وهجتها في صيغة المبني للمجهول.

ومن الجدير بالذكر أن الصحيفة البريطانية نشرت هذا الخبر في وقت كانت فيه علاقات الأردن مع سورية قوية، وكان الجانبان يتحدثان عن وحدة قريبة بين البلدين، ولكن إدارة البيت الأبيض التي تعلم خفايا أمور عملائها كانت تتوقع عدم استمرار هذا التعاون.

- كتب "جيمس مورا" مراسل الوطن العربي في واشنطن يقول:

"إن أنباء تسربت من الخارجية الأمريكية تقول:

إن الخبراء المختصين في وزارة الخارجية الأمريكية يدرسون احتمال قيام دول طائفية مارونية، وأخرى إسلامية في نطاق اتحاد محلي مرتبط مع سورية"^(١).

ومجلة الوطن العربي التي نشرت الخبر السابق سبق أن نشرت دراسة خطيرة لمشروع سورية الكبرى التي يعمل النظام النصيري في دمشق من أجل وجودها. وذكرت الوطن العربي أن المشروع سيكون على شكل [كانتونات] مجردة من السلاح تحت حماية النظام النصيري، ولكن المجلة أشارت إلى تحوُّف السعودية من هذا المشروع ومعارضتها له، وتعود هذه المعارضة لأكثر من ثلاثين عامًا خلت.

- بعد زيارة السادات للقدس المحتلة أجرت صحيفة المنار الصادرة في لندن لقاءً مع الدكتور والمستشرق الفرنسي الشهير المؤرِّخ "جاك بيرك" الذي يعمل

(١) انظر مجلة الوطن العربي الصادرة في باريس العدد رقم [٧٣].

أستاذاً في جامعة "جورج تاون" في واشنطن - ولأستاذة بعض الجامعات الأمريكية باع واسع في تنظيم سياسة الولايات المتحدة -.

وفي هذه المقابلة نادى [جاك بيرك] بوحدة الهلال الخصيب، شريطة أن تكون هذه الوحدة قائمة على أساس الاشتراكية العربية، كالاشرائية التي ينادي بها كمال جنبلاط وميشيل عفلق والاشترائية الجزائرية .

- أخرج حافظ الأسد أخاه السادات فأغضبه غضباً دفعه إلى إصدار التصريح التالي:

"أقولها بمنتهى الوضوح: فقد أطلعني [سايروس فانس] وزير خارجية أمريكا في العام الماضي في [جانا كليس] على تعهد من [بيغن] رئيس وزراء إسرائيل بأن عليه التزاماً أخلاقياً بحماية المارون وبعض المسلمين في جنوب لبنان... أي إن هناك اتفاقاً بين كميل شمعون والأسد وبيغن على قيام الدولة المارونية بضمّان إسرائيل .

وقد قرأت بنفسني طلب الزعماء الموارنة شركاء كميل شمعون وقرأت موافقة بيغن على ذلك (١) .

(١) تعاون إسرائيل مع الموارنة لم يعد سراً من الأسرار، ولم يعد الموارنة يخجلون من الحديث عن هذا التعاون، ففي الصفحات الماضية أشرت إلى بعض الأدلة، وها هو بيغن يعلن في كل مناسبة أنه مسؤول عن حماية المسيحيين في لبنان، ويزعم سليمان فرنجية أن سبب خلافه مع الكتائب ما بينهم وبين إسرائيل من تعاون... ولهذا لا نرى حاجةً لذكر الأدلة التي تؤكد وصول بواخر أسلحة

وقال السادات أيضًا:

"هل يجرؤ الرئيس البعثي الرفيق الأسد على أن يصارح مؤتمر القمّة ببقية أهدافه في لبنان وغير لبنان؟! "

"هل في نية الرئيس البعثي الرفيق الأسد أن يقيم الدولة العلوية. ونحن نعلم أن حكم البعث السوري علوي أولاً وبعثي ثانيًا وسوري ثالثًا؟! "

"وإذا قامت الدولة المارونية والدولة العلوية هل يجرؤ أحد مهما كان بعثيًا متهوّسًا أن يقول لنا: إن هذا الذي حدث هو توحيد للصف العربي؟! "

تم تحدث السادات عن مشروع إقامة سورية الكبرى الذي يعمل له الأسد وطائفته، ويضم هذا المشروع ما بقي من لبنان بعد قيام الدولة المارونية، والأردن، والدولة الفلسطينية، وربما كان هذا المشروع سببًا من أسباب ابتعاد الملك حسين عن سورية"^(١).

وفي ختام ذكرنا لهذه الشواهد والادلة أجد نفسي مضطرًا لتسجيل الملاحظات التالية:

من إسرائيل إلى جونية وتدريب الموارنة في إسرائيل، وزيارة شمعون وبشير الجميل لتل أبيب.

(١) انظر صحيفة أكتوبر المصرية تاريخ ٢٦/٣/١٩٧٨.

١ - قال السادات في مطلع تصريحه: إن فانس أطلعه على تعهد من بيغن بحماية المارون وبعض المسلمين في جنوب لبنان. والذين أساهم السادات "بعض المسلمين" هم الباطنيون، ومن مصلحة نظام بيغن أن يحميهم لأنهم تعاونوا مع اليهود أولاً وثانياً، كما تعاونوا مع الموارنة ومع النظام النصيري في سورية. ولقد ذاق المسلمون الفلسطينيون الويلات من غدر رافضة الجنوب وخيانتهم وتناقض أقوالهم ومواقفهم... فكيف لا يتعهد بيغن بحمايتهم!؟

٢ - ليس هناك تعارض بين حديث السادات عن مشروع سورية الكبرى الذي يعمل له الأسد، والدويلات الطائفية لأن هذه الدويلات ستكون على شكل [كانتونات] داخل سورية الكبرى.

٣ - إذا كانت الدويلات الطائفية غير مقبولة عند الناس لأنها صورة من صور التخلف والهمجية، ورمز للانفصال والتجزئة... أقول: إذا كان الأمر كذلك فنظام أسد الباطني في دمشق سيجعل لها وجهًا وحدويًا، ومن عادة الناس في البلاد العربية الترحيب بكل عمل وحدوي!!

٤ - سيقوم هذا الاتحاد على أساس ثوري اشتراكي كاشتراكية عفلق وجنبلاط وبومدين - على حد قول جاك بيرك - ، وستخرج المظاهرات وتُعقد الندوات، ويهتف الجميع بسقوط الرجعية والإقطاع والرأسمالية، ومن العيب أن يفهم دهماء الناس أن اليهود هم الذين صنعوا الاشتراكية كما صنعوا الرأسمالية.

إن من عادة العامة التصفيق للأبطال الثوريين الاشتراكيين ، مع أن أمتنا وصلت إلى السفح الهابط في ظل هذه الدعوات المنكرة.

٥ - سيكون النظام الجديد- سوريا الكبرى- مسؤولاً أمام الولايات المتحدة الأمريكية ، وأمام إسرائيل بشكل أخص عن تأديب المسلمين الفلسطينيين ، وفرض الاستسلام عليهم، ومنعهم من الجهاد من أجل تحرير بلدهم، وسيغلف منعه بثوب وحدوي اشتراكي ثوري، كذلك الثوب الذي لبسه داعية مشروع سورية الكبرى - حافظ الأسد- وهو يخاطب ياسر عرفات:

"إنكم لا تمثلون فلسطين بأكثر مما نمثلها نحن. ولا تنسوا أمرًا إنه ليس هناك شعب فلسطيني، وليس هناك كيان فلسطيني بل سورية!!، وأنتم جزء لا يتجزأ من الشعب السوري، وفلسطين جزء لا يتجزأ من سوريا. وإذا فإننا، نحن المسؤولين السوريين الممثلون الحقيقيون للشعب الفلسطيني" (١).

وخلاصة القول : لقد حقق حافظ الأسد انتصارًا كاسحًا على خصومه داخل الطائفة، واجتمعت عليه كلمتهم، وهم معه في الدعوة إلى وحدة سورية ولبنان والأردن والجزء الذي تتخلى عنه إسرائيل من الضفة الغربية.

(١) هذه وصيتي، كمال جنبلاط، ص: ١٠٥، وقال جنبلاط إن حديث أسد مع عرفات كان في

وإذا عجز الأسد عن تحقيق حلمه - سورية الكبرى-، وتعدّز عليه الاستمرار في إحكام السيطرة على رقاب المسلمين من سكان سورية فالبدل عنده جاهز، فمئذ وصول النصيريين إلى حكم سورية وهم يبنون المؤسسات والمنشآت العامة في اللاذقية وسائر مدن الساحل، ونجحوا في تنظيم هجرة من قرى الجبل النائية إلى مدن الساحل وحمص فصاروا أكثرية في معظمها.

لقد بنوا جامعة اللاذقية ومرفأً في طرطوس، وأقاموا مشاريع للري واستصلاح الأراضي، ونظّموا شبكات للطرق، أما الجيش فكلّهم عسكريون وسيقتلون إلى الجبل بجندهم وأسلحتهم ويعلنون سيطرتهم على ساحل سورية كله والعياذ بالله مما يدبرون.

ثالثاً: الموارنة:

عند حديثنا عن نصارى بلاد الشام في القسم الأول من هذا الكتاب: بينا شدة عداوتهم للإسلام والمسلمين، وسرعة انضمامهم ووقوفهم في صف كلّ مستعمر دخيل، وسعيهم المتواصل من أجل الاستقلال بلبنان والانطلاق منه إلى بقية دول المشرق الإسلامي، ولم يتردّد في الإفصاح عن هذه الرغبة جميع الزعماء النصارى المتعاقبين على مدى التاريخ، ومنهم على سبيل المثال بطريك الموارنة "انطوان عريضة" عام ١٩٣٣ حينما تحدث إلى مراسل جريدة المقطم قال:

"إن المسيحيين لم يبق لهم وطن في الشرق كلّه إلا لبنان إزاء بقية الأوطان الأخرى ولاسيما وقد لجأ إلى لبنان أغلب بطاركة المسيحيين، وإذا قلنا لبنان وطن

مسيحي فلا ينبغي ذلك كونه وطنًا لكل من يقطنه من باقي الطوائف" (١).

ومواقف زعماء النصارى في لبنان من مؤامرة الدويلات الطائفية لا تختلف عن مواقفهم الخيانية في جميع حقب التاريخ ومراحله. إنهم يتفقون في أمور ويختلفون في أمور أخرى، ومن الأمور التي يتفقون عليها:

- أن يكون رئيس الجمهورية منهم، وأن تكون له صلاحيات واسعة بموجب الدستور.

- أن تكون الأكثرية في مجلس الأمة اللبناني منهم ولو كانوا أقل عددًا من غيرهم.

- أن يكون منهم قائد الجيش، وقائد قوات الأمن ووزارة الدفاع.

- أن يكون لهم الإشراف الكامل على سياسة التجنيس والجوازات، فيحجبون الجنسية عن أهل لبنان - كعرب وادي خالد وغيرهم - ويمنحونها للمهاجرين الأرمن ولكل نصراي يستوطن في لبنان.

- السيطرة التامة على الجامعات والمعاهد العلمية، وسائر المؤسسات والمرافق الاقتصادية المهمة.

(١) جريدة صوت الأحرار، ١٩ آذار ١٩٣٣ عن [مجلة الفكر الإسلامي اللبنانية، السنة السابعة، العدد الخامس، جمادى الأولى عام ١٩٣٨]. وفي القسم الأول من هذا الكتاب أدلة كثيرة أكثر صراحةً من تصريح انطوان عريضة .

- ضرورة إخراج الفلسطينيين من لبنان.

- السيطرة على الساحل والأماكن السياحية المهمة، والسعي من أجل أن يكون لبنان القديم بأيديهم.

ويختلفون في الأمور التالية:

متى يجب أن تقوم دولة لبنان القديم؟! هل من مصلحة دولتهم المرتقبة الانفصال نهائياً عن الدول العربية؟! من منهم سيتولى زعامة دولة الموارنة؟! وهم في ذلك أقسام من أهمها ما يلي:

١ - كميل شمعون: وهو يعمل من أجل إقامة دولة مارونية تشمل لبنان القديم، ويرى التعاون المطلق مع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وسائر دول أوروبا الغربية، وقد زار إسرائيل والولايات المتحدة لهذا الغرض، ولا ينجل من رفع شعار الانفصال التام عن البلاد العربية والجامعة العربية لأنه لا يرى أي رباط يربطه بالعرب، وفضلاً عن ذلك فكميل شمعون يطمح أن يكون رئيساً للدولة المارونية، وأن تكون هذه الرئاسة ملكاً لأبنائه من بعده.

٢ - سليمان فرنجية: وهو مؤمن بضرورة سيطرة الموارنة على لبنان، وبشكل أخص لبنان القديم، لكنه يرى أن تكون هذه الدولة ضمن إطار سورية الكبرى، وأن يقوم اتحاد شكلي بينها وبين سورية، وتعاونه مع حافظ الأسد والنظام النصيري يضمن لسليمان فرنجية رئاسة هذا الكانتون.

ومن الجدير بالذكر أن بين آل فرنجية وآل الأسد روابط قديمة كانت سبباً في وقوف حافظ الأسد إلى جانبه في حرب لبنان.

٣- الكتائب: يرى حزب الكتائب أن التقسيم ليس في مصلحة الموارنة لأنهم سينسحبون عن نصف لبنان، وستصبح المناطق الإسلامية أكثر حرية في التعامل مع الأكثرية الإسلامية في المنطقة- أي البلاد العربية - ، وأشد تحالفاً على لبنان والحضور المسيحي فيه.

ويؤيد الكتائبون اللامركزية الإدارية أو الفدرالية شريطة أن تُعزز صلاحيات رئيس الجمهورية، وأن تتم سيطرة النصارى على مختلف مرافق الدولة الأمنية والإدارية والفنية، ويطالبون بوضع خطة تضمن سيطرة المسيحيين على مختلف لبنان لتكون الدولة المقبلة تشمل لبنان الكبير وليس القديم. ومن مخططات الكتائبين المرحلية إقامة قرى استراتيجية، والاحتفاظ بالمناصب الرئيسية، ومنع تسلل الغرباء، وإحياء الوجود المسيحي في المناطق الأخرى^(١).

٤- النصارى من غير الموارنة: ينادي معظمهم بالحكم اللامركزي ، ويعارضون التقسيم للسببين الآتين:

أ- يخشون من تسلط الموارنة وبطشهم إذا أصبح للنصارى دولة، ويعلم

(١) هذه خلاصة وثيقة سرية تقدّم بها الكتائبون للجهة اللبنانية، نشرتها الوطن العربي

الصادرة في باريس بتاريخ ٢٠/١/١٩٧٨.

نصارى لبنان تعصب الموارنة العرقي الذي لا يختلف كثيرًا عن تعصب اليهود، ويضاف إلى هذا أن الموارنة يعتقدون أن الله اختارهم لحكم لبنان، وغيرهم لم يُخلق إلا لخدمتهم.

ب- للنصارى شركات ومصالح رهيبه في دول الخليج وشبه الجزيرة العربية، ويخافون من موقف عربي يعصف بمصالحهم في الدول العربية إذا حدث التقسيم، كما أنهم يخشون على مستقبل لبنان المسيحي إذا قاطعته الدول العربية.

وجملة القول: فإن كلمة الفصل في لبنان بيد الكتائبين لأنهم أكبر قوة مسلحة، وقد سيطروا على الشارع الصليبي، وأسكتوا معارضة كميل شمعون، كما قضوا على خصمهم العنيد "طوني فرنجية".

ووجهة نظرهم فيها بعد نظر وتخطيط دقيق يشبه إلى حد بعيد تخطيط اليهود في فلسطين الذي سبق قيام دولتهم، ولن يتردد الكتائبون في إقامة دولتهم إذا تعهد اليهود ومن ورائهم بتقديم يد العون والمساعدة لهم، وتبقى القضية عندهم قضية زمن.

رابعاً: الدروز:

مرّ معنا ارتباط الدروز بسياسة الإنجليز في بلاد الشام منذ أكثر من قرن ونصف، كما مرّ معنا أثر اليهود في توجيه سياسة الإنجليز، بل كان منفذو هذه السياسة في فلسطين يهوداً [صموئيل ومساعدوه]، وكان يهتمهم بالدرجة الأولى مصالح اليهود، وإذن فلقد كان للدروز صلات وثيقة مع اليهود وكانت هذه

الصلوات تزداد يوماً بعد يوم، ولهذا السبب ركّز الزعماء اليهود على الدولة الدرزية في وثائقهم المهمة.

ومرّ معنا أيضًا أن الدرّوز يعملون منذ القديم من أجل إقامة دولة درزية، وتمّ لهم ذلك في جبل حوران سنة ١٩٢٠ بناءً على إجماع رأي قيادتهم الدينية والسياسية. والذي يدفع الدرّوز إلى إقامة هذه الدولة عدم ثقتهم بغير أبناء طائفتهم، وجنوحهم إلى العزلة وحب الاستقلال.

وأحسب أن القيادة الدرزية لا تتفق على شيء كاتفاقها على قيام دولة درزية، ولا يغرّنك سياسة توزيع الأدوار بين القيادات، وتمثيل بعضهم لدور الأبطال الوطنيين الثوريين الذين يجارّبون كل مستعمر يريد شرّاً للوطن العربي.

وإذا كان موضوع الدولة عند الدرّوز لا خلاف عليه يبقى أن نتحدّث عن شكل هذه الدولة وحدودها.

ومن الجدير بالذكر أن هناك مشكلة تواجه الدرّوز في جبل لبنان - الشوف -، وهذه المنطقة يستमित الموارد من أجل السيطرة عليها، وعددهم أكثر من عدد الدرّوز كما أن إعدادهم أقوى وأمتن. والتاريخ يحدثنا باستحالة تعايش الدرّوز مع الموارد، ورغم اتفاق الدرّوز مع اليهود سنة ١٩٦٧ - حسب وثيقة كنج - على أن تكون الشوف وخلدة على البحر المتوسط جزءاً من هذه الدولة، مع ذلك أستبعد تحقيق ذلك، وحلّ هذه المشكلة يكون بهجرة الدرّوز من جبل لبنان إلى الجولان وبقية المناطق التي تدخل ضمن حدود الدولة الدرزية المرتقبة، وقد أشار إلى

موضوع هجرة الدروز من لبنان الزعيم الدرزي "وليد جنبلاط" في قوله:

"هناك مخطط يهدف إلى حمل الدروز - يعني الذين يسكنون منهم لبنان - على الهجرة وبث الفرقة، وإشاعة التوتر بينهم" (١).

أما حدود الدولة الدرزية فتضم معظم الجولان، وهوران، وجبل حوران - أي جبل الدروز - ، وتدمر، والصحراء التي تمتد بين تدمر واللجاة والجبل والأردن والعراق، وتضم أيضاً القرى الدرزية التي تقع في غوطة دمشق وقطنا .

وجيش هذه الدولة يجري إعداده منذ زمن طويل، ففي لبنان أنشأ كمال جنبلاط جيش فخر الدين، وفي فلسطين المحتلة كتائب درزية يُعدّها اليهود لهذا الغرض، وفي سورية تنظيم عسكري درزي لا يُستهان به سواء في إطار الجيش أو في جنوب سورية - في جبل حوران - ويملكون أسلحة متنوعة. وهم يرقبون أحداث المنطقة بحذر، ويستغلّون كلّ ظرف مناسب، ويتجنّبون أي صدام مع الأنظمة. إنهم بحق يمرون في مرحلة الصمت التي تسبق العاصفة.

وستكون هذه الدولة - نسأل الله أن لا ترى النور - بمثابة حزام أمني يحيط بإسرائيل وعزلها عن سورية، كما أنها ستعزل الأردن والخليج وشبه الجزيرة عن سورية ولبنان.

(١) السياسة الكويتية: ١٢-٥-١٩٧٧.

وسيجد المسلمون السُّنة أنفسهم وسط جزيرة يحيط بها العدو من كل جانب، ويصعب عليهم - إن لم يخططوا منذ الآن - الصمود أمام الدروز واليهود والولايات المتحدة من ورائها.

والدولة الدرزية لا تملك اقتصادًا متينًا، وهذا يعني أنها ستكون عند إسرائيل دولةً مرتزقةً تشعر بحاجتها إلى أوامر قادة تل أبيب في كلِّ حركة ومرحلة، قد يفكّر الموارنة أو النصيريون بالاستقلال عن إسرائيل أما الدروز فلن يستطيعوا، ولن تظهر منهم أية بادرة تمرد ضد أسيادهم وأولياء نعمتهم اليهود.

خامساً - الولايات المتحدة الأمريكية :

ورثت الولايات المتحدة الأمريكية الدور الذي كانت تلعبه كل من إنجلترا وفرنسا في بلاد الشام، مع تجديد طفيف في الأسلوب، وتغييرات يسيرة في الإخراج. وبعد التحريف والتغيير بنت الولايات المتحدة سياستها في المنطقة على الويلتين التاليتين:

١- دعم سياسة إسرائيل العدوانية التوسعية، وتقديم كلِّ عون مادي وعسكري وسياسي لها. ومما تقدّمه الولايات المتحدة لإسرائيل استخدامها حق الفيتو في مجلس الأمن ضد كلِّ قرار يدين به العالم وحشية إسرائيل، وتقدّم الولايات المتحدة لها أحداث أنواع الأسلحة، وكثير منها يصل جيش إسرائيل قبل أن يصل الجيش الأمريكي، وتقدّم لها أيضًا الدعم المادي الذي يسدّ عجزها الدائم منذ عام ١٩٤٨.

٢- تسعى الولايات المتحدة إلى تفتيت العالم الإسلامي وتجزئته إلى دويلات طائفية متصارعة متناحرة.

- ومن أجل هذا فجرت الوضع الداخلي في لبنان سنة ١٩٧٥، والأدلة على ذلك كثيرة ذكرنا بعضها فيما مضى وسنذكر بعضها الآخر في القسم الثالث من هذا الكتاب، ومن هذه الأدلة اعتراف كيسنجر الذي ورد في رسالته التي بعث بها إلى ريمون إده.

- ومن أجل قيام دويلات طائفية لعبت الولايات المتحدة دورًا خطيرًا في سقوط شاه إيران محمد رضا بهلوي وقيام دولة آيات قم ومشهد وطهران^(١).

ومن الخطوط العريضة في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية دعم وتشجيع زعماء الطوائف، ودفعها إلى صنع كيانات طائفية. ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

- زار بابا الأقباط في مصر "شنودة" الولايات المتحدة سنة ١٩٧٧، ورحّب به الرئيس الأمريكي السابق "كارتر" أشدّ ترحيب، وأجرى معه محادثات لم يُكشف النقاب عنها، ولم تعلن مصادر البيت الأبيض إلا عن تقديم مساعدات للبابا شنودة لتأسيس جامعة للأقباط في مصر.

- لجأ الملا مصطفى البرزاني إلى الولايات المتحدة بعد أن فشلت ثورته في

(١) من شاء أن يطلع على دور أمريكا في ثورة رافضة إيران فليعد إلى كتاب "وجاء دور

العراق، وما تزال الولايات المتحدة تتخذ من أنصار البرزاني بعد هلاك قائدهم ورقةً تستخدمها للضغط على حكام العراق^(١).

- نشرت صحيفة الوطن الكويتية في ٧ نوفمبر ١٩٧٧ خبراً مفاده أن اجتماعاً عقدته مخابرات الولايات المتحدة الأمريكية مع زعماء الطوائف في دول الشرق الأوسط.

ومما لا شك فيه أن الولايات المتحدة كانت على صلة مع زعماء الطوائف فوزير الخارجية الأمريكية الأسبق "هنري كيسنجر" ونوابه كانوا على اتصال مستمرّ بهم، ويذكر "كمال جنبلاط" في كتابه "هذه وصيتي" بعضاً من هذه الاتصالات، أما اجتماعاتهم مع زعماء الموارنة وزعيم النظام السوري "حافظ الأسد" فكانت علنيةً تتناولها الصحف ووكالات الأنباء.

يذكر كمال جنبلاط أن الرئيس النصيري حافظ الأسد قال له:

"إن أمريكا وإسرائيل لن تسمحوا بالحلّ العسكري - أي انتصار القوات الوطنية واليسارية على القوات الكتائبية -، وستدخلن لمنع القوة، وأن سورية ستدخل في لبنان لمنع الحسم العسكري والأمريكان موافقون على التدخل السوري"^(٢).

- نشرت صحيفة "الميرالد تريبون" البريطانية في عددها ٧ نوفمبر ١٩٧٧

(١) تحدثنا عن دور كلٍّ من أمريكا وإسرائيل في دعم البرزاني في القسم الأول من هذا الكتاب.

(٢) هذه وصيتي، والقبس ٢٨/٩/١٩٧٦.

مايلي:

"إن التعامل مع سكان منطقة الشرق الأوسط يتم ليس باعتبار الدول القائمة بل على أساس الأقليات الدينية.

فمصر ليست مكونة من شعب مصري واحد متجانس بل مكونة من أقباط ومسلمين، ويؤكد الكاتب أن الولايات المتحدة تشجع تقسيم مصر إلى دولتين واحدة إسلامية وثانية مسيحية. وإن لبنان لا بد أن يحافظ على وضعه الحالي المكوّن من ثلاث أقليات: مارونية وسنة ودرزية حتى يحين الوقت المناسب" (١).

- بناءً على تكليف من إدارة البيت الأبيض قام "ميكيل رايسمان" الأستاذ بكلية الحقوق بجامعة "يال" الأمريكية بدراسة لمشكلة الشرق الأوسط، وكان من النتائج التي انتهى إليها قوله:

"وبالنسبة للجزولان: إن منطقة الجزولان تقطنها أغلبية من الدروز، وهؤلاء الدروز لا يمتون إلى العرب بأية صلة، ولهذا يقترح [رايسمان] إنشاء دولة درزية في هذه المنطقة تحت وصاية الأمم المتحدة، ويشرف اليهود على هذه الوصاية" (٢).

- في وثيقة "كنج" ورد أن الولايات المتحدة رصدت مبلغ ٣٠ مليون دولار

(١) المقطع جزء من مقال كتبه «سولز برغر» تحت عنوان: الخطة الأمريكية إزاء قضية الشرق الأوسط.

(٢) فن الممكن وهو كتاب لميكيل رايسمان انظر المجتمع العدد تاريخ ٢٥-٨-١٣٩٥، وبيننا فيما مضى بطلان قوله بأن الدروز أكثرية في الجزولان.

للبدء بتهيئة الأجواء لتنفيذ المخطط، أي من أجل إقامة دولة درزية وأخرى مسيحية وثالثة نصيرية ورابعة كردية.

- في رسالة "ريمون إده" التي وجهها إلى كيسنجر اتهام للولايات المتحدة بأنها وراء ثورة لبنان، وأنها تسعى لإقامة دويلات طائفية في المنطقة.

بل وفي معظم حديثنا السابق برز دور الولايات المتحدة في الفتنة الطائفية بشكل سافر، ولن يهدأ لها بال ويقرّ لها قرار إلا إذا رأت العالم الإسلامي ممزّقاً شذراً مذبذباً، وستمضي في كيدها ودسائسها حتى تحقق بغيتها.

وخلاصة القول: إن لكل طائفة أطماعاً وأهدافاً تختلف عن أطماع الطوائف الأخرى وتتعارض معها، وهذا التعارض يخدم سياسة الولايات المتحدة الأمريكية التي تحرص على استمرار الصراع والتناقضات في المنطقة، وفي مثل هذه الأجواء المتوترة يشعر كل طرف بشدة حاجته إلى الولايات المتحدة، ويسعى بمختلف الوسائل والأسباب لإرضاء سادة البيت الأبيض.

أما الكلمة الفاصلة في مؤامرة الدويلات الطائفية فهي لإسرائيل لأنها تستطيع الضغط على الولايات المتحدة وإرغامها على اتخاذ الموقف الذي يخدم مصالح اليهود في المنطقة. ومن جهة أخرى فإسرائيل أقوى دولة في هذه الأجواء المحمومة، وستبقى متفوقةً إلى أن يهيء لهذه الأمة من يردّ إليها أمر رشدها ويقودها إلى طاعة الله والتزام دينه.

استدراك:

عند الحديث عن المؤامرة الطائفية تُثار كثير من الأسئلة من أهمها مايلي:

كيف نوفق بين التكتل الطائفي، والصراعات التي تحدث داخل الطائفة، أليس من شروط هذا التكتل أن يقف جميع أبناء الطائفة صفًا واحدًا؟!

كيف تفسر الصراعات والمعارك التي تنشب بين النصيريين والدروز، أو بين الموارنة والدروز، أو بين اليهود وإحدى هذه الطوائف؟!

ومن السذاجة المفرطة أن يظن بعض الناس أن اليهود يحبون الدروز أو الموارنة أو النصيريين، فاليهود لا يحبّ بعضهم بعضهم الآخر فكيف يحبون غيرهم؟!، فالقضية عبارة عن مصالح يسعى إليها قادة الطوائف، والقاسم المشترك الأعظم الذي يجمع بين كل طائفة واليهود عداوتهم للإسلام والمسلمين، وسيأتي حين من الزمن يتقاتل الدروز مع الموارنة أو الموارنة مع اليهود أو النصيريون مع الدروز وقد حدث كثير من هذا في التاريخ القديم والحديث.

أما عن الصراعات داخل أجنحة كلّ طائفة فليس مستغرباً لأنهم بشر، ومن طبيعة الناس الاتفاق حيناً والاختلاف حيناً آخر، وإذا كنا لا نستغرب الخلافات التي تحدث بين المسلمين وهم دعاة حق، فكيف نستغرب ونستبعد الخلافات التي تقع بين دعاة الباطل؟!

وقد يظن بعض الناس أن هذه الخلافات وهمية لا أصل لها. والذي أراه أن في مثل هذا القول شيئاً من حسن الظنّ بدعاة الباطل ولا أشك فيما بينهم من خلافات.

إن الصراع بين آل جنبلاط وآل يزبك موغل في القدم، وهما من الدروز، كما أن الصراع بين آل الأطرش والدروز الشعبيين له جذور قديمة.

ووقع صراع فعلاً بين حافظ الأسد ومحمد عمران داخل الطائفة النصيرية انتهى باغتيال الآخر، ثم وقع صراع بين آل الأسد وآل جديد حسمه حافظ الأسد باعتقال صلاح جديد وأنصاره وتمت له السيطرة الكاملة داخل الطائفة وخارجها.

وقد يتفق قادة الطائفة على تنحية الأسد إن كان في ذلك مصلحة لهم، بل وقد يرى بعضهم قتله لينقذ الطائفة من هلاك محقق.

ووقع صراع داخل الطائفة المارونية بين الكتائب وأنصار سليمان فرنجية، وفقد الأخير ابنه [طوني] وزوجة طوني وأولاده في إحدى هذه المعارك.

ووقع صراع بين الكتائب وأنصار كميل شمعون انتهى لمصلحة الكتائب وتمت لهم السيطرة على الشارع المسيحي وكان في ذلك قوة للموارنة.

ولكن الذي نقوله ونستغربه: كيف يتحد دعاة الباطل رغم ما بينهم من خلافات إذا كان العدو من غير طائفتهم ولا يتحد أهل الحق ودعاة الإسلام وهم يرون أن ملل الكفر قد اجتمعت عليهم؟!!

القسم الثالث

دور حافظ أسد في المؤامرة

الفصل الأول: أرومة حافظ الأسد.

الفصل الثاني: سقوط الجولان.

الفصل الثالث: اتفاق فصل القوات في الجولان.

الفصل الرابع: دور أسد في الحرب اللبنانية.

الفصل الأول

أرومة حافظ الأسد

- دراسة ظاهرة أسد:

أولاً - أرومته الطائفية.

ثانياً - أرومة الأسد الحزبية.

أرومة حافظ الأسد

دراسة ظاهر أسد:

لا يداخلني شك ولا يساورني ريب بأن الله جلت قدرته سيأخذ طاغوت بلاد الشام أخذ عزيز مقتدر، كما أخذ من قبله : فرعون، وقارون، وأبا جهل، وعبد الناصر، وأنور السادات... وسيحاسبه حساباً شديداً عن كل جريمة ارتكبتها، وعن كل روح أزهقها، وعن كل بدعه نشرها.

وسواء مدّ الله في أجل المجرم أسد أو عجل عقوبته ستبقى مدّة حكمه ظاهرةً غريبةً في تاريخ أمتنا المعاصر:

- في الإطار المحلي: كان ضابطاً مغموراً، يكره الإقدام والمغامرة. وجاء به انقلاب الثامن من آذار دون أن يكون له يد في صنعه، ولم يكن عضواً في مجلس قيادة الثورة، ثم بدأت انقلابات الانقلابيين على بعضهم فأصبح الأسد عضواً في مجلس قيادة الثورة وفي القيادة القطرية لحزب البعث.

وفي ٢٣ شباط استخدم محور جديد- أسد، سليم حاطوم في انقلاب ضد القيادة القومية للحزب، وبعد أشهر أطاح محور جديد- أسد بالرائد حاطوم وكتلته من الضباط الدروز.

وفي سنة ١٩٦٧ إذاع حافظ البلاغ رقم «٦٦» بسقوط القنيطرة، وبعد أن تكشفت خيانتة النكراء- هو ومن معه في السلطة- لم يجدوا في الجيش وغيره من يكبح جماحهم وينقذ المنطقة من ويلاتهم. وبعد سنوات أطاح أسد بشريكه جديد

ومساعديه: نور الدين ألتاسي، ويوسف زعين، وأصبح سنة ١٩٧٠ رئيساً للجمهورية السورية، وهذه أو مرّة يتسلم رئاسة الجمهورية رجل من غير المسلمين.

وفي سنة ١٩٧٣ قرع طبول حرب "التحريك" وأسفرت حربه عن كارثة جديدة حيث استولى اليهود على تسع وثلاثين قرية جديدة. ثم جاء دور أمريكا، والعزيز "كيسنجر"، وسياسة الخطوة خطوة، ولأول مرة في تاريخ سورية يجلس وفد يهودي مع نظير له سوري على طاولة واحدة في سويسرا ليوقع الطرفان فك الاشتباك في الجولان.

وفي أواخر سنة ١٩٧٥ دخل جيش أسد لبنان ليقف مع الموارنة ضد المسلمين، وليشارك في مجزرة تل الزعتر وجسر الباشا وغيرهما من المجازر، وليقف عند الخط الأحمر الذي رسمته إسرائيل.

ومنذ سنة ١٩٧٨ وهو يبطش وينكل بالدعاة المسلمين، ففي قبر واحد دفن ما يقارب من ألف عالم وداعية في تدمر وكان بعضهم أحياء، ودمّر معظم أحياء مدينة حماة، وقتل ما يقارب ٣٠ ألف مسلم فيها لأنهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله.

- وفي الإطار العربي: أنشأ منظمة فلسطينية أسماها "الصاعقة" أخذت على عاتقها شقّ منظمة التحرير، ونجحت في مهمتها بعد أن تمكّنت من شراء ذمم "حواتمة، وحبش، وأحمد جبريل، وأبي نضال".

ثم حاول أن يقيم وحدة مع العراق، ثم مصر وليبيا، ثم مع الأردن، وثبت لقيادة

هذه الدول أنه يصفحهم بيد، ويمسك لهم في اليد الأخرى خنجرًا مسمومًا، فتخلوا عنه بعد أن تبيّن لهم غدرة ومراوغته وكذبه.

وبعد زيارة السادات للقدس، وإقدامه على عقد صلح ذليل مع قادة إسرائيل، أقام حافظ الأسد ما أسماه "جبهة الصمود والتصدي" التي ضمّت:

سوريا، والجزائر، وليبيا، واليمن الجنوبي، ومنظمة التحرير... وبعد خمس سنوات من مسرحية الصمود والتصدي قال بعض زعماء منظمة التحرير: إنها «إنها جبهة الاستسلام والتردي»!!

وفي الإطار العالمي: أقام حلفًا مع شاه إيران، واستمرّ الحلف وبشكل أوثق وأقوى مع ثوار "الخميني"، ويعمل الحلف متعاونًا مع ليبيا والجزائر واليمن الجنوبي من أجل اجتياح العالم الإسلامي وإقامة امبراطورية باطنية!!

وأقام الأسد علاقات متينة مع الاتحاد السوفياتي ودول المعسكر الاشتراكي، وبينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية تعاون ومعاهدات رغم ما يدّعيه إعلامه من عداوة للولايات المتحدة، ومن يتتبع سياسة الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط يشعر بعظيم عنايتها بنظام أسد وحرصها على بقائه واستمراره.

إن ظاهرة حكم حافظ أسد تحتاج إلى دراسة الأسباب التي دفعت بهذا الطاغية وأوصلته إلى قمة السلطة في بلاد الشام، كما تحتاج هذه الظاهرة إلى تقويم صحيح من أجل أن لا تُبتلى أمتنا بأسد آخر في سوريا أو في أي بلد آخر من بلدان العالم الإسلامي. من أجل هذا كله قسّمت هذه الدراسة إلى الفصول الأربعة التالية:

الفصل الأول: أرومة حافظ الأسد وهي قسمان:

أولاً: أرومته الطائفية.

ثانياً: أرومته الحزبية.

الفصل الثاني: سقوط الجولان.

الفصل الثالث: اتفاق فصل القوات في الجولان.

الفصل الرابع: دور أسد في الحرب اللبنانية.

أولاً: أرومته الطائفية:

منذ أكثر من خمس عشرة سنة والنصيريون يتصرفون في شؤون سورية كما كان يتصرف صاحب الإقطاع الظالم مع خدمه وعمّاله قبل قرن من الزمن. فمنهم قيادة الحزب، ولهم رئاسة الجمهورية، وقيادة الجيش على مختلف ما أحدثوا فيه من أقسام وفروع. وهذه السيطرة تعني أن "حافظ الأسد" يدين بالولاء لطائفته في الدرجة الأولى، ومن قيادة هذه الطائفة يستمدّ تعليماته وأوامره، وما الحزب عنده إلا ستار للتسلط النصيري. ولقد أصبحت هذه الحقيقة مكشوفةً عند عامّة الناس وخاصّتهم بعد أن خفي أمرها مدةً غير قليلة من الزمن.

ولن نستطيع فهم مواقف حافظ أسد وسياسته، دون أن نعود إلى دراسة الأصول العامة التي يعتمد عليها أصحاب الفرق الباطنية في رسم سياستهم وأسلوب تعاملهم مع الآخرين.

ولا نعدو الحقيقة إن قلنا بأن معظم السياسيين - على مختلف اتجاهاتهم - كانوا وما زالوا يحكمون على الأسد من خلال أعماله التي يتظاهر بها، فإذا قرع الزعيم النصيري طبول الحرب في رمضان ١٩٧٣ قالوا: هذه بطولة وتضحية!!، ولا تستوعب عقولهم قول من يقول: إنها مؤامرة جديدة واضحة المعالم وأدلتنا على ذلك:

أولاً: عدم الاستفادة من خبرات العسكريين الذين سرّحهم لأنه يرى أنهم خصوم سياسيون له، وعدم الإعداد للمعركة فالضباط الحزبيون والطائفيون ضباط معارض وليسوا ضباط حروب.

وثانيا: قوة جاسوسية العدو اليهودي بين الدروز والنصيريين العاملين في صفوف القوات المسلحة، ووجود تعاون وتنسيق بين النظام النصيري ونظام العدو الصهيوني. لقد حاولت إبان حرب رمضان إقناع بعض السياسيين بوجهة نظري، فكان ردّ العقلاء منهم: هذا منك سوء ظن، ثم سارع هؤلاء إلى تغيير موقفهم بعد انتهاء الحرب وبدء المفاوضات بين النظام النصيري وإسرائيل عن طريق كيسنجر.

وإذا كانت عواطف تحرير الجولان هي التي دفعت معظم السياسيين إلى تأييد أسد في حرب رمضان، فلا أدري ما الذي جعل جمهور الفلسطينيين يصفقون لحافظ أسد عندما عارض معاهدة فك الاشتباك الثاني التي وقّعها صديقه السادات، وهو الذي وقّع معاهدة فك الاشتباك الأول ووافق على قرارني مجلس الأمن ٢٤٢، ٢٣٨ التي عارضتها المنظمة، ولو أتيح للزعيم النصيري معاهدة تتخلّى إسرائيل بموجها عن بعض الجولان لما تأخّر لحظة واحدة.

والذين صفقوا لأسد وأصبح عندهم رمز البطولة والوطنية... عادوا إلى التنديد به بعد جريمته النكراء التي اقترفها في تل الزعتر سنة ١٩٧٦، ثم عادوا يصفقون له بعد أن ساءت علاقاته مع حزب الكتائب والجبهة اللبنانية.

كيف يكون الأسد مجرماً مرّةً وبطلاً مرّةً أخرى وبين هذا الموقف وذاك بضعة أيام أو أشهر؟!

ليس الأمر كما يظنون ويقدرّون: إن حافظ الأسد الضالع في مجزرة تل الزعتر هو صاحب مجزرة تدمر وجسر الشغور وحماة وبيروت!!

وحافظ الأسد الذي أذاع بيان سقوط القنيطرة قبل أن تسقط، هو حافظ الأسد الذي وقّع فك الاشتباك، ووقف إلى جانب الموارنة في لبنان!!

وحافظ الأسد ليس حاكمًا فرديًا كالشيشكلي أو حسني الزعيم، وإنما هو كيان طائفي منظم، وله داخل هذه الطائفة حجم محدود لا يستطيع أن يتجاوزه فلنرد الفروع إلى أصولها، ولنستعرض فيما يلي أهم أصول هذه الطائفة في التعامل مع الآخرين^(١):

١ - الإباحية والفساد:

الذين عاشروا الطائفة النصيرية عن كثب يعلمون أنهم لا يقيمون أي وزن للأخلاق والمروءة، ولا ينجلون من انتشار الرذيلة والإباحية في صفوفهم.

وجذور هذا الانحراف بدأت منذ كان مؤسس مذهبهم "محمد بن نصير" إماميًا ينادي بالمتعة ويدعو لها، ويصرّ دعاة هذا المذهب - كذبًا وزورًا - أنه لم يرد نص في تحريم المتعة^(٢).

(١) كان معظم اعتمادنا في الحديث عن أصول النصيرية على كتاب "وجاء دور المجوس. الأبعاء التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية، من صفحة ٢١٧ وحتى صفحة ٢٢٣". ومن الجدير بالذكر أن الدعوة الأم للنصيرية هي الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ولهذا فبين النصيرية والإمامية والقرامطة وسائر الحركات الباطنية تشابه كبير في الأصول التي يرجعون إليها، ولا يعني هذا أنهم حركة واحدة وإن زعم بعضهم اليوم ذلك.

(٢) المتعة عندهم هي جواز نكاح الرجل لامرأة لمدة معينة ثم يتركها دون أن تثرث أو تورث، ويتفق معها على صداق معين، وكانت قد أجازت في بداية الجهاد ثم نسخت بأدلة لا يرقى إليها شك

ثم توسع خط الانحراف عندما أمر القرامطة دعاتهم أن يجمعوا النساء في ليلة معروفة ويختلطن بالرجال ويتراكن ولا يتنافرن، وكانوا يقولون:

إن ذلك من صحة الود والألفة بينهم، وفي اليمن أقام أحد دعاتهم - الصناديقي - دارًا أسماها "دار الصفوة" وكان يأمر فيها النساء بمخالطة الرجال، ويتعهد الأولاد الذين ينجبهم هذا الجماع ويسمّيهم أولاد الصفوة.

ومن الجدير بالذكر أن اليوم الذي كان الصناديقي يأمر في النساء بمخالطة الرجال هو يوم عيد «النيروز»، وما يزال النصيريون في سورية والرافضة الإمامية في إيران يحتفلون بهذا العيد.

وتمسك النصيريون بعقيدة الإمامية في المتعة، وبتقاليد أسلافهم القرامطة في الدعوة إلى الإباحية وعضوا عليها بنواجذهم... ونذكر فيما يلي ثلاثة أمثلة من واقعهم المعاصر تؤكد حرصهم على تجديد أخلاق أجدادهم.

المثال الأول:

كان النصيريون قبل خمس وعشرين سنة يبيعون بناتهم كما تباع الدابة، بل كانت بعض الخيول أغلى ثمنًا من بناتهم، وكان التجار الذي يمتهنون مثل هذه الأعمال

. منها حديث سلمة بن الأكوع الذي رواه مسلم، وحديث علي بن أبي طالب الذي رواه الشيخان. ولقد تحوّلت معظم الفنادق والبيوتات في إيران إلى مواخير للخنأ والفجور، ويكفي أن نعلم أن ثلاثة ملايين من الجنسين يرتادون هذه المواخير كل عام.

الشائنة من سورية وغيرها يذهبون إلى الجبل، ويعود الواحد منهم ومعه عشرون أو ثلاثون بنتاً - حسب ما يملكه من رأسمال - ثم يبدأ البيع بالمفروق، ويكون الثمن متناسباً مع سن البنت وجمالها، ومتوسط السعر يبلغ «١٠٠٠» ليرة سورية أي ما يعادل «٢٠٠» دولار.

و بعد بيع البنت تنقطع كل صلة لها بأهلها ولا يُسأل المشتري ماذا سيفعل بالبنت : هل سيتزوجها أم هل سيتخذها خادمة أم سيبيعها إذا جاءه عرض مناسب؟! هذه أمور خاصة بالمشتري ولا يجوز للبائع أن يشترط عليه أو يقيّد حقه في استخدام البضاعة والتصرّف بها .

و نحن لا نعلم أن طائفة أو قبيلة غير النصيريين مارسوا هذه المهنة الوضيعة فالدروز مثلاً يغارون على أعراضهم، ولا يسمحون بمثل هذه الأعمال التي تتعارض مع الشرف والنخوة والكرامة .

يقول بعض النصيريين : لقد اضطر بعض أبناء الطائفة إلى بيع أولادهم بسبب الفقر المدقع و تسلّط الإقطاعيين وأصحاب رؤوس الأموال. و لقد كذب هؤلاء في تبريرهم، فالفقر المدقع والبؤس المرير ظاهرة عمّت أهل الريف عموماً، فما زادتهم إلا غيراً على أعراضهم، وتمسكاً بأخلاقهم وقيمهم .

وقد يقول قائل : لقد كانت تجارة الرقيق عملاً مشروعاً في تلك المرحلة و ليس النصيريون وحدهم الذين كانوا يبيعون أولادهم .

و الجواب على ذلك : ليس صحيحًا أنه كانت في بلاد الشام تجارة رقيق قبل خمس وعشرين سنة، والأرقاء الذين كانوا يُباعون في هذه الفترة هم من أصول إفريقية ولم يكن البيع قاصرًا على البنات ولأسباب معروفة.

المثال الثاني:

من الأمور التي يتندر بذكرها سكان المناطق المجاورة للقرى التي يسكنها النصيريون ما يلي:

سمع نصيري ضجيعًا وصخبًا فسأل عن السبب ف قيل له: إن فلانًا وجد فلانًا عند زوجه فضربه، فقال السائل: أمن أجل مثل هذا الأمر يتشاجران ، لقد ظننت والله أن أحدهما نزل على بستان الآخر وسرق منه.

وجملة القول: فإن نزول أحد النصيريين على بستان جاره وأخذ شىء من ثماره جريمة لا تُغتفر، أما أن يزني الجار بزوجة جاره فهذه عندهم قضية فيها نظر!!

إن هذه النكتة التي يتندر الناس بذكرها في بلاد الشام تحكي واقع النصيريين وأخلاقهم، ولا يذكر أهل المناطق التي تجاور الدروز مثل هذه النوادر عنهم، كما لا تُذكر عن النصارى رغم تساهلهم بعض الشيء.

المثال الثالث:

في أوائل الخمسينات من هذا القرن، تطوّر معظم شباب الطائفة النصيرية في الجيش السوري، وكان الجندي المتطوّر يأخذ " بدل سكن " مقداره خمس وأربعون ليرة سورية- أي ما يعادل عشرة دولارات - إذا كان يسكن مع زوجه خارج الثكنة

العسكرية .

فكان النصيري يصطحب معه زوجة أخيه أو ابن عمه إن لم يكن متزوجاً، ويسكن معها في غرفة وحدهما وتبقى معه إلى أن يثبت لرؤوسائه أنه متزوج، وكان يحدث أحياناً أن ترفض الزوجة العودة إلى زوجها الأول بعد أن يطيب لها المقام عند زوجها الوهمي، ولا يجد زوجها الحقيقي دليلاً يقدمه للقضاء أو الشرطة لأنهم ما كانوا يهتمون بعقود الزواج^(١).

إن أخلاق وسلوكيات النصيريين في القديم والحديث تفسّر لنا الظواهر التالية:

- لماذا حاول النظام قبل سنوات إقامة معسكرات مختلطة لشبيبة الثورة من الجنسين، وهذه المعسكرات هي نفسها "دائرة الصفوة" ولكنهم فشلوا والحمد لله رغم كل ما بذلوه من جهد، وتراجعوا أمام غضبة المسلمين في مختلف محافظات سورية ومدنها؟

(١) إنني أعلم جيداً أن الناس في غير سورية سيستغربون عرض هذه الأمثلة، وسيتساءلون: أحقاً كانت تحدث مثل هذه الأمور في بلاد الشام؟! وجواباً على هذا السؤال: أتحدّى من يثبت أن في كلامي شيئاً من المبالغة، ولقد حدث كل ما ذكرت، بل وأكثر منه. وبعض الناس سيقولون: كان من الأفضل تجاوز الحديث عن مثل هذه الجوانب الوضيعة، فأقول: لقد عرضت واقع الطائفة النصيرية وماضيها، وتوخيت الدقة في عرضي، وكل الذي تحدّثت عنه مرتبط بما نفّذه وخطّطه الأسدان: حافظ ورفعت. وعلى كل حال فلقد سبقني أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأكثر من هذا عندما تحدّثت عن النكاح في الجاهلية في حديث لها صحيح.

- فتح النصيريون باب تطوُّع النساء في المظاهرات والشرطة وقوات الأمن، وسيروا دوريات من قوات الأمن النسائية في شوارع دمشق وحلب وغيرهما من المدن السورية. ومارست هذه الدوريات الاعتداء على المسلمات المتحجبات، وكنّ يمزقن الحجاب بحراهن ويتركن المرأة تسير سافرةً إلى بيتها. وفشلت هذه الظاهرة بفضل الله ومنته رغم كلِّ ما بذلته السلطة من جهد.

- يمارس رفعت الأسد وأصدقائه مغامرات جنسية يترفع عنها أباطرة القرون الوسطى، ولقد استباحت قواته أعراض المسلمين في حماة وحلب وحمص وإدلب. ورغم كلِّ الجرائم التي ارتكبتها النظام باءت خططهم بالفشل الذريع، فعدد المتحجبات يزداد يوماً بعد آخر: "ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين".

أرأيت أخي القارئ كيف نحكم على مغامرات رفعت الأسد الجنسية، وسعي قادة النظام إلى إقامة معسكرات مختلطة لشبيبة الثورة وما إلى ذلك من منكرات. إن أصحاب النظرة السطحية يقبلون تبريرات وزير أوقاف أسد أو هرطقات مفتي النظام القائلة:

حاول بعض حاشية السوء أن يتخذ قراراً ضد الحجاب، وكلمنا سيادة الرئيس المؤمن!! فوجدنا عنده كلَّ تجاوب، وسارع إلى إلغاء هذا القرار الجائر الذي يتعارض مع عقيدة الأمة وتقاليدها.

ومن موقف الرئيس المؤمن وحوله يدبج شيوخ السلطة موضوع خطب الجمعة، ويقولون عنه كلاماً لا يصح أن يخاطب به أنبياء الله ورسله.

أما تقويم هذه الأعمال الشائنة في المقياس الصحيح فيحتاج إلى ربط تاريخ هذه الطائفة بحاضرها، ومن تصورات شيوخ الطائفة في القديم والحديث نفهم العقلية التي يفكرون بها، وماذا يدبّرون وكيف يقيسون الأمور... ولا نغتر بتراجع قائد النظام أمام غضبة المسلمين، وزعمه بأنه لا علم له بما حدث، كما أننا لا نقيم وزناً لخطب ومواعظ شيوخ السلطة الذين يبيعون علمهم وألستهم لقاء دربهات معدودة، ويوظفون أنفسهم في خدمة كل نظام جائر والعياذ بالله.

٢- الرشوة:

انتشرت الرشوة في سورية بشكل لم تعهده من قبل، وصار من المتعذر إنجاز أية معاملة دون دفع رشوة، وتفنّن الموظفون في هذا الجانب، فقد تُوجّل المعاملة التي لا تحتاج لأكثر من تصديق لعدة أسابيع، وفي معظم الحالات يطلب الموظف مباشرةً ودون وسيط مبلغاً محدداً يتناسب مع أهمية القضية من جهة، ومع تسعيرة المؤسسة أو الوزارة من جهة أخرى، فللجوازات تسعيرة، ولوزارة التموين تسعيرة، وللجيش تسعيرة... وهكذا.

وقد يحدث أن يرفض المراجع دفع رشوة، ويرفع شكوى ضد الموظف طالباً التحقيق معه ومعاقبته.

وفي هذه الحالة تنقلب الآية، ويصبح المتهم بريئاً، والشاكي مشكّواً، ويجمع الرئيس والمرؤوس على اتهام المراجع بشتم الحزب أو الرئيس، ويُحال المسكين إلى أحد أقبية المخبرات، وتمرّ مدةً طويلة، وأهله لا يعرفون مصيره ولا التهمة التي

ووجهت إليه، وتنتشر قضيته بين المواطنين فلا يتجرأ أحد منهم فيما بعد على رفض دفع الرشوة حسب السعر الذي يحدده الموظف.

وقاده الطائفة النصيرية هم الذين ينظّمون هذه الطرق الملتوية، ولكلّ منهم "شلة" مهمتها حلّ أخطر القضايا بعد دفع المقسوم، ولا تسئل عن الحق والباطل أو العدل والظلم أو المعقول وغير المعقول إن كان المبلغ المدفوع كبيراً ومجزياً!!

واستغل التجار الانتهازيون هذه الظاهرة، فأقاموا علاقات متينة مع كبار الضباط النصيريين، ولجأ أكثرهم إلى مشاركة المسؤول النصيري في المؤسسة - أي شريك وجه - وما عليه إلا أن يضمن مصالح الشركة ويسهل معاملاتها في دوائر ومؤسسات الدولة.

ومما زاد الطين بلة أن الدولة تقوم باحتكار الاستيراد والتصدير، فالمزارع يجب أن يبيع محصولاته للدولة بالسعر الذي تتفضّل بتقديره، وهي تقدّر له سعراً مضاعفاً في غير أوقات الموسم، ومن يضبط من المزارعين وهو يحاول نقل محصولاته إلى محافظة أخرى يحاكم بتهمة الخيانة العظمى وقد يمكث في السجن بضعة أعوام.

والسؤال المطروح: من الذي يتحكّم بكل هذه الأمور؟!

والجواب: إنهم الإقطاعيون والرأسماليون الجدد، أمثال: رفعت، وعزت، ودوبا، وأصلان، وطلاس، والخولي، والكسم.

إن رفعت الأسد يملك شركات ومؤسسات لا تُحصى داخل سورية، أما خارجها فله أرصدة في بنوك أمريكا وأوروبا لا يحلم بها أيّ ثري من أثرياء العرب، وهو الرقيب قبل عشرين سنة الذي كان يتقاضى راتبًا لا يتجاوز "٢٥٠" ليرة سورية أي "٥٠ دولارًا".

والاحتكار الذي يتلاعب به رفعت ومن حوله ساعد على ارتفاع الأسعار أضعافًا مضاعفةً، ولم يرافق هذا الارتفاع زيادة مجزية في رواتب الموظفين، ولهذا لم يجد ضعاف النفوس بديلاً غير الرشوة، ومن وراء ذلك فساد الأخلاق، وفقدان النخوة والمروءة، وعبادة المادة، وهذا الذي يخطط له النصيريون.

٣- عداوتهم للإسلام والمسلمين:

بدأ النصيريون حكم سورية تحت راية البعث والقومية والحرية، وبعد ثلاث سنين انقضوا على شركائهم - عفلق والبيطار وأمين الحافظ - بعد أن أدوا دورهم المشبوه، وقدموا لهم خدمات لا تقدر بثمن كان من أبرزها: كبت حريات المواطنين، وهدم المساجد، ومطاردة الدعاة إلى الله .

ومنذ ١٩٦٦ انفرد النصيريون في حكم سورية، وشنوا حملة واسعة ضد الإسلام والمسلمين، واستخدموا جميع الوسائل غير المشروعة في هذا السبيل، ومن أهم جرائمهم ما يلي:

- في حزيران سنة ١٩٦٧ دبّروا مؤامرة القنيطرة وسلّموا الجولان لإسرائيل.

- سنة ١٩٧٣ سلّموا أكثر من تسع وثلاثين قرية لإسرائيل، ووصلت القوات الإسرائيلية إلى مشارف دمشق فيما سُمي حرب التحرير.

- في نهاية ١٩٧٥ دخلت القوات السورية إلى لبنان، ولا أقول شاركت هذه القوات في مذبحه تل الزعتر فحسب، وإنما شاركت في مذابح ومجازر شملت جميع المسلمين في لبنان.

- منذ سنة ١٩٧٨ تزايدت جرائم النصيريين داخل سورية، وكان من أشهرها: مجزرة سجن تدمر الذي ذهب ضحيتها ما يقارب ألف شاب بين طبيب ومهندس ومدرس، ومجزرة حلب، وإدلب، وجسر الشغور، والمعرة، والرقة.

- في سنة ١٩٨٢ دبّر النظام مذبححة حماة التي ذهب ضحيتها ما يقارب ٣٠ ألف قتيل وهُدمت معظم مساجد حماة وأحيائها، واستباح الأوغاد المرتدّون أعراض المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

- وفي سنة ١٩٨٢ اجتاح اليهود لبنان، فارتكب النظام السوري جريمتين: الأولى: تخلّوا عن الفلسطينيين بعد أن اتفقوا معهم على مواجهة العدو الصهيوني، والثانية: تركوا قواتهم في بيروت بدون تموين، ولولا منظمة التحرير لماتوا جوعاً، أما في البقاع فتركوا قواتهم في العراء أمام العدو، فكانت الخسائر البشرية فادحةً جدًّا^(١).

ونستطيع أن نؤكد أن خسائر المسلمين خلال حكم حافظ أسد بين قتيل وجريح لا تقل عن ٢٥٠ ألفاً، كلهم قُتلوا على أيدي النصيريين أو ساقهم النصيريون إلى القتل.

أما علاقة النصيريين مع غير المسلمين فكان لها شأن آخر، ففي الداخل وثّقوا علاقاتهم مع الشيوعيين وسائر الأحزاب والطوائف العلمانية، وفي خارج سورية أقاموا أحلافاً مع الموارنة في لبنان، والرافضة في إيران، والشيوعيين في موسكو

(١) ثبت أن أسد كان يرسل أبناء المسلمين إلى جهات القتال، وبعد أن تنشب الحرب تفر قيادته من المعركة، ويقطعون التموين عن المقاتلين، ويتركونهم فريسة لطائرات العدو ومدرعته. أما أبناء الطائفة النصيرية فمهمتهم حماية الثورة من المسلمين في دمشق وحلب. وسنذكر في الفصول القادمة صوراً من خيانة النظام، وبهذا يتضح أن حروبه مؤامرة ضد المسلمين بالتنسيق مع اليهود وغيرهم.

وأفغانستان.

هذا فضلاً عن تعاونهم مع اليهود، تارةً عن طريق الولايات المتحدة الأمريكية، وتارةً أخرى بشكل مباشر ولكنه سري غير مُعلن.

وحافظ أسد في عداوته للإسلام والمسلمين يقدم لنا صورةً طبق الأصل عن مواقف أجداده الباطنيين القرامطة في جميع مراحل التاريخ:

- لقد استخدمهم التتار في حروبهم ضد المسلمين وتحذث المؤرخون عن خيانة النصيريين في بلاد الشام، وعن خيانة إخوانهم الباطنيين الرافضة في العراق، وليراجع من شاء البداية والنهاية، والكامل لابن الأثير، ورسائل شيخ الإسلام ابن تيمية.

- واستخدمهم النصارى في الحروب الصليبية المشهورة، فقاتلوا معهم في شمال بلاد الشام، كما قام إخوان لهم من الأمراء الرافضة بتسليم ولاياتهم للصليبيين دون قتال في أجزاء أخرى من بلاد الشام.

وفي التاريخ القديم شواهد كثيرة نذكر منها ما يلي:

- في سنة ٢٩٣هـ دخل الباطنيون القرامطة الكوفة، وأوقعوا فيها مذبحاً رهيباً.

- وفي سنة ٢٩٤هـ اعترضوا قافلة الحجّاج في طريق مكة فقتلوا الرجال وسبوا النساء.

- في عام ٣١٧ هـ وصل أبو طاهر مكة يوم التروية فقتل الحجاج في المسجد الحرام، واقتلع الحجز الأسود، الذي بقي في حوزتهم حتى عام ٣٣٥ هـ.

- وعندما احتل القرامطة الإحساء حرقوا بني عبد القيس في منازلهم.

إن ظاهر مذهب هؤلاء الباطنيين الرفض وباطنه الكفر المحض. ومن أقوالهم المشهورة التي يوصون بها دعاتهم:

"وإن وجدت فيلسوفاً فهم عمدتنا، لأننا نتفق وهم على إبطال النواميس والأنبياء، وعلى قدم العالم".

وتتسم دعوتهم بالمرحلية: ففي المرحلة الأولى ينادون بالتشيع لآل البيت، وفي المرحلة الثانية يقولون بالرجعة وأن علياً يعلم الغيب وهكذا حتى يصلوا مع المدعو إلى إنكار وجود الله .

هذه هي العقيدة التي تربى عليها جديد، وحافظ، ورفعت، وهذه هي سيرة أجدادهم في القديم والحديث.

وهذه هي أخلاقهم وأحوالهم في التعامل مع الآخرين، وهذه هي سورية يمارسون فيها جميع ألوان التنكيل والاضطهاد، ومن جملة ما يمارسون الدعوة إلى التشيع، وفعالاً تشييعت قرى بأكملها قرب حلب أمثال قرية "خان داعل" كما تشييع معظم سكان قرية "خان العسل".

وفي ظل ما يُسمّى حزب البعث العربي الاشتراكي قام المدعو "جميل الأسد" بتأسيس حزب باطني أسماه "حزب المرتضى" من آل البيت، وفتح له مراكز في معظم

المحافظات السورية، واستجاب له بعض أصحاب الطرق الصوفية، والانتهازيون من الأعراب وغيرهم... ويتعاون جميل الأسد في نشر أفكاره مع قيادة الشيعة في إيران، حيث يتطوَّع الخميني بإرسال بعض الدعاة إلى سورية لهذا الغرض، ولا ندري ماذا سيفعلون بعد هذه المرحلة إذا لم يستيقظ المسلمون من سباتهم العميق.

٤ - التناقضات والفوضى:

نظام الحكم في سورية يشبه شريعة الغاب في أبشع صورها وأسوأ معانيها، فمنذ أن ابتلى الله المسلمين في بلاد الشام بالطاغوت النصيري وحتى يومنا هذا، والناس يعيشون حالة من الفوضى لا مثيل لها، فالقوي المتنفذ يبطش بالضعيف دون خوف من سلطة أو خشية من قانون، وقتل البريء وتبرئة المجرم لا يحتاجان لأكثر من أمر يصدره زبانية الأسدين: حافظ ورفعت.

صحيح أن في سورية قانوناً، لكنه لا يساوي ثمن الخبر الذي كُتب به، وأعمال قادة الطائفة النصيرية هي القانون الذي لا يجوز الخروج عليه أو التقاعس في تنفيذه.

وفي ظل هذا النظام البربري: عمّ الذعر وساد الخوف، وانتشرت المنكرات، وقُلّ الحياء وكثرت حوادث السرقة والنهب، وظهر أمر المنحرفين.. وصار المسلم لا يأمن على روحه وعرضه وماله.

ولا ينجل قادة النظام من إصدار التصريحات التي تزيد الموقف غموضاً داخل سورية وخارجها.

وإذا كانت تناقضات النظام كثيرةً لا حصر لها، فنختار منها موقف "أسد" من الحرب الإيرانية العراقية:

فعندما اندلعت الحرب نتيجةً لأطماع إيران التوسعية، سارع نظام أسد إلى تقديم الخبراء العسكريين والأسلحة إلى نظام خميني، واستغربت دول الخليج موقف سورية، وهددت بقطع المساعدات، واستخدمت الترغيب تارةً والترهيب تارةً أخرى، فما زاد موقفها نظام أسد إلا إصراراً على تأييد إيران.

والذين يقيسون الأمور بمقياس سطحي، ولا ينظرون إلى أكثر من أرنبة أنوفهم يستغربون موقف سورية، ويتساءلون عن أسرار تعاونها مع إيران:

فسورية تدعو إلى القومية والوحدة العربية، وهذه الدعوة تعني أن العربي الصليبي أفضل من المسلم غير العربي، وإيران فارسية وليست عربيةً، كما أن سورية "الأسد" تنادي بالاشتراكية والعلمانية فالأديان والغيبيات إن لم تكن خرافةً فهي أمور ثانوية يجب أن تبقى في معزل عن السياسة وشؤون الحكم، وفضلاً عن ذلك فالنظامان: السوري والعراقي ينتسبان إلى حزب البعث العربي الاشتراكي والخلافات الشخصية بين صدام وأسد يجب أن لا تطغى على القضايا العقائدية التي تجمع بينهما - كما يزعمان - .

أما إيران "الخميني" فتدعو إلى تحرير العراق من طغيان حزب البعث، وتطرح شعار وحدة العالم الإسلامي، وتندد بالقومية العربية، وتعلن حرباً شعواء على دعاة الإلحاد والعلمانية.. ومع هذا الزعم كله فلها مع نظام أسد أوثق العلاقات

وأمتنها.. والأُنكى من هذا كَلَّه ووقوف إيران الخميني مع النظام النصيري، وتأَييدها له في جرائمه التي اقترفها ضد المسلمين في كل مدينة وقرية من سورية، مع أن ثوار قم يرفعون شعار تحرير المحرومين والمضطهدين.

وفي منتصف عام ١٩٨٢ حققت إيران انتصارات ضد العراق، وراحت تهدد باحتلال بغداد والخليج، وفاحت روائح المساعدات التي قدّمتها إسرائيل لنظام "خميني"، وتذكّرت دول الخليج تصريحات نظام أسد التي كانت تنشرها صحف الخليج ومنها قولهم إثر المؤامرة التي دبّرتها إيران ضد البحرين:

"سيدافع الجيش السوري عن الخليج ضد أية جهة معتدية".

فأرسلت إحدى هذه الدول سياسياً مخضرمًا - يعرف من هم النصيريون وما هي أهدافهم - ، وبسط الرجل مهمته أمام أسد، وقال له: إن الوضع خطير جدًا ولا بد من وضع حدّ لسوء العلاقات بين سورية والعراق.

فأجابه أسد: "أقولها صريحةً واضحةً إما رأسي أو رأس صدام".

فقال السياسي: المشكلة تكمن في الخطر الإيراني الذي تدعمه إسرائيل، وأن الخليج مهدد، وليست المشكلة أنت أو صدام.

فقال أسد: فليعد التاريخ نفسه !!

وصمت السياسي المحاور، وقطع مهمته التي كان من ضمنها زيارة صدام، وقفل راجعًا إلى بلده، ثم كشف لصفوة أصدقائه ما يعنيه "أسد"، قال لهم:

إنه يريد أن يعيد التاريخ نفسه أي أن يعود مجد كسرى وطغيان الصفويين ،
والمهم أنه مع الفرس ضد العرب!!

أهذا جزاء "المليارات" التي ما زالت دول الخليج تقدّمها لنظام أسد منذ سنة
١٩٧٠ ، والتي لولاها لانهار نظامه!؟

وكيف يجمع أصدقاء أسد والمتعاونون معه بين وقوفه مع إيران ضد الخليج،
وبين تصريحه الأنف الذكر والذي يزعم فيه بأنه سيرسل جيشه ليدافع عن
الخليج!؟

وأسد الذي يقف مع إيران الخميني ضد حزبه في العراق، هو الذي كان يهاجم
اتفاقية الجزائر، لأنها مؤامرة ضد عرب "الأحواز" من جهة، ومن جهة أخرى كان
يرى أن فيها إخلالاً بالسيادة العربية. وفي الوقت نفسه كانت له علاقات قوية مع
"شاه إيران"، وعقد معه اتفاقات اقتصادية وأخرى ثقافية، وكان يتدارس معه
الوضع في لبنان، وما الذي يجب أن تفعله سورية هناك.

ولنظام أسد مع منظمة التحرير موقف مماثل من موقفه مع دول الخليج، وهو
في كل مواقفه المشبوهة يسير على نهج أجداده الباطنيين الرافضة الذين أُشربوا حب
الغدر، وأجادوا فنون الكيد.

إن إيمان الباطنيين "بالتقية" جعلهم من أكذب خلق الله، وشدة إيمانهم بالسريّة
أحاطهم بسياج من الغموض والاضطراب.

لقد كذب الباطنيون على الله وعلى رسوله وكذبوا على الصحابة والتابعين، وكذبوا على أئمتهم عندما زعموا لهم العصمة، وملأوا التاريخ دسًا وافتراءً.

والذين يستغربون قوة صلات الأسد مع الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفياتي، وإيران، وموارنة لبنان، وغيرهم .. وغيرهم .. في وقت واحد، فعليهم أن يقرأوا ما قاله علماءنا عن سيرة سلف هذه الطائفة، ومن ذلك قولهم:

"يميلون إلى كل قوم بسبب يوافقهم، ويميّزون من يمكن أن يخدعوه ممن لا يمكن، فهم يدخلون على المسلمين من جهة ظلم الأمة لعلي وقتل الحسين رضي الله عنهما، وإن كان المخاطب يهوديًا دخلوا عليه من جهة انتظار المسيح ومسيحهم هو المهدي، وإن كان نصرانيًا فاعكس وهكذا".

٥- عبر من تاريخهم المعاصر:

عرضنا في القسم الأول من هذا الكتاب وثائق من تاريخ النصيريين المعاصر، ومن تلك الوثائق نستخرج الملاحظات والعبر الثلاث التالية:

أ- في العريضة التي رفعها زعماء الطائفة النصيرية إلى "ليون بلوم" رئيس الحكومة الفرنسية سنة ١٩٣٦ نلاحظ عطف النصيريين الشديد على اليهود في دمشق وفلسطين، كما نلاحظ مدى كرههم للإسلام والمسلمين.

وغير مستغرب منهم مثل هذا الموقف، فالذي أسس مذهبهم عبد الله بن سبأ اليهودي، وجميع الأمور التي نادى بها ابن سبأ: التناسخ، والناسوت، واللاهوت،

وما إلى ذلك جعلوها من أصول عقيدتهم.

وأرجو أن يتذكر القارئ حقيقة عطفهم على اليهود ونحن نعرض في الفصول القادمة: دور أسد في سقوط الجولان، وفك الاشتباك، وحرب لبنان.

ب- جاء في أسطورة "وحيد العين" أن دمشق ستسقط بيد اليهود، وتقوم الدولة النصيرية وستكون عاصمتها مدينة حمص.

ولهذا السبب كان بيان سقوط القنيطرة المشهور، إلا أن دمشق لم تسقط، وهذا يعني أنهم سيفتعلون معارك جديدة، وسيقرون طبول الحرب مرة أخرى من أجل تسليم دمشق لليهود.

أسأل الله أن يردهم إلى نحورهم، ويظهر بلاد الشام من رجسهم.

ج- كشفت وثيقة "وحيد العين" أسماء زعماء الطائفة العسكرية. ومن أهم هذه الأسماء: محمد عمران، صلاح جديد، حافظ أسد.

وبعد اغتيال الأول في طرابلس في لبنان، واعتقال الثاني منذ ١٩٧٠ يبدو أن حافظ الأسد أصبح صاحب الكلمة الأولى في الطائفة، ودلت أحداث مدينة حماة الأخيرة على قوة شعبية الأسدين داخل الطائفة، ولا يغرنك من يزعم أن في الطائفة عناصر وطنية معارضة للنظام.

وعلى هذا الأساس فالطائفة مسؤولة عن جميع الأدوار التي يضطلع بها أسد داخل سوريا وخارجها.

ثانياً - أرومة الأسد الحزبية:

يقود جناح "العفالقمة" في حزب البعث العربي الاشتراكي - من خلال صحفهم وإذاعاتهم - حملة إعلامية شديدة الوطيس ضد جناح "أسد" البعثي. ومن أهم الأمور التي يثيرونها:

- اللقاءات التي تمت بين حافظ الأسد "وطومسون".
- سقوط القنيطرة وبيع الجولان لإسرائيل.
- سياسة الخطوة خطوة، ومحادثات فك الاشتباك في الجولان.
- دخول الجيش السوري إلى لبنان في نهاية ١٩٧٥، بعد محادثات جرت بين نظام أسد والولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل.
- ونحن نوافق العفالقمة في ارتباط أسد بإسرائيل وغير إسرائيل... ولكن من حقنا أن نسألهم:

من الذي ربّى حافظ أسد وعلمه الخيانة والعمالة غير حزب البعث؟!!

ولا تعارض بين حديثنا السابق عن دور طائفة أسد ودور الحزب في تربيته لأن الأخير كان وما يزال غطاءً وواجهةً للطائفة التي ينحدر أسد من نسلها، كما كان وما يزال غطاءً لكل طائفة حاكمة على الإسلام.

وبكل تأكيد فإن "عفالقمة" بغداد لا يجروون على الإجابة عن هذا السؤال وقول كلمة الحق لأنها تهزّ عروشهم، وتجرح كبرياءهم، وتهدد مستقبل زعامة وتطلعات

قادتهم، وإذا كانوا كذلك فلسوف نضع لهم النقاط على حروفها فيما يلي، ومن الله نستمدّ كلّ عون وتوفيق:

١ - هل نسيتم كوهين؟!

وقع اختيار المخابرات الإسرائيلية على "إيللي كوهين" وقرّرت إرساله إلى سورية ليؤدّي دورًا مهمًّا هناك.

وغادر كوهين تل أبيب إلى سويسرا ثم إلى "بيونس إيرس"، قال الراوي: وفي عاصمة الأرجنتين - بيونس إيرس - التقى كوهين مصادفةً!! برئيس تحرير أكبر مجلة أسبوعية تصدر باللغة العربية - مجلة العالم العربي - عبد اللطيف الخشن، وهذا بدوره عرّفه على الملحق العسكري بسفارة الجمهورية العربية المتحدة اللواء محمد أمين الحافظ.

وخلال ستة شهور من إقامة تاجر الأقمشة "كامل أمين ثابت" - وهو الاسم الذي اختارته المخابرات الإسرائيلية لكوهين - في الأرجنتين صار أحد كبار الشخصيات العربية الذين تُوجّه إليهم دعوات السفارة في المناسبات.

وفي إحدى الليالي الحمراء قال اللواء محمد أمين الحافظ لصديقه الحميم كوهين: "إن حزب البعث هو الحزب الوحيد الذي يستطيع أن ينجح في حكم سورية... وفي نهاية هذا العام ستنتهي مهمتي في الأرجنتين وأعود إلى سورية لأكرّس نفسي في خدمة البعث".

وأجاب كوهين:

"لو كنت أنا أيضاً في دمشق، لما تردّدت لحظةً واحدةً في خدمة البعث".

كان لقاء "الأميين: حافظ وكامل" في ربيع ١٩٦١ ووقع الانفصال في خريف ١٩٦١، فكيف اطمأن الملحق العسكري لهذا السوري الذي لا يعرف أصله ولا فصله، ولم يمض على تعرّفه عليه أكثر من بضعة أشهر، نعم كيف اطمأن أمين الحافظ وهو ملحق عسكري لسفارة نظام عبد الناصر الذي كان في تلك الفترة يضطهد البعثيين ويتتبع أنشطتهم السياسية والعسكرية؟!

وهل من المصادفة أن يقرّر أمين الحافظ - رئيس دولة البعث - العودة إلى سورية مع بداية الانفصال، ويكرّس نفسه لخدمة البعث، ويؤكّد لصديقه كوهين أن حزب البعث سيحكم سورية؟!

وأخيراً وليس آخراً عاد الصديقان: أمين الحافظ وأمين ثابت إلى سورية في وقتين متقاربين، ففي ٢٤ آب ١٩٦١ نظّم كوهين حفلة وداع لأصدقائه السوريين - في بيونس آيرس - الذين حملوه رسائل لأهلهم في دمشق.

وحسب أوامر المخابرات الإسرائيلية استأجر كوهين شقةً فاخرةً قرب قصر الضيافة في دمشق - بناية سعيد رميح -، فكان منزله على بعد أمتار من قيادة أركان القوات السورية^(١).. وصار في دمشق ممثلاً لشركة "ريمكس البلجيكية"، وهذا

(١) الجاسوس اليهودي "باروخ نادل" استأجر شقةً في مصر قرب المطار العسكري في القاهرة

التمثيل لا يتطلب منه بذل جهد، وإنما هو تمويه اختاره ليبعد عن نفسه أية شبهة.

قال الراوي: وخلال أشهر قليلة التقى كوهين في دمشق بأحد المسؤولين عن الإذاعة واسمه: جورج سيف، وقامت بينهما علاقات وطيدة، وهذا بدوره عرّفه على الضابط معزي زهر الدين - ابن شقيقة قائد الجيش السوري عبد الكريم زهر الدين -، ومن الجدير بالذكر أن جورج سيف ومعزي زهر الدين - وهو درزي - عضوان في حزب بعث العفالقة.

وكانت فرحة كوهين لا توصف عندما انهار حكم الانفصال، وجاء حكم البعث، وأصبحت شقته مأوى لعدد من قادة الانقلاب ومن أشهرهم: الرائد سليم حاطوم، المقدم صلاح الضلي وغيرهما، وكان الرفاق يتحدثون بكل وضوح وصراحة، وكان الجاسوس اليهودي يعرف كيف يستدرجهم، فيتفنن في اختيار الرفيقات، ويبدل جهداً كبيراً في إكرام ضيوفه، وبعد أن تُدار الخمرة ويقبل الرفاق على تناول ما لذّ وطاب لهم، يكتفي كوهين بتقديم الخدمات، ويرفض احتساء الخمرة حتى لا يفقد عقله ويضيع على نفسه فرصاً ثمينة.

وفي المقابل كان الرفاق يتنافسون فيما بينهم في تقديم خدمات لرفيقهم المناضل: فالأستاذ جورج سيف يكشف له كل ما في الإذاعة من خاص وعام، ويجري

وكانت له صلات قوية مع قادة سلاح الطيران، وهو الذي دبر عملية ضرب المطارات العسكرية في

معه لقاءات يتحدث فيه الرفيق كوهين عن شؤون المغتربين في الخارج.

والضابط معزي زهر الدين يصطحبه إلى الجولان، ويعرفه على مستودعات الأسلحة وسائر المنشآت العسكرية، بل وكان يُدعى إلى الحفلات التي يقيمها كبار ضباط البعث ومن ذا الذي يتجرأ على تفتيش ضيف سليم حاطوم أو معزي زهر الدين؟!

وهكذا أصبح كوهين شخصية مرموقة في نظام بعث العفالة، وعُرض عليه أن يكون وزيراً عن شؤون المغتربين فرفض بعد استشارة المخابرات الإسرائيلية التي أرادت له ألا يكون طرفاً في خلافات الحزب. وصار يحلّ معضلات الأمور، وعندما عرض عليه جاره الإقطاعي أن يستخدم كوهين نفوذه لدى السلطة لاسترداد أرضه، ردّ عليه بخطاب وطني، دعاه فيه إلى احترام القانون، وأكد له أن المناضلين الثوريين البعثيين لا يرتشون!!

ولم يكتف كوهين بعلاقاته مع الرفاق القادة، وإنما أقام علاقات حميمة مع نساءهم، فبعد عودته من زيارة لتل أبيب قدّم معطفاً ثميناً لزوجة أمين الحافظ ثمنه "١٥٠٠" دولار، ويقال إن هديةً مماثلةً قدّمها لزوجة صلاح البيطار.

ولأمر لا يد للحزب فيه البتة كُشِف كوهين بالجرم المشهود، وفي ذلك أقوال:

منهم من قال: إن المخابرات المصرية هي التي كشفته، ومنهم من قال إن المخابرات السورية هي التي كشفته، ومنهم من قال: إن السفارة السوفياتية هي التي كشفته.. غير أن أهم هذه الأقوال:

أن السفارة الهندية هي التي كشفته عندما لاحظت أن هناك "جهاز إرسال" يشوِّش عليها خلال اتصالاتها مع "نيودلهي"، وبعد البحث والتقصي حُدِّت شقة كوهين، وساعدها في ذلك رغبة اللواء أحمد سويداني - ريس المخابرات السورية - في فضح خصومه أصحاب كوهين، أمثال الضلي وحاطوم، بعد أن ضبطه وعرف علاقته بهما، ووجد العفالقنة أنفسهم أمام ورطة، فسارعوا إلى تقديم كوهين إلى محاكمة سورية كان صلاح الضلي رئيسًا لهذه المحكمة وسليم حاطوم مساعدًا له، وزعم أبو عبده - أمين الحافظ - أنه هو الذي كشف أمر كوهين عندما شك بأمره وطلب منه في لقاء خاص أن يقرأ "سورة الفاتحة" فلم يستطع، فعلم العبقري - رئيس دولة البعث - أنه غير عربي، وطلب التحقيق معه.

لم يكن أمين الحافظ موفقًا في قصته التي حبكها عن طريقة كشف كوهين، ومن المؤسف أن الصحافة وأجهزة الإعلام السورية نقلت حديث "أبو عبده" الذي لا يُجسد عليه، وكيف يُجسد عليه وهو الذي كان يكتنّى عند المواطنين في سورية "أبو عبده الجحش"، وما يزال محافظًا في أعماله وتصرفاته في بغداد على هذا اللقب وما يعنيه!!

وسارع "العفالقنة" إلى إعدام صديقهم ورفيقهم كوهين، من أجل أن يدفنوا معه أسرارًا كثيرةً كان من الطبيعي ألا تكشفها تحقيقاتهم، وكيف نتظر من الضلي وحاطوم كشف دورهما ودور حزبهما الخياني مع كوهين؟!

أما إسرائيل فقد بذلت جهودًا مكثفًا من أجل إنقاذ حياة كوهين كان منها: مبادلتها بـ ١٤ سجينًا فلسطينيًا، أو تقديم مواد طبية لسورية بمليار فرنك فرنسي، وكان من الوسطاء "بابا روما" ومحاميًا فرنسيًا اسمه "جاك مرسيه"، وحتى ساعة إعدام كوهين وإسرائيل تتوقع أن تقبل حكومة البعث عرضًا من عروضها المغرية. وبعد أن نُفِّذ فيه حكم الإعدام وجدت إسرائيل أن ليس من مصلحتها كشف أصدقاء كوهين الحقيقيين لأن لهم دورًا مهمًا بعد كوهين.

ولقد دُفِّنت مع كوهين أسرار كثيرة، نسلط الأضواء على بعضها من خلال إثارتنا للأسئلة التالية:

- لماذا اختارت المخابرات الإسرائيلية الأرجنتين، والملحق العسكري اللواء محمد أمين الحافظ؟!

- مرّةً أخرى كامل أمين ثابت زعم أنه تاجر أقمشة، ومن الطبيعي أن تكون علاقته بالملحق التجاري، فلماذا لم يرد اسم الملحق التجاري في كل ما نُشر عن كوهين وورد محلّه الملحق العسكري، ولا أدري أية مصلحة لسورية من وجود ملحق عسكري لها في الأرجنتين؟!

- لماذا لم يكشف التحقيق علاقة كوهين بأمين عام حزب البعث ميشيل عفلق، وكيف نصدّق أن المسؤول عن شؤون المغتربين في الحزب وفي دمشق لم تكن له علاقة مع المسؤول الأول في الحزب؟!

- كيف تقبل رواية رئيس دولة البعث - أمين الحافظ - أن كوهين لم يحسن قراءة الفاتحة ، علمًا بأنه من يهود مصر، وعاش شبابه في الإسكندرية، وفضلاً عن ذلك فالمخابرات الإسرائيلية أخبرت من أن تختار لهذا الدور من لا يحسن قراءة سورة الفاتحة مع زعمه أنه مسلم؟!!

- كل ما حول كوهين كان مريباً: فهو من جهة لم يمارس تجارة الأقمشة التي جاء من أجلها، ومن جهة ثانية اختار شقةً مجاورةً للأركان العامة، وكان معظم أصدقائه من قادة دولة البعث العسكريين.. ومن جهة ثالثة أين أهله؟! أين أبوه وأمه وزوجه وأولاده.. بل أين أقرباؤه وعشيرته.. أكلّ هذه الأمور لا تثير انتباه الرفاق.. كيف يرفض العفالقّة تعيين عام في وزارة من الوزارات دون أن يحصل على موافقة وزارة الداخلية - أي تقرير من المباحث والمخابرات العامة عن ميول العامل السياسية - ويتعاملون مع كوهين بمثل هذه العفوية؟!!

أجاب جيش الدفاع الإسرائيلي عن هذه الأسئلة وغيرها عشية الخامس من حزيران عندما قال: لقد كان الفضل الأول في انتصارنا إلى سعة نفوذ المخابرات الإسرائيلية داخل الدول العربية!!^(١)

(١) اعتمدت فيما كتبتّه عن كوهين على المصادر التالية: ١- أخطر جاسوس لإسرائيل في سورية نشرته المخابرات الإسرائيلية. ٢- إيللي كوهين من جديد، جلال كشك ومنه أخذت بعض المعلومات التي وردت في المصدر الأول. ٣- سيرة حياة كوهين للمحامي الفرنسي جاك مرسيه/ عن الوطن العربي العدد ٢٦٥ تاريخ ١٢-٣-١٩٨٢/ بالإضافة إلى ما نشرته صحف العفالقّة في دمشق.

٢- حوار بين بعث العفالقّة واليهود:

إن محاكمة كوهين زادت من عدد إشارات الاستفهام التي وضعها المواطنون أمام حزب البعث وقيادته، لا فرق في ذلك بين القطرية والقومية ولا بين العفالقّة وأصحاب الحركة التصحيحية وما إلى ذلك من أسماء ابتدعوها.. ومهما أحسن أصدقاء البعث الظن بهم لا يمكن أن يقبلوا الرواية التي يزعم أصحابها أن كوهين تعرّف على الملحق العسكري "محمد أمين الحافظ" بمثل هذه السهولة وبشكل عفوي ودون ترتيبات سابقة، ثم لعب دورًا قياديًا في حزب البعث الحاكم، وكان لا يُغلق أمامه باب من أبواب وزارة الإعلام أو الدفاع أو قيادة الحزب.. وكيف يقبل صاحب عقل هذه الرواية وتاريخ الحزب مدموغ بالخبث والمراوغه، ولا يتوصل إلى القيادة فيه إلا من أتقن الكيد وأجاد فنون الدرس والتضليل.

مثال: أطلق المؤرخون السياسيون على أكرم الحوراني لقب "ثعلب سورية"، ومع ذلك فهو ضحية من ضحايا "ميشيل عفلق".

مثال آخر: جمال عبد الناصر حكم مصر ثمانية عشرة سنة، وكانت تُضرب الأمثال بدهائه وغدره بزملائه، ومارس أدوارًا محليّة وعالميّة، ومع ذلك اعترف بتفوق بعث العفالقّة عليه، فكان مما قاله: "أنا شفت من البعث السوري ما لم يره إنسان"، "... ولا بد أن أقول إني مليان بالشك وعدم الثقة من البعث السوري"

"غمز إخواننا البعثيين تارك أثر في كل بوصة مربعة.. في جسم الواحد" (١).

وإذا كانت السذاجة والعفوية مرفوضتين جملةً وتفصيلاً في قضية كوهين وعلاقته بالحزب، فلسوف نسلط الأضواء على بعض التصريحات التالية، ونستشف منها حقيقة مشكلة كوهين:

دعا "بن غوريون" الكنيسة، قبل ثورة الضباط الأحرار في مصر، إلى التحلي بالصبر، لأن السلام لن يُكتب لإسرائيل، مادام العالم العربي تحت حكم الرجعيين، وأن الخطوة التي يجب أن تسبق الصلح مع إسرائيل هي إقامة ديمقراطيات شعبية اشتراكية محل الحكومات الرجعية في الدول العربية (٢).

وفي كتابه "أعوام التحدي" يؤكد بن غوريون أن إسرائيل ستبقى عنصراً غير مرغوب فيه في المنطقة، إلى أن أن تسيطر طبقة العسكريين ومفلسفو ومبدعو فتاوى كل ما تأتيه هذه الطبقة، مشيراً إلى أن الهوة ستزول حتماً بين إسرائيل ودول المنطقة حالما تسود الاشتراكية والعسكرية على حياة دول المنطقة (٣).

(١) محاضر محادثات الوحدة، صفحة ٤٩-١٢-٢٦٤.

(٢) كتاب العهد والسيف للمؤرخ الصهيوني إيرل برغر عن كتاب [المسلمون والحرب الرابعة زهدي الفاتح ص ١٩].

(٣) أعوام التحدي عن كتاب / المسلمون والحرب الرابعة ص ٢٣/. الذي يعيننا في تصريح بن غوريون أنه قد تحقق قيام انظمة اشتراكية عسكرية في كل من مصر وسورية وغيرهما، وفي ظل هذه الانظمة سقطت الجولان وسيناء وال الضفة الغربية وجنوب لبنان بل ومعظم لبنان، وإذا كان نظام

وبعد سنوات قليلة مرت على تصريح "بن غوريون" نشر مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي وأمينه العام كتابًا أسماه "في سبيل البعث" جاء فيه :

"إن التعجيل في النضال الاشتراكي (!!) يقضي على مخاوف الأقلية اليهودية في استحالة تعايشها السلمي العادل مع العرب".

ومما لا شك فيه أن اليهود في فلسطين المحتلة هم أقلية بالنسبة إلى عدد سكان البلاد العربية، وعدد اليهود الذين لم يغادروا البلدان العربية بعد حرب ١٩٤٨ قليل جدًا، ولا يسبب عددهم مشكلةً حتى يتفضّل عفلق ويضع حلاً لها.. ولكن طلاب عفلق وأنصاره زعموا أن أستاذهم يقصد في تصريحه اليهود الذين مازالوا يقيمون في البلاد العربية، ولا يقصد الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة.

وكان من الممكن أن نقبل دفاع البعثيين عن أستاذهم لولا ما كشفه الصهيوني "فنر بروكوي" عضو حزب العمال البريطاني عن محادثات جرت بينه وبين حزب البعث العربي الاشتراكي في سورية سنة ١٩٥٨، أي إبان العمل على إقامة الوحدة السورية المصرية قال:

فاروق وغيره من الانظمة الرجعية جينت وخشيت من الاقدام على مصالحة إسرائيل، فإن الناصريين والبعثيين، قبلوا مبادرة روجرز وسياسة الخطوة خطوة، وقراري مجلس الامن : ٢٤٢، ٣٣٨.. بل وقام نائب عبد الناصر وزميله بزيارة ذليلة للكنيست الإسرائيلي وعقد معاهدة صلح مع اليهود.. وصفقت الجماهير الاشتراكية لزعمائها وهكذا صدقت نبوءة بن غوريون، وكان الاشتراكيون عند حسن ظنه بهم، ومن الجدير بالذكر أن بن غوريون يدين بالاشتراكية ويدعو لها.

"أستطيع القول أنني اجتمعت إلى أعضاء وقادة حزب البعث العربي الاشتراكي، من الذين درسوا دراسةً جديةً النظرية الاشتراكية والعمل الاشتراكي، والذين لديهم تفهم صحيح للمبادئ الاشتراكية".

لكنه يعترف بأن قادة البعث الذين اجتمع اليهم ليسوا مثقفين «تثقيفًا اشتراكيًا»، لأن ذلك الأمر سيكون كثيرًا على شعب لم يشعر بقوة الثورة الصناعية إلا مؤخرًا، وبشكل جزئي، وكان محرومًا من الثقافة والعلم، وفرض عليه الفقر. ولكن العرب يتجمعون بازدياد حول حزب البعث نتيجة تطلعاتهم نحو الديمقراطية، وهذه بدورها تصنع الرغبة في المساواة الاجتماعية، بالإضافة إلى الاستقلال الوطني، والإسرائيليون يجب أن يكونوا أول المرشحين بهذا الحزب".

ويقول أيضًا:

"في الغالب، إن ما يشكو منه الاشتراكيون الإسرائيليون، هو أن الشعوب العربية ترزح تحت سيطرة شيوخ الإقطاع، ولذلك فإن التعاون معهم يشكل صعوبةً فادحةً. لكن حزب البعث يفضح الإقطاع وينادي بأن الثورة الناتجة عن النفض يجب أن توزع على الشعب، بدل أن تذهب إلى الإقطاعيين. لذلك فإن شروط التعاون هي في سبيل التحقيق.

وأما القول بأن العرب هم عنصر يون وقوميون، فهذا الأمر هو نتيجة لا مفرّ منها، بسبب القرون الطويلة من الاستعمار والتحكم. ومن تجاربنا، تجارب شعبنا نفسه، يجب على الاشتراكيين اليهود أن يكونوا أول من يقدر هذا الأمر. إننا على

أبواب مرحلة تطور إنساني جديد، يشعر المرء معه أن كلاً من اليهود والعرب سيصبحون تدريجياً، وباطّراد، لا عنصريين و.. أممين".

يقول الكاتب الصهيوني "فنزبروكوي" أنه اجتمع إلى أعضاء وقيادة حزب البعث. وقوله هذا يطرح أمامنا السؤال التالي:

هل اجتمع إلى القيادة القطرية التي تزعمها صلاح جديد في وسط الستينات، أم إلى قيادة الحركة التصحيحية التي قادها حافظ الأسد عام ١٩٧٠؟!

لم يترك الزعيم اليهودي مجالاً للتكهنات، بل أجاب عن هذا السؤال بكل صراحة فقال:

"وعلى الاشتراكيين الإسرائيليين أن يعلموا أن الأستاذ ميشيل عفلق^(١) الأمين العالم لحزب البعث العربي الاشتراكي، قد أشار لي وللدكتور توزر(?) بأنه على استعداد للدخول في مناقشات مع الاشتراكيين اليهود، على أساس اتخاذ عمل مشترك لإقامة اتحاد اشتراكي للشرق الأوسط. وهو يفكر باتحاد يسمح للدول المستقلة بحكم ذاتي بالنسبة للشؤون الداخلية، على أن تُترك شؤون الخارجية

(١) مؤلف كتاب "المسلمون والحرب الرابعة" لم يذكر اسم الأمين العام لحزب البعث، ويبدو أن سبب ذلك يعود إلى أن نشر الكتاب جاء في وقت صار فيه عفلق رأس الحزب في النظام العراقي الحاكم وذلك إسم يسبب أضراراً للمؤلف أو يؤثر على رواج الكتاب نجزم بأن المقصود في حديث الزعيم اليهودي ميشيل عفلق لسببين الأول لم يكن هناك أمين عام لحزب البعث سنة ١٩٥٨ غيره والثاني لأن كلمة أستاذ عند البعثيين صفة مرافقة بعمق.

والدفاع للحكومة الاتحادية. والأستاذ ميشيل عفلق يقول بكل صراحة: إن الشعب اليهودي قد جاء إلى الشرق الأوسط ليقى فيه.

وأحب أن أقول أن التطور التاريخي في العصر الحديث يتضمن التعديل في السيادة القومية ، فالاتجاه الآن هو نحو الاتحاد الإقليمي. وفي النهاية كما نأمل ، نحو الاتحاد العالمي.

ولا يمكن الاحتفاظ بالاستقلال التام في العصر الحالي. إنني آمل أنه بنتيجة المناقشات، ستقوم لجنة مشتركة من الاشتراكيين اليهود والعرب، لوضع مخطط تفصيلي يُتفق عليه، ليكون أساسًا للاتحاد".

وفي موضع آخر يقول الزعيم الصهيوني: إن الاشتراكيين البعثيين ينادون بالحياد الإيجابي. وقد قيل لي: إن اتجاهًا مشابهًا أخذ في الانتشار في إسرائيل بالنسبة للسياسة الخارجية، وأن دعوة الدكتور ناحوم غولدسمان - الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية العالمية - الأخيرة نحو المنطلق الجديد - [ومن ضمنه عدم التدخل في الحرب الباردة، ولا وصول إلى اتفاق بين الدول الكبرى لإيقاف سباق التسلح والتنافس للسيطرة على الموقف، وجعل الشرق الأوسط منطقةً حياديةً]... قد لاقت ترحيبًا قويًا.

ولحسن المصادفة [أية مصادفة هذه؟!] أن جعل الشرق الأوسط منطقة حيادية، واتفاق الدول الكبرى حول المنطقة، هما أيضًا من سياسة حزب العمال البريطاني.

فإذا أمكن جعل هذا الأمر سياسةً اشتراكيةً مقبولةً ومدعومةً من اليهود والعرب معاً، فسيكون هناك خطوة عظيمة في سبيل التعاون".

وعن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين يقول الكاتب اليهودي:

"إن الشعوب العربية، بما في ذلك حزب البعث العربي الاشتراكي، تنظر إلى سياسة اليهود في الهجرة المحدودة كبرهان على نواياهم في التوسع، وهي لم تقنع بعد بالتطمينات الإسرائيلية بأن هناك في إسرائيل مساحات واسعة غير مزروعة، ولا يرغب العرب باحتلالها لأنها تحتاج إلى جهود فنية مركزة لجعلها خصبة، ومن الممكن حلّ هذه المعضلة بالتفاوض على حدود تقف عندها الهجرة اليهودية. ونأمل أنه بالاتحاد سيكون المجال أحسن لنمو التفاهم التام، الذي من شأنه تيسير المساعدة الفنية الإسرائيلية في المناطق العربية. والتقارير الحالية تؤكد أن كثيراً من اللاجئين أصبحوا على استعداد للاستيطان في مشاريع للمعيشة الصحية في العراق وغيرها من البلدان العربية".

ويعود الزعيم الصهيوني إلى التأكيد على ضرورة قيام وحدة بين الاشتراكيين اليهود والعرب فيقول:

"هذه هي المشكلة التي تواجه كل من يرغب في وحدة الاشتراكيين اليهود والعرب. أنا أقدر الصعوبات. إن اليهود في إسرائيل قد أسهموا في بناء مجتمع اشتراكي. وبالتعاون مع الاشتراكيين العرب، فإن كثيراً مما فعلوه في إسرائيل، يمكن أن يكون مثلاً يُحتذى في الشرق الأوسط كله، وأنا أتوق إلى ذلك بإخلاص،

والحوار الأخوي مع الاشتراكيين العرب سيكون الخطوة التالية.

هذا ، وفوق كل شيء ، يجب أن يكون في تفكيرنا أن الاتحاد هو البديل الوحيد للشك والنزاع والحرب في النهاية .

إنه الحلّ الواضح، إذا أراد الشعب اليهودي أن يعيش في أمان. إنه الحلّ الواضح إذا أراد العرب أن يعيشوا في سلام، وإيجاد الفرصة للتغلب على الفقر. إنما ستكون جريمة لكل من اليهود والعرب على حدّ سواء، إذا لم يجتمع الاشتراكيون مع بعضهم في سبيل سعي مخلص بناءً حول فكرة الاتحاد، في نطاق سياسة مشتركة تحوّل عداء اليوم إلى تعاون بنّاء في الغد" (١).

"ولقد تأسست فعلاً لجنة مشتركة من الاشتراكيين العرب واليهود، التي دعا إليها فنر بروكوي، النائب العمالي اليهودي في مجلس العموم البريطاني، أطلقت على نفسها اسم [منظمة الاشتراكيين الإسرائيليين] وأصدرت نداءً جاء فيه :

إن - منظمة الاشتراكيين الإسرائيليين - التي تضم في صفوفها العرب واليهود، تعتقد أن قضية فلسطين والنزاع العربي الإسرائيلي يمكن ويجب حلّها بطريقة

(١) هو «فنر بروكوي» عضو حزب العمال في مجلس العموم البريطاني ، في مقالة نشرها بمجلة "نظرة جديدة" ، الإسرائيلية في عددها الصادر يوم ٧ شباط ١٩٥٨ ، بعنوان "الاشتراكيون السوريون يتحدثون عن السلام" ، عن كتاب "المسلمون والحرب الرابعة من صفحة ١١٧ وحتى صفحة ١٢٢".

اشتراكية وأعمية، مع اعتبار الخصائص الفريدة لهذه القضية المتشابكة.. وبالإضافة إلى ذلك، يجب أن يفهم أن الجماهير الإسرائيلية لن تتحرر من تأثير الصهيونية، ولن تناضل ضدها، إلا إذا تقدّمت لها القوى التقدمية في العالم العربي بأمل التعايش السلمي، بدون تسلط قومي.

لذا تعتقد منظمة الاشتراكيين الإسرائيليين، أن حلاً حقيقياً لقضية فلسطين يتطلب الاعتراف بحق الشعب اليهودي في تقرير المصير.

يتبع ذلك، أن الحل الوحيد المتطابق مع مصالح الجماهير العربية والإسرائيلية، هو اندماج إسرائيل كوحدة في اتحاد اقتصادي وسياسي للشرق الأوسط، على أساس الاشتراكية^(١).

(١) نداء منظمة الاشتراكيين الإسرائيليين نشرته مجلة "الحرية" اللبنانية، لسان حال حركة القوميين العرب، في عددها ٤٠١، تاريخ ٢٦ شباط ١٩٨٦ دون أن نشير إلى المصدر الاصيل، على كتاب (المسلمون والحرب الرابعة ص ١٢٤ نشر دار البيان الكويت).

ومما يجدر ذكره أن منظمة التحرير الفلسطينية دخلت في جحر الضب الذي دخله من قبلها حزب البعث العربي الاشتراكي وعبد الناصر، ومنذ ١٩٧٥، والمفاوضات على قدم وساق بين من أسموا أنفسهم دعاة السلام من اليهود والمنظمة، ويمثل ياسر عرفات في هذه المفاوضات الدكتور عصام السرطاوي.

تعقيب:

نشر الكاتب اليهودي مقالةً في ٧/٢/١٩٥٨، وفيه يقول إن حوارًا جرى بينه وبين قادة حزب البعث وأمينه العام الأستاذ ميشيل عفلق، ولم يذكر الكاتب مكان وزمان هذا الحوار، لكنه يؤكد أن عفلق قال له بصراحة:

إن الشعب اليهودي جاء إلى الشرق الأوسط ليبقى فيه، وأنه على استعداد للدخول في مناقشات مع الاشتراكيين اليهود، على أساس اتخاذ عمل مشترك لإقامة اتحاد اشتراكي للشرق الأوسط. وهو يفكر باتحاد يسمح للدول المستقلة بحكم ذاتي بالنسبة للشؤون الداخلية، على أن تُترك شؤون الخارجية والدفاع للحكومة الاتحادية.

ومنذ ٧/٢/١٩٥٨ وحتى تاريخ كتابة هذه الأسطر أي بعد أكثر من أربع وعشرين سنةً لم يصدر عن حزب البعث العربي الاشتراكي أو عن أمينه العام أو عن أية جهة مسؤولة فيه ما يكذب أقوال الزعيم الصهيوني "فتربروكوي" رغم خطورتها، وما يترتب عليها من آثار سلبية على الحزب وقيادته.

وعلى ضوء هذه المحادثات نستطيع تفسير الأمور التالية:

- إن الذي قصده عفلق في كتابه "في سبيل البعث" الذي أشرنا إليه قبل قليل "دولة إسرائيل" وليس القلة القليلة من المواطنين اليهود الذين مازالوا يعيشون في البلدان العربية، ومع ذلك فكتاب "في سبيل البعث" يُدرّس في مدارس الحزب التثقيفية، ولا أدري إن كانوا حذفوا منه هذه العبارة أم لا؟!!

- إن الدور الذي لعبه كوهين لم يكن مصادفًا، ولكنه جاء نتيجة محادثات سرية بين اليهود وحزب البعث، ولا نستطيع بأي حال من الأحوال أن نقبل ما نشرته الجهات الرسمية التابعة للنظام السوري البعثي عن قضية كوهين لأسباب ذكرناها عند عرضنا للمشكلة قبل صفحات.

- إن سقوط الجولان حلقة من مؤامرة حزب البعث مع اليهود، وحافظ الأسد عضو من أعضاء القيادة القومية التي كان يرأسها عفلق والرزاز من بعده، ولقد حصد الأسد ما بذره البيطار وبعض هذه الأقدام من بعض.

- اتضح لنا عداوة حزب البعث للإسلام، وتنكيله ومطاردته للعلماء والدعاة إلى الله، وحرص قيادته على نشر الإلحاد وإباحة الفاحشة... فهذا عين ما يخطط له اليهود في ديار المسلمين.

- ونحن بانتظار فضائح جديدة تكشفها لنا الأيام القليلة القادمة عن حزب البعث، حزب الأقليات الحاكمة على الإسلام والمسلمين، والتي لا هدف لها أخيرًا غير زعزعة كيان المسلمين وتفتيت وحدتهم ونشر روح الذعر بينهم.

وبعد هذه الفضائح والمخازي لا أدري كيف يتحدّث العفالق عن جرائم حافظ الأسد ووحشية نظامه، ويتباكي العفالق على مدينة حماة وما لحقها من تدمير وهمجية !!

قاتل الله حزب البعث على مختلف فروع وأجنحته، أو ليس العفالق هم الذين هدموا جامع السلطان في حماة ودكّوا منارته الشاهقة، وهدموا البيوت على الآمنين

من الدعاة في مدينة أبي الفداء؟!

أو ليس عفالقة البعث هم الذين هدموا جزءاً من مسجد بني أمية، وقتلوا عدداً

من المصلين في صحنه؟!

أو ليس هؤلاء العفالقة هم الذين فتحوا باب الجرائم على مصراعيه أمام حافظ

أسد وغيره؟!

إن نسيت لا أنسى المؤتمرات الصحفية التي كان يعقدها صديق كوهين "محمد

أمين حافظ" في وسط الستينات ليبرر مذبحه حماة التي ارتكبتها نظامه، ومن ردوده

على من قال: إن البعثيين قلة في سورية:

تعيرنا أنا قليل عدينا فقلتُ لها إن الكرام قليل

نعم والله كرام مع كوهين واليهود، وسيبقى الحياء ورجال حزب البعث ضدّين

متنافرين.

الفصل الثاني

سقوط الجولان

- أولا - أهمية الجولان.
- ثانيا - ماذا أعد البعثيون النصيريون للجولان؟!
- ثالثا - طبول الحرب.
- رابعا - فضح ادعاءاتهم.
- خامسا - أخبار الحرب.
- سادسا - البلاغ رقم ٦٦.
- سابعا - أين حسن نواياهم؟!
- ثامنا - الأسباب الحقيقية لسقوط الجولان

سقوط الجولان

أولاً - أهمية الجولان:

يقع الجولان في الجزء الجنوبي الغربي من سورية، تجاوره من الشمال الغربي لبنان، ومن الغرب فلسطين المحتلة، ومن الجنوب الأردن.

ويبلغ طول حدودها مع العدو اليهودي ثمانين كيلو مترًا، ومساحتها حوالي ١٨٠٠ كيلو متر مربع^(١).

وتحاول إسرائيل منذ القديم ضم الجولان إليها للأسباب التالية :

١- الأسباب الدينية: جاء في الإصحاح الأول:

"الرب إلهنا كلّمنا في حوريب قائلاً: كفاكم قعودًا في هذا الجبل، تحوّلوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب

(١) من أهم المصادر التي اعتمدت عليها في كتابة هذا الفصل كتاب [من أسرار نكبة حزيران. سقوط الجولان] ومؤلف الكتاب الضابط السوري "خليل مصطفى بريس" من سكان مدينة دمشق، وكان ضابط استخبارات الجولان قبل الحرب، وآخر وظيفة له قبل أن يسرحه البعثيون من الجيش "رئيس قسم الاستطلاع في قيادة الجبهة"، وهو عمل في غاية الخطورة، ويتاح لشاغله أن يطلع على خفايا حياة القوات فيها. وقد خشي النظام النصيري من نشر الكتاب، فدبّرت المخابرات السورية عملية اختطاف المؤلف من بيروت، وألقوا به في سجن المزة، وما أدراك ما سجن المزة؟! ولا ندرى هل مازال على قيد الحياة أم لا؟!

وساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات. انظر قد جعلت أمامكم الأرض ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لأبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم" (١).

وحرص الزعماء اليهود على تنفيذ هذه الوصايا منذ القديم ، ففي سنة ١٩١٧ طالبت اللجنة الصهيونية البريطانية إدخال الجولان ضمن حدود دولة إسرائيل التي كانوا يخططون لها.

وفي سنة ١٩١٩ اقترح الوفد الصهيوني الذي مثل اليهود في مؤتمر باريس للسلام أن تكون الجولان جزءاً من دولة إسرائيل (٢).

٢- الأسباب العسكرية: كانت سهول القسم الأعظم من شمال فلسطين وخاصة سهل الحولة، والسفوح الشرقية للجليل الأعلى مكشوفة أمام مدافع القوات السورية في هضبة الجولان.

"وكانت الجبهة محصنةً تحصيناً فريداً من نوعه. كل شبر من أرضها مضروب بالنيران، وكل ثغرة بين موقعين دفاعيين محمية بالألغام، والألغام مضروبة بالنيران على كل محور يمكن أن يتقدم منه العدو، حضرت الرمايات الهائلة من مختلف

(١) سفر التثنية : الإصحاح الأول ، عن كتاب [سقوط الجولان ص : ٥٣].

(٢) انظر القسم الثاني ، الفصل الأول من هذا الكتاب .

الأسلحة بكثافة تدعو للدهشة^(١).

ويكفيينا من الحديث عن أهمية الجولان- جغرافياً وعسكرياً - ما رسمته "التايم" الأمريكية عن خط (ماجينو) السوري. قالت الصحيفة:

"إن سورية تسيطر على سلسلة من التلال الصخرية الشديدة الانحدار تمتد لمسافة أربعين ميلاً، وتشرف على سهول منكشفة للنيران، وعلى جوانب التلال خطوط دفاعية مستقلة فوق بعضها، وكل خط منها تحميه ثلاث طبقات من الألغام، وأسلاك شائكة، واستحكامات منيعة. وللوصول إلى الطبقة العليا يجب عبور تسعة خطوط (ماجينو) مصغرة.

وعلى كل قطعة من الطبقة العليا تكمن متاريس صخرية تحت الأرض وأبراج مدفعية من الخرسانة تبلغ سماكة جدرانها خمسة أقدام. وتربط كل هذا أنفاق سميكة الجدران .

وقد حُفرت المرائب في الأرض لتضم الدبابات والمركبات. وتحمي مواقع المدفعية طبقة أرضية يبلغ ارتفاعها عشرين قدماً. كما زُرعت الألغام ضدّ الدبابات".

(١) تحدث الضابط خليل مصطفى حديثاً مذهلاً عن الإعداد المسبق لمنع سقوط الجولان الذي كلف سورية من الزمن عشرين عاماً ومن المال أكثر من ٣٠٠ مليون دولار. انظر كتابه من صفحة ٦٠ إلى ٩٤ .

وتضيف التاييم: إنه في خلال سبع وعشرين ساعة فقط، وبعد دفع الثمن بمائة وخمسة عشر قتيلاً وثلاثمائة واثنين من الجرحى الإسرائيليين، مقابل ألف قتيل سوري وعدد لا يُحصى من الجرحى وستمائة أسير أصبح الإسرائيليون أسياد المرتفعات السورية" (١).

وبعد سيطرة الإسرائيليين على مرتفعات الجولان انعكست الآية، وأصبح طريق العدو إلى دمشق ودرعا ممهداً.

٣- الأسباب الاقتصادية: من أهم موارد الجولان الاقتصادية ما يلي:

- الزراعة: ومن أشهر محاصيلها الزراعية: الفواكه، الزيتون، الموز، والحمضيات، القمح والشعير والذرة، الفول السوداني، الخضار، الأرز.
- الثروة الحيوانية: الأبقار، الأغنام والماعز، الأسماك، الطيور، النحل.
- الأحراش: كالسنديان، والبلوط، والسماق، والزعرور.. ومن الأشجار غير المثمرة: الكينا، والحور.
- المياه المعدنية في منطقة "الحمّة" التي تحتوي على نسبة جيدة من اليورانيوم والراديوم، وهي من أفضل ينابيع المياه المعدنية في العالم.

(١) صحيفة التاييم الأمريكية، العدد الصادر في الأول من أيلول ١٩٦٧ عن كتاب [المسلمون

والحرب الرابعة ص ١٧١].

- الموارد الأثرية: فأرض الجولان غنية بالمقابر المملأى بالثروات والقطع الذهبية.

والذي كان يقلق إسرائيل أكثر من هذا كله أن أهم مصادر المياه التي يعتمد عليها سكان فلسطين تنبع من الجولان ومن أهمها:

- نهر بانياس الذي يشكل ثاني روافد نهر الأردن، وينبع من ارتفاع ٣٠٠ م، ولا يسير في الأرض السورية أكثر من ١٠٠٠ متر، ويبلغ تصريفه السنوي ١٥٧ مليون متر مكعب من المياه المعدنية.

- نهر اليرموك الذي يبلغ طوله ٥٧ كم يسير منها ٤٧ كم داخل الأرض السورية، معظمها في الجولان، ثم يرفد نهر الأردن جنوبي بحيرة طبريا.

- قناة العفريتية، وهي مأخوذة من نهر الأردن، وتروي معظم منطقة البطيحة.

- نهر الزاكية والمسعدية، ويصبان مباشرةً في بحيرة طبريا.

بالإضافة إلى ينابيع وعيون كثيرة، موزعة في كل وديان الجولان وقراه: كنبع البرجيات، وبحيرة مسعدة، وعين الكبش، ونبع الجوخدار، ونبع السنابر، ويناابيع القصبية، ونبع الدورة، ويناابيع الحمّة.

ووجود هذه الثروة المائية الهائلة في أرض يسيطر عليها أعداء اليهود مصدر خطر على الكيان الصهيوني، ولهذا خططوا منذ القديم للسيطرة على الجولان، والاستئثار بمياهه، وخصوبة أرضه التي وصفها الجنرال «كارل فون هورن»، كبير

المراقبين الدوليين ، في كتابه [الخدمة العسكرية من أجل السلام] فقال :
 "إن كل شبر من تلك الأرض يساوي منجماً من الذهب لكثرة ما يغل من
 الحبوب" (١).

ثانياً- ماذا أعدَّ البعثيون النصيريون للجولان؟!

١- الإعداد العسكري: بدأ حزب البعث في الإعداد للمؤامرة- التي نفذها
 حافظ الأسد يوم أذاع بلاغ سقوط القنيطرة- يوم الثامن من آذار سنة ١٩٦٣، ففي
 ذلك اليوم ترك شركاء كوهين- حاطوم وأمثاله- مواقعهم في الخطوط الأمامية،
 واحتلوا بمدركاتهم وأسلحتهم إذاعة دمشق وأذاعوا منها البلاغ رقم «١».
 نعم تركوا الجبهة خالية من الرجال والسلاح، وكان بوسع إسرائيل أن تحتل
 مواقعهم دون أن تقدّم تضحية كبيرة، لكنها لا تريد فشل انقلاب حزب البعث،
 ولن يستمر احتلالها لأن في الجيش رجالاً مجاهدين، وهكذا تركت حزب البعث
 يمهّد لها الطريق في يوم موعود.

وبعد وقوع انقلاب الثامن من آذار بخمسة أيام فقط، أي بتاريخ ١٣ آذار عام
 ١٩٦٣ صدرت نشرة عسكرية أخرجت من الجيش مائة وأربع ضباط هم كبار
 ضباط الجيش، افتتحت بالفريق عبد الكريم زهر الدين، واختتمت بالمقدم بسام

(١) سقوط الجولان ، خليل مصطفى بريز من صفحة ٣٤ وحتى صفحة ٥٨، نشر دار اليقين

العسلي.

وبتاريخ ١٦ آذار - أي بعد ثلاثة أيام آخر - صدرت نشرة أخرى، أخرجت من الجيش ١٥٠ ضابطاً هم الطاقة الفعّالة في الجيش - قادة الكتائب ورؤساء عمليات الألووية وقادة السرايا -.

ثم تابعت النشرات، تسرح ، وتحيل على التقاعد، وتنقل إلى الوظائف المدنية، حتى بلغ مجموع الضباط الذين أُخرجوا من الجيش، حتى أيار ١٩٦٧، لا يقل عن ألفي ضابط، مع عدد لا يقل عن ضعفه من ضباط الصف القدامى، والجنود المتطوّعين الذين يشكّلون الملاك الحقيقي الفعّال لمختلف الاختصاصات في الجيش. ولزيادة تعميق الجريمة، استبدل بالذين أُخرجوا من الجيش - وخاصةً الضباط - أعداد كبيرة جداً من المعلمين والموظفين المدنيين الذين سبق لهم أن أدّوا خدمة العلم، وجميعهم من البعثيين ، ومن أبناء الطائفة النصيرية. وبذلك أصبح الجيش مؤسسةً بوليسيةً لقمع الحريات والتنكيل بالشعب، لاجيشاً قادراً على صون الحدود وتحرير فلسطين.

والذين سلموا من التسريح لم يسلم معظمهم من السجن أو الاغتيال، ومن أبرز العسكريين الذين قُتلوا ظلماً: النقيب معروف التغلبي، والنقيب ممدوح رشيد، والملازم نصوح الجاني، والعقيد كمال مقصوصة.

ومن الذين أعدموا: العقيد هشام شبيب، ثم امتدت يد الظالمين إلى بعضهم فأعدموا سليم حاطوم وبدر الدين جمعة^(١).

(١) انظر سقوط الجولان ص ٢٩، ٣٠، ومن الجدير بالذكر أن العقيد كمال مقصوصة مدير التجنيد العام لاحظ حرص القيادة النصيرية الحاكمة على استدعاء أبناء السنة للاحتياط - وبشكل أخص أبناء دمشق وحلب وحماة وحمص - والزج بهم في الجبهة سنة ١٩٦٧، فرفض أوامرهم وأصر على ضرورة المساواة بين جميع المحافظات، وعدم استثناء أبناء الطائفة النصيرية، ولما رأوا منه هذا الإصرار سارعوا إلى اطلاق النار عليه في مكتبه بدمشق، وزعموا أنه انتحر، ولقد كذبوا فيما زعموه فالعقيد مقصوصة رجل مؤمن متمسك بدينه وغير متوقع ممن كانت هذه أخلاقه أن ينتحر، ويضاف إلى هذا أن جريمة اغتياله أصبحت مكشوفة في أواسط الجيش. واغتيال العقيد كمال مقصوصة يذكرني بخطة درج عليها النصيريون منذ القديم، كانوا إذا برز ضابط مسلم يدعو إلى الله سارعوا إلى اغتياله، ومن ذهبوا ضحية هذا الغدر الضابط حيدر من معرة النعمان، والضابط غضبان من تل متين قرب دمشق، وكان مصرعها عليها رحمة الله في الخمسينات، ولا أذكر بداية اسم كل منهما، غير أنني أذكر أن اغتيالها لم يتم في وقت واحد، وليس في قطعة واحدة لكن الطريقة واحدة - أي في المناورة - . وفي بداية سنة ١٩٦٢ أقدم ضابط نصيري على اغتيال الملازم أول قاسم عبد الحليم رحمه الله، وقد تبعت هذه القضية حيث كانت تربطني بالشهيد زمالة وأخوة في الله، وبعد اتصالي بأكثر من جهة، كان من جملتها المحقق العسكري الذي حقق مع الجاني والمجني عليه الأخ قاسم قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة في مستشفى القنيطرة، بعد هذا كله علمت أن الجريمة تمت على الشكل التالي:

كان الملازم أول قاسم يسكن مع الضابط النصيري في حجرة واحدة في الخطوط الأمامية، ودار بينهما حوار ومناقشات، وأدرك المجرم مواهب الأخ، فأخرج مسدسه وتظاهر أنه يقوم بتنظيفه، ثم أطلق النار على زميله زاعماً أنه ما كان يعلم بوجود رصاصة داخل المسدس.

ومن الذين صدرت بحقهم أحكام الإعدام جزافاً: المقدم عبد الرحمن السعدي، الرائد صدقي العطار.

ومن الذين غصّت بهم السجون: العمداء: مصطفى الدواليبي، وموفق عصاصة، وأكرم الخطيب، وممدوح الحبال، والعقيد هيثم المهائيني، ومحيي الدين حجار.

ومن شركائهم في انقلاب الثامن من آذار: اللواء محمد الجراح، واللواء راشد القطيني، والفريق محمد الصوفي.

ومن يعلم واقع الجيش السوري، وأسماء الذين سُرحوا من مختلف القطعات وحجمهم يدرك تماماً حقيقة المؤامرة التي دبرها النصيريون والعفالق ضد الجيش، وإذا علمنا أن نشرات التسريح بدأت بعد الثامن من آذار بخمسة أيام سنة ١٩٦٣، واستمرت حتى شهر أيار- أي قبل حرب حزيران ببضعة أيام-، وشملت أمهر الضباط في المدفعية والطيران وغيرهما ممن بلغوا مستوى رفيعاً في التدريب والخبرة، فهل تصدر هذه الأفعال عن قيادة تتطلع إلى تحرير فلسطين، وهل هناك مؤامرة أبشع من هذه المؤامرة؟!، وهل يكون من المعقول أن يكون النصيريون وحدهم أصحاب الحق في قيادة الجيش السوري؟!!

لقد بدأوا- في التسريح من الجيش - بالانفصاليين، ثم بعموم من أسموهم رجعيين، ثم بالناصرين وسائر شركائهم في الانقلاب الثامن من آذار، ثم بطشوا بشركائهم البعثيين من غير أبناء طائفتهم، ولم يتركوا إلا كل انتهازي ذليل ترتعد

فرائصه خوفاً من كل جندي نصيري، ولا يتردد في الإذعان لأوامره ولو كان حارساً له.

وبكل تأكيد هذا هو السر الأول من وراء بلاغ سقوط القنيطرة الذي أذاعه وزير الدفاع حافظ الأسد.

٢- الإعداد الروحي:

في ٢٥-٤-١٩٦٧ جاء في افتتاحية مجلة جيش الشعب السورية الرسمية الناطقة باسم الجيش ما يلي:

"استنجدت أمة العرب بالإله، فتشّت عن القيم القديمة في الإسلام والمسيحية، استعانت بالنظام الإقطاعي والرأسمالي، وبعض النظم المعروفة في العصور الوسطى، كل ذلك لم يُجد فتيلاً، مع كل هذا شمّرت أمة العرب عن ساعديها ونظرت بعيداً بعيداً، لترى طفلها الوليد يقرب شيئاً فشيئاً، وهذا الوليد ليس إلا الإنسان العربي الاشتراكي الجديد، الإنسان المتمرد على جميع القيم المريضة الهزيلة في مجتمعه التي هي ليست إلا وليدة الإقطاع والرأسمال والاستعمار. تلك القيم التي جعلت من الإنسان العربي إنساناً متخاذلاً متواكلاً، إنساناً جبرياً مستسلماً للقدر، إنساناً لا يعرف إلا أن يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

والطريق الوحيد لتشيد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي، هي خلق الإنسان الاشتراكي العربي الجديد، الذي يؤمن أن الله والأديان والإقطاع

والرأسمال والمتخمين وكلّ القيم التي سادت المجتمع السابق، ليست إلا دمي
محنة في متاحف التاريخ.

ونحن إذ نشترط في إنساننا الجديد رفضه للقيم السابقة، علينا أن نضع قيماً
جديدة، ليست هناك سوى قيمة واحدة: وهي الإيمان بالإنسان القدرى الجديد،
الإنسان الذي لا يعتمد إلا على نفسه، وعمله، وما يقدّمه للبشرية جمعاء، لأنه يعلم
أن نهايته الحتمية الموت وليس غير الموت، لن يكون هناك نعيم أو جحيم، بل
سيصبح ذرة تدور مع دوران الأرض.

لذلك هو مضطر إلى أن يقدّم كل ما يملك لأمتة ولإنسانيته دون ما مقابل
كزاوية صغيرة في الجنة مثلاً^(١).

كتب الضابط إبراهيم خلاص مقاله هذا في افتتاحية مجلة جيش الشعب قبل
حرب حزيران بأربعين يوماً، وقابل العلماء والدعاة المخلصون نشر المقال بموجة
من الاستنكار عمّت المدن السورية، وأرعبت النظام فأقدم على اعتقال عدد كبير
جدّاً من خطباء المساجد، وأساتذة الجامعات والمعاهد، ولقّو التهم لصفوة أبناء
الأمّة من الذين لا يقلق اليهود أحد غيرهم. ولم يفرج النظام عنهم إلا بعد هزيمة
حزيران وتسليم الجولان وإذاعة بيان سقوط القنيطرة.

(١) انظر مجلة جيش الشعب ٢٥-٤-١٩٦٧.

وما قالته مجلة جيش الشعب أكدته الإذاعة البعثية النصيرية، فكان من أهazبها التي سُحن من خلالها همم ومعنويات الجنود أثناء مهزلة الحرب:

ميراج^(١) طيارك هرب مهزوم من نسر العرب

والميعغ علت واعتلت بالجوتتحدى القدر

بهذه التصورات زعم النصيريون البعثيون أنهم سيحررون فلسطين!!

ثالثاً - طبول الحرب:

أدى اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع السوري بتصريح الصحيفة "الثورة" السورية الرسمية قال فيه:

"... إنه لا بد على الأقل من اتخاذ حدّ أدنى من الإجراءات الكفيلة بتنفيذ ضربة تأديبية لإسرائيل تردّها إلى صوابها.

إن مثل هذه الإجراءات ستجعل إسرائيل ترقع ذليلة مدحورة، وتعيش جواً من الرعب والخوف يمنعها من أن تفكّر ثانية في العدوان.

إن الوقت قد حان لخوض معركة تحرير فلسطين، وإن القوات السورية المسلحة أصبحت جاهزة ومستعدة ليس فقط لردّ العدوان الإسرائيلي، وإنما

(١) الميراج طائرة فرنسية كانت من أهم الأسلحة التي استخدمها اليهود في حرب حزيران،

والميعغ طائرة روسية الصنع كان وما زال الجيش السوري يستخدمها.

للمبادرة لعملية التحرير بالذات ونسف الوجود الصهيوني من الوطن العربي.

إننا أخذنا بعين الاعتبار تدخل الأسطول الأمريكي السادس.

إن معرفتي لامكانياتنا تجعلني أؤكد أن أية عملية يقوم بها العدو هي مغامرة فاشلة.

وهناك إجماع في الجيش السوري الذي طال استعداداه ويده على الزناد، على المطالبة بالتعجيل في المعركة، ونحن الآن في انتظار إشارة من القيادة السياسية»^(١).

وفي تصريحه لصحيفة الثورة السورية ٢٠ / ٥ / ١٩٦٧ أضف حافظ الأسد قائلاً:

"إن سلاح الطيران السوري تطوّر تطوراً كبيراً بعد ثورة ٢٣ شباط ١٩٦٦ من حيث الكمية والنوع والتدريب، وأصبحت لديه زيادة كبيرة في عدد الطائرات، وهي من أحدث الطائرات في العالم وأفضلها تسليحاً. كما ازداد عدد الطيارين وارتفع مستوى التدريب.

وقال:

"إن العملاء يرگزون باستمرار على أن هناك عدداً كبيراً من الطيارين

(١) صحيفة الثورة السورية تاريخ ٢٠ أيار سنة ١٩٦٧ عن كتاب [سقوط الجولان ص ٩٧].

المسرحين. ولكن عدد الطيارين المؤهلين لخوض المعارك الجوية والذين هم خارج الخدمة، لا يتجاوز عدد أصابع اليد".

وتوالت تصريحات المسؤولين البعثيين بعد تصريح كبيرهم ووزير دفاعهم. ففي اجتماع طارئ لاتحاد المحامين العرب، عُقد في دمشق، ألقى يوسف زعين رئيس الحكومة السورية كلمةً في جلسة الافتتاح قال فيها:

"إن إنحناء إسرائيل أمام الرد العربي الحاسم الآن، يجب أن لا يفسر بأنه انتصار نهائي عليها فهو ليس إلا بداية الطريق لتحرير فلسطين، وتدمير إسرائيل... وإن الظروف اليوم هي أفضل من أي وقت مضى لخوض معركة المصير العربي". وقال:

"إن الشعوب العربية ستحاسب كل من يتخاذل عن الواجب".

وقال: "إن المسيرة إلى فلسطين، هي المسيرة إلى اسقاط الرجعية العربية والاستعمار والصهيونية إلى الأبد"^(١).

وفي ٢٣-٥-١٩٦٧ أدلى العقيد أحمد المير قائد الجبهة السورية بالتصريح التالي:

"إن الجبهة أصبحت معبأة بشكل لم يُسبق له مثيل من قبل".

وقال:

"إن العرب لم يهزموا في معركة ١٩٤٨ على أيدي الإسرائيليين، بل من قبل

(١) تصريح زعن كان في ٢٩/٥/١٩٦٧ عن كتاب [سقوط الجولان ص ١٤٤].

حكامنا الخونة، وهذه المرة لن نسمح لهم أن يفعلوا ذلك".

وكان وزير الخارجية السورية الدكتور إبراهيم ماحوس من أكثر المسؤولين البعثيين ثرثرةً. فبعد عودته من القاهرة أدلى بتصريح إلى وكالة الأنباء العربية السورية جاء فيه:

"إن زيارتي للقاهرة كانت لوضع اللمسات الأخيرة على الوضع السياسي العربي والدولي، وقال:

"إن مخططات الرجعية والاستعمار والصحف الصفراء التي دأبت على التشكيك بلقاء القوى التقدمية قد دُحرت. وإن سحب قوات الطوارئ بالشكل الذي تمّ به يبرهن على أن لا شيء يقف في طريق الثورة، وإن تشكيك الرجعية حول وجود هذه القوات قد رُدَّ إلى نحرها" (١).

رابعاً - فضح ادعاءاتهم:

١ - زعم حافظ الأسد في تصريحه ٢٠ / ٥ / ١٩٦٧ أن عدد الطيارين المسرّحين من الجيش لا يتجاوز أصابع اليد... ومن المعلوم أن عملية التسريجات كانت تتم حسب بيانات ونشرات تصدرها القيادة كلّ بضعة أيام أو أشهر، وكان آخر فوج من المسرّحين في الشهر الخامس من عام ١٩٦٧ أي قبل الحرب بشهر واحد، وبلغ

(١) سقوط الجولان ص ١٤١، ١٣٨.

مجموع الضباط الذين سُرحوا من الجيش أكثر من ألفي ضابط، وهذا العدد كاف لشل قدرات جيش دولة كبرى، وليس دولةً صغيرةً كسورية.

وكّل ضابط أو صف ضابط يعلم كذب ادعاء حافظ أسد، فسلح الطيران بالذات سُرح معظم ضباطه، ممن كانوا يتمتعون بكفاءات عالية، وأنفقت عليهم الأمة أموالاً طائلة... وكان تسريحهم يعني إبعاد سلاح الجو عن أية معركة.

٢- زعم "أسد" أن سلاح الجو تطوّر تطوراً كبيراً بعد ثورة ٢٣ شباط ١٩٦٦ من حيث الكمية والنوع والتدريب وزيادة عدد الطيارين .

أما زيادة سلاح الجو من حيث الكمية والنوع فلا ندرى صدق أسد من كذبه، ولو افترضنا صدقه، فليس من وراء زيادة الطائرات أية فائدة إذا فقدت البلاد من يحسن قيادتها ويجيد استخدامها يوم الكريمة وقديماً قال الشاعر العربي:

وعادة السيف أن يُزهى بجوهره وليس يقطع إلا في يديّ بطلٍ

أما قول الأسد بأن سلاح الطيران تطوّر تطوراً كبيراً من حيث عدد الطيارين والتدريب، فإن دَلّ على شيء فإنها يدل على استهتاره وقلّة حياثه، فالفترة الزمنية التي زعم فيها أن سلاح الطيران تطوّر تطوراً كبيراً هي ما بين ٢٣ / ٢ / ١٩٦٦ و ٥ / ٦ / ١٩٦٧ فهل يكون معقولاً أن تكون سنة وثلاثة أشهر كافية لتطوّر سلاح الطيران؟!!

إن هذه الفترة الزمنية غير كافية لتخريج دورة واحدة، ولو تمّ تخريج هذه الدورة حسب الطريقة البعثية النصيرية، فلن يكون أفرادها قادرين على خوض

معركة مصيرية مع سلاح الجو الإسرائيلي فور تخرجهم .. فهناك دورات وخبرات بعد التخرج.. والأنكى من هذا كله أن وزير الدفاع حافظ الأسد الذي يزعم أن سلاح الجو السوري تطوّر تطورًا كبيرًا خلال سنة وثلاثة أشهر هو ضابط طيار ويعرف أهمية هذا السلاح واستحالة ما زعمه خلال الزمن الذي حدّده.

وللقارئ الكريم أن يقارن بين تصريح أسد الآنف الذكر، وتصريح الجنرال "هود" قائد سلاح الجو الإسرائيلي :

وجّه الصحفيون إلى قائد سلاح الجو الإسرائيلي السؤال التالي:

كيف استطاعت إسرائيل تحقيق مثل هذا النصر الحاسم بهذه السرعة الفائقة؟!

الجواب: "لقد قضينا ست عشرة سنة نستعد ونخطّط لهذه الجولة، وحقّقنا جهدنا في ثمانين دقيقة! لقد عشنا خطتنا، نمنا معها، أفقنا عليها، تمثّلناها، هضمناها، وبالتدريج أدخلنا عليها الإصلاحات المتتالية حتى قاربت الكمال"^(١).

وإذن فطيلة ست عشرة سنة وسلاح الجو الإسرائيلي يتدرّب لاحتلال الجولان والضفة الغربية وسيناء وتدمير المطارات العربية، ويزعم حافظ الأسد أنه صنع

(١) المؤامرة ومعركة المصير، سعد جمعة رئيس وزراء الأردن السابق، ص ١٩٢، دار الكتاب

المعجزات خلال سنة وثلاثة أشهر !!

٣- زعم البعثيون الناصريون أنهم سينسفون الوجود الصهيوني من جذوره، وسوف يسقطون الأنظمة الرجعية العربية والاستعمار والصهيونية إلى الأبد، ونسج الناصريون^(١) على منوالهم بل وزادوا عليهم، وقد وصف مسؤول بعثي الحرب بأنها رحلة ممتعة إلى تل أبيب وصمت عند هذا الحد، وأضاف أحمد سعيد بأنه سيلقي اليهود في البحر ليكونوا طعامًا لحيواناته، وقد زاد أحمد الشقيري عنتريات جديدة إلى القولين السابقين وعندما همي وطيس الحرب فرّ من القدس وعمان كالغزال .

أما اليهود فكان لهم موقف آخر عبر عنه وزير دفاعهم "موشي ديان" عندما قال في مؤتمر صحفي عقده في ٣ حزيران ١٩٦٧:

"إنه قد فات الوقت لردة فعل عسكرية فورية على إغلاق الجمهورية العربية المتحدة لمضائق تيران"^(٢).

وبعد يومين فقط من تمويه وزير الدفاع الإسرائيلي وتضليله ضرب اليهود ضربتهم ونكص البعثيون والناصريون على أعقابهم خاسرين وذلك جزاء الظالمين.

(١) معظم المطلعين في مصر يجمعون على أن عبد الناصر ما كان يريد الحرب، وسحب قوات الطوارئ كان مناورة ظنها تمر كما مرت حرب قناة السويس سنة ١٩٥٦.

(٢) سقوط الجولان، ص ١٤٧ .

٤- كان البعثيون النصيريون من حكام سوريا يتحدثون- من خلال بياناتهم وتصريحاتهم- باسم الأمة العربية، ويرون أنهم يمثلون إرادة الشعوب العربية. ولا أدري متى أعطتهم الشعوب العربية حق تمثيلها، وكيف تم هذا الاستفتاء؟!

ولنتحدث عن سورية التي ابتلاها الله بهم، أما مصر مثلاً فليس لهم وجود بها: - فالإسلاميون على مختلف هيئاتهم وجمعياتهم كانوا بين سجين وطريد. - والناصريون كلّ الناصريين كانوا يللمون جراحهم بعد مذبحه تموز ١٩٦٣ وما تلاها من نكبات ومصائب لحقت بهم. - والرجعيون [كحزبي الشعب والوطني، والانفصاليين والمستقلين] انتهى دورهم منذ الثامن من آذار ١٩٦٣، ومعظمهم تم عزله مدنيّاً. - والبعثيون: تم عزل جناح أكرم الحوراني منذ انقلاب الثامن من آذار ولحق بهم البعثيون الناصريون [جناح عبد الكريم زهور] وفي ٢٣ شباط ١٩٦٦ تم إبعاد جناح العفالقة [ميشيل عفلق، صلاح البيطار، محمد أمين الحافظ، منيف الرزاز]، ولحق بهم من تبقى من الجناح الدرزي [سليم الحاطوم، وحمد عبيد]. - والنصيريون لم تكن كلمتهم قد اجتمعت على حافظ أسد، وإنما كانوا أربعة أجنحة: عمران، ماخوس، جديد، أسد.

إذن من بقي من هذا الشعب المستضعف البائس مع النظام المستبد؟!، إنهم لا يتجاوزون ٥٪، أما ٩٥٪ من الشعب السوري فكانوا لا يأمنون على أموالهم

وأرواحهم وأعراضهم.

فكيف تنتصر أمة يسوسها حثالة الناس من أمثال أسد وجديد؟!

وبعد هذا كله يزعم أسد وصحبه أن الجيش السوري قادر على مواجهة إسرائيل والأسطول السادس الأمريكي، والأنظمة الرجعية في الوطن العربي، وعملاء الاستعمار داخل سورية- أي ٩٥٪ من المواطنين -!!
ولندع المجال للدكتور سامي الجندي^(١) يرد على رفاقه.

قال الجندي يصف اجتماعاً لمجلس قيادة الثورة بعد الثامن من آذار:

"... ألقينا على أنفسنا أسئلة كثيرة وناقشنا كل القضايا، ومن بينها القضية الفلسطينية التي كانت دائماً محور السياسة العربية الرئيسي والأساسي، وخاصةً الدول المتاخمة لإسرائيل، وفي وعينا أنها أخطر القضايا، فهي ممكن خطر كبير، كما هي مصدر خوف جماهيري .

(١) أحد الذين ساهموا في تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي، وعضو في قيادة الحزب القطرية، وعضو في مجلس قيادة الثورة، وكان ناطقاً رسمياً باسم هذا المجلس بعد انقلاب الثامن من آذار سنة ١٩٦٣، كما كان وزيراً للثقافة والإرشاد والإعلام، ورُشح أكثر من مرة لرئاسة وزارة حزب البعث، وسفير نظام الحرب في فرنسا خلال حرب حزيران ١٩٦٧، وكان الجندي ممثلاً لسورية في لجنة المتابعة العربية ١٩٦٤ من أجل تحويل مجرى نهر الأردن، كما شارك في مباحثات الوحدة سنة ١٩٦٣.

ولأعطي فكرةً عن موقف سورية تجاه هذه القضية، يكفي أن أنوه بأن ٦٣٪ من الميزانية مكرّس للتسلّح، مما يشكل نسبةً ضخمةً بالقياس إلى بلد في طريق التنمية. سألنا أنفسنا هذا السؤال الدقيق :

"ماذا نفعل لو هاجمتنا إسرائيل؟" طلبنا أدقّ المعلومات السرية لنستطيع تقييم قوة العدو وقوتنا. وفوجئنا بالفرق الشاسع بين القوتين. وقدّرنا أن الجيش السوري، رغم تسلحه الجيّد، وتمرّسه وشجاعته، ليس في وضع يسمح له أن يصمد أكثر من ساعات أمام أي هجوم إسرائيلي".

وعن اجتماع قمة الدار البيضاء قال الجندي:

"حضر الزعماء العرب عدة مؤتمرات قمة، بقصد مواجهة قضية فلسطين متّحدين، ومن تلك المؤتمرات مؤتمر الدار البيضاء. تحدّثوا هناك عن تحويل مجرى نهر الأردن، وعن عزم إسرائيل على إعلان الحرب ضدنا. أبدى كثيرون حماسةً عظيمةً مكّبرين الكرامة القومية، منتشين بحمية المنطلقات الرومنطقية، ثم جاء دور العسكريين. فقدّم الجنرال علي علي عامر تقريره. فنظر كلّ من الزعماء إلى أخيه، في خيبة أمل كبرى! كان عليهم أن يواجهوا الحقيقة المرّة. إنهم قادة شعب من مائة مليون عربي مسلّحين كامل التسلّح!

ثم قدّم الجنرال علي علي عامر بيانه الحربي فقال:

"إذا تحملت الدول العربية مسؤولياتها كاملة، فستصبح قواتنا معادلة لقوات إسرائيل خلال ثلاث سنوات. فاذا شئنا التفوّق عليها لزمنا ثلاث سنوات أخرى،

لأن تعادل قواتنا لا يعني النصر حتمًا. ذلك لأن التدريب الإسرائيلي متفوق على تدريب جيوشنا. وثمة عوامل عدة في صالح إسرائيل في كل معركة هي: وحدة الأرض، سهولة إدارة المعركة، سهولة الحركة. أضف إلى ذلك وحدة القيادة. ولا ننسى أبدًا وسائل الاتصال الجيدة. فلتحشد إسرائيل جيوشها لا تحتاج إلى استقدام قواتها المسلحة من مسافة آلاف الكيلو مترات".

صدّق الزعماء العرب على تقرير علي عامر ووقعوه ونُفذ المخطط حرفيًا، خلال ستة أشهر. ثم نجم من جديد الخلاف بين الزعماء وعبر الإذاعات. وتوقف المخطط، حتى هذه الساعة. إذن لم يكن العرب مستعدين للمعركة" (١).

وخلاصة رأي الدكتور سامي الجندي: أن النظام السوري الذي يقرع طبول الحرب، وهو يعلم ضعف إعداد الجيش إنما يهدف من وراء ذلك إلى تسليم العدو اليهودي جزءًا من الأراضي السورية.

يقول في كتابه "كسرة خبز":

"من يعود إلى التاريخ ويقرأ مذكرات [وايزمن] يعرف أن إسرائيل لا يمكن أن تتنازل عن الجولان. لقد نبهتُ حكومتي منذ ١٩٦٥ إلى أنها تنوي احتلاله. كنت أعارض دائمًا في حرب مع إسرائيل أعرف أننا فيها خاسرون. التقارير التي كنت أحملها من لجان [المتابعة] سنة ١٩٦٤ يوم كنت ممثلًا لسورية فيها ما كانت

(١) عرب ويهود، الدكتور سامي الجندي ص ١٦٦، ١٦٥، ١٦٤، ١٦٣، دار النهار للنشر.

تدع مجالاً للشك في الهزيمة إذا قامت حرب. كلُّها كانت تؤكد أن القوة العربية لم تصل إلى نصف قوة إسرائيل. ولقد دخلنا في حرب ١٩٦٧ بأقل من نصف قواها وما كان أحد من المسؤولين يجهل ذلك. فكيف إذن يعود الجولان [بلعبة ثورية ذكية ماهرة]؟

آرائي كلها دون استثناء كانت ضد الحرب. لم أخف أبداً أن الحكم يُعد لهزيمة لا لاسترداد فلسطين. لم تكن هناك أية بادرة للنصر ولا أعني أنه كان يعد لهزيمته نفسه، وإنما لهزيمة العرب الآخرين كي يبقى [الثوري] الوحيد سيد المناخ الثوري العربي".

تعقيب على كلام الجندي:

ما قاله الجندي عن مؤتمر قمة الدار البيضاء، والتقرير العسكري الذي قدّمه الفريق علي علي عامر، رئيس أركان القيادة العربية الموحدة صحيح، وقد أكّده كلٌّ من كتب عن هذا المؤتمر من السياسيين، ومن شاء مزيداً من التفصيل فليراجع كتاب "الديمقراطية في الميزان ١٠٧-١١٥" لرئيس وزراء السودان السابق محمد أحمد محجوب، وكان شاهداً على ما دار في قاعة المؤتمر وأروقتة.

ولا أدري لماذا تجاوز الجندي عن تصريح مشهور لرئيسه محمد أمين الحافظ - صديق كوهين-، زعم أبو عبّو في مؤتمر قمة الدار البيضاء أمام الرؤساء والملوك العرب أنه يستطيع تدمير إسرائيل ببعض قوات الجيش السوري خلال ساعات، وكان يصريحه مجالاً للسخرية والتهكم.. فكيف نجمع بين أدقّ المعلومات التي

اطّلع عليها مجلس قيادة الثورة والتي تقول بأن الجيش السوري ليس في وضع يسمح له أن يصمد أكثر من ساعات أمام أي هجوم إسرائيلي.. وبين عنتريات ومزايدات رئيس دولة البعث؟!!

ورغم ذلك يستمر الجندي بالسلطة ولا يخرج منها إلا بالطرد!!

وسوريا البعث كانت أول دول عربية ترفض تنفيذ مقترحات مؤتمر قمة الإسكندرية في أيلول ١٩٦٤ القاضية بتحويل منابع الأردن إلى الأراضي العربية، وتذرّعت بحاجتها إلى حماية عربية من الانتقام الإسرائيلي.

وبعد شهرين أهمل ميثاق التضامن العربي الذي وُضع في الدار البيضاء، بسبب الخلافات العربية.

ومن المفيد نقل بعض الفقرات من كلام الزعيم السوداني:

"لم يكن أحد، وخصوصاً في العالم العربي، يتوقّع الحرب أو يريد نشوبها حين نشبت. لا ريب أن الزعماء العرب قد اتفقوا بصورة واضحة على وجوب تجنب الحرب في ذلك الحين".

ويتحدث محبوب عن إهمال عبد الناصر وتجاهله لقرارات قمة الدار البيضاء، ويستغرب كيف طلب بتحريض من السوريين، من الأمين العام للأمم المتحدة سحب قوات الطوارئ الدولية من قطاع غزة وشرم الشيخ ثم عاد- أي عبد الناصر - يقول:

"نحن لا نواجه إسرائيل بل أولئك الذين وراءها. تواجه الغرب الذي خلق إسرائيل".

وقال محجوب:

"أرسلنا على عجل وفدًا مزوّدًا بسلطة عالية ليكتشف ما يريد ناصر عمله - قبل الحرب ببضعة أيام- قال: إنه مستعد لمحاربة إسرائيل وحده، وإنه لا يحتاج إلى مساعدة عسكرية، بل يريد تأييدًا معنويًا. وفكّر لحظة ثم أضاف: إنه قد يطلب منا مؤنًا لجنوده كاللحم".

ويقول محجوب:

".. وأشدّ خطرًا من ذلك أن الرئيس ناصر تجاهل تمامًا ما أوصى به مؤتمر الدار البيضاء من أننا نحتاج إلى ثلاث سنين لرفع القوات العربية المسلّحة إلى مستوى قوات إسرائيل في القوة والتدريب. أصابنا الذهول جميعًا!، وختم محجوب كلامه قائلاً:

في رأيي أن ناصر كان، حتى آخر لحظة، لا يعتقد أن الأمر سيؤدي إلى حرب فعلية. كانت خطته مناورةً سياسيةً، ولكنه ذهب فيها بعيدًا ولم يبق هناك طريقة شريفة للتراجع، وأخيرًا هبت العاصفة يوم الاثنين ٥ حزيران ١٩٦٧" (١).

(١) الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان السابق، دار النهار للنشر

خامساً- أخبار الحرب:

١- رواية الإعلام السوري:

الإثنين ٥ / حزيران ١٩٦٧:

قطع راديو القاهرة إذاعته حوالي الساعة ٩, ٥٠ بتوقيت القاهرة الصيفي ليعلن أن قوات إسرائيل بدأت تهاجم ج.ع.م. وفي هذه اللحظة قطع راديو دمشق برامجه العادية ليعلن أن إسرائيل هاجمت ج.ع.م. صباح اليوم.

وهذا أهم ما صدر عن الراديو:

- نداء إلى الشعب أعلن بدء معركة التحرير الشعبية، حيث سيكون اللقاء في قلب تل أبيب. ثم دعا الراديو إلى مسح إسرائيل عن الخريطة.

- أذاع الراديو بلاغاً من القائد الأعلى للقوات السورية المسلّحة في الساعة ١٢ ظهراً حسب توقيت دمشق الصيفي، أعن فيه دخول القوات السورية المعركة إلى جانب مصر وقال: إن الطائرات السورية بدأت قصف مدن العدو ومواقعه ومنشأته. ومضى يقول: إن سورية تلتحم مع العدو الآن، ولن تتراجع قبل إبادة الوجود الصهيوني إبادةً كاملةً.

- قال الدكتور نور الدين الأتاسي رئيس الجمهورية في إذاعة موجهة إلى الشعب: "لقد دقّت ساعة النصر على أعداء العروبة، وقد حفر الصهاينة الغزاة المتآمرون مع الاستعمار العالمي قبورهم بأيديهم عندما أغاروا اليوم على ج.ع.م.

وقال: "إن الهجوم الإسرائيلي لم يتم إلا بتخطيط من الاستعمار العالمي الذي جعل من إسرائيل أداة للتنفيذ. وقال: لقد ألقى الشعب [مسكين هذا الشعب كم من الظلمة يتكلمون باسمه وهم ألد أعدائه] العربي بثقله في المعركة الفاصلة، ووضع الجيش السوري كل قواه الضاربة في هيب المعركة، وإن نسورنا البواسل يدمرون منشآت العدو ومدنه وهم في طريقهم لتحرير الأرض المغتصبة".

- أخذت الإذاعة السورية تتحدث عن سيطرة سلاح الجو السوري، وعن سقوط طائرات العدو اليهودي في الأراضي السورية والأردنية واللبنانية والأراضي المحتلة، وبلغ عدد الطائرات التي أعلنوا عن سقوطها أكثر من خمسين طائرة.

- في السادس من حزيران بدأ البعثيون يتحدثون عن تدخل قوات أمريكية بريطانية في المعركة، وإن هذه القوات اشتركت في ضرب الأهداف داخل ج.ع.م. وقال د. ابراهيم ماخوس في هذا اليوم أن سوريا أسقطت في الخامس من حزيران ١٥٠ طائرة.

- وفي السابع من حزيران أعلنت سورية أنها سيطرت على سهل الحولة.
- وفي الثامن من حزيران أذاع راديو دمشق في الساعة الثالثة صباحاً أنه يتوقع أن تصل القوات السورية إلى صفد لتلتقي بالقوات الأردنية الزاحفة^(١).

(١) سقوط الجولان ١٤٨. أما كذوبة تدخل القوات الأمريكية والبريطانية فلقد تبين أن عبد

١ - رواية الضابط السوري خليل مصطفى:

هل صحيح أن القوات السورية دخلت المعركة في الساعة ١٢ ظهر يوم الإثنين في الخامس من حزيران؟!!

يقول الضابط خليل مصطفى بريز:

"لقد ثبت لدينا أن سورية لم تمارس العمل الحربي ضد إسرائيل، إلا بعد مرور ٢٢ ساعة على بدء الحرب فعلاً بين العرب وإسرائيل، وهذه الساعة كانت حاسمةً فعلاً في تاريخ هذه الأمة، فلماذا لم تبادر القوات السورية مباشرةً إلى بدء الهجوم الكاسح ضد شمال إسرائيل فتخفف الضغط عن جبهة سيناء وجبهة الأردن؟! (١)"

الناصر هو الذي لفقها، ورددتها أجهزة اعلام الأردن وسورية البعث، وفي كتاب "حربنا مع إسرائيل" اعتذر الملك حسين عن تسرع إعلامه في إذاعة هذا الخبر الذي لا أصل له.

(١) الضابط خليل مصطفى كان رئيس قسم الاستطلاع في قيادة الجبهة، ومن أهم المصادر التي اعتمد عليها، الضباط الذين ساهموا في حرب حزيران في مختلف قطاعات الجبهة، ومعظمهم خاضوا معارك فردية بدافع من إيمانهم بالله، وحرصاً منهم على الشهادة في سبيله جلا وعلا. ومن المعلوم أن خليل مصطفى رجل مؤمن بالله ثقة، ومن هذا المنطلق ألف كتابه القيم «سقوط الجوان» الذي يعتبر أدق وأهم مرجع لتاريخ مؤامرة سقوط الجولان، لذا أوصي بقراءته واقتنائه وعدم الاكتفاء بما جاء في كتابي هذا. والمعلومات التي ذكرها خليل مصطفى مطابقة لما سمعناه من أقربائنا وإخواننا وأصدقائنا العسكريين الذين ساقهم النظام إلى الجبهة في القنيطرة وواسط والعال ولولا أنني أخشى بطش طاغوت سورية لذكرت أسماء عدد من العسكريين، لكنني لا أعرف

٣- رواية صحيفة النهار اللبنانية:

"لم تبدأ سورية الحرب إلا صباح ٦/٦/١٩٦٧، رغم أن سورية هي سبب الحرب وهي الداعية إليها. واقتصرت الهجمات السورية على [دان، تل دان، ثريا شوف]، ولم تخرج القوات الإسرائيلية للردّ بسبب انشغالها بالقتال على باقي الجبهات".

وقالت الصحيفة:

"ولم يدخل الإسرائيليون المعارك الفعلية ضد سورية إلا يوم الخميس ٦/٨، حيث تفرّغوا لجبهتها.

وأضافت النهار: إن الإسرائيليين شنّوا هجومًا شاملاً على المواقع السورية عند ظهر يوم الجمعة، وبدل أن تقصف المدفعية السورية، القوات الإسرائيلية المهاجمة، تابعت ضرب المستعمرات وإضرار النار فيها.

أما عن خسائر إسرائيل البشرية في معركة الجولان فنقلت النهار عن السلطات الإسرائيلية أنها فقدت ١١٥ قتيلًا، وأُصيب ٣٠٦ بجراح^(١).

مصيّرهم الآن، وأخاف أن أكون سببًا في جرّ أذى إليهم.

(١) نشرت صحيفة النهار اللبنانية عددًا خاصًا بحرب حزيران أسمته "النكسة".

وعن رواية النهار قالت الصحيفة أنها خلاصة ما نشرت وسائل النشر في العالم الغربي، عن النكسة- على حد قولهم-، ويبدو أن قسمًا كبيرًا من هذا الوصف، جاء في كتاب "حرب الأيام الستة" لـ "راندولف تشرشل". كما وأن النهار تقول بأن هذا الوصف مستمد من صحف غربية مختلفة.

٤ - رواية الملك حسين:

عقدت سورية مع مصر معاهدة دفاع مشترك قبل الحرب بأيام، وخذت الأردن مع مصر حذو سورية، وبموجب هذه المعاهدة أصبح الفريق المصري عبد المنعم رياض قائداً للجبهة الأردنية، والفريق محمد فوزي رئيساً لأركان القيادة الموحدة.

وانطلاقاً من هذا الوضع الجديد طلب عبد المنعم رياض من سوريا إمداد الأردن ببعض الألوية، لأن سورية تستطيع حماية جبهتها بثلاث قواتها.
يقول الملك حسين:

"وفي تلك الليلة - ليلة الأحد ٤ حزيران - استخدمنا خطوط المواصلات العسكرية في طلب الإمدادات من السوريين، ولكنهم لموا الصمت".
وسئل الملك حسين عن سبب عدم إقلاع الطيارين الأردنيين بطائراتهم فور نشوب النزاع فأجاب:

"لأننا كنا ننتظر السوريين. فبدون مساعدة طائراتهم الميغ لا يمكن أن يسفر قصف قواعد إسرائيل الجوية عن نتيجة مهمة. ومنذ الساعة التاسعة اتصلت قيادة العمليات الجوية بالسوريين، فكان جوابهم أنهم بوغتوا بالأحداث، وأن طائراتهم

عن كتاب سقوط الجولان ص ١١٨". والشاهد من رواية قولها: أن سورية لم تبدأ الحرب إلا صباح ٦/٦ وهو القول الذي قاله مصطفى خليل.

ليست مستعدةً، وأن مطاراتهم تقوم برحلة تدريبية. وطلبوا إمهالهم نصف ساعة، ثم عادوا وطلبوا إمهالهم ساعةً، وفي العاشرة والدقيقة الخامسة والأربعين كرّروا الطلب نفسه فوافقنا. وفي الحادية عشرة لم يعد بالإمكان الانتظار، فأقلعت الطائرات العراقية من قاعدتها لتنضم إلى سلاحنا الجوي وتساهم في القيام بالمهمة المشتركة المنوطة بسلاح الطيران".

وكان من نتيجة الاستمهال المتكرر من جانب السوريين أن عملياتنا الجوية لم تبدأ إلا بعد الساعة الحادية عشرة صباحاً.

وقال الملك حسين :

"ولما كنت أعتقد أن المبرر الوحيد لغلطة ترتكب هو الدرس الذي يمكن استخراجه منها، يهمني أن أوضح هنا- دون أن أحاول إلقاء مسؤولية الفشل المشترك على فريق معيّن - أن عاملين اثنين قد أوصلانا، والنزاع في مستهله، إلى ما انتهينا اليه وجعلانا ندفع الثمن غالياً :

فمن جهة فوّت علينا تأخر الطيران السوري في التدخل فرصة ذهبيةً كان يمكن أن ننتهزها لقلب الموقف لمصلحة العرب. فلولا تردّد السوريين لكنا قد بدأنا عمليات القصف الجوي في وقت مبكر، ولاستطعنا اعتراض القاذفات المعادية وهي في طريق عودتها إلى قواعدها بعد قصفها القواعد المصرية، وقد فرغت خزاناتها من الوقود ونفذت ذخيرتها، وكان بإمكاننا حتى مفاجأتها وهي جاثمة في مطاراتها تملأ خزاناتها استعداداً لشن هجمات جديدة. فلو قيّض لنا

ذلك لتبدل سير المعركة وتبدلت نتائجها^(١).

ووجه الصحفيّان الفرنسيّان - فانس ولوير - إلى الملك حسين السؤال التالي:

لكن كان يبدو أن السوريين هم الذين يريدون الحرب. وقد سبق لرئيس الحكومة السورية الدكتور يوسف زعين أن صرّح في القاهرة: "لم يعد الوقت للكلام. لقد دقّت ساعة الحرب... " هل كان ذلك خدعةً أيضًا، أم هي الزيادة الكلامية العادية التي يتميّز بها بعض الشرقيين!؟

وكان جواب الملك حسين:

"الزمن وحده سيعطي تفسيرًا لمسائل عديدة. لكن ما تأكدت منه هو أن الطيران السوري لم يكن مستعدًا، يوم ٥ حزيران للحرب. وكانت حسابات الإسرائيليين صحيحةً حين جازفوا واحتفظوا بـ ١٢ طائرة فقط للدفاع عن أراضيهم، بينما كان الجزء الأكبر من قواتهم الجوية يشنّ هجومه الأول على القواعد المصرية. وبالإضافة إلى ذلك لم يجدوا أي غطاء جوي فوق مصر".

وجاء في يوميات الحرب السرية لهيئة الأركان العامة الأردنية عن سورية ما

يلي:

الثلاثاء ٦ حزيران الساعة العاشرة مساء: الملحق العسكري السوري السابق

(١) العامل الثاني الذي سبب الهزيمة - كما يقول الملك حسين - المعلومات غير الصحيحة عن

انتصارات مصرية ضد إسرائيل أبلغها عبد الحكيم عامر لقيادة الجبهة الأردنية .

بالسفارة السورية في عمان، العقيد عدنان طيارة، أبلغنا من الحدود السورية - الأردنية ، وهو في طريقه إلى عمان، أن اللواء ١٧ سيصل بعد ساعة.

الأربعاء ٧ حزيران الساعة الثانية صباحًا: اللواء ١٧ لم يصل بعد.

الساعة الثانية والرابع صباحًا: اتصل الفريق رياض بغرفة العمليات في دمشق، وطلب مساعدة لواء مدرّع إضافي في أسرع وقت ممكن. وفي الوقت نفسه أبلغ دمشق أن اللواء السوري ١٧ لم يصل بعد.

الساعة الحادية عشرة صباحًا: لم يصل اللواء ١٧ بعد إلى الرمثاء، وهي نقطة الحدود الأردنية الأولى مع سورية.

الساعة الثامنة والدقيقة العشرون مساءً: ظهرت أخيرًا عناصر متقدمة من اللواء ١٧.

صدر الأمر إلى القيادة السورية في احتلال المواقع الدفاعية في محور وادي شعيب، حين تكتمل وحداتها، وذلك لإفساح المجال أمام القوات الأردنية حتى تتجمع.

الخميس ٨ حزيران: أمضى القائد السوري يومه في دراسة مواقعه الجديدة مع ضباطه، ليقوم بعد ذلك باحتلال هذه المواقع.

الساعة الثامنة مساءً: اللواء السوري ١٧ لا يزال عند نقطة تجمعها الأولى في البقيعة.

الساعة العاشرة مساءً: ضابط الاتصال الأردني الملحق باللواء السوري ١٧ أبلغ الفريق رياض أن قيادة هذا اللواء ترفض المrabطة في الموقع المحدد لها، وتطلب مهلةً إضافيةً حتى يوم غد.

والسبب الذي أعطاه القائد السوري، هو أنه يريد أن يستكشف ضباطه المكان بشكل أكثر تفصيلاً، قبل المrabطة فيه.

حاول الفريق رياض، عبثاً، إقناع القائد السوري بأن يجري مناورته هذه الليلة.

الجمعة ٩ حزيران: أبلغ الفريق رياض القائد السوري أنه يستطيع العودة إلى سورية مع قواته، عند الغروب.

انسحب اللواء السوري ١٧ في الموعد المحدد. لم يشترك بأية عملية" (١).

(١) حربنامع إسرائيل، الملك حسين، دار النهار للنشر، صفحات:

٨٣، ٨٢، ٨، ٥٣، ٥٢، ٤٨، وبهذه المناسبة أرى لزاماً على أن أؤوه بالملاحظة التالية:

الاستشهاد برواية الملك حسين لا يعني بحال من الأحوال اتهام سوريا- البعث- وحدها، فكل دول المواجهة كانت كسورية أو أقل منها بقليل... والذي دعاني إلى الاستشهاد برواية الملك حسين لأنها- كما أشرت قبل قليل- تمثل وجهة نظر الأردن ومصر معاً، ومعظم ما جاء فيها كان يحكي رأي القائد المصري عبد المنعم رياض- هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فالرواية صحيحة ومنسجمة مع الروايات الأخرى. ويعرف صدقها كل من شهد الأحداث.

٥- رواية ضابط لبناني:

قال ضابط لبناني شهد المعركة في حديث أجرته معه مجلة الحوادث:

"بدأ الإسرائيليون المعركة حوالي الساعة التاسعة إلا ربعاً في الصباح. بدأت أسراب الطائرات الإسرائيلية - وكان كلّ سرب مؤلف من أربع طائرات - تتدافع ، سراًباً إثر سرب، لضرب التحصينات السورية في (تل القاضي).

ومنطقة (تل القاضي) هي الجزء الوحيد في التحصينات السورية التي لم تبني فيه المواقع الدفاعية بالإسمنت المسلّح، لأن هذه المنطقة محصنة بشكل طبيعي، وتعتبر الصخور التي تحميها من أقصى وأقوى المواقع الجبلية في سورية.

ولم ندرك في البداية سر اختيار الإسرائيليين لهذه المنطقة بالذات، التي كانت الفكرة السائدة عنها أنها أصعب نقطة في التحصينات السورية.

واستمر ضرب الطيران الإسرائيلي للمنطقة بالقنابل والصواريخ حوالي الساعة. وعندما خف نشاط الطيران بدأ ضرب المدفعية.

ومع أن تحضير أرض المعركة من قبل المدفعية يستغرق عادة بين الأربع والست دقائق، نظراً للمصروف الباهظ بالذخيرة الذي يحتاجه ضرب المدفعية، إلا أن الإسرائيليين استمروا بالضرب حوالي ١٥ دقيقة، انتهت بتوجيه كمية من قنابل الدخان الكثيف دليلاً على بدء المعركة الفعلية على الأرض.

وفي الساعة العاشرة تحرك لواء مدرّع من جرافات البلدوزر الضخمة - وهي آليات مدرّعة ولها جنزير وبرج لحماية السدنة فيها - وأخذت توجّه جرافاتها المسنونة إلى الكتل الصخرية التي تحمي تحصينات موقع (تل القاضي) والتي كانت التقديرات العسكرية تؤكد استحالة اختراقها من قبل أسلحة الدروع .

ووقع ما لم يكن في الحسبان ، واستطاعت مدرّعات البلدوزر اختراق الصخور. وبعد ذلك أخلت الطريق للدبابات الإسرائيلية التي أخذت تتسلق الطريق في محاولة لتطويق التحصينات السورية وضربها من الخلف. وكانت كلّ دبابة مزودة بسيارتين مصفحتين إحدهما للذخيرة والثانية للوقود .

وكان في برج المراقبة المشترك على الحدود السورية - اللبنانية ضابط سوري، كان المفروض أن يتصل بمقرّ قيادة الجيش السوري على الجبهة، ليحيطها علمًا بأخبار محاولة اختراق الجبهة بمدّعات البلدوزر وتعيّن زوايا تحرك الدبابات الإسرائيلية بواسطة المنظار المكبّر، لتتمكن المدفعية السورية من توجيه ضربات قاتلة إليها، ولكن سرعان ما تبين أن الضابط السوري لم يكن يعرف لا استعمال المنظار المكبّر ولا تعيين زوايا تحرك الدبابات وإبلاغها إلى سلاح المدفعية .

لقد كان الضابط السوري وطنياً مندفعاً، ومن أشد المتحمّسين للنظام القائم، ولكنه كان معلّم مدرسة لم تمش عليه أكثر من ستة أشهر في الجيش، وبالتالي لم تكن لديه أية مبادرة عسكرية أو معرفة في فنون القتال الضيق .

ومع ذلك، فلم يكن لذلك أهمية، لأن المعركة في الأساس لم تكن معلقةً على مقدرة ضابط برج المراقبة، بقدر ما كانت متوقفةً على مقدرة القيادة السورية على الجبهة، للقيام بهجوم مضاد يقوم به اللواء المدرّع الذي تكون المدرّعات الإسرائيلية قد وصلت إلى رأس (تل القاضي)، أي في اللحظة التي تُعتبر منتهى الإرهاق بالنسبة للمهاجم، في تلك الدقائق الحاسمة، أخذت الدبابات السورية تخرج من تحصيناتها، ولكن المفاجأة التي أذهلتنا أن هذه الدبابات بدلاً من القيام بهجوم معاكس مضمون النتائج، تجهت نحو القنيطرة.

لماذا... ما هي الحكمة...؟

إلى الآن، لم أستطع أن أعرف، وبالتالي أن أفهم. لاسيما وأن القنيطرة سقطت بعد ذلك بدون قتال وبعلان مسبق في الإذاعة.

وقد وقع أثناء انسحاب اللواء السوري المدرّع حادث طارئ، كشف عن مدى الخسائر التي كان يمكن إلحاقها بالمدرّعات الإسرائيلية لو قامت الدبابات السورية بالهجوم المعاكس.

لقد تعطلت إحدى الدبابات بالصدفة، بعد تعطل جنزيرها. وكانت هذه الدبابات في أواخر الرتل السوري المنسحب، ولم يكن أمام قائد الدبابة إلا أن يحارب، فأدار مدفعه إلى الخلف واستطاع من مكانه، وخلال دقائق معدودة، أن يدمّر ست دبابات، ويوقف تقدّم الإسرائيليين. واستنجد العدو بالطائرات، فدُمّرت الدبابة السورية الشجاعة بصاروخ جوي. ولولا ذلك لاستطاعت

تدمير ١٥ دبابةً إسرائيليةً على الأقل قبل أن تصاب وتتحرق".

وحينما سُئل الضابط اللبناني، بماذا يفسر ذلك كله، أجاب:

"بقصة السوري الذي أرسل إلى برج المراقبة... إن كثيرًا من الضباط السوريين من رتبة ملازم إلى رتبة نقيب - وهم الضباط الذين يشكّلون الأعمدة الأساسية لكل جيش في العالم - يتمتّعون بمزايا حزبية عالية، ولكنهم لا يتمتعون بمزايا عسكري مماثلة...»^(١).

تعليق:

١ - لماذا لم تبادر القوات البعثية النصيرية إلى شنّ هجوم على إسرائيل فور علمها بالعدوان الإسرائيلي على المطارات المصرية؟!، أو ليس نظام دمشق هو الذي ملأ الدنيا جعجعةً، وأخرج نظام عبد الناصر وجرّه إلى المعركة؟!!

قال البعثيون النصيريون على لسان وزير دفاعهم - حافظ الأسد - أن القوات السورية مستعدة لنسف الوجود الصهيوني، وأشداء - بشكل خاص - بقوة سلاح الجو وتطوره تطورًا كبيرًا!!!

(١) مجلة الحوادث اللبنانية، العدد رقم ٤٠٦، العدد ٦، ٤، تاريخ ٧ حزيران ١٩٦٨ عن كتاب [المسلمون والحرب الرابعة ص ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥]. والضابط يتحدث عما شاهده صبيحة التاسع من حزيران.

ثم قالوا لعبد المنعم رياض وللمسؤولين الأردنيين عند نشوب الحرب:

"لقد بوغتنا بالأحداث... وطائراتهم ليست مستعدة".

لا يمكن أن يكون هذا مجرد خطأ أو مزايدة، ولا أظن أن المجانين يقبلون مثل

هذا التبرير المتهافت، فكيف يقبله العقلاء!؟

ومن المؤكّد أن البعثيين النصيريين قدّموا لإخوانهم اليهود أجلّ المساعدات وأعظمها عندما امتنعوا عن ضرب المطارات الإسرائيلية قبل عودة طائراتهم من مصر، ولم يكن لإسرائيل في هذه المطارات إلا ١٢ طائرة. ولو أذى سلاح الجو السوري دوره في تلك الساعات الحرجة لتغيّر وجه المعركة، لكننا لا نجني من الشوك والعنب.

٢- ومن يتابع الطريقة التي تمّ بموجبها إرسال اللواء ١٧ إلى الأردن يعلم

جيداً أن نظام دمشق يترقب شيئاً تسفر عنه المعركة.

فقد طلب الفريق عبد المنعم رياض عن طريق عبد الحكيم عامر قوات سورية لتشارك في الحرب على الجبهة الأردنية، وكان طلب رياض ليلة الأحد ٤ حزيران، ولكن السوريين لموا الصمت، وبعد الإلحاح أُبلّغت الأردن في ٦ حزيران أن اللواء ١٧ على الحدود السورية الأردنية وسيصل بعد ساعة، ولم يصل إلا بعد يوم ورفض أن يخوض المعركة وعاد في التاسع من حزيران، وفي هذا اليوم - ٩ حزيران - انتهى دور الترقّب، وكان معلوماً هزيمة مصر والأردن، وفي اليوم نفسه دخل اليهود الجولان.

٣- في رواية الضابط اللبناني الذي شهد المعركة جاء ما يلي:

"وفي تلك الدقائق الحاسمة -أي خرق اليهود للجبهة-، أخذت الدبابات السورية تخرج من تحصيناتها، ولكن المفاجأة التي أذهلتنا أن هذه الدبابات بدلاً من القيام بهجوم معاكس مضمون النتائج اتجهت نحو القنيطرة". - أي إلى الخلف-. والذي أفهمه من هذه الرواية أن القوات البعثية النصرانية أرادت لأمتنا الهوان والاستسلام، وكانت تنتظر هزيمة مصر والأردن، وعندما تم ذلك عادت لتحمي الثورة في دمشق، وتسلم الجولان بدون قتال لإسرائيل.

سادساً - البلاغ رقم ٦٦:

السبت ١٠ حزيران ١٩٦٧. أعلن وزير الدفاع حافظ الأسد الساعة ٩:٣٠م البلاغ العسكري رقم ٦٦، وهذا نصه:

"إن القوات الإسرائيلية استولت على القنيطرة بعد قتال عنيف دار منذ الصباح الباكر في منطقة القنيطرة ضمن ظروف غير متكافئة، وكان العدو يغطي سماء المعركة بإمكانات لا تملكها غير دولة كبرى.

وقد قذف العدو في المعركة بأعداد كبيرة من الدبابات واستولى على مدينة القنيطرة على الرغم من صمود جنودنا البواسل. إن الجيش لا يزال يخوض معركة قاسية للدفاع عن كل شبر من أرض الوطن كما أن وحدات لم تشترك في القتال بعد قد أخذت مراكزها".

وفي اليوم نفسه الساعة ١٢ر٠٥ ظهرًا أصدر وزير الدفاع البلاغ التالي:

"إن قتالًا عنيفًا لا يزال يدور داخل مدينة القنيطرة وعلى مشارفها. وقال

البلاغ:

"إن القوات السورية مازالت حتى الآن تقاتل داخل المدينة وعلى مشارفها جنبًا

إلى جنب مع قوات الجيش الشعبي بكل ضراوة وصمود بحيث لم يتمكن العدو من السيطرة الكاملة على مدينة القنيطرة".

ويقول الضابط خليل مصطفى:

"لاحظ التناقض، ففي الساعة ٩ر٣٠ أعلن البلاغ:

استولت القوات الإسرائيلية على مدينة القنيطرة، وفي الساعة ١٢ر٠٥ أي بعد

ساعة ونصف، يعلن بلاغ آخر: إن قواتنا مازالت حتى الآن تقاتل داخل المدينة وعلى مشارفها!".

الأحد ١١ حزيران ١٩٦٧. أصدر وزير الدفاع بلاغًا جاء فيه:

".. خلال المعارك القاسية التي جرت بين قواتنا الباسلة وقوات الاستعمار

الثلاثي، حاول العدو اختراق خطوط دفاعنا الأولى أكثر من مرّة، بكل ما يملك

من أسلحة وطيران متفوق، وكانت قواتنا تصدّ تلك الهجمات المتكررة وتقصف

مواقع العدو منزلةً بها الدمار. لقد قاتل جنودنا الأشاوس بضراوة نادرة، وصمدوا

أمام تفوق العدو الآلي وغارات طيرانه الكثيف المتلاحق دون انقطاع الذي تأكّد

بشكل قاطع أنه لدول العدوان الثلاثي وليس لإسرائيل فقط.

لقد دافع جنودنا الأشاوس عن كل قطعة من أرض الوطن ببسالة منذ بدأ العدوان، ولكن القوة غير المتكافئة بيننا وبين العدو الثلاثي وخاصة الطيران الغزير، مكّن العدو من اختراق خط دفاعنا الأول في القطاع الشمالي في محاولة لتطويق قواتنا. ولقد قاومت قطعانا هذه الخطة بوعي وأحبطتها، ولم تمكّن العدو من تنفيذ خطته. وقاتل جنودنا قوات العدوان الثلاثي - أي بريطانيا وأمريكا وإسرائيل - المتفوّقة ببسالة لم يشهد لها مثيل، وهم يتمركزون الآن في خط الدفاع الثاني متحفّزين لاستعادة كل شبر من أرض الوطن".

وما دامت "قطعانا" قد أحبطت محاولة العدو لتطويقها ولم تمكّنه من تنفيذ خطته، فلماذا تراجع عن خط الدفاع الأول، وكيف وصل العدو إلى القنيطرة، ولماذا تراجع "قطعانا" الواعية الباسلة إلى خط الدفاع الثاني، الذي يبعد عن القنيطرة ٤٠-٥٠ كيلو مترًا، أي الذي يقع على مشارف دمشق؟؟^(١)

يقول الدكتور سامي الجندي في تعليق على سقوط الجولان:

"... لست بحاجة إلى القول: إن إعلان سقوط القنيطرة قبل أن يحصل أمر يحار فيه كل تحليل نبنيه على حسن النية. إن تداعي الأفكار البسيطة يربط بين عدم وقف إطلاق النار والحدود سليمة والإلحاح بل الاستغاثة لوقفه بعد أن توغّل

(١) سقوط الجولان، ص: ١٧٠، ١٧٤، ١٧٥ والتعليق للمؤلف - خليل مصطفى -.

الجيش الإسرائيلي في الجولان ويخلص إلى الاستنتاج بوجود خطة.

فوجئت لما رأيت على شاشة التلفزيون مندوب سورية في الأمم المتحدة يعلن سقوط القنيطرة ووصول قوات إسرائيل إلى مشارف دمشق والمندوب الإسرائيلي يؤكد أن شيئاً من ذلك لم يحصل.

قال لي الدكتور ماخوس فيما بعد أنها كانت خطة ماهرة لـ [إرعاب] العالم من أجل إنقاذ دمشق" (١).

وفي كلام الجندي اعتراف من ماخوس أن قضية سقوط القنيطرة خطة مدبرة واعتراف من مندوب إسرائيل في الأمم المتحدة بأن دولته لم تحتل القنيطرة. والجندي كذلك مسؤول بعثي وسفير لسورية في فرنسا في تلك المرحلة، ويتحدث بلغة من يعلم خفايا أمور النظام، بغض النظر عن قصده وامتى اضطر إلى الكلام الذي يدافع به عن نفسه.

وما دمنا في صدد الحديث عن مؤامرة سقوط القنيطرة، فلا بأس من ذكر الخبرين التاليين:

الخبر الأول: كان أحد أقربائي ضابط احتياط في الجيش خلال حرب حزيران، وكان مركز عمله في مدينة القنيطرة، قال لي: في يوم السبت ١٠ حزيران ١٩٦٧، كنت أتناول طعام الصباح مع بعض الجنود الساعة ٩:٣٠، وسمعنا من الراديو

(١) كسرة خبز، د. سامي الجندي ص ١٧.

بلاغ سقوط القنيطرة، فتركنا طعامنا وخرجنا إلى شوارع المدينة نستطلع الخبر، وذهلنا عندما لم نجد أثرًا للعدو داخل المدينة، والقنيطرة ليست من المدن الكبيرة التي ربما يسقط فيها حي من الأحياء دون أن تعلم به البقية.

ولما عدت إلى قطعتي وجدت الرفاق البعثيين - الرئيس ونائبه - ولوا هارين، وكذلك كان حال سائر الوحدات العسكرية، فذبّ الرعب في قلوب المدنيين والعسكريين، وانتشرت الفوضى، ولم نجد بدءًا من الفرار.

الخبر الثاني: روى وزير الصحة السوري - وأظن اسمه عبد الرحمن الأكتع - لأحد أصدقائه الخبر التالي:

كنت - أي الوزير - في جولة تفقدية في الجبهة عند إذاعة بيان سقوط القنيطرة وظننت أن خطأً حدث فاتصلت بوزير الدفاع وأخبرته أن القنيطرة لم تسقط، بل ولم يقترب العدو منها، ودهشت حقًا عندما راح وزير الدفاع يشتمني شتائم مقدعة ويهدّدي إن عدت لمثلها، وتدخلت في أمور لا تعنيني، فاعتذرت منه، وعلمت أنها مؤامرة مدبّرة!!

أما قيادة الجبهة فلقد بدأوا يهربون من المعركة منذ مساء الخميس ٨ حزيران - أي قبل البلاغ الفاجر بيوم ونصف - وكان قائد الجيش اللواء أحمد سويداني في طليعة الفارين حيث خلع رتبه، ولبس ثياب أحد رعاة الماشية ولجأ إلى قريته [نوى] التي لا تبعد إلا بضعة أميال عن القنيطرة، وتبعه قائد الجبهة العقيد أحمد المير الذي غادر الجبهة إلى دمشق على ظهر حمار، ولما عجز الحمار تخلّى عنه وتابع

الطريق ماشياً فتورّمت قدماه وخارت قواه، ولحق بهما المقدم رثيف علواني، والعقيد عزت جديد والنقيب رفعت أسد وسائر الرفاق من مختلف قطاعات الجبهة.

ومن أجمل ما قرأت عن وصف مأساة الجولان وهزيمة الرفاق كلاماً للضابط خليل مصطفى نقل منه ما يلي:

"... فلقد غصّت الأرض بأسراب الجراد البشري الزاحف- عسكريين ومدنيين - ، يتحرّكون جميعاً كلّ إلى مأمّنه لا يلوون على شىء... الضعيف يسقط وما من قوي يحمله أو يعينه على معاودة النهوض... وستشهد الأرض أمام باريتها عن هول ما قاسى الكثيرون من الناس- وخاصة المدنيين-، من جوع وعطش، حتى اضطر الكثيرون- وخاصة الجنود- إلى الاقتيات بالأعشاب- أخضرها وجافها-، أو السطو على ما يصادفون من مزروعات تفادياً للموت في تلك المخصصة.

والدواب... حملت ما خفّ من المتاع، وفوق كل كومة من ذاك المتاع كنت ترى طفلاً أو أكثر، أو امرأةً أو شيخاً، وأفراد العائلة الآخرون يمشون متهاكين خلف الدوّاب ، والعيون قد تسمّرت نحو هدف واحد، هو الوصول إلى دمشق أو إربد، أو إحدى القرى اللبنانية أو درعا.

إن الهول الذي صادفه الفارّون، من كثرة الرؤى الفاجعة ، وأصوات الأنين والاستغاثة والتنادي وعويل الثكالى وفاقدات أهلهن، أو بكاء الأطفال الذين

شُرِّدوا، وهاموا في الأرض لا أب يحنو، ولا أمّ تضمّ إلى صدرها ابنها ذا أو ذاك..
والموج البشري يتتابع.. وأرتال الجراد الزاحف تتلوّى مع كل انحناء أرض، أو
نحو أي مصدر للطعام أو الماء لتعبّ منه ثم تغدّ السير، حتى تصل إلى حيث تعتقد
أنها نجت من الخطر.

إن هذا الهول الذي صادفه المنسحبون [الفارّون]، قد أنساهم هول القصف
الذي أنزلته على رؤوسهم طائرات العدو حين كانوا في مواقعهم".

وعن هروب الضباط البعثيين يقول:

"لقد هربوا تاركين جنودهم كتلاً لحميةً تندافع على الطرقات، يدوس القوي
منها على الضعيف... وأنين الجرحى والمشوّهين، يملأ سهول القنيطرة، وترجع
أصداءه سفوح التلال المتباعدة المتناثرة هنا وهناك، لا يشوّه هذه الأصداء، إلا أزيز
الطائرات المعادية، وأصوات المكبّرات المنبعثة من طائرات الهليكوبتر، ينادي
بواسطتها الإسرائيليون جنودنا الفارّين.. أن ألقوا سلاحكم، تنجوا بأرواحكم..
فيستجيب الفارّون للنداء، ويتخلّصون من هذا السلاح، الذي أصبح اليوم مبعث
تهديداً لهم بالموت بدل أن يكون مستقراً للطمأنينة، ومنبعاً للثقة بالنفس، وعاملاً
مشجّعاً على الوقوف برجولة في وجه العدو الغازي" (١).

(١) سقوط الجولان، ص: ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨.

وهذا الذي تفضل خليل مصطفى بوصفه غيظ من فيض سمعناه من العسكريين الفارين، ومن سكان القرى التي مرّ الجنود منها أو التجأوا إليها، ومن آباءنا وأشقاتنا الذين شهدوا هذه الأحداث الأليمة.

قال أهلنا: لقد كان منظر كبار الضباط مزريًا، وكان كل منهم يخشى من ظله، وينتظر الموت أن يأتيه من الجو أو من الأرض. وكم كانوا أذلاء مؤدّبين عندما أحسنا إليهم وقدّمنا لهم الطعام والشراب، وهم الذين كانوا قبل أيام جبابرة متغطرين، لا يتقون الله ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا رحمة.

وقال أهلنا: كنا نسألهم عن الحرب فيجيئون: ليس أمامنا إلا الصلح مع إسرائيل، فلا طاقة لنا على مواجهة قواتهم!!

أجل هذا الذي خطط له البعثيون النصيريون منذ الثامن من آذار سنة ١٩٦٣، ولكن أسلوب كبار الضباط تغير عندما وصلوا إلى دمشق، واطمأنوا إلى بقاء الحزب في الحكم بعد موافقة إسرائيل إلى وقف القتال، وعاد الرفاق إلى سيرتهم السابقة، والله في خلقه شؤون!!^(١)

(١) لم أتحدث عن البطولات الفردية التي خاضها عسكريون مؤمنون... قضى بعضهم نحبه على أيدي اليهود في الجولان، وبعضهم الآخر قضى نحبه على أيدي النصيريين في سجون تدمر والمزة والشيخ حسن. كما أنني لم أتحدث عن عمليات مفتعلة قامت بها بعض الطائرات أو المدرعات السورية لذر الرماد في العيون.

سابعاً - أين حسن نواياهم؟!

صدرت تصرفات مريبة مشبوهة عن النظام البعثي النصيري قبل الحرب وأثناءه وبعده، ونذكر حادثين غريبين وقعا قبل بداية الحرب بأيام:

١- الطعام: في تلك الأيام، وبالتحديد منذ حوالي ثلاثة أسابيع قبل الحرب، أصدرت قيادة الجبهة أمراً بسحب جميع أطعمة الطوارئ بحجة استبدالها بأطعمة جديدة، وهذا وضع انفردت به قيادة البعث بين جميع القيادات المتعاقبة، ومرت الأيام الأخيرة التي سبقت الحرب دونما تزويد للقوات المدافعة بأي نوع من أطعمة الطوارئ، واقتصر تزويدها بالطعام على الأسلوب اليومي المعتاد في تأمين الطبخ الطازج.

ومرت الأيام تُشعر بقرب الصدام يوماً بعد آخر، وأطعمة الطوارئ الجديدة- التي ادّعت قيادة البعثيين بأنها ستقدمها بدل الأطعمة السابقة-، لم تصل إلى الوحدات، حتى وقعت الواقعة، وحصل الصدام وقام الطيران الإسرائيلي بقصفه المركز المنهك على قوات الجبهة، مستهدفاً في جملة أعماله، المستودعات ومراكز التموين وأماكن الطبخ، وآليات التموين المتحركة على الطرقات، فانقطع بذلك مورد الطعام الوحيد عن القوات، وبقيت طيلة أيام ٥،٦،٧،٨،٩ حزيران بلا طعام ولا ماء.

وهنا يكمن أحد الأسرار المذهلة، التي تعطي تفسيراً عن السهولة التي دخلت بها قوات العدو أرض الجولان المنيع، دونما مقاومة تذكر".

٢- ترحيل العائلات: تم ترحيل عائلات العسكريين، وأثاث بيوت الضباط، قبيل الحرب، وكُلِّفت بهذه المهمة مئات الشاحنات العسكرية، في الوقت الذي كانت فيه الوحدات تعاني أزمة نقص خطرة في الشاحنات، لنقل القوات والأسلحة والتموين.

والعائلات التي رُحِّلت - خوفاً عليها من أخطار الحرب - هي عائلات العسكريين والموظفين من أبناء الطائفة النصيرية فقط، دون غيرها، وقد تم ترحيلها قبل وقوع الحرب بأسبوعين^(١).

وفي الوقت الذي أصرّ فيه عبد الحليم خدام^(٢) محافظ القنيطرة على ترحيل

(١) سقوط الجولان، ص: ٢١٠، ٢٧٠، ٢٧١.

(٢) عبد الحليم خدام وزير الخارجية الحالي، كان محافظاً للقنيطرة سنة ١٩٦٧، وكان أحد منفيي خطط النصيرية في الجولان. وفي سنة ١٩٦٤ كان محافظاً لمدينة حماة، وكان سبباً من أسباب عدوان النظام على هذه المدينة بنيران الدبابات والطيران. وبهذه المناسبة فمن المفيد أن نسجل الملاحظة التالية: لم تعرف سورية أسوأ ولا أخطر من عناصر حزب البعث الذين ينحدرون من عائلات إسلامية ومن الأمثلة على ذلك: محمد أمين الحافظ، أحمد سويداني، ناجي جميل، مصطفى طلاس، يوسف زعين، نور الدين الأتاسي، الوليد طالب، عبد الحليم خدام، عبد الرؤوف الكسم وغيرهم وغيرهم. لقد استخدمت الأقليات الحاقدة هذه العناصر في الإساءة إلى الإسلام والمسلمين، وأراد هؤلاء أن يثبتوا لسيادتهم أنهم ضد الرجعية، فكانوا أكثر وقاحةً، وأشدّ فتكاً بالدعاة من الدروز والنصيريين والنصارى. ومن عقوبة الله العاجلة لهم أن سيادتهم يتخلون عن خدماتهم بعد أن يؤدوا دورهم، ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من الشبهات تدور حول نسب بعضهم والله أعلم.

عائلات النصيريين، كان يعلن على المآذن وبواسطة مكبرات الصوت أن على السكان أن يصمدوا، وهدد كل من يغادر القنيطرة، أو ينقل منها شيئاً من متاعه، بالقتل علناً أمام جميع السكان ليكون عبرةً لغيره.

فكيف تركت السلطة عتاد الجيش ووثائقه، وأموال البلدية، والأموال التي في فرع البنك الحكومي الوحيد في القنيطرة، ورحلت عائلات العسكريين النصيريين وحدهم؟!، أو ليس في ذلك دليل على أن النظام النصيري قد أبرم صفقة بيع الجولان قبل بداية الحرب؟!!

٣- لا يستحون:

قال وزير الخارجية السورية الدكتور إبراهيم ماخوس:

"ليس مهمًا أن يحتل العدو دمشق، أو حتى حمص وحلب.. فهذه جميعًا أراض يمكن تعويضهما، وأبنية يمكن إعادتها، أما إذا قُضي على حزب البعث، فكيف يمكن تعويضه وهو أمل الأمة العربية. لا تنسوا أن الهدف الأول من الهجوم الإسرائيلي، هو إسقاط الحكم التقدمي في سورية، وكل من يطالب بتبديل حزب البعث هو عميل لإسرائيل".

وفي مجلس الأمن - في دورته التي عقدها عقب حرب حزيران لمناقشة ما حدث-، قال أحد المسؤولين العرب في لقاء جانبي ضمّ عددًا من المسؤولين العرب:

"إنها لفاجعة كبيرة، ونحمد الله أن إحدى العواصم لم تمس"، فأجاب ماخوس:

".. وهل في ذلك غرابة لو حصل؟، إن الغريب في الأمر أن العواصم لم تسقط، وإننا من جهتنا، كنا عاملين حسابنا على أن دمشق ستسقط بيد العدو..".

ويبدو من تصريح ماخوس أنهم اتفقوا مع إسرائيل على احتلال دمشق من أجل أن تتحقق نبوءة وحيد العين، انظر إلى قوله: ".. وإننا من جهتنا، كنا عاملين حسابنا على أن دمشق ستسقط بيد العدو ..".

وفعالاً غادرت الحكومة وكبار الضباط والمسؤولين دمشق إلى حمص واللاذقية وأخذوا معهم أموال البنك المركزي في دمشق. ولكن إسرائيل جنت عن المضي إلى دمشق، واكتفت بالجولان والقنيطرة.

ورغم كل ما حدث من ذلّ وهوان زعم النصيريون الحاكمون أنهم انتصروا لأن الحزب لم يسقط، وراحت إذاعتهم وصحفهم تتحدث عن انتصارات حزيران، ومن ذلك قول جريدة الثورة السورية [١٣/٦/١٩٦٧]:

"... إن أهم نصر حصل عليه العرب في حربهم مع إسرائيل، هو تلك الاندفاعة الثورية التي امتدت من المحيط إلى الخليج".

ويقول راديو دمشق:

"الحمد لله لقد استطاعت قواتنا الباسلة حماية مكاسب الثورة أمام الزحف

الإسرائيلي! الحمد لله الذي أفسد خطة العدو وقضى على أهدافه الجهنمية..".

وعن خسائر الجيش السوري قال وزير الإعلام محمد الزعبي في مؤتمر صحفي - ٢٤ حزيران ١٩٦٧- إن خسائر الجيش السوري بلغت ٢٠ ضابطاً و ١٢٥ جندياً. وقد جرح ٩٨ ضابطاً و ٥٠٠ جندي بالإضافة إلى ٣٠٠ من المدنيين والعسكريين أصيبوا بحروق من قنابل النابالم.

وإذن فعدد الذين قُتلوا- ١٤٥ عسكرياً-، ومن الجدير بالذكر أن النظام النصيري كان يقتل مثل هذا العدد في ملجأ واحد في مجزرة حماة الذي ذهب ضحيتها ما يقارب ثلاثين ألف قتيل بين شيخ وطفل وامرأة وشاب سنة ١٩٨٢.

وفي مجزرة واحدة من مجازر تدمر قُتل ستة أمثال الذين قُتلوا في حرب حزيران، على أن معظم الذين قُتلوا في مؤامرة الجولان كانوا من المسلمين المؤمنين الذين رفضوا الدنيا وطمعوا بالشهادة في سبيل الله، أو من الذين قُتلوا في إدمبارهم أثناء فرارهم^(١).

(١) سقوط الجولان ص ١٨٠، ٢١٣، ٣٠٧، وكتاب المؤامرة ومعركة المصير: ١١١، نشر دار

ثامناً - الأسباب الحقيقية لسقوط الجولان:

إن كل ما سبق عرضه في هذا البحث يطرح سيلاً من الأسئلة نخترار منها ما يلي:

- لماذا أقدمت السلطة البعثية النصيرية على تسريح أكفأ ضباط الجيش في مختلف الأسلحة والقطعات منذ انقلاب الثامن من آذار ١٩٦٣؟!، ولماذا استخدمت البطش والإرهاب والتسلط الطائفي؟!

- لماذا قرعوا طبول الحرب بأسلوب استفزازي عنيف، وهم يعلمون، البون الشاسع بين قوة جيش العدو وضعف الجيوش العربية؟!

- لماذا رحّلوا عائلات النصيريين من القنيطرة والجولان قبل الحرب ببضعة أيام؟!

- لماذا سحبوا طعام الطوارئ من الجبهة قبل الحرب بأكثر من أسبوعين؟!

- لماذا لم يدخلوا المعركة فور سماعهم بأنباء الغارات الإسرائيلية على المطارات المصرية، ووقفوا يترقبون يوماً كاملاً؟!

- لماذا لم ينفذوا قرارات القيادة الموحدّة، وزعموا أنهم بوغتوا بالأحداث؟!، ولماذا لم يستجيبوا لطلب عبد المنعم رياض وعبد الحكيم عامر في إرسال قوات للأردن؟!

- طالما أنهم وقفوا من الحرب موقفاً ضعيفاً يختلف عن مواقفهم الدفاعية التي تتصف بالتشدد والاستفزاز. أقول: طالما ظهر ضعفهم في الحرب لماذا لم يوافقوا على قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار في اليوم الثامن وكانت مصر والأردن وإسرائيل قد وافقت على وقف إطلاق النار؟!!

- لماذا أذاعوا البلاغ رقم ٦٦ بسقوط القنيطرة، ولم يكن العدو قد اقترب منها؟!!

- لماذا هرب قائد الجيش وقائد الجبهة وسائر القيادة وتركوا الجيش في فوضى لا نظير لها؟!!

لقد توّلى الإجابة على هذه الأسئلة سياسيون مطّلعون من داخل السلطة في دمشق وخارجها، وننقل فيما يلي أقوالهم المثيرة:

١ - رواية سعد جمعة:

- الأستاذ سعد جمعة كان رئيس وزراء الأردن في حرب حزيران، وقد هداه الله سبحانه وتعالى فاعتزل السياسة وأخذ يكتب عن هذه المرحلة، ويكشف أساليب ومخططات أعداء الإسلام، وبحكم منصبه رأى واطّلع على أشياء كثيرة لم يتسن لأمثالنا أن يطّلع عليها.

وقد تحدّث - رحمه الله - عن سبب تلكؤ السوريين في خوض معركة الخامس من حزيران، وانهيار تحصينات المرتفعات السورية التي لا تُقهر، ولا تُتحم، والتي

هي أعظم تحصينات عرفتها المنطقة . قال رحمه الله ^(١):

" قال الراوي: ظهر الخامس من حزيران، اتصل سفير دولة كبرى في دمشق بمسؤول كبير، ودعاه إلى منزله لأمر عاجل هام!! وتمّ الاجتماع في الحال، فنقل السفير للمسؤول السوري نصّ برقية عاجلة من حكومته، تؤكد أن سلاح الجو الإسرائيلي قد قضى قضاءً مبرماً على سلاح الجو المصري، وأن المعركة بين العرب وإسرائيل قد اتضحت نتائجها منذ الساعة التاسعة من ذلك الصباح، وأن كلّ مقاومة أرضية ستورث خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات لا مبرر لها، وأن إسرائيل لا تنوي مهاجمة النظام السوري، بعد أن يستتبّ لها تأديب جمال عبد الناصر! وبانتهاء الزعيم المصري، تفتتح الآفاق العربية أمام الثورة البعثية من المحيط إلى الخليج، وأن إسرائيل، من قبل ومن بعد، بلد اشتراكي، يعطف على التجربة الاشتراكية البعثية... خاصة البعثية العلوية، ويمكنها أن تتعايش وتتفاعل معها لمصلحة الكادحين في البلدين... وقد يكون ذلك منطلقاً نحو تسوية نهائية على أسس الأخوة الاشتراكية، ولذا فمصلحة سوريا.. مصلحة الحزب ومكاسب الثورة، أن تكتفي بمناوشات بسيطة، لتكفل لنفسها السلامة!!

وذهب المسؤول السوري، ليعرض ما سمعه لتوّه على رفاق القيادة القومية والقيادة القطرية.. إلى آخر القيادات! وكانت الطائرات الإسرائيلية في تلك اللحظة

(١) لم يذكر الأستاذ سعد جمعة الجهة التي علم منها هذا الخبر، ويبدو أنه لا يستطيع إحراج

تدمّر المطارات السورية والطائرات الجاثمة - براحة - فوقها، مما أضفى على الموقف جو المأساة!

وعاد الرسول السوري، غير بعيد، ليبلغ السفير استجابة الحزب والحكومة والقيادات لمضمون البرقية العاجلة! وهكذا كان!

غير أن إسرائيل، بعد أن انتهت العمليات الحربية في الجبهتين الجنوبية والشرقية، اتجهت بثقلها إلى الجبهة الشمالية، بعد أن مهّدت لهذه الحركة المفاجئة بحرب نفسية، فسقط خط "ماجينو" السوري دون قتال! وسُحبت القوات الأمامية لحماية مكاسب الثورة.. وبطولات الحاكمين في دمشق!

وقال معلق راديو دمشق ذلك المساء: الحمد لله! لقد استطاعت قواتنا الباسلة حماية مكاسب الثورة أمام الزحف الإسرائيلي، الحمد لله الذي أفسد خطة العدو وقضى على أهدافه الجهنمية إن إسرائيل لن تحقق نصراً يُذكر، طالما أن حكام دمشق بخير!!

وليت شعري ما الذي كان يعيق إسرائيل عن المضي في فسحة إلى دمشق!.. لكنها لا تريد ولن تريد إذ ليس بالإمكان أبدع مما هو كائن!!" (١)

(١) المؤامرة ومعركة المصير، سعد جمعة، نشر دار الكاتب العربي ص ١١٠، ١٠٩.

٢- رواية دريد المفتي:

ويقول سعد جمعة رحمه الله:

"ومن ذكرياتي: جاءني ذات يوم في مكنتي بلندن شخص لا أعرفه، وقدّم نفسه : أنا الدكتور "دريد المفتي" من دمشق، كنت وزير سوريا المفوض في مدريد أثناء حرب حزيران. لقد قرأت في كتابك "المؤامرة ومعركة المصير" عن جريمة تسليم مرتفعات الجولان لجيش الدفاع الإسرائيلي دون قتال، التي اقترفها ثلاثي^(١) "جديد، زعين، ماخوس".

وأحب أن أزيدك بياناً..

قال: استدعاني وزير خارجية إسبانيا لمقابلته صباح يوم ٢٨/٧/١٩٦٧ وأعلمني، ووجهه يطفح حبوراً، أن مساعيه الطيبة قد أثمرت لدى أصدقائه الأميركان، بناء على تكليف السيد "ماخوس" وزير خارجية سوريا للسفير الإسباني في دمشق.. ثم سلمني مذكرة مؤرخة في ٢٧/٧/١٩٦٧.. ومدّ إليّ يده بصورة المذكرة، فقرأتها عجباً ثم أعدتها إليه شاكراً.. وسجّلت في مفكرتي ما بقي في الذاكرة من نصّ المذكرة:

(١) يبدو أن وزير سورية المفوض السابق الدكتور دريد المفتي أعطى لـ زعين وزناً لا يتناسب مع حجمه الحقيقي، وكان عليه أن يذكر اسم حافظ الأسد ويقول الثلاثي النصيري "جديد، أسد ماخوس".

"تمهدي وزارة خارجية الحكومة الإسبانية تحياتها إلى السفارة السورية بمدرسد، وترجو أن تعلمها أنها قامت بناءً على رغبة الحكومة السورية بالاتصال بالجهات الأميركية المختصة لإعلامها برغبة سوريا في المحافظة على الحالة الراهنة الناجمة عن حرب حزيران سنة ١٩٦٧.. وتودّ إعلامها أنها نتيجةً لتلك الاتصالات، تؤكّد الحكومة الأميركية أن ما تطلبه الحكومة السورية ممكن، إذا حافظت سورية على هدوء المنطقة، وسمحت لسكان الجولان بالهجرة للاستيطان في بقية أجزاء الوطن السوري، وتعهدت بعدم قيام نشاطات تخريبية من ناحيتها تعكّر الوضع الراهن" (١).

تعقيب:

استوقفني في هاتين الروايتين العبارات التالية:

- "وإن إسرائيل، من قبل ومن بعد، بلد اشتراكي، يعطف على التجربة الاشتراكية البعثية، خاصة البعثية العلوية...".

هذا الكلام قاله الزعيم الصهيوني "فنزبروكوي" سنة ١٩٥٨ بعد حوار جرى بينه وبين أمين عام حزب البعث العربي الاشتراكي "ميشيل عفلق"، وقد وعده الأخير باستمرار الحوار، واستعداده لإقامة وحدة اشتراكية مع الاشتراكيين اليهود.

(١) مجتمع الكراهية، سعد جمعة، دار الكاتب العربي، ص ١٣٠، ١٣١.

أما عطف إسرائيل على البعثية العلوية بشكل خاص، فإنها يدل على شعور متبادل، ففي سنة ١٩٣٦ أعرب النصيريون لرئيس الوزراء الفرنسي على استنكارهم للاضطهاد الذي يتعرّض له اليهود في فلسطين ودمشق على أيدي المسلمين !!، وجاء الرفيق كوهين فجّد ما انقطع من المودة بين الحزب وإسرائيل.

- ينصح الإسرائيليون البعثيين النصيريين عدم المشاركة في الحرب، والاكتفاء بمناوشات بسيطة. وهذا الذي حصل: قصف مدفعي لمستعمرات ليس فيها سكان، وتخليق بعض الطائرات، وجعجعة في الصحف والإذاعات.

- شهادة الدكتور دريد المفتي وزير سورية المفوض في مدريد، تؤكّد صحة ما قاله الدكتور سامي الجندي أن الاتصالات مباشرة وغير مباشرة جرت بين حكام دمشق، والكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة، وأن الدكتور إبراهيم ماخوس هو الذي قام بهذه الاتصالات.

٣- رواية ضابط سوري:

نقل الضابط خليل مصطفى بريس عن مطلعين سوريين أن اتصالات غير مباشرة جرت بين إسرائيل ونظام دمشق، وأن الذي كشف هذه الاتصالات ملازم أول في الجيش وإليكم الرواية:

يقول الملازم أول: " ... " ^(١)، عضو الوفد السوري إلى لجنة الهدنة المشتركة.. ميلي: "أنه استدعي إلى مكتب الدكتور يوسف زعين، رئيس الوزارة البعثية، بتاريخ ٩ حزيران ١٩٦٧ الساعة العاشرة ليلاً. فوجد عددًا من أفراد لجنة الرقابة الدولية في مكتب الزعين، برفقة السفير (...). في دمشق، فكلف الضابط المذكور بالترجمة بين رئيس الوزارة ومخاطبيه.

قال السفير: إذا لم تسحب القيادة السورية قواتها من الجولان، فإن القوات الإسرائيلية لن ترضي هدفًا يتوقف زحفها عنده إلا دمشق.

وهنا سأل الزعين: وما هي الحدود التي تريد إسرائيل الوقوف عندها؟

أجاب السفير: هل عندكم خريطة؟

فأبرز الملازم الأول المذكور خريطته، وهنا وضع السفير عددًا من النقاط التي يجب أن يمرّ بها خط الحدود الجديد، وتتوقف عنده القوات الإسرائيلية، إذا قامت السلطات البعثية بسحب قواتها خارجًا عنه.

وافق الدكتور زعين "يقول الملازم الأول المترجم"، وواعد السفير بتحقيق ما طلب.. وغادر الجميع مكتب رئاسة الوزراء على هذا الأمل.

(١) لم تُنح لي معرفة اسمه.. ولو عرفته لذكرته، لأن ذلك ليس سرًا، فالضابط المقصود، هو الآن موقوف في سجن المزة العسكري في دمشق، فلقد سرح عقب الحرب، ثم أوقف لأنه بدأ يذيع بين الأوساط العسكرية المسرحة.. معلوماته عن هذا السر. (الحاشية من كلام خليل مصطفى).

ويقول الضابط خليل مصطفى:

"وفي الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم التالي .. صدر بلاغ سقوط القنيطرة، وفي الوقت نفسه كذلك ملأت جو الجولان الشائعات الخائفة، عن أوامر الانسحاب المزعومة، فكان الهروب الكبير، ودخلت القوات الإسرائيلية أرضنا الكريمة راكبةً إلى نزهة عسكرية دوننا خوف من صدام حقيقي يشتها أو يفنيها".

[سقوط الجولان ٣٠٦ و ٣٠٧] .

٤- رواية سامي الجندي:

كان الدكتور سامي الجندي سفير نظام البعث السوري في فرنسا قبل هزيمة حزيران وبعدها، ويتحدث فيما يلي عن تكليف الدكتور إبراهيم ماخوس له بإجراء مفاوضات مع "أبا إيبان" وزير خارجية إسرائيل. قال الدكتور الجندي:

"قد يكون إلحاحي على نشر كل ما كتبت شعورًا بالذنب وتبريرًا للنفسي، رغبةً مني في أن يعرف البشر من أنا ولكنهم يرفضون رؤية كل شيء إلا الأسطورة فهي أرضي للخيال. يأتيني أصدقاء وصحفيون فتحدث عن "عرب ويهود" و"صديقي إلياس" طويلًا وأكتشف أنهم لم يقرؤوهما وإنما ما روي عنهما من إشاعات و"أسرار" ويؤول بنا الحديث حتمًا إلى ريبورتاج نشرته مجلة "الحوادث" التي أحترم أصحابها وما أحاطوني به من صداقة وود، تذكر فيه أنني قابلت أبا إيبان بعد ٥ حزيران، فلقد أكد لها ذلك بعض من يريد أن أبقى السياسي وهم يعلمون علم اليقين أنني رفضت رفضًا قاطعًا أن أقابله.

كل من عرفني في باريس يعلم أنني كنت حينما يصطدم الأديب بالسياسي أرفض الثاني دون تردد. أنا لم أقابله لأن الفنّان يرفض عهر المغلوب. إنه لا يركع ركوع السياسي.

كان وزير الخارجية الدكتور ماخوس يراوغ ويحيط حديثه بهالة قدسية عن التضحية.

يطلب مني أن أكون كبش الفداء يقول: "كنت حتى الآن ودائماً الهدف الذي لا يخشى السهام. يجب أن تحاول من أجل الجولان". وكنت أعلم كما يعلم هو أن إسرائيل لن تتنازل عن حفنة تراب، فلماذا الإيغال بالذلّ ولماذا يختارني أنا. لماذا الاحتيال علي.

ما كان يجهل أحد من الذين أوتوا اطلاعاً على السياسة السورية أنني لم أكن السفير المدلل كما ظن كثيرون. كنت منبوذاً منها تأخذ علي سلوكاً لا يتطبع بطباعتها ونقداً لم أحرص على كتانته أو وجهه في كل مناسبة. أجب السائل عن أي موضوع يتعلق بها بلا حذر، أكان محباً للمعرفة أو كاتب تقرير، وما أكثر أصحاب "الأقلام" التي تتصيد مثلي ابتغاء مرضاة المسؤولين وعطاياهم. ما أسخى حكم سورية على النميمة والنّامين، يغدق دون ونى أو حساب وكنت غنيمةً طيبةً سهلةً، مصدر رزق وشأن للذين يعرفون دخيلة الحكام وكرههم لي.

بعض العقائدين أصبح "ذا خطر" إلى أجل، استمتع الشعب بصورة الجذّابة على الصفحات الأولى لأنه اطلع - مخلصاً للحزب والقضية، لا يروم من وراء

تقاريره إلاها- الكبار على آرائي الهدامة ويميني ورجعيتي والانحرافات المكبوتة التي كشفتها مسيرة "الثورة الظافرة" وسقوطي مع من سقط من الرفاق على طريقها الخطرة ونعوتاً أخرى من تلك التي توقظ "العطاء" الثوري وتثير كرمه.

سال الخبر على ورق التقارير عني أكثر منه عن إسرائيل، ولقد عدلني الصديق لائئالي أي أغفل أمر نفسي ولكن غبائي لم يُبَح لي الكتمان. كنت أريد لهم الخير، ألحُ عليهم أن يكونوا مؤمنين حقيقيين، أن يقلعوا عن الغوغائية والدجل، روابط عاطفية كثيرة كانت تشدني إليهم، فهم جزء من شبابي، لم يستطع خيالي أن يدرك أنه كان عبثاً إلى هذا الحد. إصلاحهم كان يعني أنه لم يكن دون جدوى، كان أسفي عليه يدفعني إلى النقد لعلي أنجو من تبكيت ضمير من بذر فتوته في أرض يباب.

كنت أنذرهم أن سبل الثورة باتت خطرةً على نفسها وعلى الشعب وأنها ما باتت ثورةً بل انقلاب شذمة، أدّى بها الغرور والأناية والتمسك بالحكم إلى طغيان بوليسي لا هدف له ولا رجاء منه غير الخراب والتخريب والولوغ بالدم والشرف.

من يذكر الإشاعات التي كان يطلقها الحكم كلما قدمت دمشق من باريس في أمر خاص أو عام من محاولة انقلاب إلى مؤامرة وعدد المرات التي صدرت فيها الأوامر للحدود بعدم مغادرتي البلاد، يعجب لعرض الدكتور ماخوس. ولا أقدر أن إسرائيل تجهل هذه الأمور وهي التي تعلم كل ما تريد أن تعلم عن حكم سورية فلم اختارني إذن؟ أليس اختياره مدعاةً للعجب؟ زعم لي أنها مبادرة خاصة وأن

الأمر يظل مكتومًا بيني وبينه وأنه يريد أن يقوم بلعبة ذكية "تفاجيء العالم جميعًا" وتنقذ جزءًا عزيزًا من أرض الوطن من الاحتلال وأنا لو نجحنا لسجلنا نصرًا تاريخيًا أهم من غزو "جبل طارق" على حدّ تعبيره وأنا نثبت للعرب أن الثورة ليست عنيفةً فحسب وإنما هي ذكية أيضًا".

كنت أسمع فلا أصدّق وهو يشير بيديه ويقطّب ويتهيج:

مسرحية حقيقية. قلت له: "ولماذا تنفرد بهذا العمل التاريخي؟ هل تضمن موافقة الرفاق لو وصلنا إلى حلّ؟" قال وقد أخذه الحال: «أنت مجنون... هل تظن أنهم يرفضون؟ خاصة إذا بقي الموضوع سرّيًا؟».

فطلبت منه تفويضًا شخصيًا يبقى سرّيًا إذا تعذّر أن يكون جماعيًا، يعرف منه الناس، فيما لو حدث ما لم يكن في الحسبان، حسن النية التي دفعت إلى ركوب هذا المركب. فثار الدكتور قائلاً: "أنتم جيل الحزب الأول لم يعد منكم "كار" هرتمتم وخرفتم وجبتتم عن تحمل المسؤولية. لم تعودوا أهلاً للتضحية. لو كلّفكم الوطن العربي والوحدة العربية ومستقبل الأمة العربية الاستغناء عن فنجان قهوة لما فعلتم".

واصطدنا فلان وأخذ يذكرني بجنرال إنجليزي اعترف بخيائته في الحرب العالمية الأولى وأعدم من أجل تنفيذ خطة رأت القيادة ضرورة موته كي يصدّق العدو التقارير الكاذبة التي أرسلها وأعيدت محاكمته بعد النصر وبرئ وأعيد اعتباره.

رأيتني بعين خيالي معلقاً في ساحة المرجة وتساءلت بيني وبين نفسي لم؟ هل يعود الجولان على جثتي؟ هل قضيته على هذه البساطة؟ من يعرف الدكتور ماخوس ولبوس البراءة التي يرتدي والتي خدعت الكثيرين لابد له من أن يذهب به الظن مذاهب شتى وأنه يبطن غير ما يبدي وليس هو بالذي يبادر المبادرات الخطيرة فما هو غير صوت معلمه يغني فيطرب إذا شاء له ذلك ويأتي نشيده نشازاً إذا أحب له.

من يعود إلى التاريخ ويقرأ مذكرات "وايزمن" يعرف أن إسرائيل لا يمكن أن تتنازل عن الجولان. لقد نبّهت حكومتي منذ ١٩٦٥ إلى أنها تنوي احتلاله. كنت أعارض دائماً في حرب مع إسرائيل أعرف أننا فيها خاسرون. التقارير التي كنت أحملها من لجان "المتابعة" سنة ١٩٦٤ يوم كنت ممثلاً لسورية فيها ما كانت تدع مجالاً للشك في الهزيمة إذا قامت حرب. كلّها كانت تؤكّد أن القوة العربية لم تصل إلى نصف قوة إسرائيل. ولقد دخلنا في حرب ١٩٦٧ بأقل من نصف قواها وما كان أحد من المسؤولين يجهل ذلك. فكيف إذن يعود الجولان "بلعبة ثورية ذكية ماهرة"؟

آرائي كلّها، دون استثناء كانت ضدّ الحرب. لم أخف أبداً أن الحكم يعد لهزيمة لا لاسترداد فلسطين. لم تكن هنالك أية بادرة للنصر ولا أعني أنه كان يُعدّ لهزيمته نفسه وإنما لهزيمة العرب الآخرين كي يبقى "الثوري" الوحيد سيّد المناخ الثوري العربي.

قلت له: "وما الثمن الذي ندفع بالجولان؟".

قال: "الاعتراف".

وكنْتُ موقناً مثله وما زلت أن إسرائيل ليست حريصةً على الاعتراف بها ولو شاءت لحصلت عليه، لأنه يفقدها مبرر "الدفاع" عن نفسها واحتلال أرض أخرى سنة ١٩٧٠.

لم إذن اختارني الدكتور ماخوس لهذه المهمة وهو لم يعدم الأشخاص ولا الوسيلة للاتصال بإسرائيل. ثارت أقاويل في باريس نفسها عن أمين منظمة الحزب التابعة لدمشق. وأنا متأكد من أن اتصالات جرت عن طريق أكثر من دولة "ثالثة" وفي أكثر من عاصمة. أليس عجيباً إذن أن يختارني أنا؟ الأمر على غاية البساطة: من أجل أن أسكت. وقد أكون من القليلين الذين يعرفون أشياء كثيرة، الوحيد الذي لم يستطيعوا توريطه في قضية الجولان، الوحيد الشاهد عليها وعلى استغاثات الدكتور ماخوس يوم طلب وقف إطلاق النار: ليدعوا دمشق، نسلم القنيطرة، ليقف الزحف... أمر الجيش بالانسحاب.

أسئلة كثيرة ترد إلى كل الأذهان: لماذا لم يطلب الحكم السوري وقف إطلاق النار مع المتحدة والأردن مادام الاستمرار بالقتال مستحيلاً؟

يجيب الحكم السوري أنه كان ينوي متابعة الكفاح المسلح ولا ننس أن الحدود السورية لم تمس إلا في ٩ حزيران.

عندما نتبّع فصول معركة الجولان نجد أن العسكريين الذين قاوموا فعلوا دون أوامر. أما الذين صدرت إليهم فقد انسحبوا بناءً على خطة... ترى ما هي الخطة؟

تم إخلاء الجولان من السكان منذ ٥ حزيران. لماذا؟

لست بحاجة للقول أن إعلان سقوط القنيطرة قبل أن يحصل أمر يُجار فيه كلّ تعليل بنينه على حسن النيّة... إن تداعي الأفكار البسيطة يربط بين عدم وقف إطلاق النار والحدود سليمة والإلحاح بل الاستغاثة لوقفه بعد أن توغّل الجيش الإسرائيلي في الجولان ويخلص إلى الاستنتاج بوجود خطة.

فوجئت لما رأيت على شاشة التلفاز مندوب سورية في الأمم المتحدة يعلن سقوط القنيطرة ووصول قوات إسرائيل إلى مشارف دمشق والمندوب الإسرائيلي يؤكّد أن شيئاً من ذلك لم يحصل.

قال لي الدكتور ماخوس فيما بعد أنها كانت خطةً ماهرةً لـ "إرعاب" العالم من أجل إنقاذ دمشق^(١).

(١) كسرة خبز، د. سامي الجندي، دار النهار للنشر، صفحات:

١٧، ١٦، ١٥، ١٤، ١٣، ١٢، ١١.

أقوال الجندي حجة عليه:

- لسليم اللوزي صاحب مجلة الحوادث اتصالات مشبوهة مع جهات كثيرة - محلية وعالمية-، وكانت هذه الاتصالات تمكّنه من كشف الأسرار التي يريد كشفها، أو تريد جهة من الجهات التي لها صلة بالحوادث كشفها.

ومن الجدير بالذكر أن اللوزي كان عدوًّا لحزب البعث، وبشكل أخص بعث الطائفة النصيرية^(١)، ولقد حاول بعد احتلال جيش حافظ الأسد للبنان أن يغيّر سياسته فكتب أكثر من مقال يثني به على المندوب السامي - أسد- لكن طاغية بلاد الشام لم يغفر لصاحب الحوادث ما كتبه عن الطائفة، ودبر قضية اغتياله بطريقة همجية وحشية، فقبل أن يطلق الجناة النار عليه أحرقوا يده التي كان يكتب بها.

وإذن فمجلة الحوادث هي التي كشفت اتصالات سورية إسرائيلية جرت بعد الخامس من حزيران، واضطر الجندي إلى الدفاع عن نفسه فكتب ما كتب، ولولا الحوادث لبقى الجندي صامتًا.

- سامي الجندي أحد أركان انقلاب الثامن من آذار وهو شريك للنظام في كل جريمة وعدوان وخيانة، ودليلي على ذلك استمراره في السلطة منذ سنة ١٩٦٣ وإلى ما بعد هزيمة حزيران.

(١) كتب في الحوادث سلسلة مقالات عن الطائفة النصيرية ثم نشرها في كتاب بعنوان "المهاجرون" بيّن فيه نتفاً من سوء استغلال السلطة في سورية، والكتاب على شكل قصة.

وكان خلال هذه الفترة عضواً في مجلس الثورة، كما كان عضواً في قيادة الحزب القطرية ووزيراً فسخياً، وأبعدته السلطة بسبب صراعات أجنحة الحزب، ولو كان رجل مواقف لتخلّى عن السلطة منذ مذبححة تموز سنة ١٩٦٣. انظر إلى قوله: "كنت أريد لهم الخير - يريد الخير لأسد وجديد-، ألح عليهم أن يكونوا مؤمنين حقيقيين أن يقلعوا عن الغوغائية والدجل. روابط عاطفية كثيرة كانت تشدني إليهم، فهم جزء من شبابي".

- لم يكشف الجندي حيثيات خبر الحوادث إلا من منطلق الدفاع عن النفس، وهناك أمور أخرى لمح إليها ولم يصرح. ومن ذلك قوله: ".. ثارت أقاويل في باريس عن أمين منظمة الحزب التابعة لدمشق "يعني أنه أجرى اتصالات مع إسرائيل".

وقوله: "وأنا متأكد من أن اتصالات جرت عن طريق أكثر من دولة ثالثة، وفي أكثر من عاصمة".

ما اسم أمين منظمة الحزب التابعة لدمشق؟! وإذا كان الجندي متأكداً جازماً، من هذه الدولة الوسيطة بين النظامين: السوري والإسرائيلي؟

وما اسم العواصم التي اجتمعوا فيها؟ وماذا أسفر عن هذه الاجتماعات؟ وكيف وصله الخبر؟ هل لأنه يريد الخير لهم، ولأنهم جزء من شبابه؟! اكتفى بالتلميح دون التصريح، انظر مرةً أخرى إلى قوله: "وقد أكون من القليلين الذين يعرفون أشياء كثيرة، الوحيد الذي لم يستطيعوا توريطه في قضية الجولان، الوحيد

الشاهد عليها وعلى استغاثات الدكتور ماخوس يوم وقف إطلاق النار: ليدعوا دمشق نسلم القنيطرة، ليقف الزحف ... أمر الجيش بالانسحاب".

ماذا يعني بقوله:

".. الوحيد الشاهد عليها- أي الجولان- وعلى استغاثات الدكتور ماخوس".

هل في هذا القول شيء يعرفه ويفهمه ماخوس وحكام دمشق وحدهم؟! إذا كان يعني ما قيل في أروقة الأمم المتحدة وإذاعة دمشق، فليس هو شاهداً وحيداً بل يعرفه معظم الناس، وإن كان يعني قضيةً أخرى كان وحده رفيقاً لماخوس فيها فلا ندري، وبالمناسبة فأسرة الجندي ينحدرون من أصول إسماعيلية - أي من الحشاشين-، وإن كان جدّهم قد أسلم منذ عشرات السنين، ولعله ما زال متأثراً بالأسلوب الباطني.

أشار الجندي في بداية كلامه إلى كتابيه:

"عرب ويهود" و "صديقي إلياس" وفي هذين الكتابين ومن منطلق الرحمة والإنسانية يتحدّث عن أصدقائه اليهود، ومدى محبته لهم وعطفه عليهم، ويركّز في معظم كتبه على الاعتراف بالواقع، وأننا لا نقوى على حرب إسرائيل، وأن إسرائيل لن تتنازل عن الجولان.

وفوق ذلك كله فهو يرفض الحقد ولو كان نحو اليهود وهم لا يعرفون الحقد إلا في عداوتهم وموقفهم اتجاه المسلمين فقط فعند ذلك يكون الحقد مشروعاً وهذه فلسفة أخرى من فلسفات حزب البعث وتعني في النهاية الاستسلام لإسرائيل من منطلق الواقعية، والجندي يلتقي في آرائه مع نظام أسد وإن اختلفت الوسائل والسبل!!، فالنظام النصيري يفتعل المعارك ويدبر الهزائم، والنتيجة دوماً خيانة واستسلام لإسرائيل، أما الجندي فيريد استسلاماً بدون حروب.

وجملة القول: إن خلافاً أجنحة حزب البعث طائفية أو شخصية، ولا أعرف - في حدود علمي - أحداً منهم تاب إلى الله توبة صادقة، ولسنا من الذين يغرهم كلام الجندي، ولكننا نستفيد من خلافاتهم حيث تظهر لنا أدلة جديدة على ارتباطهم المريبة، لا فرق في ذلك بين هذا الجناح أو ذاك فملة الكفر واحدة.

الفصل الثالث

حرب تشرين
أسبابها، نتائجها

حرب تشرين أسبابها ونتائجها

أسباب الحرب:

كان الوضع العام في سورية سنة ١٩٧٣ أسوأ مما كان عليه قبل وبعد هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧، فعدد الضباط المسرّحين من الجيش يزداد سنّة بعد أخرى، والمعارضة قوي أمرها بعد أن فتك الأسد بشركائه "جديد، أتاسي، زعين"، ودبّر جماعة جديد^(١) أكثر من محاولة انقلابية تمّ للأسد كشفها قبل الوقت المحدّد لها بساعات .

أما الجماعات والهيئات الإسلامية، فكانت سجون تدمر والشيخ حسن والمزة منازل قادتها وكثير من قواعدها بعد أن افتعل بائع الجولان حوادث الدستور، ومن سلم من السجن توارى عن أنظار رجال الأمن، أو التجأ إلى دولة أخرى.

وكانت قضية سقوط القنيطرة- البلاغ رقم ٦٦- موضع نقد وسخط شديدين عند عموم المواطنين في سورية، وسقطت هيبة السلطة رغم جميع وسائل العنف والكبت، ومما كان يغذّي هذه النقمة وجود ما يقارب مائة ألف نازح من الجولان،

(١) زار مسؤول أمريكي دولة عربية صديقة، وقدم لقاتها أساء ضباط سوريين من أنصار صلاح جديد وقال: إن هؤلاء الضباط يريدون أن يقوموا بانقلاب للاطاحة بالرئيس حافظ الأسد، وتريد الولايات المتحدة أن يكون تقديم هذا الجميل للأسد عن طريقكم. وفي اليوم نفسه زار دمشق مسؤول من الدولة العربية وقدم للأسد قائمة بأسماء الضباط وتمّ اعتقالهم قبل الموعد المحدّد لانقلابهم بيومين .

خرجوا من ديارهم إثر مؤامرة لم تعرفها سورية من قبل.

وحدث أن بعضهم أراد أن يجتاز الحدود، ويعود إلى قريته ليأخذ ما تركه من مال أو متاع... فكانت قوات الجيش تمنعهم من الدخول، وكان ردّهم المعروف على المسؤولين العسكريين: "نحن نعلم أنكم بعتم الجولان مفروشة".

وكان المواطنون يقولون عن الرئيس "حافظ النعجة"، أو "بائع الجولان"، وكم من شباب اعتقل من قبل المخابرات وحُقق معه لهذا الغرض دون جدوى فالمعارضة تزداد، وكره السلطة يعم، والانفجار الشعبي قادم لا محالة. وقد وصف مراسل صحيفة "الغارديان" البريطانية "ديفيد هرست" من بيروت الوضع في سورية فكان مما قاله: "من المؤكد أن الفجوة بين الرأي العام الرسمي وبين الرأي العام في سورية هي أكبر من أية فجوة في أي مكان آخر في العالم، والهوة التي تفصل بين الحكام والمحكومين هي من السعة بحيث أن كل شيء يؤيده النظام يعارضه الشعب بصورة - أوتوماتيكية-، والناس يتساءلون:

إذا كان حافظ غير قادر أو غير راغب في إحلال النظام والقانون داخل بيته،

فكيف يمكن الثقة بمثل هذا النظام!؟

إن الجواب يخيف الكثير من السوريين، إذ أن كل الجهاز الحاكم هو متعفن حسب رأيهم، بحيث لا يمكن أن يخذي السياسة المتشددة التي تنادي بها سورية".

ومن الجدير بالذكر أن وصف "ديفيد هرست" لوضع النظام في سورية كان في

١/٢٨ / ١٩٧٨، أي في وقت أصبح فيه حافظ أسد بطل حرب تشرين!! - على

حدّ قول أجهزة إعلام النظام- وهذا الوضع يختلف عما كان عليه قبل حرب تشرين ١٩٧٣.

وإذن فإن سوء الأوضاع الداخلية في سورية كان يفرض على حافظ الأسد أن يقدم على شيء يطمس به جريمته حين أذاع بلاغ سقوط القنيطرة قبل أن تسقط!! فكانت حرب تشرين، والحديث عن حرب تشرين يقتضي إعطاء نبذة عن الأسد وشريكه في الحرب أنور السادات.

جاء الأسد والسادات إلى الحكم في عام واحد، وكانت لهما مشكلة واحدة، فالأسد يواجه شعباً غاضباً لا يدع مناسبة تمرّ دون أن يعبر عن معارضته له ولسياسته الداخلية والخارجية، والسادات كذلك كان دوره هامشياً في انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وما كان أحد يتوقّع أن يستمرّ في حكم مصر سنة واحدة.

وهكذا جمعت الأقدار بينهما، فأقاما اتحاداً في سورية^(١) ومصر، وفتحا صفحةً جديدةً مع الدول العربية غير الاشتراكية- أي التي كان بينها وبين حزب البعث وعبد الناصر عداوة تقليدية-، كما فتحا صفحةً جديدةً مع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية^(٢).

(١) لم أتحّد عن ليبيا والذي يعنيني علاقة الأسد مع السادات.

(٢) سياسة السادات مع الولايات المتحدة تختلف عن سياسة عبد الناصر وإن كانت النتيجة

وكان بينهما تفاهم تام على حرب تشـيرين، وعلى الاتفاقات التي تمت بعد الحرب. كان هناك خلاف في الإخراج، فظروف السادات كانت تمكّنه من القيام بالخطوة المتفق عليها قبل أخيه وزميله أسد، وكان الأخير يتظاهر بالمعارضة والاستنكار وبعد أن تهدأ الزوبعة يدخل في جحر الضبّ الذي دخله الأول.

ثمة أمر يستحق الذكر فالأسد جبان مراوغ، والسادات وقح لا يعرف الخجل سبيلاً إلى نفسه، ومن يتابع ما كُتِبَ عن حرب تشـيرين يعلم حق العلم أن السادات والأسد كانا متفقين على كل صغيرة وكبيرة في الحرب، وعلى الخطوات والمراحل التي تمت بعد الحرب، بل وكانا ينسّقان الأمور مع جهات عربية صديقة للولايات المتحدة الأمريكية، وليعد من شاء إلى مـؤتمرات القمة العربية المصغّرة، التي كانت تُعقد لهذا الغرض، أو فليعد من شاء إلى زيارات " يارنغ، روجرز، كيسنجر، فانس " إلى الشرق الأوسط وليتبع خط سيرهم في كل رحلة!!

نعود إلى أسد:

هل كان قادراً على تحرير الجولان، وهل كان يريد تحرير الجولان فعلاً، وهل كانت حربه بقصد استعادة الأرض العربية المغتصبة، أم بقصد تحريك قضية السلام بل الاستسلام لإسرائيل؟!!

ونترك المجال فيما يلي لزعماء نظام أسد وأصدقائه وشركائه يجيبون على هذه

الأسئلة:

١- قال نايف حواتمة:

"تأكد لدينا أن السادات بدأ اتصالاته السرية مع إسرائيل، منذ شباط ١٩٧١ وأنه طرح مشروعه الشهير لفتح قناة السويس في ذلك الحين، في إطار تلك الاتصالات السرية إلى حين وقوع حرب تشرين، وكشفت الوقائع بأن السادات كانت له خطة خاصة في حرب تشرين، لا تتلاقى مع خطة حلفائه، تقوم على عبور القناة وتحرير شريط بعمق ٥-١٥ كم، ثم الذهاب إلى مائة المفاوضات مع العدو وصولاً إلى تسوية كاملة.

ولهذا يتّضح أن السادات عندما عرض علينا خلال اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني في عام ١٩٧٢، تشكيل حكومة فلسطينية في المنفى، إنما كان يخطط للمجيء بهذه الحكومة إلى مائة المفاوضات، التي يخطط لها مسبقاً مع الولايات المتحدة وإسرائيل.

ويقول حواتمة أيضاً:

أكثر من هذا قبل حرب تشرين بـ ١٠ أيام، حمل إلينا الأخ أبو إياد رسالةً من السادات يقول فيها: إن الحرب قادمة قريباً، وإنه على الفلسطينيين أن يجهّزوا أنفسهم لحضور مائدة المفاوضات من خلال مؤتمر دولي، وقد اجتمعت القيادة الفلسطينية وحملت الأخ أبو إياد رسالةً إلى السادات تقول فيها: إننا نفضّل أن يُوجّل نشوب الحرب لسنوات عدة أخرى، وذلك ليتم إعداد القوى

لخوض حرب تحرير جدية" (١).

ورسالة السادات التي حملها أبو إياد إلى القيادة الفلسطينية صحيحة، وقد تأكدت من أكثر من مصدر، وتحديث عنها صلاح خلف في أحد لقاءاته الصحفية التي شتم بها صديقه السادات بعد زيارة الكنيست الإسرائيلي، وعلم حافظ الأسد بمضمون هذه الرسالة، لأن زهير محسن أحد أعضاء القيادة الفلسطينية الذين اطلعوا على الرسالة، ويقول نايف حواتمة في تصريحه الآنف الذكر أنه كلم الأسد شخصياً، فزعم أن السادات لم يطلع على مثل هذه الخطة، وأكد حواتمة أن سوريا عندها خطة خاصة وهي متابعة للنضال حتى تحرير ما يمكن تحريره من الأراضي العربية والفلسطينية التي احتلت خلال عدوان حزيران وبدون قيد أو شرط.

ورسالة السادات تعني أن الحرب القادمة ليس غايتها تحرير الأراضي العربية المحتلة، وإنما هي بمثابة ضغط على إسرائيل وأصدقائها لاستئناف المفاوضات من أجل الاتفاق على صيغة سياسية للحل السلمي.

وكان على الأسد- لو كان يريد تحرير الأراضي العربية فعلاً- أن يطلب توضيحاً من السادات، أو أن يتوقف عن المضي في التعاون معه إذا كان عنده اعتراض على تصريحات شريكه، ولكنها مضياً معاً في خطة واحدة ليس بينهما

(١) جريدة السفير اللبنانية، تاريخ ٤-٣-١٩٨١.

خلاف عليها.

٢- ألقى أنور السادات خطبةً فيما أسموه عيد العمّال في الأول من أيار ١٩٧٥ قال فيه: "بعد مضي ٦ ساعات على حرب السادس من تشرين جاءني السفير السوفياتي يطلب مني وقف إطلاق النار بناءً على طلب من الرئيس أسد، وفي اليوم الثاني طلب مني نفس الطلب".

٣- وفي ١٧ / ٥ / ١٩٨٠ نشرت جريدة تشرين السورية نصّ حديث لوزير خارجية النظام عبد الحلیم خدام مع رؤساء تحرير الصحف الكويتية قال فيه: "كان هناك اتفاق بيننا وبين السادات بأن نخبر الاتحاد السوفياتي والعراق قبل الحرب، وكانت الخطة العسكرية تفترض بأن نكون خلال ٣٦ ساعة قد استعدنا القسم الأكبر من الجولان، ويكون الجيش المصري قد وصل إلى الممرات، وعند ذلك سيطلب الاتحاد السوفياتي اجتماع مجلس الأمن من أجل اتخاذ قرار باستعادة الأراضي العربية المحتلة. هذا هو الاتفاق بيننا وبين السادات وقد أبلغنا السوفيات بهذا الأمر قبل الحرب بوقت قصير".

٤- وفي ١٦ / ٩ / ١٩٧٥ كتب عضو القيادة القطرية عبد الله الأحمر مقالاً في جريدة البعث السورية الرسمية قال فيه: "في اليوم السادس من القتال بدأ الخرق الإسرائيلي يتوضّح على الجبهة السورية، وقد صبّ العدو جهده الجوي والبري على جبهة الجولان في أكثف قتال عرفه تاريخ الحروب وفي ذلك اليوم دعا الرئيس الأسد قيادة الحزب والجبهة الوطنية إلى جلسة طارئة وأطلعهم على حقيقة الوضع

وقال لهم بأننا خسرنا معظم سلاح الدبابات...".

ومن خلال هذه التصريحات يتبين لنا أنه ليس في نيّة السادات والأسد تحرير الأراضي العربية المحتلة، وكيف يكون تحرير هذه الأرض خلال ست ساعات على حدّ قول السادات، أو خلال ست وثلاثين ساعة على حدّ قول خدام الأسد؟!!

على كلّ حال، الخلاف بينهم حول عدد من الساعات، لكنهم متفقون جميعاً في تصريحاتهم على أن الاتحاد السوفياتي كان على علم بالخطّة، وبعد ساعات من بداية الحرب طلبوا منه أن يتوسّط من أجل وقف إطلاق النار!!

فكيف يطمئنون إلى كشف خطّتهم لدولة أجنبية يلعب اليهود دوراً بارزاً في تنظير سياستها الصناعية والاقتصادية بل والعقائدية؟!!

ومن جهة أخرى فلكلّ من مصر وسوريا تجارب سلبية مع الاتحاد السوفياتي، تحدّث عنها الدكتور سامي الجندي - أحد قادة حزب البعث ومؤسسيه-، في كتابه عرب ويهود، كما تحدّث عنها أنور السادات في مذكراته التي كان ينشرها في صحيفة "مايو" المصرية، وكان مما قاله فيها: إن عبد الناصر مات وفي قلبه بركان ينذر بالانفجار على السوفيات، وطريقتهم في التعامل مع الآخرين .

أما سورية الأسد، فكان قادة الحزب فيها يكثرّون في مجالسهم الخاصة من نقد السوفيات، بل لقد رفض السوفيات الطلب الذي تقدّمت به سوريا من أجل تزويدها بـ "سلام فنية" تستخدمها المدرّعات عند اجتياز خطّ ألون.

ومن الجدير بالذكر أن قادة الدول العربية اعترفوا بأن الاتحاد السوفياتي غرّر بهم في حرب حزيران سنة ١٩٦٧، عندما طلب من مصر وسورية عدم البدء بالحرب، وأن تكون إسرائيل هي البادئة، ووجهت إسرائيل ضربة قاضية عندما دمّرت المطارات الحربية في مصر والأردن وسورية.

ونعود إلى تصريح عبد الله الأحمر لنقف عنده قليلاً.

قال الأحمر: إن الأسد أخبر قيادة الحزب والجبهة الوطنية - في اليوم السادس - أن سورية خسرت الحرب.

- ترى ماذا كان الأحمر ينتظر من قيادة باعت الجولان، وأذاعت بلاغ سقوط القنيطرة قبل أن تسقط؟!

- ماذا كان ينتظر الأحمر من قيادة تتعاون وتنسق مع الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة؟! (١)

- بل ماذا كان ينتظر الأحمر من جيش فقد أكفأ ضباطه، فمنهم الذين أعدمهم النظام، ومنهم الذين سلموا من السجن وفرّوا من بلدهم لا يأمنون فيه على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم؟!

(١) في الفصلين الأول والثاني من القسم الثالث من هذا الكتاب أدلة تؤكّد تعاون البعث مع

- ماذا كان ينتظر الأحمر من شعب مضطهد مغلوب على أمره، ومع ذلك فالنظام يحشاه، ولا يجروء على تسليحه ليدافع عن نفسه؟!!

إننا لا ننتظر من نظام أسد إلا الفرار من الحرب والاستسلام لإسرائيل:

أسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تصفّر من صفير الصافر
والسؤال الأخير:

هل نصدّق أسد والسادات أنهما لم يخبرا بالحرب إلا الاتحاد السوفياتي؟!!

ففي كل يوم يكشف لنا أسد والسادات جهةً جديدةً كانت تعلم بالحرب، وربما تكشف لنا الأيام القليلة القادمة أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تعلم بهذه الحرب، وأن لها هدفاً لن تتعداه.

لمحات عن سير عمليات الحرب:

١- بدأت الحرب الساعة ١٤ر٠٠ من يوم ٦/١٠/١٩٧٣، عندما اجتاحت القوات السورية خط [ألون] في القطاعين الشمالي والأوسط.. وكانت خسائر القوات المهاجمة باهظةً جدًّا للسبب التالي:

تعتمد إسرائيل في حماية وتحصين حدودها على إقامة نقاط استناد قوية، ومحصنة تحصيناً متيناً، وقد استفادت بعد حزيران ١٩٦٧ من جغرافية الجولان المزروعة بالتلال. وعندما كانت تحتاج إلى نقطة لإكمال الشبكة، ولا تجد تلاً طبيعياً تسارع إلى إقامة تلاً اصطناعياً.

وكان قوام نقطة الاستناد من سرية إلى فصيلة من كافة الأسلحة [م.م.ط، دبابات أسلحة مشاة]، وكانت التلة التي تقوم عليها نقطة الاستناد محاطة بخندق وحقول ألغام.

ويعتمد "التكتيك" الإسرائيلي على إعاقة الهجوم من ٢٤ إلى ٤٨ ساعة، مع إنزال أكبر الخسائر بالمهاجمين... وكان هذا "التكتيك" يمكنها من كسب الوقت الذي يتيح لها شن هجوم معاكس على قوات منهكة.

أما القوات السورية فتتبع طريقة الأنساق حيث يقوم النسق الأول من ألوية النسق الأول بتدمير القشرة الدفاعية، ثم يقوم النسق الثاني من ألوية النسق الأول بتطهير الأرض... ثم يأتي بعدها دور الأنساق التي تطوّر الهجوم وتستثمره، إلى أن تحقق النتائج المتوخاة من الحرب.

و "التكتيك" السوري^(١) يتناسب مع دفاع خطي خندقي، وليس مع نقاط استناد قوية، وإذا كانت سورية على علم بالتكتيك الإسرائيلي، فأين كانت عن رسم خطة هجومية تتناسب مع الأسلوب اليهودي في الحرب!؟

والذي حدث في يوم ١٠/٦ أن الألوية الأولى لم تطهر الجولان من نقاط الاستناد.. وعندما جاء دور الألوية الثانية الساعة ٢٣ر٠٠ كانت معظم نقاط

(١) أخذت سوريا الحرب على طريقة الأنساق عن روسيا التي استخدمتها في الحرب العالمية

الاستناد مازالت تقصف القوات المهاجمة بغزارة وعنف.

وفي الوقت نفسه قامت بعض الوحدات بالتوغّل في عمق الجولان، وفي القرب من بحيرة طبريا، وجدت نفسها محاطةً بالعدو من كلّ جهة، وانقطع عنها التموين وكلّ ارتباط بالقيادة. وهكذا تمكّن العدو من تدمير وإبادة معظم هذه الوحدات.

وجملة القول كانت خسائر الجيش السوري في اليوم الأول من الحرب ما يقارب ٦٠٪ من الدبابات والعتاد.

٢- زجّت القيادة في ١٠/٧ ببعض ألوية الاحتياط، وقامت هذه الألوية مع التشكيلات الأخرى باحتلال مسافة ٤ كم في القطاع الشمالي و ١٢ كم في القطاع الأوسط.

أما جبل الشيخ فقد تم احتلاله في اليوم الأول من الحرب.. وكان وضع القوات السورية داخل الأراضي المحتلة في غاية السوء، فالقوات الإسرائيلية نجحت في استدرج بعض الكتائب المدرّعة إلى مناطق معدّة مسبقاً لإبادة المدرّعات، وأوقعت بها خسائر فادحة، وغابت القيادة العتيدة عن ساحة الحرب.

٣- ركّز اليهود في هجومهم المعاكس على القطاع الشمالي بسبب الدور الخياني الذي قام به المقدم^(١) الدرزي رفيق حلاوة وتفاهة معظم قيادة القطاع ومن

(١) أشرنا إلى الدور الخياني الذي لعبه رفيق حلاوة في الحرب عند حديثنا عن الدروز في القسم

الأول من هذا الكتاب. ومما يجدر ذكره أن القرى الدرزية في الجولان تقع في القطاع الشمالي الذي سهل على إسرائيل دحر القوات فيه.

أشهرهم: علي زيود، وتوفيق جلول. ولهذا سهل على القوات الإسرائيلية استرداد جبل الشيخ، وطرد القوات السورية من الأراضي التي احتلتها في يومي ٦ و٧/١٠، وتم لإسرائيل احتلال ٢٠ كم في عرض ٢٣ كم على طول القطاع الشمالي، ومنها ٤ كم كانت سورية قد احتلتها في بداية الحرب، وهذا الذي أسمته حكومة النصرية "جيب".

٤- خيانة واضحة:

أ- قامت القوات العراقية فور وصولها بعدة هجمات معاكسة، وتمكنت من طرد الإسرائيليين من تل عنتر حتى أم باطنة وطلبت من القوات السورية التمسك بهذه المنطقة، لأن القوات العراقية من سلاح المدرعات، ولا بد من قوات مشاة لاحتلال الأرض والتمسك بها، ولكن القيادة العسكرية السورية تجاهلت الطلب العراقي ولم تتسلم مواقعها في الأراضي المحررة، فما هو السر في ذلك؟!

ب- قام لواء جبلي عراقي بمهمة إنزال على جبل الشيخ وشن هجوماً معاكساً كبيراً، وأسفر الهجوم عن دحر القوات الإسرائيلية وتحرير الجبل. وطلب اللواء العراقي من قيادة القطاع الشمالي استلام مواقعها في الجبل، وأخذت القيادة تحتلق الأعذار وتسوّف إلى أن أذيع موافقة إسرائيل وسورية على وقف إطلاق النار، وعادت القوات الإسرائيلية إلى مواقعها في جبل الشيخ.

ج- أصر المقدم الدرزي "شامل المصطفى" على أن يستطلع مواقع العدو بنفسه، ولم يقبل أن يرافقه جنود أو سائق، ومرّ يوم ٧/١٠ بأكمله دون أن يعود

رئيس قسم الاستطلاع المقدم شامل مصطفى، وتبين فيما بعد أنه هرب إلى فلسطين المحتلة بلباسه العسكري، وبما يملكه من أسرار دقيقة عن الحرب والسلام.

د- لم يشارك النصيريون والنصارى والدروز في الحرب، وأعني بالمشاركة التضحية والإقدام، فالنصيريون كانوا يجرسون دمشق من أي انقلاب، وكانت مواقع أهم ألوية الجيش في الكسوة، وقاسيون، وحول الإذاعة في دمشق.

وقام عدد غير قليل من قادة الدبابات من غير المسلمين باقتحام حقول ألغام:

صديقة وعدوة، وذلك للتخلص من الحرب، إذ أن الألغام ستقطع سلسلة الدبابات فقط وهذا مبرر لطاقمها للخروج من ساحة الحرب بسلام. ومن الضباط الذين اختلقوا حادث انسحاب النقيب النصراني "إبراهيم بشارة" وكان قائد سرية هندسة في اللواء ٥٢، وقد كُشِفَ أمره، وأصدرت المحكمة العسكرية حكماً عليه بالسجن المؤبد، ولكن أهله عرفوا كيف يحملون رفعت أسد على التدخل فتم الإفراج عن النقيب بشارة!!

وبعد وقف إطلاق النار كانت القوات الإسرائيلية قد أصبحت فعلاً على مشارف دمشق، وسيطرت على تسع وثلاثين قرية، وهُزِمَ الجيش السوري هزيمة نكراء... وأصبح معظم أفراد القوات المسلحة يعتقدون أن إسرائيل لا تقهر، وهذا الذي خطَّط له حافظ الأسد وأراده!!^(١)

(١) هذه خلاصة حديث أدلى به ضباط مؤمنون شاركوا في حرب تشرين ١٩٧٣، ورأوا

نتائج الحرب:

١ - حرب الاستنزاف:

أسفرت حرب تشرين عن احتلال إسرائيل لمساحة من الأراضي السورية يبلغ طولها ٢٣ كم وعمقها ١٦ كم، وتحوي ٣٩ قرية، وأصبحت القوات الإسرائيلية على مقربة من العاصمة السورية - دمشق - .

وقد أدى تداخل الحدود بين الجانبين من جهة، ورفض الجندي السوري للمأساة الجديدة من جهة أخرى إلى مناوشات مستمرة ما لبثت أن تحوّلت إلى حرب محدودة أسموها "حرب الاستنزاف".

ودامت الحرب ٨١ يوماً، ولهذا كان وطؤها ثقيلاً على اليهود، فحروبهم تعتمد على المفاجآت السريعة، ولا يملكون القدرة على الاستمرار في حرب طويلة الأمد. ومما زاد الطين بلة أن النظام السوري أعطى للمنظمات الفلسطينية بعض الحرية في التسلسل إلى الجولان وفلسطين المحتلة عن طريق الحدود السورية، ولهذا كان اليهود في الجولان والجليل يقضون معظم أوقاتهم في الملاجئ المحصنة.

وحقاً تورّطت إسرائيل في "الجيب" الذي احتلته، وفقد اليهود الأمن والاستقرار داخل فلسطين المحتلة، وأصبحت تبحث عن حلّ.

٢- وساطة كيسينجر:

بدأ وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الدكتور هنري كيسينجر وساطته في أخرج الظروف التي كانت تمرّ بها إسرائيل، أي في أوائل شهر أيار من سنة ١٩٧٤.

وكان كيسينجر قد نجح في الوصول إلى اتفاق لفك الاشتباك بين القوات المصرية والإسرائيلية في ١٨ / ١ / ١٩٧٤، وخلال هذه الفترة الزمنية من ١٨ / ١ إلى ٣١ / ٥ / ١٩٧٤ كان نظام أسد يتلاعب بعواطف الناس، ويمثّل دور الصمود، ورفض الاستسلام، وراح إعلامه يلمز بسياسة أخيه وشريكه أنور السادات.

واستمرّت وساطة كيسينجر بين دمشق وتل أبيب شهراً كاملاً، وكانت رحلات وزير الخارجية الأمريكي موضع اهتمام الاعلام العالمي: نجح كيسينجر، أخفق...، غادر القدس...، وصل دمشق...

ومن أحب الأمور إلى قلب كيسينجر أن يكون شغل الناس الشاغل، وأن يطلق عليه الناس بطل السلام، وصانع المعجزات، والرجل الذي يجعل المستحيل ممكناً.

وبعد كلّ زيارة يقوم بها وزير الخارجية الأمريكي إلى دمشق، كانت إذاعة نظام أسد تهاجم إسرائيل والولايات المتحدة، وتدعو إلى رفض التنازل عن شبر واحد من الأراضي العربية، وكان المغفلون من أبناء أمتنا يصدّقون "التقية" التي يتظاهر بها أسد، والتي هي من أصول ديانته.

وإن نسيّتُ فلن أنسى جمهور الفلسطينيين الذين كانوا يصوغون الأغاني التي ينقدون بها الأنظمة العربية لأن كيسينجر خدعهم، ويستثنون أبا سليمان - أسد - من هؤلاء الحكام لأنه بطل الصمود، وقائد المسيرة. أما كان هؤلاء يفكّرون بالسؤال التالي: إذا كان أسد ضد الولايات المتحدة وسياستها من الصراع العربي الإسرائيلي فلماذا يستقبل وزير خارجيتها اليهودي هنري كيسنجر؟!

وإذا كان يريد أن يسمع رأي الولايات المتحدة فيكفيه لقاء واحد، فكيف نجتمع إذن بين تكرار زيارات كيسينجر وتكرار ادّعاء النظام السوري بأن المباحثات فاشلة؟!

٣- اتفاق فصل القوات:

في ٢٩ / ٥ / ١٩٧٤ أعلن نيكسون في ساعة متأخرة من الليل نبأ الوصول إلى اتفاق فصل القوات على جبهة الجولان، وأشاد الرئيس الأمريكي بالدور الذي قام به وزير خارجيته ومساعدوه.

وفي ٣٠ / ٥ / ١٩٧٤ أقرّ المؤتمر القطري الاستثنائي لحزب البعث الاتفاقيّة وزعمت إذاعة دمشق بأن الاتفاقيّة انتصار لسورية التي تمكّنت من انتزاع مكاسب حقيقية في ظروف حرجة!!

وفي ٣١ / ٥ / ١٩٧٤ تمّ التوقيع في جنيف بسويسرا على فك الاشتباك والفصل بين القوات السورية والإسرائيلية على جبهة الجولان، ووقع الاتفاق عن الجانب السوري العميد عدنان طيارة، وهيرتسل شافيرا عن الجانب الإسرائيلي، والجنرال

انسيو سيلا سفيو قائد قوة الطوارئ الدولية في الشرق الأوسط الذي ترأس الاحتفال، وبحضور اللواء طه المجذوب عن الجانب المصري، والوفد الأمريكي برئاسة السفير "الزورث بنكر"، والوفد السوفياتي برئاسة السفير "فلاديمير فينو غرادوف".

وقد دخل الوفدان: السوري والإسرائيلي من باين مختلفين، وطلب العميد عدنان طيارة إخراج المصوّرين والمراسلين عند التوقيع على الاتفاقية، وتمّ له ما أراد!!

وبعد التوقيع أدلى صلاح الطرزي عضو الوفد السوري بتصريح قال فيه:

"إن الاتفاق الذي وقعناه اليوم، لا يشكّل سوى خطوة من عملية التسوية العادلة والدائمة لأزمة الشرق الأوسط طبقاً لما جاء في القرار ٣٣٨ الصادر عن مجلس الأمن.

وهذا القرار يستند إلى عاملين أساسيين هما انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي التي تحتلها بلا استثناء. والاعتراف بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، وإقرار هذه الحقوق. وقال: "إن الاتفاق الذي وقّعناه اليوم، يُعدّ اتفاقاً عسكرياً بحثاً يتعلق بالفصل بين القوات، ويتعيّن على الشعب الفلسطيني أن يحدّد حقوقه ويناضل بكافة السبل من أجل بلوغ هذه الحقوق".

النص الرسمي للاتفاقية:

"البعث - دمشق - ٣٠-٥-١٩٧٧"

اتفاقية حول الفصل

بين القوات الإسرائيلية والقوات السورية

أ- تراعي إسرائيل وسورية مراعاةً دقيقةً وقف إطلاق النار في البر والبحر والجو وتمتنعان عن كل الأعمال العسكرية ضد بعضها بعضاً منذ توقيع هذه الوثيقة، تطبيقاً لقرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ذي الرقم ٣٣٨ المؤرخ في ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣.

ب- تفصل القوات العسكرية لإسرائيل وسورية وفقاً للمبادئ التالية:

١- تكون القوات العسكرية الإسرائيلية غربي الخط المسمى بخط (أ) على الخارطة المرفقة بهذه الاتفاقية، باستثناء منطقة القنيطرة حيث تكون غربي الخط (أ-١).

٢- تكون كل الأرض شرقي الخط (أ) تحت الإدارة السورية، ويعود المدنيون السوريون إلى هذه الأرض.

٣- تكون المنطقة بين الخط (أ) والخط المسمى بخط (ب) على الخارطة المرفقة منطقة فصل.

وترابط في هذه المنطقة قوة مراقبي فصل القوات التابعة للأمم المتحدة المنشأة وفقاً للبروتوكول المرفق.

٤- تكون كل القوات العسكرية السورية شرقي الخط المسمى بخط (ب) على الخارطة المرفقة.

٥- تكون هناك منطقتان متساويتان لتحديد الأسلحة والقوات، واحدة غربي الخط (أ) وواحدة شرقي الخط (ب) حسبما اتفق عليهما.

يسمح لسلاحي جو الجانبين بالعمل حتى خط كل منهما بدون تدخل من الجانب الآخر.

ج- لن تتواجد قوات عسكرية في المنطقة بين الخط (أ) والخط (أ-١) على الخارطة المرفقة.

د- تُوقَّع هذه الاتفاقية والخارطة المرفقة من قبل الممثلين العسكريين لإسرائيل وسورية في جنيف في موعد لا يتعدى ٣١ أيار ١٩٧٤ في مجموعة العمل العسكرية المصرية- الإسرائيلية لمؤتمر جنيف للسلام، تحت رعاية الأمم المتحدة بعد أن يكون قد انضمَّ إلى هذه المجموعة ممثل عسكري سوري، وباشتراك ممثلين للولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، يتولَّى الرسم الدقيق للخطوط على خارطة مفصَّلة ووضع خطة لتنفيذ فصل القوات الممثلون العسكريون لإسرائيل وسورية في مجموعة العمل العسكرية المصرية- الإسرائيلية الذين سيتفقون على مراحل هذه العملية. وتبدأ مجموعة العمل العسكرية الموصوفة أعلاه عملها لهذه الغاية في جنيف المهمة تحت رعاية الأمم المتحدة في غضون ٢٤ ساعة بعد توقيع هذه الاتفاقية، وتنتهي هذه المهمة في غضون خمسة أيام ويبدأ الفصل في غضون ٢٤

ساعة بعد إتمام مهمة مجموعة العمل العسكرية. وتكتمل عملية الفصل في مدى لا يتجاوز عشرين يوماً بعد بدئها.

هـ- سيجري تفتيش أحكام الفقرات (أ) و(ب) و(ج) من قبل أشخاص الأمم المتحدة الذين سيشكلون قوة مراقبي فصل القوات التابعة للأمم المتحدة بموجب هذه الاتفاقية.

و- في غضون ٢٤ ساعة بعد توقيع هذه الاتفاقية في جنيف يُعاد جميع أسرى الحرب الجرحى الذين يحتفظ بهم كل من الجانبين من الجانب الآخر بشهادة اللجنة الدولية للصليب الأحمر. وفي صباح اليوم الذي يلي إتمام مهمة مجموعة العمل العسكرية، يُعاد جميع من تبقى من أسرى الحرب.

ز- تُعاد جثث جميع الجنود الموتى المحتفظ بها من قبل أي من الجانبين للدفن في البلد الذي تنتمي إليه هذه الجثث في غضون عشرة أيام بعد توقيع هذه الاتفاقية.

ح- هذه الاتفاقية ليست اتفاقية سلام، بل هي خطوة نحو سلام عادل ودائم استناداً إلى قرار مجلس الأمن ذي الرقم ٣٣٨ المؤرخ في ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣.

برتوكول ملحق باتفاقية الفصل بين القوات السورية والإسرائيلية "البعث- دمشق - ٣٠ / ٥ / ١٩٧٤". بروتوكول ملحق باتفاقية الفصل بين القوات السورية والإسرائيلية بشأن قوة مراقبي فصل القوات التابعة للأمم المتحدة.

٥- ملاحظات حول الاتفاقية:

أ- لم تفشل وساطة الولايات المتحدة كما زعم أسد، بل نجحت، والاتفاقية التي أبرمتها حكومة أسد مع إسرائيل صورةً طبق الأصل للاتفاقية المصرية الإسرائيلية، وسبق النظام أسد أن اتهم السادات بالخيانة، ومن هذا المنطلق تقول: من عمِلَ عمَلِ السادات فهو مثله.

أما الذين كانوا يغنون لأبي سليمان ويشيدون ببطولته، فلقد شك بعضهم بسياسته حيناً من الزمن ثم عادوا يصفقون له مرةً ثانيةً وثالثةً.

ب- لم تحدّد اتفاقية الفصل مدةً لانسحاب إسرائيل من جميع الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧، وهو الشرط الذي اشترطته سورية وتمسّكت به، وأعلنت أنها لن توقع اتفاقية الفصل إذا لم يتحقّق هذا الشرط.

وأكثر من ذلك لقد صرّح كيسينجر بأن السلام النهائي في الشرق الأوسط يحتاج إلى زمن طويل وهذه الخطوة الأولى فيه، وقد يكون الزمن الطويل ربع قرن أو أكثر من ذلك وقد لا يكون.

ج- ليس في عودة القنيطرة مكسب لسورية لأن التلال المحيطة بها بقيت ضمن الأراضي المحتلة، وهذا يعني أن سكان القنيطرة سيكونون تحت رحمة المدافع الإسرائيلية، كما أن مرتفعات جبل الشيخ لم تعد لسورية، وفي هذا تهديد لدمشق والقوات السورية التي أصبحت مكشوفةً أمام هذه المرتفعات .

د- لم تنص الاتفاقية على موقف سورية من الفدائيين، إلا أن مسؤولاً أمريكياً من مرافقي كيسينجر أصرّ على عدم ذكر اسمه قال:

"إن الطرفين - الإسرائيليين والسوريين - قد اتفقا على حلّ وسط لمسألة وقف تسلل الفدائيين إلى إسرائيل إلا أن التفاصيل ستظل سريةً".

وأكدت الصحف الإسرائيلية أنه تمّ التوصل إلى حلّ لمشكلة عمليات التسلّل التي يقوم بها الفدائيون إلى الأراضي التي تحتلّها إسرائيل عبر الخطوط السورية، وقالت الصحف إن الزعماء السوريين أخبروا وزير خارجية الولايات المتحدة- كيسينجر - بأنهم سيعارضون عمليات تسلل الفدائيين من أراضيهم لكنهم لا يستطيعون أن يعلنوا هذه المعارضة، أو ينصوا عليها في اتفاقية الفصل.

هـ- ألزمت الاتفاقية سورية بالامتناع عن أية عمليات عسكرية ضدّ العدو، ومرابطة قوة الطوارئ الدولية التابعة للأمم المتحدة لمراقبة خط فك الارتباط. وقبيل نظام أسد بوجود منطقة مجردة ومنزوعة السلاح عمقها ١٥ كم شمال القنيطرة، ويحرم على العسكريين السوريين دخول هذه المنطقة.

وما زالت قوات الطوارئ الدولية ترابط في الجولان، ويمدّد لها تلقائياً كلّ ستة أشهر، وفي معظم الحالات تطلب سورية من الأمم المتحدة تمديد مدّة هذه القوات.

٦- تنازلات:

أ- طلبت رئيسة وزراء العدو الإسرائيلي "غولدا مئير" قائمةً بأسماء الأسرى من جنود العدو، ورفض حافظ الأسد طلبها الذي نقله إليه كيسينجر، وأصرّت "غولدا مئير" على طلبها، وأنها لن توقع اتفاقاً مع سورية قبل أن تصلها لائحة بأسماء الأسرى، وأصرّ أسد على رفضه لطلب إسرائيل .

وتمكّن الأفعى اليهودي- كيسينجر- من إقناع صديقه أسد في اجتماع مغلق لم يحضره مساعدو الرئيس النصيري ووزراؤه، وعلم مراسلوا الصحف ووكالات الأنباء بالخبر فسألوا وزير إعلام النظام "جورج صدقني" عن الخبر، فأكد لهم أنه لن ولن يُستجاب لطلب إسرائيل... وتبين له فيما بعد أنه آخر من يعلم !!

ترى لماذا أصرّ أسد على عدم تسليم لائحة بأسماء الأسرى اليهود، والقضية لا تستحق مثل هذا الإصرار لأنها جزئية صغيرة، وهو قبل في الأصل ما هو أصعب منها وأهم؟!!

أما كان أولى به أن يحفظ ما تبقى من ماء وجهه إن كان قد بقي في وجهه ماء؟!!

ب- ويبدو أن هناك مفاوضات سرية جرت بين أسد، والكيان الصهيوني قبل أن تبدأ وساطة كيسينجر ودليلنا على ذلك المرسوم الجمهوري رقم ٣٨٥ الذي أصدره الحاكم النصيري بتاريخ ٢٥ / ٢ / ١٩٧٤، وبموجبه تم إطلاق سراح مجموعة من الجواسيس الذين كانوا يعملون لحساب العدو في أرضنا المحتلة، وكان قد تمّ اعتقالهم في سنة ١٩٥٩ أي قبل أن يتبلى الله أمتنا بطغيان أسد.

وهذه هي صيغة الرسوم:

مرسوم رقم ٣٨٥:

بناءً على أحكام قانون العقوبات وأصول المحاكمات الجزائية ، وعلى المرسوم التشريعي ٤٣ بتاريخ ١/٩/١٩٧١ وعلى الأحكام المكتسبة قوة القضية المقضية الصادرة عن المحكمة العسكرية بدمشق بالأرقام ١١٣٢/١١٥٤ بتاريخ ٢٩/أظ/١٩٥١ و٦٩/١١٠١ لعام ١٩٥٢ و٢/٢١٤ بتاريخ ٢١/١٢/١٩٥٥ .

و١٨/١٩ تاريخ ١٢/١٠/١٩٥٩ و١١/١١ تاريخ ١٠/١٢/١٩٦٠ والمتضمن بالأشغال الشاقة المؤبدة بعد الدغم والتبديل على ثلاثة وعشرين مجرمًا، لارتكابهم جرم العمل لصالح المخابرات الإسرائيلية ومدّها بالمعلومات، وذهاب البعض منهم إلى إسرائيل، والاتصال بالمسؤولين فيها، وتناول المال من إسرائيل لقاء عمليات التجسس يرسم بما يلي:

المادة (١) يمنح المحكومون المذكورون عفوًا خاصًا عن المدة المتبقية المحكومين بها من قبل المحكمة العسكرية بقراراتها رقم ١١٣٢/١١٥٤ و٢١٤/٢٠، ١/٩، ١٨/١٩، ١٠/٢٢، ١١/١١ .

المادة رقم (٢) - لا يُنشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه.

دمشق ٢٠/٢/١٩٧٤

نسخة إلى المحامي العام دمشق

وزارة العدل

الرقم ٢٢٠٤

رئيس الجمهورية حافظ الأسد

وزير العدل محمد أديب نحوي

١٩٧٤ / ٢ / ٢٥

انظر إلى المادة الثانية من المرسوم التي تنصّ على عدم جواز نشره، ولهذا فهو لم يصلنا عن طريق أجهزة إعلام أسد لأنه سري، ونشره يعني فضح تناقضات النظام وازدواجيته، وكيف يمارس في الخفاء سياسةً تختلف تمامًا عن السياسة التي تنعق بها وسائل إعلامه.

والأكثر عجباً أن نظام أسد سمح للمسجونين بالسفر والإقامة في فلسطين المحتلة بعد أن تمّ الإفراج عنهم، مع أنهم مواطنون سوريون، وإن كان معظمهم من الطائفة اليهودية المقيمة في سورية .

وكان أسد في عمله هذا يبيح عملية التجسس لإسرائيل، ويعطف على الذين يزاولون هذه المهنة، ويعتذر لهم عما فعلته الحكومات السابقة بحقهم لأنها ليست بعثيةً ثوريةً أو نصيريةً تقدميةً !!

وفي الوقت الذي كان أسد يصدر القرارات بالإفراج عن الجواسيس والأسرى اليهود، كانت قلوب زبانيته أشدَّ قسوةً من الحجارة في معاملة الدعاة والعلماء المعتقلين لأنهم يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر ويدعون إلى الله. أليس في هذا دليل على أن اليهود أقرب إلى أسد وطائفته من الإسلام والمسلمين؟!!

٧- صفحة جديدة في تاريخ العلاقات السورية الأمريكية:

أ- صفحة جديدة:

إن علاقات نظام أسد بالولايات المتحدة الأمريكية قوية جداً، وهي التي قدّمت له كلّ عون ومساعدة حتى تمكّن من القيام بانقلاب على "جديد"، وأعني بقولي "صفحة جديدة": أن العلاقات بين الولايات المتحدة وسورية أصبحت علنيّةً مكشوفةً، ولم يعد الطرفان بحاجة إلى واسطة عربية كانت أو غربية ولأول مرّة في تاريخ سورية يزور وزير خارجية الولايات المتحدة اليهودي "هنري كيسينجر" دمشق ١٢ مرّة في شهر واحد، ثم يعود السفير الأميركي إلى سورية بعد أن انقطع التمثيل الدبلوماسي بين البلدين، إثر اتهام سورية للولايات المتحدة بالتدخل العسكري إلى جانب إسرائيل في حرب حزيران سنة ١٩٦٧.

وفي مذكرات كيسينجر الشيء الكثير عن إعجابه بشخصية حافظ أسد، وعمّا كان يجري بينهما من مناقشات ببناءة- على حد قول كيسينجر-، ويخص وزير الخارجية الأمريكي "مصطفى طلاس" وزير دفاع أسد بجزء من مذكراته فيذكر اهتمامه بممثلات "هوليوود"، وكيف وعده بإعطائه أرقام "هواتفهن"، وما إلى ذلك

من سفاسف وترهات.

ب- نيكسون في دمشق :

في ١٥ / ٦ / ١٩٧٤ زار الرئيس الأمريكي نيكسون دمشق، وكان يرافقه وزير خارجيته هنري كيسينجر، واستقبله أسد بحفاوة، وعقد معه مباحثات شاملة، وفي اليوم نفسه عادت القنيطرة بموجب اتفاقية فصل القوات.

ج - شهادة ساوندرز:

في ٢٦ / ٤ / ١٩٧٨ نقلت وكالة الصحافة الفرنسية من واشنطن الخبر التالي:

"قال أمس السيد هارولد ساوندرز مساعد وزير الخارجية الأمريكي الجديد لشؤون الشرق الأوسط الأدنى: إن سورية لا تزال مشتركة أساسياً في تسوية شاملة لنزاع الشرق الأوسط.

ودافع ساوندرز الذي كان يعرض أمام إحدى لجان مجلس الشيوخ الفرعية، عن اقتراح للإدارة الأمريكية، لتقديم مبلغ ٩٠ مليون دولاراً إلى سورية في برنامج للمساعدات المخصصة لدول الشرق الأوسط في موازنة ١٩٧٩، وشدد ساوندرز على أن دمشق لم تستبعد اشتراكها في عملية السلام ولعبت دوراً خفياً ولكن بالغ الإيجابية في الجهود التي بُذلت من أجل تسوية الوضع في جنوب لبنان، وتطرق كذلك إلى الرغبة المتزايدة للمسؤولين السوريين في تعزيز التبادل الثقافي والتجاري مع الولايات المتحدة، إذ بموجب برنامج المساعدات المقترح ستحصل إسرائيل على ٧٨٥ مليون دولار ومصر على ٧٥٠ مليون دولار".

إن مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط يؤكد أن سورية الأسد لعبت دورًا خفيًا!!! ولكن بالغ الإيجابية... وما أكثر الأدوار الخفية التي يلعبها أسد في مشكلة جنوب لبنان وفي غيرها من مشاكل المنطقة.

٨- تناقضات أسدية:

إن تناقضات أسد كثيرة، وأكثر منها أنه لا ينجل من الكذب- أي التقية- لأنه أصل من أصول دينه، ولهذا فهو في كل موقف من مواقفه يقول شيئًا ويدعو له ثم يعمل عكسه تمامًا. ومن تناقضاته نختار ما يلي:

أ- مرّ معنا تصريحه المشهور ٢٠ / ٥ / ١٩٦٧ الذي زعم فيه أن الجيش السوري جاهز لتحرير فلسطين، ونسف الوجود الصهيوني من الوطن العربي، كما زعم أن جيشه أخذ بعين الاعتبار تدخل الاسطول الأمريكي السادس، وأنه مستعدّ لجميع الاحتمالات وواقف من النصر.

وبعد أن أذاع بلاغ سقوط القنيطرة رقم ٦٦ عاد يتحدّث عن تفوّق العدو الآلي، وهو هذا القول يؤكّد صحة الدراسة التي قدّمها علي عامر في مؤتمر قمة الدار البيضاء سنة ١٩٦٥، ويناقض تصريحه الأول ٢٠ / ٥ / ١٩٦٧.

وتسألّه الصحفية علياء الصلح:

س- تسلّمت سورية ناقصةً، الجولان عند إسرائيل، ماذا ستعمل من أجل

استرداده وأين كنت عام ١٩٦٧، وما كان دورك في هذه الحرب؟!!

ج- في ٥ حزيران ١٩٦٧ كنتُ وزيراً للدفاع، وساهمت سورية في المعركة وفق الخطة الموضوعية، ووفق الدور الذي يمكن لسوريا وبصورة خاصة الجيش السوري القيام به في تلك الفترة بالذات، لا فائدة من عرض ما قمنا به، ومن التطرق إلى الخطأ والصواب لممارساتنا خلال الأيام الستة، لكن لا بد لي أن أقول: إن القوات السورية حاربت ستة أيام كاملة [بيّنّا زيف هذا الادّعاء فيما مضى]، والنتيجة كانت منطقيةً وحتميةً في ضوء المعطيات العسكرية والسياسية السورية والعربية في تلك الفترة".

انظر إلى تواضعه وضعفه الذين يتعارضان ويتناقضان مع تصرّجه الآن في ٢٠/٥/١٩٦٧.

ب- أعلن رؤساء اتحاد الجمهوريات العربية [السادات، الأسد، والقذافي بالإجماع ما يلي:

١- إن تحرير الأرض العربية المحتلة هو الهدف الذي ينبغي أن تُسخر في سبيله كلّ الإمكانيات والطاقت.

٢- إنه لا صلح ولا تفاوض ولا تنازل عن أي شبر من الأرض العربية المحتلة.

٣- لا تفريط في القضية الفلسطينية ولا مساومة عليها^(١).

(١) وثائق اتحاد الجمهوريات العربية : ١٧-٤-١٩٧١.

وتسأل علياء الصلح أسد: (١)

س- والآن حرب أم حلول سليمة؟!

فيجيبها: ما في حلّ سلميّ... ما في حلّ سلميّ، إمكان الحلّ السلميّ غير متوافر، والحركة الصهيونية حركة تستهدف إنشاء دولة من النيل إلى الفرات.

ج- ومن تصريحات أسد التي تتعارض مع التصريحات السابقة:

قبل أسد قراريّ الأمم المتحدة: ٢٤٢ و ٣٣٨ وهذا يعني الاعتراف بشريعة دولة إسرائيل في فلسطين المحتلة دون أن توافق إسرائيل على الانسحاب من الأراضي العربية التي احتلتها في حرب حزيران سنة ١٩٦٧.

وفي طرابلس عقدت الدول العربية التي أسمت نفسها جبهة الرفض مؤتمراً في كانون الأول ١٩٧٧ لدراسة الآثار المترتبة على رحلة السادات الاستسلامية، ولقد طرّح على حافظ أسد الخروج من لعبة التسوية مقابل إحياء الجبهة الشرقية، وتواجد قوات عراقية على الساحتين السورية والأردنية، بعد إعلان رفضه للقرارين: ٢٤٢ و ٢٣٨، فرفض الأسد واختار أن يبقى الباب مفتوحاً أمام إيجاد حلّ عن طريق المفاوضات، وكان مما قاله:

(١) مقابلة علياء الصلح مع أسد نشرتها جريدتا النهار وبيروت اللبنانية يوم

"إنني لو مت مئة مرة وأُحييت على أن أرفض هذه القرارات لما فعلت ذلك" (١).

ومن المعلوم بالضرورة أن القرارين: ٢٤٢ و ٢٣٨ يتعارضان تعارضاً صارخاً مع ما أعلنه وصرّح به الأسد في ١٧-٤-١٩٧١: "إنه لا تفريط في القضية الفلسطينية ولا مساومة عليها".

- قال أسد في حديث له مع صحيفة "نيويورك تايمز" في ١٤-٣-١٩٧٨:

"إن ما يهمني هو التوازن السياسي وليس التوازن العسكري".

وهذا التصريح يناقض مطالبته المستمرة بالتوازن العسكري وأنه لا جدوى من الحلول السياسية.

- اشتدّ هجوم أسد على شريكه السادات قبل هلاك الأخير بقليل، لكن موقفه من رحلة السادات إلى القدس كان خلاف ذلك، ففي مقابلة صحفية أجراها "آرنو بورو شفرين" كبير محرري "النيوز ويك" الأمريكية مع أسد في ٨ / ١ / ١٩٧٨، ردّ حافظ على سؤال الصحفي الأمريكي حول موقف سورية بعد رحلة السادات: "نحن مع إقامة الدولة الفلسطينية ومع سلوك الطريق الذي يؤدي إلى إقامة هذه الدولة، وما يتم الآن هو في طريقة إلى اتفاق ما حول سيناء، وصيغة ما

(١) مراسل نيويورك تايمز من دمشق ٩ / ١٢ / ١٩٧٧، والعدد تاريخ ٧ / ١٢ / ١٩٧٧، وأعداد

حول الضفة الغربية".

وفي ١٠ / ١ / ١٩٧٨ قال الأسد في حديث له مع صحيفة الباس الإسبانية:

"إن سورية لا تزال تطالب باستئناف مؤتمر السلام، وإنه لا بد للأردن بصفتها إحدى دول المجابهة أن تلعب دورًا في إيجاد تسوية شاملة لهذا النزاع".

لقد اكتفيت بهذا القدر من تصريحات أسد ومواقفه، وفيها ما يكشف بوضوح شخصيته المتذبذبة، ومخططاته الغامضة... إنه لا يعرف الصدق، ولا يقول الحق، وكل ما حوله يدعو إلى الشك والحذر.

٩- أخبار متفرقة:

إنه لمن المفيد أن نختم هذا الفصل بنقل مجموعة من الأخبار التي أدلت بها جهات أجنبية عاشرت أسد عن كذب وعلمت عنه أكثر مما نعلم:

أ- في الأول من انقلاب حافظ أسد ١٦ / ١١ / ١٩٧٠ أ برق "بيير له جاك" مراسل صحيفة "رأي لوزان" السويسرية من بيروت إلى جريدته قائلاً: "إن حافظ أسد سيحسن علاقاته بالأردن، لكنه سيسير باتجاه محور القاهرة طرابلس ذي الاتجاه المعتدل، المعادي للشيوعية والمناصر لسلام مفاوض مع إسرائيل".

ب- وفي ٢٠ / ١١ / ١٩٧٠ أ برق "إيريم جو تجتري" مراسل صحيفة "سولوتيرنو" السويسرية من القدس المحتلة، معقبًا على انقلاب الأسد بما يلي:

"إن وجود حكومات على رأسها السادات وحافظ أسد سيقوي من فرص السلام في المنطقة".

ج - وفي ٢٠/١١/١٩٧٠ نشرت مجلة "سونتاجس جورنال" الصادرة في برلين الغربية، مقالاً عن انقلاب حافظ أسد، بقلم "رايمر سبنر جمان" جاء فيه:

"إن حافظ أسد لن يعمل على تعريض التعامل مع السوفيات إلى الخطر، ولكنه من الناحية الواقعية، أقرب من غيره إلى إسرائيل".

د- وبتاريخ ٢٥/١١/١٩٧٧ نقل مراسل هيئة الإذاعة البريطانية من دمشق ما يلي: "ما زالت الحملة الإعلامية الدعائية ضد السادات مستمرة في سورية، غير أن هناك انطباعاً متزايداً، هو أن الحملة هي رد فعل، أو ستارة من الدخان يحاول حافظ أسد من خلفها أن يواجه التيارات أمامه، وقد قال لي مصدر موثوق: نحن الآن نواجه وضعاً شديداً تماماً، فنحن نريد السلام مع إسرائيل ولكنك تضطر في بعض الأحيان، إلى تغيير مسارك من أجل الوصول لأهدافك".

هـ - وفي ١٤/١٢/١٩٧٧ نشرت جريدة السياسة الكويتية ترجمةً لتحليل نشرته مجلة "يواس نيوز" الأمريكية عن مواقف حافظ أسد من السادات ومن التسوية. وقد جاء في التحليل المذكور ما يلي:

"إذ يتزايد الانقسام في صفوف العرب، حول مفاوضات السلام مع إسرائيل يتزايد توجه الأنظار إلى حافظ أسد، إن سياسته الخارجية وهي مزيج متناقض من المواقف المتشددة والمعتدلة تنفصم لحمتها في غمرة العاصفة، التي أثارها زيارة

السادات لإسرائيل، ودعوته فيما بعد إلى محادثات عربية إسرائيلية مباشرة في القاهرة. لقد تعرّض حافظ أسد لضغوط شديدة من قبل المتطرفين العرب للانضمام إلى معسكرهم ضدّ أي تسوية، لقد أصغى حافظ لهم، ولكن عينه ظلّت على الجانب الآخر، إن حافظ يحاول أن يكون لديه أكثر من خيار، فهو يتجنّب الافتراق الرسمي عن مصر، كما يتجنّب في نفس الوقت انتهاج خط المتطرفين، وفي حين كانت أجهزة الإعلام السورية، توجّه الانتقادات الجارحة لسياسة السادات، تمنّع حافظ عن شنّ هجوم عليه، ولا يمكن لحافظ أن يعوّل على دعم الملك حسين، كما لا يثق بمواقف منظمة التحرير الفلسطينية، بعد أن فوّت حافظ عليها وعلى اليسار اللبناني فرصة الانتصار في الحرب اللبنانية".

الفصل الرابع

الاحتلال السوري للبنان

الاحتلال السوري للبنان

ماذا يريد الأسد من لبنان أو لماذا لبنان؟

ارتفع صراخ أسد مرةً أخرى عندما وقّع السادات اتفاق فك الاشتباك الثاني مع إسرائيل، وأدرك طاغوت بلاد الشام إن شريكه قد تخلى عنه، وتركه هائمًا على وجهه في منتصف طريق الخيانة رغم ما بينهما من عهود ومواثيق.

وما كان يُنتظر من السادات إلا مثل هذا الموقف لأنه باع نفسه للشيطان، وهان فسهل عليه الهوان أمام عدوّ لا يقبل أن يفاوض دول المواجهة العربية إلا بشكل إفرادي. ومن جهة أخرى فالسادات لا يخشى من شعبه لأن أرض الكنانة أفقرت من جماعة أو حزب يلقنه درسًا لا ينساه ويجعله عبرةً لمن يعتبر.

أما أسد النصيرية فيواجه أوضاعًا معقّدة، ومشكلات كثيرة من أهمها ما يلي:

١- التيار الإسلامي داخل سورية الذي رفض الانقياد لحزب مارق مرتدّ، وحاكم نصيري ملحد، وقد بدأت المعارضة الإسلامية منذ الثامن من آذار وما تزال حتى كتابة هذه الأسطر، وستستمر إن شاء الله حتى يكون الدين كله لله. ولن يقبل الإسلاميون بحال من الأحوال مبدأ الصلح مع العدو الإسرائيلي.

٢- إن حرية الأحزاب والإعلام في لبنان كابوس يقلق الطاغوت النصيري، وهو يعلم تمام العلم أن معظم الانقلابات التي شارك البعثيون فيها كانت تُدبّر في فنادق لبنان ومقاهيها المشهورة.

وإذن فمما يعلمه أسد بالضرورة أن تنفيذ المؤامرة يقتضي إخراس كل صوت

معارض، وجرّ بلاد الشام إلى فتن تدع الحليم حيراناً، وتشغل الناس عن إسرائيل وفلسطين والجولان.

٣- في لبنان وسورية والأردن عدد كبير من الفلسطينيين الذي اندمجوا بشعوب هذه الدول، وغدت آلام وآمال الجميع واحدةً لأنهم مسلمون يؤمّون المساجد خمس مرات في اليوم، ويتّجهون إلى قبلة واحدة دون تفريق أو تمييز بينهم، وهؤلاء جميعاً لا يرضون أن يبيع أسد قضية فلسطين كما باع الجولان، ومنظمة التحرير مضطرة إلى عدم الخروج على إجماع الشعب الفلسطيني المسلم رغم اتصالات قادة المنظمة المباشرة وغير المباشرة مع الكيان الصهيوني في فلسطيننا المحتلة.

٤- هناك عداوة شديدة بين البعث النصيري في دمشق والبعث التكريتي الدرزي النصراني في بغداد، ولبعث عفلق منظمة فدائية فلسطينية في لبنان، كما أن له فيها حزباً يتزعمه النائب اللبناني الدكتور عبد المجيد الرفاعي. ويعلم أسد أن بعث العفالقة يعتبر البعث النصيري مرتدّاً، ولهذا فهو يسعى للعودة إلى حكم دمشق والإطاحة بنظام أسد.

وجملة القول: فإن معظم العواصف التي تزعج أسد تهب عليه من لبنان، ولن يستطيع توقيع وثيقة الاستسلام النهائية لإسرائيل قبل أن يصقّي خصومه في لبنان، ولهذا اتجه أسد بثقله إلى لبنان منذ بداية حكمه الفردي، وحاول في البداية أن يشق منظمة التحرير الفلسطينية عن طريق منظمته - الصاعقة - التي أنشأها لهذا الغرض، لأن منظمة التحرير أكبر قوة عسكرية وسياسية تهدد نظامه.

وقد أدرك قادة المنظمة أهداف أسد وقت مبكر.

وزّعت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة - بياناً في ٦ / ٩ / ١٩٧١

جاء فيه ما يلي:

"ومن الضروري هنا أن نذكر، أنه كلما توّضحت نقاط تنفيذ الحلّ السلمي، كلما ثبت بأن الأنظمة العربية المتواطئة تستخدم المقاومة لتكون الورقة الراححة التي يمكن أن تلوّح بها كلما تعثرت مسيرة الحلول السليمة".

وجاء في البيان أيضاً:

"إن حرب الإبادة ضد المقاومة الشرط الوحيد الذي يمكن أن يقبل به العدو لتنفيذ مشاريع الولايات المتحدة الأمريكية أو مشاريع التسوية". ويتوقع البيان أن تستخدم الولايات المتحدة نظاماً عربياً ثورياً يتسرّ بالشعارات الوطنية لينفّذ عملية إبادة منظمة التحرير.

ويتحدّث جورج حبش عن أسباب الانشقاق الذي وقع في صفوف الجبهة

الشعبية فيقول في مؤتمر صحفي:

"لقد وقف المؤتمر أمام النشاط الانقسامي الذي مارسه عضوان من أعضاء القيادة السياسية مع قيادة فرع الجبهة في سورية وعدد محدود من كوادر الجبهة في لبنان".

وقبل يومين من تصريح حبش قال مسؤول في جبهته ما يلي:

"في اعتقادنا أن هناك دولةً عربيةً معيَّنةً، شجَّعت على هذا الانشقاق، كما أن هناك تنظيمًا فدائيًا معيَّنًا ساعد عليه".^(١)

وإذا كان أسد يمارس مثل هذه السياسة مع منظمة صديقة -الجبهة الشعبية-، فماذا ننتظر أن يدبر خصومه في فتح؟!

لماذا التدخل في لبنان؟:

في ١/٦/١٩٧٤ - أي في اليوم الثاني من توقيع فك الارتباط بين سورية أسد وإسرائيل في سويسرا-، زار دمشق وزير الخارجية اللبناني فؤاد نفاع، وعقد اجتماعًا مغلقًا مع حافظ!!، وجوابًا على سؤال عن طبيعة المحادثات التي أجراها مع الرئيس السوري قال الوزير اللبناني للصحفيين:

"لقد تشاورنا واطَّلعنا ونسَّقنا لما هو منتظر بعد هذه الصفحة. إن الاتفاق تام، وما يرسم من تنسيق بين سورية ولبنان حتى الآن، لن نفصح عنه، وستظهر نتيجة التنسيق في الوقت المناسب".^(٢)

وإذا كان لا ينتظر من النظام اللبناني أن يتخذ قرارًا عسكريًا ضدَّ إسرائيل.

وإذا كانت محادثات وزير الخارجية اللبناني مع بائع الجولان.

وإذا كان توقيت هذه المحادثات في اليوم الثاني من توقيع نظام أسد لاتفاقية

(١) صحيفة النهار اللبنانية: ١٢ و١٤/٣/١٩٧٢ .

(٢) الثورة السورية: ١/٦/١٩٧٤ .

الذل والاستسلام للعدو الصهيوني.

إذا كان الأمر كذلك فلقد أفصح فؤاد نفاع عن أسرار لقاءه مع أسد: "وفي الإشارة ما يعني عن الكلم".

وفعالاً ظهرت نتائج التنسيق في الوقت المناسب الذي وعد به "نفاع" عندما حاصرت القوات المارونية والنصيرية مخيم تل الزعتر.

وفي ١٠ / ٩ / ١٩٧٤ نشرت صحيفة الثورة السورية حديثاً لحافظ أسد مع نزيه البزري وزير الاقتصاد اللبناني جاء فيه:

"في لبنان مؤامرات رفض موجهة ضد سورية التي أبلغت إلى رئيس الحكومة اللبنانية أكثر من مرة، وأجهزة الدولة السورية، تعرف أنه يوجد في لبنان أوكار لمثل هذه المحاولات الفاشلة، والصحف اللبنانية تنشر يومياً أكثر من قصة وخبر ملقّق مختلق، وهذا لا يجوز ويجب وضع حدّ له".

سبحان الله: يجب وضع حدّ لحرية التعبير عن الرأي في لبنان، أما الاستبداد والقهر والظلم فيجب أن يستمر في سورية.

الذين يعارضون مخططات طاغوت بلاد الشام يجب أن يوضع حدّ لهم، أما احتلال الجولان وما يرافقه من صلف يهودي، وتواجد للقوات الدولية في الأراضي السورية فهذه أمور لا بأس من استمرارها، ولا ضير على نظام أسد من ديمومتها!!

من أسرار اتصالات نظام أسد مع الموارنة :

في ٢٨/٩/١٩٧٣ ألقى زعيم حزب الكتائب بيّار الجميل بياناً في المؤتمر السنوي السادس للكتائب قال فيه:

"إننا نلاحظ بفرح وأمل أن الأخوان السوريين، فيما يؤكّدون إيمانهم المزدوج بالوحدة والاشتراكية، يبدون في هذه الأيام انفتاحاً مهماً على ما كانوا يعتبرونه انعزاليةً ورجعيةً في تفكيرنا وسلوكنا، ولا ندرى إذا كان الانفتاح السوري استجابةً لنداءاتنا المتكرّرة، أم هو حلقة في استراتيجية عامة معدّة من زمن".

ولم يذكر الزعيم الكتائبي كيف لاحظ الانفتاح السوري على حزبه، هل تم عن طريق مباشر بين الطرفين أم عن طريق وسيط لم يُرد أن يذكر اسمه.

"وفي ١٠/٩/١٩٧٤ تمّ عقد لقاء بين ممثلين عن الكتائب ووفد سوري برئاسة رئيس بعث "أسد" في لبنان المدعو عاصم قانصوه. وقالت مصادر كتائبية أن الاجتماع الذي عُقد في بيت الكتائب المركزي هو حلقة في سلسلة اتصالات، ترمي إلى إيجاد صيغة تعاون بين الطرفين، وقد عُقد الاجتماع في الثانية عشرة والنصف ظهر أمس".

وقال بيّار الجميل معلقاً على هذا الاجتماع:

"إن السيد قانصوه صديق قديم، نتعاون معه دائماً لتقريب وجهات النظر بين

حزبينا".^(١)

وفي ٧/١٢/١٩٧٥ زار بيّار الجميل دمشق استجابةً لدعوة تلقّاها من حافظ أسد، وفي العاصمة السورية استُقبل كما يُستقبل رؤساء الدول، وفي نهاية الزيارة صدر بيان كتائبي جاء فيه :

"يوجّه حزب الكتائب تحية الشكر والإكبار لسيادة الرئيس حافظ أسد، على ما أُحيط به رئيس الحزب والوفد من حفاوة وإكرام، ويعتبر الحزب أن هذه الزيارة تكمل ما بُدئ به منذ سنتين، على صعيد توطيد العلاقات مع الشقيقة سورية، ومن جهة أخرى يحز في نفس الحزب أن يرى عملاء السوء وزبانية الفتنة، يصرّون على إبقاء البلاد في دوامة الفوضى والضياح والاعتتال، وقد عمدوا إلى افتعال حوادث إجرامية جديدة، أدّت إلى ردّات فعل عشوائية غير مسؤولة".

وبعد هذه الاتصالات المتكرّرة، قامت قناعة عند حزب البعث النصيري أن حزب الكتائب أفضل من الأحزاب الوطنية واليسارية في لبنان، وفي هذا المعنى يقول عاصم قانصوه:

"إن حزب الكتائب هو أكثر وطنيةً من بعض الفئات التي تدعي ذلك".

(١) نشرت صحيفة الأنوار اللبنانية خبر الاجتماع وتعليق الجميل في عددها تاريخ

ومن الجدير بالذكر أن ثناء قانصوه على حزب الكتائب نشرته السفير اللبنانية في ٤/١٢/١٩٧٦ أي بعد ثلاثة أشهر من عدوان حزب الكتائب على تل الزعتر، وما رافق هذا العدوان من وحشية، وهتك للأعراض، وبقر لبطون الحوامل من النساء، وقتل للأطفال الرضع".

ويأتيك بالأخبار من لم تزود:

إن التصريحات الصادرة عن الحزبين: الكتائب، والبعث النصيري تفيد إن الاتصالات بينهم بدأت عام ١٩٧٣، وأسفرت عن اتفاقات، لكن أحداً منهم لم يبيّن حدود ما اتفقوا عليه، وإن كانت الأيام بعد كشفت عن تعاون البعث النصيري مع الموارنة في مذبحه تل الزعتر وغير تل الزعتر من المجازر التي ارتكبتها الحزبان في لبنان.

غير أن جريدة الجماهير الصادرة في استراليا نشرت في عددها رقم ٢٢ تاريخ ٢٢/١٠/١٩٧٦ ما يلي:

"في ١٢/٤/١٩٧٦ حضر رفعت أسد إلى مدينة جونيه، وعقد اجتماعاً ضمّ بالإضافة إلى شقيق حافظ أسد كلاً من دين براون مبعوث الرئيس الأمريكي وعددًا محدودًا من قادة اليمين اللبناني وخرج المجتمعون بالاتفاق على ما يلي:

١- دعم ومساندة النظام السوري، وكشف المؤامرات التي تستهدف النظام في دمشق والسماح للمخابرات الأمريكية بتواجد أكثر في سورية لكشف المخططات المعادية للنظام.

٢- إبقاء المبادرة السورية في لبنان، والاتفاق على إضفاء صفة المشروعية لدخول الجيش السوري إلى لبنان.

٣- قيام نشاط إعلامي من سورية ومن الدول العربية المؤيدة لأمريكا، من أجل إنجاح الدور الأمريكي السوري في لبنان .

٤- تنفيذ سورية لتعهداتها المتفق عليه مع كيسينجر، بالتمديد الدوري لقوات الطوارئ الدولية في الجولان، والسير بطريق الحلّ السلمي وفقاً للمخطط الأمريكي.

٥- تأخذ سوريا على عاتقها وضع المقاومة تحت سلطاتها في مؤتمر جنيف، وضرب اليسار في الداخل والخارج.

٦- تعهد أمريكي لسورية، بعدم تحرك إسرائيل على الجبهة السورية، تمكيناً لسورية من تنفيذ عملها في لبنان".

وإذن فلقد كان هناك اتفاق سري بين البعث النصيري والكتائب على دخول الجيش السوري إلى لبنان، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية وراء هذا الحلف المشبوه. والولايات المتحدة لا تقطع أمراً في شؤون دولة مجاورة لإسرائيل دون التفاهم مع قادة النظام الصهيوني في تل أبيب.

ولهذا كان دخول الجيش السوري إلى لبنان إنقاذاً للموارنة من هزيمة عسكرية، كما كان تحجياً لدور منظمة التحرير والقوات الوطنية في لبنان. وقابل زعماء الموارنة

موقف أسد منهم بالارتياح والرضى.

ففي ١٦/٦/١٩٧٦ صرّح كميل شمعون بما يلي:

"لقد اتفقنا مع سورية على خطط ترضينا". الأخبار القاهرية.

وفي ٩/٨/١٩٧٦ نقلت وكالات الأنباء ما يلي:

"وصل كميل شمعون زعيم الوطنيين الأحرار وزير الداخلية اللبنانية إلى دمشق بطائرة هيلوكوبتر للتباحث مع حلفائه السوريين، ولتنسيق العمل العسكري في لبنان ضدّ المقاومة والقوات التقدّمية، وأعلن شمعون أنه يثق ثقةً كاملةً بالرئيس السوري، أما بيّار الجميل فقد صرّح في بيروت أن سورية هي الدولة الوحيدة التي يمكنها أن تفرض السلام في لبنان".

أمريكا وإسرائيل تؤيدان الاحتلال السوري للبنان:

ما كانت إسرائيل لتسمح لسورية باحتلال شبر واحد من الأراضي اللبنانية، إذا كان هذا الاحتلال يهدّد مصالحها أو مصالح حلفائها الموارنة، بل وما كانت إسرائيل لتقبل دخول الجيش السوري إلى لبنان دون إبرام معاهدة مع حزب البعث النصيري.

صرّح "شمعون بيريز" وزير دفاع إسرائيل لصحيفة معاريف يوم ٨/١/١٩٧٦ بأن إسرائيل لن تبقى مكتوفة الأيدي، في حال حدوث أي تدخّل سوري في لبنان.

ولا غرابة في تصريح "بيريز" لأن حدود فلسطين المحتلة مع سورية كانت مصدر قلق لليهود منذ سنة ١٩٤٨، فكيف يسمحون للجيش السوري باحتلال لبنان ومجاورة القوات الإسرائيلية في جنوب لبنان؟!

ومن الجدير بالذكر أن تصريح "بيريز" كان قبل دخول القوات السورية إلى لبنان بعشرة أيام، وخلال هذه الأيام جاء دور الوساطة الأمريكية، ولا سيما بعد أن اقتنع الرئيس فورد بحسن نوايا نظام أسد، ففي ٢١/١/١٩٧٦ نقلت وكالات الأنباء عن ناطق رسمي باسم البيت الأبيض ما يلي:

"إن الرئيس فورد تحلّى عن معارضته لتدخل عسكري خارجي في لبنان، وإن الولايات المتحدة، كان من الضروري عليها، أن تأخذ بعين الاعتبار طبيعة مآرب سورية ونواياها".

وفي ٢٩/١/١٩٧٦ نقلت وكالات الأنباء [ومنها وكالة الأنباء الفرنسية] عن متحدث رسمي باسم وزارة الخارجية الأمريكية ما يلي:

"إن الولايات المتحدة الأمريكية تعترف بأهمية الدور الذي تقوم به سورية، بالنسبة لتسوية الأزمة اللبنانية".

واعترفت الولايات المتحدة بأنها قامت بدور الوساطة بين سوريا "أسد"، والنظام الإسرائيلي:

نقلت وكالة اليونايته برس من واشنطن يوم ٢٧/١/١٩٧٦ ما يلي:
 "إن وزارة الخارجية الأمريكية أكدت بأنها تقوم بنقل الرسائل من الكيان الصهيوني إلى سورية، حول الوضع في الجنوب اللبناني، وقال: "فردريك براون" المتحدث باسم الوزارة في تصريح للصحفيين:

إننا على اتصال مع حكومات سورية وإسرائيل ولبنان وإننا نراقب الوضع عن كثب. واعرقت الصحف الإسرائيلية بأن اتصالات من هذا النوع قد جرت، وأوضحت أن سورية أكدت لمسؤولين أمريكيين، أن وجود قواتها في الجنوب إنما يستهدف المقاومة واليساريين اللبنانيين".

وإذن علمت الولايات المتحدة وإسرائيل طبيعة مآرب سورية ونواياها، كما علمت أن التدخل السوري هو ضدّ المقاومة الفلسطينية والقوات الوطنية، وليس ضدّ إسرائيل والموارنة، ولهذا تخلّى الأمريكيون واليهود عن معارضتهم، ووقفوا إلى جانب التدخل السوري في لبنان.

نماذج من تصريحات مسؤولين أمريكيين:

- تحدث كيسينجر أمام لجنة الاعتمادات بالكونغرس فقال: "إن الولايات المتحدة تلعب دوراً رئيسياً في لبنان، وإننا شجّعنا البادرة السورية هناك، إن الوضع يسير لصالحنا ويمكن رؤية خطوط تسوية".

- صرّح "رونالد نيسين" المتحدّث بلسان البيت الأبيض للصحفيين بما يلي:

"إن الدور الذي تقوم به سورية في الوقت الراهن في الأزمة اللبنانية، هو دور بناء، وإن الحكومة الأمريكية ستظل تعارض أي تدخل عسكري لدولة أجنبية في لبنان قد يترتب عليه حدوث مواجهة، وأن البيت الأبيض لا يرى أن التدخل السوري يندرج في هذا الباب، كما إن دين براون يواصل اتصالاته مع جميع الأطراف المعنية، فيما عدا منظمة التحرير الفلسطينية".

الأنوار اللبنانية: ٢٠ / ٤ / ١٩٧٦.

- قام وزير الخارجية السوري عبد الحلیم خدام بزيارة للبيت الأبيض، كما قام عدد من المسؤولين الأمريكيين بزيارة دمشق، وأسفر عن هذه اللقاءات اجتماع حافظ أسد بالرئيس الأمريكي الجديد "جيمي كارتر" في جنيف بسويسرا من ٨ إلى ١١ أيار ١٩٧٧، وكان هذا اللقاء ضروريًا، فأسد يريد أن يطمئن إلى أن التعاون مع الولايات المتحدة سيستمر في عهد كارتر، وكارتر يريد أن يرى أسد عن كثب ويؤكد له أن تغيير الرئيس الأمريكي لا يؤثر على سياسة الولايات المتحدة الخارجية، ولأسد مكانة كبيرة عند الزعماء الأمريكيين، ومن الأدلة على ذلك نزول كارتر عند رغبة أسد في أن يكون الاجتماع في جنيف وليس في واشنطن.

وفي نهاية الاجتماع لم يصدر عن الزعيمين بيان يفصّل طبيعة المحادثات التي جرت بينهما، وإنما صدرت تصريحات عامة لا تعبر عن حقيقة ما تمّ في اللقاءات المغلقة بين كارتر وأسد، لكن مجلة الشرق الأوسط البريطانية كشفت جانبًا من هذا

اللقاء، جاء في تعليق لها:

"إن عملية إخضاع الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية في لبنان، كان جزءاً من استراتيجية كبيرة، لإضعاف المقاومة ومعارضتي التسوية، وقدم كارتير مكافأته للرئيس حافظ الأسد، بالاستجابة إلى طلبه والاجتماع به في جنيف بدلاً من واشنطن، كما كان يفعل مع غيره من الرؤساء العرب".

الشرق الأوسط: ١٨/٨/١٩٧٧

والمهم أن الدعم الأمريكي لأسد في لبنان استمر بعد لقاءه بكارتر، كما أن التعاون والتنسيق استمر بين البلدين، مع أن إذاعة وصحف دمشق استمرت في نقد سياسة الولايات المتحدة، وكم في دمشق من المضحكات!!

نماذج من تصريحات مسؤولين يهود:

- صرح شمعون بيريز وزير الدفاع الصهيوني في ٢/٦/١٩٧٦ بما يلي:

"التدخل السوري موجّه ضد ياسر عرفات وحلفائه، والقوات السورية دخلت الشمال والوسط وليس الجنوب".

قال موشيه دايان:

- "إن على إسرائيل أن تظل في موقف المراقب حتى لو غزت القوات السورية بيروت واخترقت الخط الأحمر، لأن غزو القوات السورية للبنان ليس عملاً موجّهاً ضد أمن إسرائيل".

وكالة الصحافة الفرنسية: ١٩٧٦/٦/٥.

- في ١٩٧٦/٨/٩ أعلن "شلوموافنيري" المدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية أن سورية لم تتعدّ الخط الأحمر، الذي حدّدته السلطات الإسرائيلية، كأقصى مدى للتدخل السوري في لبنان، وأن السلطات العسكرية الإسرائيلية تتابع الموقف العسكري ساعةً بعد ساعة.

وكالات الأنباء: ١٩٧٦/٨/٩

- نشرت مؤسسة الدراسات الفلسطينية في العدد ١٢ تاريخ ١٩٨٠/٦/٣٠ عن صحيفة هاآرس الصهيونية ما يلي:

"يتوقع رئيس شعبة الاستخبارات الصهيونية اللواء يهوشاع ساغي، تصعيداً في عمليات المقاومة في المرحلة القادمة، وأعرب عن اعتقاده بأن الفدائيين سيحاولون التسلّل إلى إسرائيل انطلاقاً من الأردن، لأنهم يواجهون مصاعب في لبنان، ولأن مرتفعات الجولان مغلقة في وجههم في الوقت الحاضر. وإن أخطار نشوب حرب في السنة القادمة ضئيلة، إلا في حال حدوث تحوّلات مفاجئة، مثل انقلاب في سورية، أو تدهور الوضع في لبنان".

وهكذا أصبح حافظ أسد صمام الأمان عند رئيس مخابرات العدو الصهيوني، ولا يتوقع نشوب حرب إلا إذا سقط نظام أسد.

- ونقلت إذاعة إسرائيل - عند بداية التدخل السوري في لبنان - تصريحاً لرئيس وزراء العدو الصهيوني إسحق رابين جاء فيه:

"إن إسرائيل لا تجد سبباً يدعوها لمنع الجيش السوري من التوغل في لبنان. فهذا الجيش يهاجم الفلسطينيين وتدخلنا عندئذ سيكون بمثابة تقديم المساعدة للفلسطينيين، ويجب علينا ألا نزعج القوات السورية أثناء قتلها للفلسطينيين فهي تقوم في مهمة لا تخفى نتائجها الحسنة بالنسبة لنا".

- في ٢٩ / ٩ / ١٩٦٧ نقلت وكالة الصحافة الفرنسية عن وزير دفاع العدو الإسرائيلي شمعون بيريز قوله: "إن هدف اليهود هو نفس هدف دمشق بالنسبة للمسألة اللبنانية". وقال أيضاً: "يجب أن نمنع وقوع لبنان تحت سيطرة منظمة التحرير الفلسطينية".

مع التدخل السوري في لبنان :

١ - تفويض عالمي :

لقد اجتمع على تأييد إطلاق أيدي القوات السورية في لبنان: الموارنة، وإسرائيل، والولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفياتي، وفرنسا، وبريطانيا، ومعظم دول العالم.

وقبل أن يزج أسد بقواته في المعركة أخذ تفويضاً من دول جامعة الدول العربية أن يفعل بلبنان ما يشاء، بل وتعهدت الدول العربية أن تقدم له ثمن الرصاص

الذي يوجهه إلى صدور المسلمين في لبنان، كما تعهّدت بتقديم المساعدات المادية التي تمكّن نظام أسد من اجتياز المصاعب الاقتصادية التي كادت تعصف بالنظام وتودي به.

وقد يقول قائل:

وما الذي يجعل الدول العربية تدري أن النظام السوري يبّيت مؤامرةً رهيبَةً ضد الفلسطينيين واللبنانيين المسلمين؟!!

والجواب على ذلك أن تصريحات الموارنة واليهود والأمريكان لم تكن سريةً، بل كانت تتناقلها وكالات الأنباء وأجهزة الإعلام المحلية والعالمية، وفي هذه التصريحات ما يكفي لكشف نوايا أسد.

ومن جهة أخرى، فلقد كان الزعماء الفلسطينيون، ينقلون إلى زعماء الأنظمة العربية ما يدور بينهم وبين أسد من أحاديث، ومن جهة ثالثة، فالمؤامرة التي تدبّرها الولايات المتحدة ضد الفلسطينيين.

فسورية لم تكن الدولة العربية الوحيدة المتورّطة فيها، ويدلنا على ذلك العواصم العربية التي يرتادها المسؤولون الأمريكيون في رحلاتهم إلى الشرق الأوسط.

ومن جهة رابعة استمرّت الأنظمة العربية في دعم النظام السوري بعد فضيحة تل الزعتر، وبعد أن انكشف حقيقة الدور السوري في لبنان، ومن توفّف عن الدعم وهاجم أسد كان بسبب خلافات شخصية أو من أجل مزايدات إعلامية.

٢- متى كان التدخل:

هبّ المسلمون صفاً واحداً بعد مجزرة "الكرنيتينا" يقاتلون في إطار منظمة التحرير أو الحركة الوطنية أو جيش لبنان العربي، وتمكّنت القوات الوطنية من احتلال:

شتورا، وزحلة، وزغرتا، والدامور، والسعديات، ودارت الدائرة على المواردية وسائر الصليبيين وأخذت مدفعية جيش لبنان العربي تدك قصر "بعدا"، وهرب رئيس الجمهورية سليمان فرنجية من القصر إلى منطقتيه ومسقط رأسه "زغرتا" وسيطر الجيش العربي على معظم لبنان بقيادة الضابط أحمد الخطيب، وبات مؤكّداً إن الوضع في لبنان سينتهي لمصلحة الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية.

وفي هذا الظرف الحرج تحرك حافظ الأسد لينفذ الأوامر التي صدرت إليه من تل أبيب ومن واشنطن.

٣- المستهدفون هم المسلمون:

كان وضع القوات الوطنية في لبنان بعد دخول الجيش السوري على الشكل التالي:

أ- كان حزب البعث النصيري شريكاً في المقاومة الفلسطينية، فأمر منظمته - الصاعقة - بالتخلي عن منظمة التحرير ففعلت، ووجه معظم أفراد الصاعقة بنادقهم إلى نحور إخوانهم الفلسطينيين في المخيمات وغيرها، ومن المعلوم أن هذه

المنظمة جزء من الجيش البعثي النصيري.

وكان حزب البعث النصيري عضوًا في الحركة الوطنية، فأمر منظمته التي يتزعمها الشيعي "عاصم قانصوه" بالانفصال عن الحركة... وبذلك تمكّن السوريون من شقّ المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية، كما تمكّنوا من شراء ضعاف النفوس من الشخصيات والهيئات الفلسطينية واللبنانية، وكان من أبرز الأمثلة على ذلك التنظيم الناصري، الجناح الذي يتزعمه "كمال شاتيلا".

ب- الشيعة: وكانوا شركاء في جيش لبنان العربي، والحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية.

لقد أمر موسى الصدر الضباط الشيعة الذين يشاركون في قيادة الجيش العربي اللبناني بالتخلي عن هذا الجيش ففعلوا، وكان في مقدمتهم الضابط "إبراهيم بشارة" الذي كان مساعدًا لقائد الجيش أحمد الخطيب، وضعف أمر جيش لبنان العربي بعد أن انشقّ عند الرائد أحمد المعماري في وقت عصيب جدًّا، وأخذ معماري في التعاون مع الغزاة النصيريين رغم أنه من عائلة مسلمة.

وأمر موسى الصدر منظمة أمل فتخلّت عن الحركة الوطنية وأعلنت انضمامها ووقوفها إلى جانب الجيش البعثي النصيري.

وفوق هذا كلّه فلقد أسفر موسى الصدر عن وجهه الباطني الاستعماري، وراح يهاجم الفلسطينيين، ويدعو الأنظمة العربية إلى الحذر منهم، وهو الذي كان يتظاهر بتأييدهم ودعم قضيتهم، ولم يجد الصدر حرجًا في توظيف نفسه كخادم

ومساعد لخدام أسد، وسارع في التوقيع على ميثاق وطني من أهم بنوده تكريس رئاسة الجمهورية للمارون.

وما من معركة خاضها جيش لبنان العربي وقوات الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية إلا ووجدوا ظهورهم مكشوفة أمام الشيعة، ففي معركة بعلبك والهرمل اتصل الشيخ سليمان اليحفوفي مفتي الشعية هناك بالجيش النصيري، وسار أمامه حتى دخل الجيش بعلبك على أشلاء المسلمين.

وفي جنوب لبنان خاضت أمل وعموم الشيعة معارك ضد الفلسطينيين متعاونَةً في ذلك مع الجيش الإسرائيلي وقوات الرائد سعد حداد.^(١)

٣- جنبلاط ودروزه:

أما زعيم المعارضة ورئيس الحركة الوطنية في لبنان "كمال جنبلاط" الذي كان مرشحاً لرئاسة الجمهورية، فلقد كان أحد الأطراف الذين يلتقي معهم المبعوث الأمريكي "دين براون"، في اجتماعات مغلقة!! وما أدراك ما الاجتماعات المغلقة!! ودروزه لم يشاركوا في حرب لبنان، اللهم إلا مناوشات محدودة في الشوف، وهذا ليس مستغرباً فالعداء بين الدروز والموارنة قديم وعميق الجذور، بل ولقد منع جنبلاط عن الحركة الوطنية السلاح الذي حصل عليه بعد أن سيّطر على مستودعات الجيش في حمانا .

(١) انظر كتاب وجاء دور المجوس ص ٤٢٢.

وبعد دخول الجيش السوري إلى لبنان قبع جنبلاط في قريته "المختارة"، ووقف دروزه على الحياد، واكتفى الزعيم الدرزي بالتصريحات التي يدين بها النظام السوري، أو الرحلات خارج لبنان حيث كان يزور عددًا من الدول المتورطة في مؤامرة أسد في لبنان.

وبقي جنبلاط على هذا الوضع حتى عجلّ الله في عقوبته وسخر له من يطلق النار عليه، ويريح لبنان من مناوراته التي لا تنتهي، ويغلب على الظن أن النظام البعثي النصيري هو الذي دبر عملية اغتياله.

٤ - اليساريون:

إن أسلوب أدعياء اليسار في منظمة التحرير الفلسطينية معروف عند المطلعين على أمورهم، ففي الأردن كانوا يرون أن معركتهم الحقيقية مع الرجعيين من الشعوب والحكومات، وما زالوا يستفزون الحكومة الأردنية بأساليب مختلفة حتى وقعت حرب أيلول ١٩٧٠ الدامية فهرب حبش وأتباعه، وحوامة وأزلامه، وتركوا فتح في الساحة وحدها، ويروى عن جورج حبش أنه كان يقول: سأحارب الجيش الأردني بفتح.

وتكررت مؤامرة أدعياء اليسار في لبنان: لقد استفزوا الناس، وروّعوا الأمنين. وكانت جرائمهم تُلصق بمنظمة التحرير وفتح، وعندما انفجرت الأوضاع تركوا المسلمين وحدهم في ساحات القتال.

أما الشيوعيون اللبنانيون- جورج حاوي- وأنصارهم، فهم من جهة قلة ضئيلة لا يحسب لها أي حساب في لبنان.

ومن جهة أخرى فقيادتهم في موسكو تؤيد التدخل السوري في لبنان، ولهذا اقتصرت معاركهم على إصدار البيانات والتصريحات التي تندد بموقف سوريا المتناقض، وتدين تعاونها مع اليمين اللبناني.

إنها لمأساة: والله أن يتقاتل جيشان ينتسبان إلى الإسلام، وأن يأتمر الجيش الأول بأمر مرتد نصيري، ويأتمر الجيش الثاني بأمر مرتد درزي.

وإنها والله لكارثة أن لا يعلم المسلمون عدوهم من صديقهم، ويلدغون من جحر واحد مرات ومرات ثم لا يتعظون ولا يعتبرون.

والأنكى من هذا كله أن لا تُسمى الأمور بمسمياتها، فالمسلمون في لبنان هم الذين تُسفك دماؤهم، وتُهتك أعراضهم، وتُدمر منازلهم، ثم يزعم الإعلام العالمي أنهم يساريون شيوعيون!!

لقد تخلّى الشيوعيون، والشيعية، والدروز، ودعاة الاشتراكية والقومية، تخلّوا جميعاً وبقي أبناء المسلمين من السذج يواجهون الجيش البعثي النصيري، والموارنة وإسرائيل، والولايات المتحدة الأمريكية وراء هذه الأطراف.

ورغم صمود جيش لبنان العربي والمقاومة والحركة الوطنية استطاعت القوات السورية السيطرة على البقاع والجبل، وحمدون، وعكار، وفي شهر آب ١٩٧٦

اعتقلت القوات السورية الضابط أحمد الخطيب - من أبناء المسلمين - قائد جيش لبنان العربي، وعددًا من قادة منظمة فتح من أبرزهم: أبو فراس نائب قائد قوات المقاومة في جنوب لبنان، وأبو أحمد قائد القطاع الأوسط، وقائد قاعدة الصرند البحرية، وأرسل الجميع إلى السجون السورية.

وحاولت القوات المشتركة عدم الاصطدام مع القوات السورية، والتزمت بوقف إطلاق النار من جانب واحد، ولكن جزّار بلاد الشام كان مُصرًّا على تحقيق المهمة التي كلفته بها إسرائيل والولايات المتحدة.

ما الذي فعلته القوات السورية في لبنان؟!

نجحت القوات السورية النصيرية في تحقيق جميع الأهداف التي دخلت لبنان من أجلها:

١ - انتصرت انتصارًا ساحقًا على القوات المشتركة في البقاع، وعكار، والجبل، وصيدا، وما اكتفت بالمعارك الحربية، وإنما لجأت إلى فرض حصار في البر والبحر والجو، ومنعت المؤن والأسلحة من الوصول إلى المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية، بل ولقد استولت السلطة السورية على مواد غذائية كانت في طريقها من الفلسطينيين في دول الخليج إلى القوات المشتركة في لبنان.

٢ - لم يتضرر الموارد من دخول القوات السورية إلى لبنان، ففي حين فرضت القوات السورية الحصار على ميناء بيروت، كان ميناء جونبة الذي يبعد ٢٠ كم عن بيروت، والذي يسيطر عليه حزب الكتائب.

كتبت مجلة "لونوفيل اوبسرفاتور" في أواخر نيسان ١٩٧٦ تقول:

"إن مدينة جونبة أصبحت الرئة التي يتنفس منها الانعزاليون، وإن البواخر الحربية السورية المرابطة تجاه الشواطئ اللبنانية، تطبق حصاراً على الأسلحة والمواد التموينية المرسلّة إلى القوى الوطنية والمقاومة الفلسطينية، بينما تسمح للبواخر التي تحمل شحنات الأسلحة إلى الانعزاليين بالتوجه إلى جونبة".

وكانت الاتصالات الإسرائيلية الكتائبية عن طريق ميناء جونبة غير خافية على القوات السورية، وذات مرّة علم رئيس الوزراء وزير الدفاع رشيد كرامي بوصول شحنة أسلحة من إسرائيل على متن باخرة، وطلب من الجيش وقوات الأمن اللبناني مصادرة شحنة الأسلحة والباخرة، ولكنه عجز، ورفض قائد الجيش وكبار قادة الأمن أوامره وبقية الصحف اللبنانية أياماً تحدّث عن هذه المشكلة، وكأن القوات السورية المتواجدة على بعد بضعة أميال من جونبة لا يعينها هذا الأمر... واضطرت القوات السورية إلى دخول بيروت الشرقية فترة من الزمن، لكنها أرغمت على الخروج منها بعد معارك خاضتها القوات المارونية التي تمتلك أحدث أنواع الأسلحة.

٣- طارد الجيش وقوات الأمن السورية كلّ معارض للنظام البعثي النصيري

من السوريين واللبنانيين:

ففي طرابلس اغتالوا شقيق سليم اللوزي وغيره من الذين كانوا يهاجمون التواجد النصيري في شمال لبنان، وفي بيروت قتلوا كمال جنبلاط لأنه رفض

الاحتلال السوري لأسباب شخصية وطائفية، كما قتلوا سليم اللوزي وحرقوا يده التي كانت تهاجم النصيريين قبل احتلالهم لبنان.

وقامت منظمة الصاعقة ورجال المخابرات السورية بنسف عدد من مكاتب دور الصحف اللبنانية، واغتيال عدد من المحرّرين، ويقول كمال جنبلاط عن هذه الظاهرة:

"إن فرض الرقابة على الصحف في لبنان يبرهن على وقوع نظام دمشق في أزمة فقد كان لا بد من هذا الصمت المفروض أن يساعد في الإعداد لجنيف، وذلك بإجبار الفلسطينيين أيضاً على الصمت، وإكراههم على الإذعان والامتثال".

هذه وصيتي ص ١٢٢

ومن الجدير بالذكر أن دخول القوات السورية إلى لبنان كان في ١٩ / ١ / ١٩٧٦، وكان موعد مؤتمر جنيف في خريف ١٩٧٧، وكان الواجب المفروض على أسد أن يخرس الصحافة اللبنانية، وهي آخر معقل حرّ للإعلام في الوطن العربي. والذي حدث أن السادات قام بزيارته الذليلة للكنيسة الإسرائيلية لأنه كان يعلم أن مؤتمر جنيف لن يسفر عن صلح لأن العدو الإسرائيلي لن يتنازل عن الجولان، وهو الأمر الذي يخرج سورية أسد، ويحول بينها وبين توقيع معاهدة استسلام للكيان الصهيوني.

ومن جرّاء ذلك رحلت بعض الصحف والمجلات اللبنانية إلى فرنسا وبريطانيا، وبعضها عطلّ، أما صحف الكتائب والموارنة وإذاعاتهم، فبقيت تؤدي

دورها ولم تتعرض لأذى.

أما السوريون المعارضون لنظام أسد لجأوا إلى لبنان قبل عام ١٩٧٦، فكثير منهم تم اعتقاله و سوقه إلى سجون المزة وتدمر والشيخ حسن، وبعضهم نجح في الهروب من لبنان، وقليل منها توأرى عن أنظار ما سُمِّي بقوات الردع داخل لبنان، ولأول مرّة أصبحت الأراضي اللبنانية التي يقطنها المسلمون جزءاً من الأراضي السورية، وتستطيع السلطة السورية أن تعتقل فيها من تريد، وليس لأحد أن يعارض أو يستنكر إلا إن كان قادراً على خوض معركة غير متكافئة.

٤- كان هناك تعاون أكيد بين البعث النصيري وإسرائيل والموارنة، فبعد سقوط مخيم جسر الباشا، ومخيم عين الحلوة، وبرج حمود، جاء دور مخيم تل الزعتر، ومن المعروف أن بيار الجميل طلب في جلسة مجلس النواب اللبناني ٢٢ / ٥ / ١٩٧٥ نقل مخيم تل الزعتر من بيروت الشرقية، وكانت سورية أسد على علم بذلك.

وبدأ حصار مخيم تل الزعتر في أواخر حزيران، وسقط المخيم يوم ١٤ آب ١٩٧٦ بعد حصار دام أكثر من شهر ونصف، وشدّت بطولة سكان المخيم انتباه العالم، وكان بوسع القوات السورية أن تنقذ سكان المخيم وتفك الحصار الذي فرض عليهم لو كانت حيادية، أو لو كانت قد دخلت لبنان من أجل الحفاظ على المقاومة الفلسطينية كما زعمت، ولكن هذه القوات المجرمة شاركت في الحصار الذي فرضه الموارنة على المخيم، ومنعت الطعام والشراب والأسلحة عن سكانه،

وعن سائر سكان المخيمات، كما شاركت القوات النصيرية البعثية في الإعدامات وعمليات هتك الأعراض التي تمت لمن بقي حياً داخل المخيم، وكان يقود قوات أسد في حصار المخيم، المجرم العقيد علي مدني.

أما إن إسرائيل كانت متورطةً في تل الزعتر، فلقد اتهم حزب بيغن وزير دفاع إسرائيل شمعون بيريز السابق بأنه شارك في المذبحة وأمر بها وجاء هذا الاتهام ردًا على اتهام بيريز لحكومة بيغن بتورطها في مذبحة صبرا وشاتيلا، وتبادل الحزبان هذه الاتهامات في جلسة من جلسات الكنيست الإسرائيلي نشرت وقائعها الصحف ووكالات الأنباء العالمية.

وما كان تورط إسرائيل مستغرباً لأن ميناء جونية مفتوح أمام القوات الإسرائيلية، والمصلحة في القضاء على المسلمين الفلسطينيين مشتركة بين الموارنة واليهود والنصيريين.

٥- فعلت منظمة الصاعقة وقوات الردع السورية الأفاعيل في لبنان: لقد نهبوا المصارف في بيروت، ونسفوا الآبار الارتوازية في البقاع، وسيطروا على أفخر الشقق في طرابلس وبيروت، وسرقوا مخازن ومستودعات السجاد والفرش، كما سرقوا السيارات.

كان السفّاح زهير محسن زعيماً من زعماء قطاع الطرق، وكان الجندي السوري يعود من لبنان وقد أصبح ثرياً من الأثرياء، وكان فرش وأثاث البيوت والتحف الثمينة والأدوات الكهربائية تُباع في سورية بأبخس الأثمان، وكان الموارنة يستغلّون

هذه الأعمال ويلصقونها بالفلسطينيين، وهم يعلمون أن معظم الفلسطينيين بريئون من مثل هذه الأعمال الوضيعة.

جنوب لبنان:

وافقت إسرائيل على التدخل السوري في لبنان - كما بينّا في الصفحات الماضية من هذا الفصل - شريطة أن لا تقترب قوات أسد من الخط الأحمر الذي رسمته لها في جنوب لبنان.

وفي الشهر الأول أي في ٢٧ / ١ / ١٩٧٦ اضطرت القوات السورية إلى دخول النبطية، فصدر تحذير صهيوني شديد اللهجة، ولم تفلح الوساطة الأمريكية في إقناع إسرائيل بأن دخول النبطية كان بقصد تصفية المقاومة الفلسطينية، وخرج ٢٠ جندياً سورياً من النبطية صاغرين.

وفي شهر شباط عام ١٩٧٧ دخل جنود من قوات الردع إلى النبطية مرّة أخرى، وكانوا يطاردون فلولاً من الحركة الوطنية اللبنانية، فاحتجّت إسرائيل وتحركت الولايات المتحدة كعادتها، واستجاب أسد لأوامر إسرائيل وسحب قواته فوراً من الجنوب.

قال مراسل هيئة الإذاعة البريطانية في القدس في يوم ١٤ / ٢ / ١٩٧٧:

"إن المصادر الإسرائيلية قالت إن انسحاب القوات السورية قد تمّ بالفعل، وإن إسرائيل ستبقى على صمتها رسمياً، حتى تقلل إلى أدنى حدّ ممكن أي مساس

بمكانة سورية".

إن المساس بمكانة سورية أسد لا بد منه، لأن الناس يرون ويسمعون عن دخول القوات السورية إلى النبطية ثم خروجها ذليلاً أمام التهديد الإسرائيلي خلال أيام، ولكنّ إسرائيل تؤثر الصمت لأنها تريد أن يكون المساس بمكانة سورية في أقلّ حدّ ممكن.

وإذن فلقد أصبح جنوب لبنان عالماً آخر وكأنه ليس جزءاً من لبنان، فقسم منه تسيطر عليه قوات الطوارئ الدولية، وقسم منه يسيطر عليه الرائد النصراني سعد حداد، وقسم منه تسيطر عليه منظمة التحرير، ولكنّ الأرض تמיד من تحتها لأن الشيعة ومنظمتهم أمل يتربصون شرّاً بالمنظمة.

وفي أوائل عام ١٩٧٨ كانت الأمور في لبنان وغيرها تسير لمصلحة إسرائيل، فالسادات ركع ذليلاً أمام بيغن، ونجحت القوات النصيرية والمارونية في سحق القوات المشتركة في بيروت والجبل والبقاع وشمال لبنان، وأصبحت الأمور مهينةً لمرحلة أخرى وتتلخّص هذه المرحلة في احتلال القوات الإسرائيلية لجنوب لبنان في ١٥/٣/١٩٧٨، وقاوم الفلسطينيون الجيش الصهيوني ثمانية أيام متوالية، وقدموا تضحياتٍ نادرةً شهد بها العدو والصدّيق، وفي ١٣/٦/١٩٧٨ سلّمت إسرائيل المواقع التي احتلتها للرائد سعد حداد، وبذلك قويت شوكته، وتوسّعت حدود دويلته.

إن الملفت للنظر قيام إسرائيل باحتلال جنوب لبنان، وبقائها ثلاثة أشهر تقتل وتنهب، والقوات السورية لا تحرك ساكنًا، وكأنها متواجدة في ماليزيا أو الأرجنتين، وليس على بعد بضعة أميال من الأرض التي تشهد حربًا ضروسًا بين إسرائيل والقوات المشتركة الفلسطينية اللبنانية .

لسنا وحدنا الذين استغربنا استمرار التواطؤ النصيري مع إسرائيل والموارنة، ولكن معظم صحف العالم أقرت هذه الحقيقة، ونختار فيما يلي مقاطع من تعليق لمجلة "دير شبيغل" الألمانية . قالت المجلة:

"على التاريخ أن يجيب بشكل مباشر على السؤال:

لماذا لم تتدخل القوات السورية المتواجدة في لبنان، عندما قامت إسرائيل في الشهر الماضي بمحاولة إبادة الفدائيين الفلسطينيين في جنوب لبنان. إذ أنه بالمقدار الذي حاز فيه الفدائيون على الاحترام لأنهم حاربوا، فقدت سورية من هيبتها في العالم".

ثم تابعت المجلة نقلاً عن دبلوماسي غربي في دمشق قوله عن الحملات الدعائية والضجيج الإعلامي:

"إنهم - أي أسد وطغمته - سياسيون واقعيون وعلى المرء أن لا يتأثر بالدعاية

والشعارات التي ترفع في دمشق". دير شبيغل ٢٤ / ٤ / ١٩٧٨

ونعيد للأذهان شهادة مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط "هارولد ساوندرز" عن دور سورية أسد في جنوب لبنان:

"... ولعبت - أي دمشق - دورًا خفيًا بالغ الإيجابية، في الجهود التي بُذلت من أجل تسوية الوضع في لبنان...".

وإذا كنا مازلنا نجهل كثيرًا من المعاهدات السرية بين أسد والولايات المتحدة وإسرائيل، فإن آثار الدور الخفي الذي أشار إليه "ساوندرز" تجلّى في صمت سورية أسد وعدم مقاومتها للاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان، كما تجلّى في تسامحها مع سعد حداد، وقبولها بقوات الطوارئ الدولية، وقد تمكّنت إسرائيل في ظل هذا الصمت من تحقيق جميع أهدافها.

وأخيرًا لنترك أقوال الصحف ووكالات الأنباء، ولنتجاوز الأسرار التي استشهدنا بها في هذا الفصل والتي كشفت دور أسد في مؤامرة لبنان، لتتجاوز هذا وذاك ولنعرض نتائج التدخّل السوري بالصورة البسيطة التالية:

- من الحقائق المُسلّم بها أن سورية حاربت المقاومة والحركة الوطنية في لبنان منذ أوائل ٧٦ وحتى منتصف ١٩٨١.

- ومن الحقائق كذلك أن الموارنة حاربوا المقاومة والحركة الوطنية في الفترة نفسها.

- ومن الأمور التي لا تقبل نقاشاً أن إسرائيل حاربت المقاومة والحركة الوطنية في جنوب لبنان، واشتدت هذه الحرب في سنتي ١٩٧٨ و١٩٧٩.

ومما لا خلاف فيه أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت على اتصال مباشر مع سورية أسد والموارنة وإسرائيل عن طريق وزير خارجيتها أو من يمثله، وطوال هذه الفترة كانت الولايات المتحدة ترفض أي لقاء مع الفلسطينيين.

وتتج عن هذه الحروب وحشية لا مثيل لها، كم من مخيمات أُبِيدت، وأعراض هُتكت، ومنازل دُمّرت، وقبور جماعية حُفرت، فإذا كان هذا كَلِّه ليس مؤامرة، فكيف تكون المؤامرة، وكيف يكون التآمر؟!

ماذا قالوا عن التدخل السوري؟:

١- منظمة التحرير:

قال صلاح خلف:

"لقد علمنا أنه خلال زيارة الرئيس حافظ أسد إلى باريس، بأنه تمّ لقاء سري سوري أمريكي، وقد حصل السوريون على موافقة واشنطن لاستخدام كافة الأسلحة من أجل الوصول إلى الجبل وبيروت".

السياسة الكويتية ١٣/٦/١٩٧٦

عقد سليم الزعنون- أبو الأديب - ممثل حركة فتح في الكويت مؤتمراً صحفياً عندما احتلت القوات السورية بعض مناطق الجنوب، وخرجت منها استجابةً

لطلب إسرائيل. قال أبو الأديب:

"إن الهدف من احتلال السوريين لمنطقة العرقوب في جنوب لبنان هو إبعاد المقاومة عن التماس مع إسرائيل، ولا يستبعد أن يكون من أهدافها المشاركة عملياً في تجزئة المنطقة طائفياً".
الصحف الكويتية في حزيران ١٩٧٦

وكالة الأنباء الفلسطينية الرسمية - وفا - أعلنت يوم ١٩٧٦ / ٨ / ٢٥ البلاغ التالي وتحت عنوان: "النظام السوري القاتل يعد قواته لمهاجمة القوات المشتركة في جبل لبنان". قالت النشرة:

"وحدات من قوات النظام السوري، تتألف من المشاة وتشكيلات الدبابات والمدرّعات، إضافةً إلى الطائرات القاذفة المقاتلة، أجرت مناورات يوم أمس تتعلق بكيفية مهاجمة المناطق الجبلية والاستيلاء عليها، ويعلن النظام السوري عن هذه المناورات، في الوقت الذي سُحب فيه الجيش السوري من الجولان، وفي الوقت الذي تتردّد فيه تهديدات أطلقها النظام مؤخراً، حول عزمه القيام بعملية عسكرية شاملة ضدّ مواقع الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، والنظام السوري يحاول بذلك، تغطية انتفاضة إحدى كتائب الدروع، بقيادة الرائد الركن عبد الله الرفاعي، في منطقة المعظمية التي تبعد خمسة عشر كيلو متراً غربي مطار المزة بالقرب من دمشق".

- نُقل عن ياسر عرفات تصريحات كثيرة، منها قوله لأسد عند اجتماعه به في

: ١٩٧٦ / ٣ / ٢٧

"إن قلب المقاومة ومستقبلها موجود في لبنان، وهي حركة حياة أو موت، وإن ممارسات وإرهاب الجيش السوري والصاعقة لن تفيد، وإنما سنواجه ذلك بكل الأساليب، وأنه يعزّ علينا أن نصطدم بالجيش السوري ونحن على مرمى مدفعية العدو الصهيوني والأسطول السادس الأمريكي".

وكان ردّ أسد: "إنه ليس هناك كيان فلسطيني، وليس هناك شعب فلسطيني، بل سورية وأنتم جزء من الشعب السوري، وفلسطين جزء لا يتجزأ من سورية، وإذن فإننا نحن المسؤولون الممثلون الحقيقيون للشعب الفلسطيني".

هذه وصيتي لجنرالات ص ١٠٥

ووعده عرفات أن يتحدث عن أمور ما زالت مجهولةً تكشف أسرار التدخّل السوري في لبنان.

٢- زعماء لبنانيون:

- قال الزعيم الماروني ريمون اده:

"لقد عمد النظام السوري إلى إلقاء الشعب اللبناني، بالخراب والسرقة والنهب عن طريق منظمة الصاعقة خصوصاً، وبعد ذلك اعتقد قسم كبير من الشعب اللبناني، أن الفلسطينيين هم الذين يقومون بتخريب لبنان، فهل من أجل ذلك أرسل حافظ أسد جنوده إلى لبنان؟

وإذا كان النظام السوري يريد القضاء على الثورة الفلسطينية من أجل أمريكا، فيجب أن تكون له الجرأة ليعترف بذلك، وإلا فلماذا أرسل قواته إلى لبنان؟

كان يستطيع بهذه القوات أن يوقف القتال والدمار والخراب، ولكن على العكس من ذلك فقد رأينا الصاعقة برئاسة زهير محسن بدأت بنسف الآبار الارتوازية في البقاع ونهبت المصارف في بيروت، واحتلّت ونهبت مجلس النواب اللبناني.

لقد أصبحت حدود إسرائيل بعد التدخّل السوري، تبتدىء من الليطاني، والدليل أن إسرائيل طلبت من أمريكا أن تتصل بحافظ أسد ليسحب عناصره [٢٠ إلى ٣٠] جنديًا كانوا موجودين في النبطية البعيدة عن الليطاني، وعلى الفور سحبهم، هذا يعني أن أمريكا تؤثر على النظام السوري، وأن النظام السوري لا يعادي إسرائيل، والرئيس السوري نفسه قال في خطاب ٢٠ تموز من العام الماضي: إن أمريكا أيّدت تدخل سورية المسلح في لبنان".

مجلة الدستور في باريس أوائل حزيران: ١٩٧٧

وقال اده:

"إن حافظ أسد في وضع يمكنه بالتأكيد من قيادة طغمة هذه الخطورة، ولو لم يقل بأنه كان واحدًا من منفذي المخطط الأمريكي الرامي إلى تقسيم لبنان، إن حافظ أسد كانت له مصلحة في تدبير معركة بين اللبنانيين والفلسطينيين ليُدعي بعد ذلك لعب دور المنقذ".

لوموندا الفرنسية العدد ٢٢٢ تاريخ ١٤ / ٧ / ١٩٧٧

- الضابط أحمد الخطيب حاول إنقاذ لبنان عندما عمل على تأسيس جيش لبنان العربي، ونجح جيشه في السيطرة على معظم المواقع والأراضي اللبنانية ... وهو من عائلة تدين بالإسلام. قال في مؤتمر صحفي:

"إن التدخل العسكري في شؤون لبنان، يستهدف الآن احتلال بعض النقاط لشل حركة القوى الوطنية، وإن تبريرات الاحتلال السوري غير واقعية و سقيمة، ولو أن السوريين كانوا يتصرفون بحسن نية، لما حاولوا التواجد فقط في مناطق القوى الوطنية، بينما لم يحاولوا دخول مناطق الانعزاليين.

لقد قامت القوات السورية، بمصادرة بعض الأسلحة لعناصر من جيش لبنان العربي. إن النظام السوري يتحمل مسؤولية تاريخية عندما يعمل على عرقلة حركة القوى الوطنية ومحاصرة جيش لبنان العربي، بينما يطلق للقوى الانعزالية المجال، لاستعادة ما حققته لحركة الوطنية من انتصارات".

الأنوار اللبنانية: ١٥ / ٤ / ١٩٧٦

- الزعيم الدرزي كمال جنبلاط كان رئيساً لجبهة القوى الوطنية، وكان حزب البعث النصيري اللبناني عضواً في هذه الجبهة، وكان جنبلاط صديقاً لنظام دمشق، ثم وقعت بينهم الواقعة ومن كتابه "هذه وصيتي" سنختار بعض المقاطع في وصفه للتدخل السوري في لبنان.

قال جنبلاط:

"لم نكن نعتقد بإمكانية خطر تدخّل عسكري سوري، ربما لأننا لم نكن على علم تام بالعلاقات القائمة بين واشنطن ودمشق، ولا بضغوطات واشنطن على إسرائيل، ولم نكن نعلم أن الميثاق الشيطاني قد أبرم". هذه وصيتي ١٢٩

وقال جنبلاط:

"لقد عارض الأمريكيون والإسرائيليون، في بادئ الأمر الاحتلال السوري المباشر للبنان، غير أنهم عادوا بعد ذلك، حين عرفوا بنوايا النظام السوري، وعزمه على الخلاص من استقلالية منظمة التحرير الفلسطينية واليسار اللبناني، عادوا وشجّعوا المغامرة العسكرية".

هذه وصيتي ٩٤

وقال جنبلاط:

"لقد أظهر حكام دمشق تسامحاً لا تمويه فيه، إزاء المجازر التي ارتكبتها الانعزاليون، وكان العذر الذي تذرّعوا به هو أنهم يريدون كسب هؤلاء للقضية العربية، في حين أن الحق هو أن التدخّل العسكري السوري، كان يهدف إلى إخماد الفلسطينيين والحركة الوطنية واليسار اللبناني".

هذه وصيتي ٩٩

٣- القذافي:

قال القذافي:

"ليبيا تقف إلى جانب المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وتعارض التدخل العسكري السوري في لبنان، لقد حذرنا سورية من تصرفها هذا. إذا كانت سورية تريد السلام الآن على حساب الفلسطينيين وتريد تصفية المقاومة الفلسطينية فلا يمكننا أن نلزم الصمت، ونعتقد أن من الخيانة الوطنية محاولة تصفية المقاومة الفلسطينية، وإننا نأمل أن تعيد سورية النظر في موقفها.

لقد حاولنا تعزيز الجبهة الشرقية وكنا متفقين على أن ترفض سورية القرار ٢٤٢ و٣٣٨، وأن تدخل القوات العراقية مرتفعات الجولان، وأن تبدأ المعركة ضد إسرائيل، لكننا فوجئنا بالتطورات التي حدثت في لبنان".

وكلف القذافي رئيس وزرائه بمهمة القيام بوساطة بين سورية من جهة والمقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية من جهة أخرى، وبعد رحلات مكوكبة بين دمشق وبيروت انتهى إلى القول: هناك مؤامرة عربية ودولية ضد المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية في لبنان، وقد وقع الاختيار على النظام السوري لتنفيذ هذه المؤامرة.^(١)

(١) صحيفة الرأي العام الكويتية ١٧/٦/١٩٧٦ عن يوميات الحرب اللبنانية الصادر عن منظمة التحرير الجزء الثاني ص ٣٥٠، أما تصريح جلود فسبق ذكر مصدره، وعلى كل حال استمر القذافي في تعاونه مع أسد، ولم يتخذ ضده أي إجراء كما وعد.

٤ - الشيوعيون أو اليساريون:

يزعم أسد أن نظامه اشتراكي، وبأنه صديق للأحزاب والدول الاشتراكية، غير أن معظم الأحزاب والصحف اليسارية في العالم انتقدت احتلال قوات أسد للبنان، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

- صحيفة لومانيتية الناطقة بلسان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي، نشرت بتاريخ ٢٤/٦/١٩٧٦ ما يلي:

"إن النظام السوري يمارس لعبةً مشبوهةً، بمساعدة ودعم الامبريالية الأمريكية".

وفي ١١/٥/١٩٧٦ نقلت وكالة الصحافة الفرنسية عن لومانيتية التعليق التالي:

"إن دين براون المبعوث الخاص جدًا للرئيس الأمريكي جيرالد فورد قد قام بتحريك خيوط هذه العملية من وراء الكواليس، وإن التدخّل السوري الذي باركته واشنطن وسمحت به إسرائيل، لم يؤدّ إلى تسوية الأزمة اللبنانية بل زادها حدّةً".

- وفي ٥/١٠/١٩٧٦ نشرت جريدة "مجهريلب" الناطقة باسم حزب العمال الاشتراكي المجري مقالاً جاء فيه:

"إن الهجوم العسكري الواسع النطاق ضد الفلسطينيين أثار السخط

والاستنكار العميقين في أواسط الإنسانية التقدمية، خاصةً وأن منظمة التحرير الفلسطينية، كانت قد أمرت بوقف إطلاق النار من جانب واحد على جميع جبهات القتال، بهدف التوصل إلى تسوية سياسية، وقد أثبتت قيادة منظمة التحرير بذلك مجددًا أنها مهتمة لوضع حدّ للنزاع".

لقد شنت القوات السورية المرابطة في لبنان، في وقت واحد، مع الفصائل اليمينية اللبنانية المسلحة هجومًا ضد الفلسطينيين، في المنطقة الجبلية المحيطة بعالية بشكل مستمر ومنذ أسبوع، ويظهر هذا أن الاستعمار والرجعية يحيطان مؤامرةً واسعة النطاق ضدّ حركة المقاومة، والجنود السوريون المفروض فيهم مقاتلة الجيش الإسرائيلي، قد جرى دفعهم على الطريق السيء، إن هذا العمل لا يلحق الضرر بلبنان، بل بسورية نفسها أيضًا".

ورغم أن الاتحاد السوفياتي متورط في لعبة الشرق الأوسط، وخلال رحلات كيسينجر المكوكية بين دمشق وفلسطين المحتلة، كان يلتقي مع وزير خارجية الاتحاد السوفياتي "غروميكو" في قبرص، وقبل احتلال سورية للبنان زار غروميكو دمشق، وأعلن تأييده لنظام الأسد.

أقول رغم هذا كله فلقد اضطرت صحيفة "سوفتسكايا روسيا" الناطقة باسم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي إلى انتقاد الموقف السوري.

يوميات الحرب اللبنانية الصادر عن منظمة التحرير، الجزء الثاني ص ٣٥٠.

٥ - صحف أوروبا الغربية:

إن للصحف العربية وبشكل أخص الأمريكية سياسةً تميّزها عن الصحف الشيوعية و صحف العالم الثالث، فقد تقول الصحيفة رأياً يخالف سياسة الحكومة، وقد تفضح سرّاً من أسرار رئيس الولايات المتحدة، أو الكونغرس، أو المخابرات المركزية، لأنها تقدّم لقرائها سبقاً صحفياً، وقد تلجأ المخابرات إلى تسريب خبر لصحيفة من الصحف المشهورة، لأن نشر هذا الخبر يخرج عميل النظام الأمريكي فلا يفكر في الخروج من اللعبة الدولية المرسومة له.

ومن صحف وتعليقات أجهزة الإعلام العربية التي نشرت أسراراً مذهلة عن التدخل السوري في لبنان نختار فقرات من مقالة نشرتها مجلة التايم الأمريكية في عدد تاريخ ٨ / ٩ / ١٩٧٦ تحت عنوان: [إسرائيل تشارك في حرب لبنان سرا].

قالت التايم:

"إن التفاهم غير المعلن بين إسرائيل والنظام السوري، بسحب قواته العسكرية المتواجدة في الجبهة، ونقلها تدريجياً إلى لبنان وإلى الحدود مع العراق".

وعن زيارة وزير الدفاع الصهيوني إلى ميناء جونبة قالت التايم:

"إن بيريز وصل إلى ميناء جونبة بسفينة شحن، أحاطت بها زوارق قاذفة للصواريخ وتم نقله مع طاقم الحراسة من على ظهر السفينة بواسطة طائرة هليكوبتر، وإن زيارات بيريز إلى لبنان، أصبحت من الأمور العادية، وإن إسحق

رابين رئيس الوزراء رافقه في زيارته الثالثة، وإن الاجتماع مع قادة اليمين اللبناني- أي الموارنة- انتهت بتدخل إسرائيلي حاسم، وإن كان سرّياً في الحرب الأهلية اللبنانية الدائرة رحاها منذ سبعة عشر شهراً، وعملاً بالاتفاق لتحرك إسرائيلي لإبادة قواعد الفدائيين في جنوب لبنان".

وأضافت المجلة:

"إن هذه التدابير قد وضعت الإسرائيليين في الجانب الذي يقف فيه النظام السوري بعد تدخله الفعلي إلى جانب قوى اليمين، والذي يتحدّد بالأساس، بتصفية الفدائيين الفلسطينيين، تمهيداً لفرض تسوية سلمية لصدام الشرق الأوسط، وتقوم إسرائيل بفرض حصار يجرى على عدة موانئ لبنانية يسيطر عليها الوطنيون وخاصة مينائي صيدا وصور لمنع وصول الأسلحة إلى الوطنيين والمقاومة. لقد استطاعت إسرائيل بعملها هذا، الحصول على سيطرة فعلية، على شريط من الأرض جنوب لبنان يمتد حتى نهر الليطاني".

وقالت المجلة:

"إن عددًا من أركان النظام السوري الحاكم حضروا الاجتماع الموسّع الأخير، بين شمعون بيريز والقوى اليمينية في جونبة، حيث شجّع نجاح المباحثات بيريز، على إمضاء ليلة على سفينة الشحن التي أقلته إلى لبنان".

الخاتمة

وتسألون...؟!

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغربها!!

بعد هذه الحقائق التي بيّنتها، والمؤامرات الدنيئة التي كشفتها، كأني أسمعكم

تتساءلون:

- ما الذي يجب أن نفعله؟!

- كيف نواجه المؤامرة والمتآمرين، ونقطع دابر الغزاة المفسدين؟!

- من المسؤول منا عن كلّ ما حدث؟!

قد أظلمكم وأظلم نفسي إذا زعمت أنني وحدي قادر على تحديد الجواب الكافي وتعيين الحل الشافي.

أظلمكم وأظلم نفسي لأن القضية ليست قضيتي وحدي، وإنما قضية كلّ كاتب ومفكر وداعية ينتمي لأهل السنة والجماعة. فليشارك هؤلاء جميعاً في وضع الحلول الناجعة لأخطر مشكلة من مشكلات المسلمين في هذه العصر.

ومن أجل هذه القضية يجب أن تُعقد المؤتمرات، وتُقام الندوات، وترتفع الأصوات، ويتداعى حكماء وعلماء أهل السنة لوضع دراسة محدّدة كما تداعى حكماء اليهود إلى مؤتمرهم المشهور في بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ بقيادة هرتزل.

وإذا كنت عاجزاً عن وضع الحلول لهذه المشكلة، فلا أقلّ من توجيه النصائح التالية لإخواني المسلمين، لعلها تكون جزءاً من إطار هذا الحل.

أولاً- ولا تركزوا إلى الذين ظلموا:

منذ قرن من الزمن وجمهور الأمة الإسلامية كمسافر في الصحراء أدركه العطش ولا ماء معه، فتراه يجري مسرعاً من سراب إلى سراب.

- كان أول سراب كاذب جرت وراءه هذه الأمة "ثوار لورنس"، وبعد بضعة عقود تكشّفت رسائل مكماهون، وصلات هؤلاء الثوّار مع هرتزل ووايزمن.

- والسراب الثاني أديعاء الوطنية والاستقلال، الذين سرقوا النصر من المجاهدين المسلمين بتعاونهم مع الاستعمار "الانجلوفرنسي"، ويأتي على رأس هؤلاء:

فارس الخوري- سورية-، بشارة الخوري- لبنان-، سعد زغلول، سلطان الأطرش، الحبيب بو رقيبة، نوري السعيد، وبعد خروج الاستعمار بقيت نظمه وقوانينه، وكان خلفه أشدّ عداوة للإسلام والمسلمين.

- والسراب الثالث: دعاة القومية وزعماء الانقلابات العسكرية، ورافعوا رايات الاشتراكية، أمثال: جمال عبد الناصر، حزب البعث، كمال جنبلاط، منظمة التحرير الفلسطينية بجميع فصائلها: اليسارية واليمينية.

- السراب الرابع: الجناح النصيري من حزب البعث الذي أفرز "أسد".

لقد جمعت الثوريّة، والقوميّة، والعلمانية، والوحدة العربيّة^(١) وتحرير كامل تراب فلسطين بين بعث "أسد"، ومنظمة التحرير الفلسطينية، وأصبح أسد بين طرفة عين والتفاتتها وصيّاً على المنظمة، ومدافعاً أميناً- كما يرى معظم زعماء المنظمة - عن مصالحها.

وتناسى زعماء المنظمة مذبحه تل الزعتر، وراحوا يصفقون مرّةً أخرى للبطل أبي سليمان، ولم ينجل بعضهم من التصريح بأن ما يجري في سورية، -أي دفاع المسلمين عن أنفسهم في حماة وحلب ودمشق- مؤامرة ضدّ الصمود والتصدي.

وبعد ثلاثة أشهر من مذبحه حماة عاد صلاح خلف ليقول: "إن جبهة الصمود كلام في كلام".

هذا ما قاله صلاح خلف في الصحف، أما ما قاله في مجلس خاص لعدد من كبار العاملين في منظمة فتح:

لقد أرسل ياسر عرفات اثنتا عشرة رسالةً إلى حافظ أسد يطالبه العمل على فك الحصار المفروض علينا في بيروت، وعندما لم يتلق عرفات جواباً على واحدة

(١) دعاة القومية العلمانية هم في الحقيقة أعداء لكلّ وحدة بين العرب لأنها ستذكرهم بالإسلام الذي كانوا به خير أمة أخرجت للناس، والعرب لم يعرفوا وحدةً إلا في ظلّ الإسلام..

من هذه الرسائل، أوفد اليه مبعوثاً خاصاً، وبعد أن سلّمه رسالة عرفات، وعرض عليه سوء الأوضاع و صلف العدو.

أجاب أسد:

أنا أريد أن تهلكوا جميعاً لأنكم أوباش!!

يقول صلاح خلف في مجلسه الخاص معلقاً على كلام أسد:

عندئذ أدركنا تأمر أسد علينا، وأن له أوثق العلاقات مع إسرائيل والولايات المتحدة وحزب الكتائب.

وقال أبو إياد عن الدروز وتعاونهم مع اليهود الكثير الكثير، وما قاله في مجالسه الخاصة أكثر. قال عن وليد جنبلاط: جاءنا مخموراً خائر القوى يطلب منا الخروج من بيروت دون قيد أو شرط.

ومن الجدير بالذكر أن تصريحات صلاح خلف وزملائه جاءت بعد مجازر "صبرا وشاتيلا".

ونتوقع أن تعود - قيادة المنظمة - مرةً أخرى إلى تعاونها مع أسد، وإلى إضفاء صفات البطولة والوطنية والشجاعة عليه.

ونحن المسلمين لسنا بحاجة إلى تناقضات صلاح خلف وغيره من قادة المنظمة لنعرف عدونا من صديقنا، فالله جلّت قدرته أمرنا أن لا نوالي، ولا نثق، ولا نعتد على كافر لقوله تعالى:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ
 أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ
 مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
 عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ المجادلة: ٢٢.

إن من حق كل مسلم فلسطيني أن يرفع صوته في وجه قادة المنظمة: انظروا
 ماذا فعل بنا جورج، وبيار، وميشيل، وكميل، وأسد، وحوامة، انظروا ماذا جنت
 شعاراتكم البراقة: كالعلمانية، والاشتراكية، والقومية.

لم نعد نثق بكم، ولا بشعاراتكم وقياداتكم لأن الذين تتعاونون معهم يبطشون
 بنسائنا، بشيوخنا، بأطفالنا، بشبابنا، ويدمرون مخيماتنا واحداً تلو الآخر: الكرنيتنا،
 تل الزعتر، جرش، عين الحلوة، صبرا، شاتيلا.

أما أنتم فيحرص عدونا أشد الحرص على سلامتكم، ويقول صراحة: إذا
 قضى على هذه القيادة فسوف تأتي قيادة متطرّفة يصعب التفاهم معها.

ومما يزيدنا شكاً في نواياكم أنكم تفرعون طبول الحرب، وتزعمون أنكم
 أعددتكم لكل شيء عدته، وتسفر المعارك عن كذب ما تدّعون.

وإن الواجب على كل عالم وداعية ومفكر إسلامي أن يكشفوا للناس أصنام
 هذا العصر، وأنها قد تكون حزباً، أو وطناً، أو زعيماً، أو فكرةً، ويوضّحوها للناس
 معنى العبودية وأنها إما أن تكون لله، وإما إن تكون لعدو من أعداء الله جلّت
 قدرته.

فإن برز زعيم من الزعماء وقال لقومه: سأحرّر لكم فلسطين أو أية بقعة من بقاع المسلمين المغتصبة، قالوا له: من أنت، وما هو دينك؟!!

فإن قال كما قال صلاح خلف: فأين نذهب بالنصارى، أو ما علاقة الدين بتحرير فلسطين؟!!

قلنا: المسلمون الذين يحكّمون شرع الله في الأرض هم الذين فتحوا فلسطين في زمن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهم الذين حرّروها وطهروها من دنس الصليبيين على يد المسلم الكردي صلاح الدين الأيوبي.

والمسلمون اليوم هم الذين سيحرّرون فلسطين من اليهود، وسائر بلاد المسلمين من الصليبيين والمرتدّين، أما النصارى الموادعون فنعاملهم كما عاملهم صلاح الدين وعمر بن الخطاب، أما المجرمون منهم أصدقاء خلف وصحبه فليس بيننا وبينهم إلا السيف.

إن القضية التي يجب أن يفهمها كلّ مسلم أننا دعاة حق ودين، ولسنا دعاة تراب وطن، وأننا نحب ونبغض لله، ولو استقام لهم هذا الفهم لما عبد كثير منهم عبد الناصر أو حزب البعث من دون الله.

ثانياً- فلتُسَمَّ الأمور بمسمياتها:

منذ أن رُزئت أمتنا بهدم الخلافة الإسلامية، وأدعياء الوطنية يرذدون عبر أجهزة إعلامهم زاعمين أن معركتنا مع المستعمرين هي معركة التقدمية ضد الرجعية، والقومية ضد الشعبوية، والعلم ضد الجهل، والحضارة ضد الهمجية، والثورية ضد التبعية، والاشتراكية ضد الإقطاع والرأسمالية.

ومن يدقق الطرف ويحيل النظر في تاريخ الاستعمار الحديث لبلادنا يعلم أن هدف المستعمرين: محاربة الإسلام وتمزيق وحدة الأمة الإسلامية والأدلة على ذلك كثيرة ومعروفة منها:

- ما قاله "جلادستون" رئيس الوزارة البريطانية في عهد الملكة فيكتوريا، في مجلس العموم، وهو يرفع القرآن بيده: "مادام هذا الكتاب في أيدي المصريين فلن يقرّ لنا قرار في تلك الديار".

- كلمة اللورد "النبوي" وهو يدخل بيت المقدس سنة ١٩١٧: "الآن انتهت الحروب الصليبية"، وهتاف غورو عندما دخل دمشق، ووقف على قبر صلاح الدين ليخبره بعودة الصليبيين.

- وليعد من شاء إلى قول "مايلزكو بلاند" في كتابه "لعبة الأمم" أن عبد الناصر اشترط على الوسطاء الذين حاولوا أن يجمعوا في الخفاء بينه وبين "بن غوريون" أن تقوم وسائل الإعلام الإسرائيلية بامتداح حركة "الإخوان المسلمين" لتشويه سمعتهم في العالم العربي.

- وليعد من شاء إلى قول سعد جمعه في كتابه "أبناء الأفاعي":

"لقد قلت مرّة لأحد ملوك العرب: إنني استمعت بأذني إلى تسجيل حي لهتاف الجماهير اليهودية حينها وصلت إلى حائط المبكى بعد احتلال القدس سنة ١٩٦٧، سمعتها تصيح بهوس وجنون: محمد مات وخلف بنات... اليوم انتهى محمد... اليوم قضى على الإسلام... قلت للملك: لم تهتف تلك الجماهير ضدك أو ضد فلان وفلان من ملوك العرب ورؤسائهم بل انصبّ هتافها المزجر على محمد ودين محمد لأن هو هدف المؤامرة كان ولا يزال" (١).

ويسرف في الخطأ من يعتقد أن عداوة اليهود وسائر أعداء الإسلام لنا، وحرهم ضدنا، ستوقف إذا وجدت الأمم المتحدة حلاً لقضية فلسطين أو لبنان أو أرتيريا أو مورو أو أفغانستان.

يسرف في الخطأ من يعتقد ذلك لأنه قد جهل أو تجاهل حقيقةً أزليةً أخبرنا بهاربُ العزة في محكم كتابه الكريم حيث قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ (٢).

أجل لقد قاتلنا اليهود في فلسطين، وأرتيريا، وجنوب السودان، والهند، وأفريقيا، ولبنان (٣) وسيقاتلنا اليهود، والنصارى، والشيعيون، والمجوس، والدروز،

(١) أبناء الأفاعي لسعد جمعة ص: ٢٤.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢١٧.

(٣) يزعم دعاة القومية إن اليهود جاءوا للقضاء على الوعي القومي العربي، فإذا كان الأمر

والنصيريون، والبوذيون، والأقباط، وكلّ ملل الكفر... سيقاتلنا هؤلاء جميعاً ما دمنا مسلمين، وسوف يستمرّ الإسلام لأنه دين الله الخالد، وكيف لا يستمرّ وقد تعهد الله بحفظه حيث قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١).

وأكد ﷺ أن أمة محمد ﷺ سوف تستمر في دعوتها وجهادها حتى يرث الله الأرض ومن عليها. عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك". وفي رواية أخرى عن عقبه بن عامر أنه ﷺ قال: "لا تزال عصا بة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك" (٢).

فيا دعاة الإسلام: لا يغرتكم هرطقات المنحرفين، وصيحات المتخاذلين من دعاة الاستسلام الذين يزعمون أن السلام مع إسرائيل قاب قوسين أو أدنى، وأن الولايات المتحدة الأمريكية هي عراب هذا السلام، إن أصحاب هذه الأصوات

كذلك فلماذا وقفوا ضد المسلمين في أرتيريا والحبشة، وفي جنون السودان - كما صرح وزير داخلية السودان فاروق حمد الله - وفي أوغندا وتشاد وزنجبار، وفي الهند نقل سعد جمعة في كتابه مجتمع الكراهية ص ٩٣ إن فنصل إسرائيل في نيودلهي "ياكوف موريس" أدلى بحديث في "شانديفار" بالهند قال فيه: "إن إسرائيل زوّدت الهند بمدافع ثقيلة أثناء حربها مع الباكستان سنة ١٩٦٥" أليس في هذا كلّ دليل على أنهم لا يجارون إلا الإسلام والمسلمين!؟

(١) سورة الحجر الآية ٩.

(٢) الحديثان رواهما مسلم في صحيحه. انظر مختصر صحيح مسلم للمنذري: ٥٠/٢.

المحمومة عبيد لواشنطن وموسكو وتل أبيب، ويعاملون شعوبهم معاملة السادة للعبيد، ويقبل كثير من المحسوسين على الإسلام أن يكونوا عبيداً للعبيد اليهود والأمريكان والروس.

خذوا حذرکم أيها الدعاة، واعلموا أن الحرب مع اليهود وأعدائهم سوف تستمرّ، ولها أشكال مختلفة.

من أهمهما:

- المعارك والاعتداءات المتكررة التي يستخدم العدو فيها الأسلحة الفتاكة والمجازر البشعة.

- بث روح الفرقة بين المسلمين عن طريق عملاء الماسونية في بلادنا وهم عليّة القوم.

- دعم وتشجيع المذاهب الهدامة: كالبهائية والقاديانية، والنصيرية، والدرزية، والحركات اليسارية العلمانية، والرافضة.

- البنوك الربوية، والاحتكارات العالمية، والتأميم.

- نشر الفساد، وتشجيع دعاة الإلحاد، واستغلال أجهزة الإعلام لمثل هذه الأغراض الدنيئة.

إن قدرنا يا دعاة الإسلام أن نحيط بكل ما يدبره العدو ضدنا، ونعمل سويةً من أجل تحقيق الهدف الذي خلقنا الله من أجله:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) (١).

ومن أدلّ مدلولات هذه الآية أن تكون جميع أمور حياتنا ومماتنا لله وحده لا شريك له. هذا قدرنا، وتلك هي مهمتنا فلا يستخفّنكم الذين لا يوقنون.

ثالثاً- أين الصف المرصوص؟!

مرّ معنا في "الوصايا العشر" أن الفرنسيين أو صوا نصارى لبنان بوجوب تجنّب الخلافات التي تفرّق صفهم وتسقط هيبتهم، وأكدوا على ضرورة التعاون بين طوائف النصارى.

ومن تاريخ دولة إسرائيل نلاحظ تعاوناً هادفاً بين جميع الأحزاب اليهودية، والخلاف بين الحزبين: الحاكم والمعارض هو في الأسلوب والشكل، وليس في الغايات والأهداف.

إنهم لا يختلفون على وجوب ضمّ الضفة الغربية والجولان، ولكنّ الخلاف في طريقة الضمّ.

ومرّ معنا عند حديثنا عن الدروز والنصيريين أن لكلّ طائفة قيادة تتشكّل من الزعماء الدينيين والسياسيين، وهذه القيادة هي المرجع الأعلى عند جميع أبناء الطائفة رغم ما بينهم من خلافات.

وإذا كان هذا حال أهل الباطل وهم دعاة ضلالة، فأين الصف المرصوص عند

(١) سورة الذاريات الآية: ٥٦.

أمة محمد صلى الله عليه وسلم!؟

أين الوحدة الإسلامية في حياتنا ونحن الذين خاطبنا جل وعلا بقوله:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (١).

وقوله تعالى:

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٢).

وقوله:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣).

واخجلتاه من واقعنا المؤلم. لقد أمرنا خالقنا أن لا نختلف كما اختلف اليهود والنصارى، ونحن اليوم عاجزون عن تحقيق وحدة بين المسلمين كتلك الوحدة أو التعاون الذي حققه اليهود أو النصارى فيما بينهم... هذه هي والله الطامة الكبرى والبلية العظمى.

إن تعدد الاتجاهات إذا تحوّلت إلى إحن حزبية، وأهواء شخصية، ومنافع دنيوية خطر عظيم إذا كان المنتسبون إلى هذه الأحزاب من أهل السنة والجماعة.

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٢.

(٢) سورة المؤمنون الآية ٥٢.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٥.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَأَشْتَمَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (١).

"وكانوا شيعاً" أي أحزاباً وجماعاتٍ متناحرةً، والتناحر صفة من صفات العرب قبل الإسلام.

فمن الله عليهم بمحمد ﷺ فأصبحوا أمةً واحدةً.

قال تعالى:

﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَنَقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢).

والوحدة الإسلامية التي ندعو لها، يجب أن تكون قائمةً على ما كان عليه أهل السنة والجماعة، ومن خالفهم فلا وحدة معه لأننا نتعبد الله بدين لا يأتيه الباطل، ونتبرأ من أهل البدع والأهواء وعلى رأسهم:

- الذين يقدمون عقولهم الملوثة على كتاب الله وسنة رسوله.

- الذين يشتمون السابقين الأولين من أصحاب محمد ﷺ، ويؤمنون بعصمة غير أنبياء الله.

(١) سورة الأنعام الآية: ١٥٩.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

- أهل الغلوّ الذين جعلوا من أهوائهم ديناً، وأقدموا على وضع أصول غير أصول أهل السنّة والجماعة.

- الذين أظهروا النفاق، وكانوا عوناً للعدوّ على إخوانهم المسلمين.
رابعاً- وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة:

واهم جدّاً من يظن أننا قادرون على تحقيق أهدافنا بالإقناع العقلي، أو بالأساليب الديمقراطية، أو عن طريق التسلّل إلى الوظائف والمراكز المرموقة.

إن طريقنا إلى تحرير القدس وسائر بلاد المسلمين المضطّهدة وإعلاء كلمة الله، وتحكيم شرعه في الأرض، هذا الطريق كان وما يزال واحداً لا يتعدّد، إنه الجهاد في سبيل الله.

ومن المحزن أن بعض الشباب اعترته موجة من الحماسة، وسهّل عليهم حمل السلاح دون أن يعدّوا الأعدّة للجهاد، ولا شك أنهم قدّموا بطولاتٍ رائعةً، وتضحياتٍ نادرةً شدّت انتباه الناس إليهم. ولكن إهمال الإعداد أدّى إلى كوارث متلاحقة ارتكبتها الطغاة الذين لا يرقبون في مؤمنٍ إلاّ ولا ذمّة ومن ذلك: هتك الأعراس، وتدمير المنازل والأحياء على ساكنيها، ونصب المشانق للشباب، وإطلاق وابل نيرانه على الأمنين الذين لم يحملوا سلاحاً، ولم يرتكبوا ما يدعو إلى الاستجواب بله القتل.

إن الجهاد يحتاج إلى إعداد لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ الأنفال: ٦٠.

ويجب أن يشمل الإعداد الجوانب التالية:

١- الإعداد العلمي والتربية: وهذا يعني أن يعرف الشباب لماذا يجاهدون وما هي غاياتهم، ومن الذي يجوز قتله، وما حكم المكرهين من المسلمين الذين لا يستطيعون الفرار من العدو، فإن قال قائل: إن كلام علماء السلف واضح في هذه المسألة.

قلنا: صحيح إن كلام علماء السلف واضح، ولكنّ مناط الحكم في عصرنا يختلف عن مناط الحكم في العصر السابق.

ومن الأمور التي تحتاج إلى فتوى: الجهلة من المسلمين الذين قد التبست عليهم الأمور.

أما الإعداد التربوي: فيجب أن يتخلّق المجاهدون بأخلاق رسول الله ﷺ، وأن يجاهدوا لتكون كلمة الله هي العليا، ولا يتطلّعون من وراء جهادهم إلى زعامة أو مكسب من مكاسب الدنيا، ويجب أيضاً أن يكون المجاهدون رهباناً في الليل وفرساناً في النهار.

٢- الإعداد الاقتصادي: يحتاج المجاهدون إلى تموين وثمان سلاح، ونقلات و... فإن اعتمدوا على غيرهم في ذلك كانوا أسرى لمن اعتمدوا عليهم، فإن قُطعت عنهم المساعدات انتهى دورهم ولم يبق أمامهم إلا الاستسلام.

٣- الإعداد الإعلامي: يجب أن يعلم الناس جميعاً لماذا يقاتل المجاهدون وماذا يريدون؟! وهل هم مجرمون قتلة كما يزعم عدوهم؟!!

كما يجب إن يكون المجاهدون قادرين على نشر أخبار قتالهم ساعةً بساعةً أو يوماً بيوم.

٤- الإعداد العسكري: أن يكون المجاهدون مدربين تدريباً جيداً، وأن يمتلكوا حداً أدنى من السلاح والرجال، والذين يقدرّون هذا الحدّ رجال مختصّون، وأن يعتمدوا في تقديراتهم على معلومات ميدانية وأرقام دقيقة.

إنها لمصيبة والله أن يتحدّث بعض الشباب من الدعاة عن الجهاد وليس لديهم خطة ولا إعداد، وعندما تحدّثهم عن الأخذ بالأسباب يردّون قائلين:

أو تنسى المدد الرباني.. وما علينا إلا إن نبدأ ولن يخذلنا الله سبحانه وتعالى.

ما أحوج هؤلاء الشباب إلى معرفة الأساليب والخطط التي رسمها وسار عليها: اليهود، والنصارى، والدروز، والنصيريون، والشيعية خلال مائة عام!!

ما أحوج هؤلاء الشباب إلى معرفة أن ما بناه عدوّنا خلال عشرة عقود من الزمن لن نهدمه خلال سنة أو سنتين، والحديد لا يُفلّ إلا بالحديد. ونحن مسؤولون عن الأخذ بالأسباب ومن قبل علّم نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام الأعرابي أن يعقل ناقته ثم يتوكل.

ترى هل يدرك الشباب خطر تسرّعهم، وهل يجذرون من المندسّين في صفوفهم؟! هل يعلمون أن من الواجب علينا أن نُعد عدتنا أما النصر فمن الله وحده؟! وحده!

ثمة أمر لا بد من التأكيد عليه:

إن المجاهدين المسلمين لا يقبلون أن يلوّثوا صفوفهم بدرزي أو نصيري أو شيوعي أو نصراني واحد، فلن نستعين على المشركين بالمشركين، وجهادنا من أجل أن يكون الدين كله لله، وليس من أجل انتصار النظام الديمقراطي على العسكري، أو من أجل أن تحكم جميع فئات الشعب على مختلف أديانه وأحزابه.

وبعد أن عرضت موقف الطوائف أتحدّى من يأتينا بدليل يثبت فيه أن الدروز واليهود والنصيريين والنصارى كانوا في يوم من الأيام يعطفون على الإسلام والمسلمين.

ومن المؤلم حقاً أن ناساً من الإسلاميين مازالوا يعتقدون أنه ممكن التعاون مع المشركين والمرتدين فكيف يكون هدف عدوّنا واضحاً، ولا يكون الأمر عندنا كذلك.

خامساً- حذارٍ من اليأس:

في جميع الحروب التي خاضها العرب مع اليهود كانت تتكشف خيانات وخيانات بعد كلّ حرب، والجهات التي تصدر عنها الخيانة كثيرة، ويأتي على رأسها الطواغيت، الذين يقرعون طبول الحرب، ويزعمون أنهم أعدّوا لكلّ شيء عدّته، وأنهم خلال ساعات سيجعلون من اليهود طعاماً لأسماك البحر المتوسط... وعندما تشمّر الحرب عن ساقها يتولون هارين ويتركون الجند في العراء دون قيادة أو تموين أو ذخيرة.

هذه الخيانات المتكررة جعلت من إسرائيل أسطورة لا تُقهر، وأنه لا بد من الاستسلام. وهذه الخطة الاستعمارية قديمة، فلقد كانت دوائر الاستخبارات البريطانية تروج مثل هذه الدعاية في بلاد المسلمين، وكانوا يجدون من يصدّق كلامهم ويردّد مقالاتهم بأن بريطانيا العظمى دولة كبرى تملك أسلحة فتاكّة، ومن المتعدّر إخراجها بالقوة، ولهذا لا يصحّ أن نغامر بشبابنا، ونقود أمتنا إلى الهلاك، وليس أمامنا إلا النضال السياسي، والسير على المبدأ القائل: "خذ وطالب".

وقبول المسلمين لمثل هذه الشائعات هزيمة داخلية خطيرة لا تقلّ أثرًا عن هزيمة جيش أمام جيش.

فاليهود جبناء، والمستعمرون مهما كانوا أقوياء لن يستطيعوا الاستمرار في السيطرة على بلد يدين بالإسلام عقيدة وسلوكًا ونظام حياة، لن يحققوا انتصارًا على مثل هذا البلد إذا كان جيشه إسلاميًا لا مجال فيه لمشرك ولا مرتدّ خائن.

والذي يجب أن يعلمه كلّ مسلم أننا هُزمتنا لبعدنا عن الله، واستسلامنا للطاغوت، وعندما نأخذ بأسباب النصر سينصرنا الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ﴾

[غافر: ٥١].

وقد مرّ على المسلمين في تاريخهم أوضاع لا تقلّ سوءًا عن أوضاعنا المعاصرة، وعندما قيّض الله لهم من يقودهم تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويقضي على الخونة النصيريين والنصارى والباطنيين تحوّلت هزيمة المسلمين إلى نصر

وانحسارهم إلى مدّ.

ونحن قادرون على قهر عدوّنا ودحره إن عدنا إلى كنف الله، فالإسلام لم يُهزم،
والذين هُزموا هم المسلمون العصاة.

فحذارِ حذارٍ من اليأس والقنوط:

﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ الحجر: ٥٦.

﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ يوسف: ٨٧.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرس

- المقدمة ٥
- القسم الأول: وثائق من التاريخ المعاصر
- الفصل الأول: وثائق من تاريخ الدروز المعاصر
- أولاً - مدخل إلى البحث
- أكل هذا من أجل سلطان ٣٧
- جبل حوران والدروز ٤١
- اعدلوا هو أقرب للتقوى ٤٥
- ثانياً - الدروز في عهد الاحتلال الفرنسي
- نابليون والدروز ٤٧
- ولاء سلطان للإنجليز ٥١
- من فمه ندينه ٥٤
- دولة جبل الدوز ٥٩
- كتاب شيوخ الجبل إلى المبعوث الفرنسي ٦٠
- البرنامج المقترح ٦١
- سليم الأطرش أمير دولة الجبل ٦٤
- أعضاء على ثورة سلطان الأطرش ٦٩

ثالثاً- الدروز في عهد الاستقلال

- ١٠٥ أطماع الدروز سنة ١٩٤٨
- ١٠٦ وحدة الهلال الخصب
- ١١١ مؤامرة ١٩٥٦
- ١١٤ مؤامرة سليم حاطوم
- ١١٨ الدروز في حرب التحريك سنة ١٩٧٣

رابعاً- الدروز في فلسطين والجولان

- ١٢٥ لمحة عن عدد الدروز وقراهم
- ١٢٩ دروز يردون على جنبلاط
- ١٣٣ القيادة الدرزية في خدمة إسرائيل
- ١٤٧ أثر الدروز في مناهج التعليم
- ١٤٩ الدروز في خدمة الجيش الإسرائيلي
- ١٥٢ الدروز في خدمة أجهزة الأمن الإسرائيلية
- ١٥٧ الجمعيات والصحف الدرزية
- ١٥٩ لقد حصحص الحق

الفصل الثاني: وثائق من تاريخ النصارى بلاد الشام المعاصر

أولاً - النصارى في عهد الدولة العثمانية

- ١٦٩ - توطئة
- ١٧٠ - دور الموارنة في الحرب الصليبية
- ١٧٣ - الدولة العثمانية والامتيازات الأجنبية
- ١٧٥ - نفوذ فرنسا في الدولة العثمانية
- ١٧٨ - ضعف السلطة العثمانية
- ١٨٠ - المبشرون وقادة الغرب خدم لليهودية العالمية
- ١٨٧ - الحرب الدرزية المارونية سنة ١٨٦٠
- ١٩٠ - نظام المتصرفية
- ١٩٢ - دروس وعبر

ثانياً - النصارى في عهد الانتداب الفرنسي

- ١٩٨ - الوجود الفرنسي في لبنان قبل الاحتلال
- ١٩٩ - تأييد النصارى للاحتلال الفرنسي
- ٢٠٤ - موقف رجال الدين النصارى
- ٢٠٨ - هل الدافع لاتخاذ هذا الموقف هو الخوف وحده؟
- ٢١٢ - النصارى المعارضون للاحتلال

٢٢٨ شاهدان من النصارى -

ثالثاً - النصارى في عهد الاستقلال

٢٣٥ كلمة عن هذه المرحلة -

٢٣٧ الوصايا العشر -

٢٤٠ خطة المواردنة -

٢٤١ ١- الجانب الثقافى -

٢٥١ ٢- الجانب الاقصادى -

٢٦٣ ٣- الجانب العسكرى -

٢٧٧ ٤- جانب الإدارة والحكم -

الفصل الثالث: وثائق من تاريخ النصيرين المعاصر

٣٣٥ ثورة صالح العلي -

٣٣٨ سلمان المرشد إله النصيرين -

٣٤٠ عريضة الزعماء النصيرين إلى رئيس الحكومة الفرنسية -

٣٤٢ النصيريون في عهد الاستقلال -

٣٤٨ وحيد العين -

٣٤٨ بيان إلى أبناء الطائفة العلوية -

٣٦٥ كلمة حول وثيقة وحيد العين -

الفصل الرابع: وللأكراد دور في المؤامرة

- ٣٧١ البرزاني لا ينسينا صلاح الدين
- ٣٧٢ السكان والأرض
- ٣٧٣ البرزاني وأسياده
- ٣٧٥ تورط الولايات المتحدة الأمريكية
- ٣٧٧ هل انتهت الثورة الكرديّة
- ٣٧٩ واجبنا نحو إخواننا الأكراد
- ٣٨٠ توزيع الأدوار
- ٣٨٧ العاقل من أتعظ بغيره

القسم الثاني: إسرائيل ومؤامرة الدويلات الطائفية

الفصل الأول: إسرائيل ومؤامرة الدويلات الطائفية

- ٣٩٧ مطالب اللجنة الصهيونية البريطانية
- ٣٩٩ مذكرات بن غوريون
- ٤٠٣ خنجر إسرائيل
- ٤٠٦ الوثيقة التي سرّبتها السفارة السوفياتية إلى بيروت
- ٤٠٧ الرسائل المتبادلة بين إده وكيسينجر

٤١٠ اتصالات درزية يهودية يكشفها كمال كنج

٤٢٣ المعتدلون اليهود

الفصل الثاني: أطراف المؤامرة

٤٢٩ أسباب اختلاف الوثائق الإسرائيلية

٤٣٤ النظام النصيري وفكرة الهلال الخصب

٤٤٤ الموارنة

٤٤٨ الدروز

٤٥١ الولايات المتحدة الأمريكية

٤٥٦ استدراك

القسم الثالث: دور حافظ الأسد

الفصل الأول: أرومة حافظ الأسد

٤٦١ دراسة ظاهرة الأسد

٤٦٥ أرومته الطائفية

٤٨٦ أرومة الأسد الحزبية

الفصل الثاني: سقوط الجولان

- ٥٠٩ - أهمية الجولان
- ٥١٤ - ماذا أعد البعثيون النصيريون للجولان؟!
- ٥٢٠ - طول الحرب
- ٥٢٣ - فضح ادعاءاتهم
- ٥٣٤ - أخبار الحرب
- ٥٤٨ - البلاغ رقم ٦٦
- ٥٥٦ - أين حسن نواياهم؟!
- ٥٦١ - الأسباب الحقيقية لسقوط الجولان
- ٥٧٦ - أقوال الجندي حجة عليه

الفصل الثالث: حرب تشرين، أسبابها، ونتائجها

- ٥٨٣ - أسباب الحرب
- ٥٩٢ - لمحات عن سير عمليات الحرب
- ٥٩٧ - نتائج الحرب

الفصل الرابع: الاحتلال السوري للبنان

- ٦٢١ - ماذا يريد الأسد من لبنان؟!
- ٦٢٤ - لماذا التدخل في لبنان؟!

- ٦٢٦ - من أسرار اتصالات نظام أسد مع الموارنة
- ٦٢٨ - ويأتيك بالأخبار من لم تُرَوِّد
- ٦٣٠ - أمريكا وإسرائيل تؤيدان الاحتلال السوري للبنان
- ٦٣٦ - مع التدخل السوري في لبنان
- ٦٤٣ - ما الذي فعلته القوات السورية في لبنان؟! ..
- ٦٥٢ - ماذا قالوا عن التدخل السوري؟ ..

الخاتمة : وتسالون؟! ..

- ٦٦٣ - وتسالون..؟! ..
- ٦٦٤ - ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ..
- ٦٦٩ - فلتسمّ الأمور بمسماياتها ..
- ٦٧٦ - وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ..
- ٦٧٩ - حذارٍ من اليأس ..